بسم الله الرحمن الرحيم






العلامة المحقق الحاج الشيخ محمد تقي التستري قدس سره



المجلد الرابع عشر



دار امیر کبیر للنشر
تهران: ۱۳۷۶



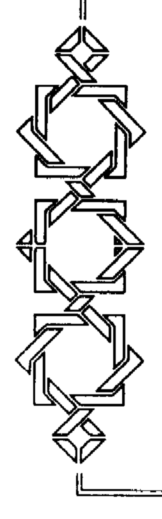
بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة (المجلد الرابع عشر)
المصنف : الشيخ محمد تقي التستري (قدس سره)
اعداد و ترتيب : مؤسسة نهج البلاغة
الناشر : دار اميركبير للنشر
الطبعة الاولى : (١٣٧٦ هـ ش) (١٤١٨ هـ ق) (١٩٩٧ م)
المطبعة : سبهر
عدد النسخ المطبوعة : ٢٠٠٠ نسخة


شابك ١ - ٠٢٦٣ - ٠٠ - ٩٦٤ ISBN 964-00-0263-1

الجمهورية الاسلامية في ايران - طهران - ص. ب ٤١٩١ - ١١٣٦٥

# الفصل الخمسون

# في وصف الانصار وطوائف قريش وتميم وفي الشعراء





## ١
## الحكمة (٤٦٥)

وقال عليه السلام في مدح الأنصار:

**هُمْ واللهِ رَبَّوا الإسلامَ كَمَا يُرَبَّى الفِلْو مع غَنائِهِم بأيديهم السِّبَاطِ وألسِنَتِهِم السِّلاَطِ.**

قول المصنّف: «وقال عليه السلام في مدح الأنصار» في (الأغاني): حضرت وفود الأنصار باب معاوية فقيل له: استأذن للأنصار ـ وكان عنده عمرو بن العاص ـ فقال له: ما هذا اللقب اردد‌هم إلى أنسابهم ـ إلى أن قال ـ فدخلوا يقدمهم النعمان بن بشير وهو يقول:

يا سعد لا تجب الدعاء فما لنا ... نسب نجيب به سوى الأنصار

نسب تخيره الإله لقومنا ... أثقل به نسباً على الكفار

ان الذين ثووا ببدر منكم ... يوم القليب هم وقود النار

فقال معاوية لعمرو بن العاص: قد كنّا لأغنياء عن هذا[١].

وفيه: روى الزهري أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يبغض الأنصار.

وعنه صلى الله عليه وآله : بنو هاشم والأنصار حلفان، وبنو أُمية وثقيف حلفان[٢].

وفي (المجازات النبوية) للمصنف: قال النبي صلى الله عليه وآله للأنصار «أنتم الشعار والناس الدثار»[٣] وقال النبي صلى الله عليه وآله «الأنصار كرشي وعيبتي»[٤].

وفي (كامل الجزري): قال أبو سعيد الخدري: لمّا أعطى النبي صلى الله عليه وآله من غنائم حنين قريشاً وقبائل العرب ولم تعط الأنصار شيئاً وجدوا في أنفسهم حتى قال قائلهم: لقي النبي قومه. فأخبر سعد بن عبادة النبي بذلك فقال صلى الله عليه وآله : له: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال: ما أنا إلّا من قومي. قال: فاجمع لي قومك. فجمعهم فأتاهم النبي فقال: ما حديث بلغني عنكم، ألم آتكم ضلّالاً فهداكم الله بي وفقراء فأغناكم الله بي وأعداء فألّف الله بين قلوبكم بي؟ قالوا : بلى والله، ولله ولرسوله المنّ والفضل. فقال: ألا تجيبوني؟ قالوا: بماذا نجيبك؟ فقال: والله لو شئتم لقلتم فصدقتم «أتيتنا مكذَّباً فصدَّقناك ومخذولاً فنصرناك وطريداً فآويناك وعائلاً فواسيناك» أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألّفتُ بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم، أفلا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم، والذي نفسي بيده لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، اللّهم ارحم الأنصار وأبناء

---

(١) الأغاني ١٦ : ٤٨.

(٢) لم نعثر عليه في كتب الصحاح المعتبَرة.

(٣) المجازات النبوية : ٤١.

(٤) المجازات النبوية : ٧١.

الأنصار وأبناء أبناء الأنصار. فبكى القوم حتى اخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً، وتفرقوا[1].

وقال كعب بن زهير فيهم:

| | |
|---|---|
| من سرّه كرم الحياة فلا يزل | في مقنب من صالحي الأنصار |
| ورثوا المكارم كابراً عن كابر | ان الخيار هم بنو الأخيار |
| الناظرون بأعين محمرة | كالجمر غير كليلة الأبصار |
| الباذلون نفوسهم ودماءهم | يوم الهياج وسطوة الجبار |
| يتطهّرون يرونه نسكاً لهم | بدماء من قتلوا من الكفار |

فكساه النبي صلى الله عليه وآله بردة كانت عليه، وهي البردة التي عند الخلفاء الآن اشتراها معاوية من ولده[2].

وفي (الطبري): لما مات أبو أُمامة أسعد بن زرارة اجتمعت بنو النجار إلى النبي صلى الله عليه وآله فقالوا: ان هذا الرجل كان منّا فاجعل منّا رجلاً مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيمه. فقال لهم النبيّ صلى الله عليه وآله: أنتم أخوالي وأنا منكم وأنا نقيبكم. كره النبي صلى الله عليه وآله أن يخص بها بعضهم دون بعض، فكان من فضل بني النجار الذي يعدّ على قومهم ان النبي صلى الله عليه وآله كان نقيبهم[3].

وقال ابن أبي الحديد قال النبي صلى الله عليه وآله للأنصار: إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلّون عند الطمع[4].

وقال صلى الله عليه وآله لعامر بن الطفيل لما توعده: يكفي الله ذلك وأبناء قيلة[5].

---

(١) الكامل لابن الأثير ٢: ٢٧١ ـ ٢٧٢.

(٢) الكامل لابن الأثير ٢: ٢٧٦.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ٩.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٠٥.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ١٨٤.

وقالت الأنصار: لولا علي عليه السلام لأنفنا أن يُذكر المهاجرون معنا أو أن يقرنوا بنا، ولكن رُبَّ واحد كألف بل كأُلوف[١].

وقال الوزير المغربي ـ وكان شديد العصبية للأنصار ولقحطان قاطبة، وكان ينتمي إلى ازد شنؤة:

ان الذي أرسى دعائم أحمد وعلا بدعوته على كيوان
ابناء قيلة وارثو شرف العلى وعراعر الأقيال من قحطان
بسيوفهم يوم الوغى وأكفّهم ضربت مصاعب ملكه بجران
لولا مصارعهم وصدق قراعهم خرّت عروش الدين للأذقان
فليشكرنّ محمد أسياف من لولاه كان كخالد بن سنان[٢]

وقال ابن أبي الحديد وهذا إفراط قبيح منه، ولاسيما في البيت الأخير[٣].

قلت: بل ليشكرنّ الأنصار له صلى الله عليه وآله، قال تعالى ﴿... بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾[٤].

قوله عليه السلام «هم والله ربوا» بفتح الباء من التربية.

«الإسلام كما يربى الفلو» بتشديد الواو وضم الفاء أو فتحها، أي: المهر لأنّه يفتلى أي يفطم.

في (المروج) ـ في ورود النبيّ صلى الله عليه وآله المدينة وإحداق الأنصار به ـ يقول صرمة النجاري:

ثوى في قريش بضع عشرة حجّة يذكر لا يلقى صديقاً مواتيا
ويعرض في أهل المواسم نفسه فلم يرَ من يوفي ولم يرَ داعياً

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ١٨٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ١٨٥.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ١٨٥.

(٤) الحجرات: ١٧.

فـلما أتـانا أظـهر الله ديـنه وأصـبح مسـروراً بـطيبة راضـياً
وأصبح لا يخشى من الناس واحداً بعيداً ولا يـخشى مـن النـاس دانـيا
بـذلنا له الأمـوال فـي كـل مـلكنا وأنـفسنا عـند الوغـى والتآسـيا
ونـعلم أنّ الله لا ربّ غـيره وأنّ رسـول الله للـحق رائـيا
نعادي الذي عادى من النـاس كـلّهم جميعاً وإن كان الحبيب المصافيا[١]

وفي (الاستيعاب): اختلف إليه ابن عباس حتى تعلّم منه هذه الأبيات[٢].

«مع غنائهم بأيديهم السباط» قال الجوهري: شعرٌ سبط وسَبِطٌ: مسترسل ورجل سبط الجسم إذا كان حسن القد والاستواء، قال جندح :

فجاءت به سبط العظام كأنّما عـمامته بين الرجـال لواءُ[٣]

في (الطبري): كان ممّا صنع الله به لرسوله أنّ هـذين الحـيين الأوس والخزرج من الأنصار كانا يتصاولان مع النبي تصاول الفحلين، لا تـصنع الأوس شيئاً فيه عن النبي غناء إلّا قالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فـضلاً علينا عند النبي في الاسلام حتى يوقعوا مثلها، وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك ثم ذكر غيلة الأوس لكعب بن الأشرف الذي كان شديداً في عداوة النبي ﷺ، ثم ذكر غيلة الخزرج في قبالهم لسلام بـن أبـي الحـقيق الخيبري الذي كان أيضاً شديداً في عداوتـه. قـال: وكـان المـتصدون لقـتله ثمانية، وكان نهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة، وكانت امرأته تصيح فيرفعون السيف عليها فيذكرون نهي النبيّ ﷺ فيكفّون أيديهم عنها. ثـم كـلّ مـنهم يدّعي قتله لما رجعوا، فنظر النبي إلى أسيافهم فقال: أرى أثر العظام في سيف

---

(١) المروج ٢ : ٢٨٧.

(٢) الاستيعاب ١ : ٣٣٤.

(٣) الجوهري ٢ : ١١٢٨ مادة ـ سبط ـ.

عبدالله بن أنيس ـ رجل من الثمانية.

وفيه ـ في مجيء قريش إلى بدر ـ: فبعثوا عمير الجمحي وقالوا له احزر لنا أصحاب محمد. فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم فقال ثلاثمائة يزيدون أو ينقصون، ولكن يا معشر قريش رأيت الولايا تحمل المنايا نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلّا سيوفهم، والله ما أرى يقتل رجل منهم حتى يقتل رجل منكم ....

وفيه ـ في مسير النبي إلى بدر ـ ثم قال صلى الله عليه وآله: أشيروا عليّ أيّها الناس ـ وإنّما يريد الأنصار لأنّهم كانوا عدد الناس وكانوا لما بايعوه صلى الله عليه وآله بالعقبة قالوا له: إذا وصلت إلينا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا. فكان النبي يتخوّف ألا ترى الأنصار نصرته إلّا من عدو دهمه بالمدينة، فقال له سعد بن معاذ: والله لكأنّك تريدنا يا رسول الله. قال: أجل. قال: فقد آمنّا بك وصدّقناك فامض لما أردت، فوالذي بعثك بالحق إن استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك، إنّا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء. فسرّ النبيّ صلى الله عليه وآله بقوله فقال: سيروا وابشروا، والله لكأنّي الآن أنظر إلى مصارع القوم[1].

وفي (المروج): دخل قيس بن سعد بن عبادة بعد وفاة علي عليه السلام ووقوع الصلح في جماعة من الأنصار على معاوية فقال لهم معاوية: يا معشر الأنصار بم تطلبون ما قبلي، فوالله لقد كنتم قليلاً معي كثيراً عليّ، ولفللتم حدي يوم صفين حتى رأيت المنايا تلظى في أسنتكم، وهجوتموني في أسلافي بأشدّ من وقع الأسنة حتى إذا أقام الله ما حاولتم ميله قلتم «ارع وصيّة النبي فينا» هيهات يأبى الحقير الغدرة. فقال قيس: نطلب ما قبلك بالإسلام الكافي به الله لا بما تمت إليه الأحزاب، وأما عدواتنا لك فلو شئت كففنا، وأما هجاؤنا إيّاك

(١) تاريخ الطبري ٢: ١٨٤.

فقول يزول باطله ويثبت حقّه، واما استقامة الأمر لك فعلى كره كان منّا، واما قلّنا حدّك يوم صفين فانّا كنّا مع رجل طاعته طاعة الله، وأما وصيّة النبي بنا فمن آمن بالنبي رعاها بعده[1].

وفي (صفين نصر): دعا معاوية النعمان بن بشير ومسلمة بن مخلد ـ ولم يكن معه من الأنصار غيرهما ـ فقال: يا هذان لقد غمّني ما لقيت من الأوس والخزرج، صاروا واضعي سيوفهم على عواتقهم يدعون إلى النزال، حتى والله جبنوا أصحابي الشجاع وحتى ما أسأل عن فارس من أهل الشام إلّا قالوا قتله الأنصار، أما والله لألقينهم بحدّي وحديدي ولأعبين لكلّ فارس منهم فارساً ينشب في حلقه، ثم لأرمينهم بأعدادهم من قريش رجال لم يغذهم التمر والطفيشل، آووا ونصروا ولكن أفسدوا حقّهم بباطلهم. فغضب النعمان وقال: يا معاوية لا تلومن الأنصار بسرعتهم في الحرب، فانّهم كانوا كذلك في الجاهلية، وأما دعاؤهم إلى النزال فقد رأيتهم مع النبي صلى الله عليه وآله، واما لقاؤك إيّاهم في أعدادهم من قريش فان أحببت ان ترى فيهم مثل ما رأيت آنفاً فافعل، واما التمر فانّه كان لنا فلما ان ذقتموه شاركتمونا فيه، وأما الطفيشل فكان لليهود فلما أكلناه غلبناهم عليه كما غلب قريش على السخينة.

إلى أن قال: وانتهى الكلام إلى الأنصار، فجمعهم قيس بن سعد وخطبهم فقال: ان معاوية قال ما قد بلغكم وأجاب عنكم صاحبكم، فلعمري لئن غظتم اليوم معاوية لقد غظتموه بالأمس، وان وترتموه في الاسلام لقد وترتموه في الشرك، ومالكم اليه ذنب غير نصر هذا الدين أنتم عليه، فجدوا اليوم جداً تنسونه ما كان أمس، وجدوا غداً فتنسوه ما كان اليوم، وأنتم مع هذا الذي كان عن يمينه جبرئيل يقاتل وعن يساره ميكائيل يقاتل والقوم مع

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ١٧.

لواء أبي جهل والأحزاب[1].

وفي (جمل المفيد): قال محمد بن الحنفية: فوقفت بين يدي أبي باللواء، فقال قيس بن سعد بن عبادة:

هذا اللواء الذي كنّا نحفّ به ... مع النبي وجبريل لنا مددا

ما ضرّ من كانت الأنصار عيبته ... ألّا يكون له من غيرهم أحدا

قوم إذا حاربوا طالت أكفّهم ... بالمشرفية حتى يفتحوا البلدا[2]

«وألسنتهم السلاط» أي: الحداد.

في (طبقات كاتب الواقدي): أقام النبي ﷺ بمكّة ما أقام يدعو القبائل إلى الله ويعرض نفسه عليهم نفسه كلّ سنة بمجنة وعكاظ ومنى أن يؤووه حتى يبلغ رسالة ربه ولهم الجنّة، فلا يستجيب له قبيلة بل يؤذى ويشتم، حتى أراد الله إظهار دينه ساقه إلى هذا الحي من الأنصار، فانتهى إلى نفر منهم وهم يحلقون رؤوسهم، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فاستجابوا له وأسرعوا، فآمنوا وصدقوا وآووا ونصروا وواسوا، وكانوا أطول الناس ألسنة وأحدّهم سيوفاً[3].

هذا، وفي (كامل المبرّد): قال رجل من بني مخزوم ـ قلت وهم قوم أبي جهل ـ لرجل من الأنصار: أتعرف الذي يقول:

ذهبت قريش بالمكارم كلّها ... واللؤم تحت عمائم الأنصار

قال: لا ولكن أعرف الذي يقول:

الناس كنوه أبا حكم ... والله كنّاه أبا جهل

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٤٤٥.

(٢) جمل المفيد: ١٨٢ ـ ١٨٣.

(٣) الطبقات لابن سعد ١: ٢١٧.

أبـقت رئـاسته لأسـرته لؤم الفروع ودقّة الأصل

وكان يزيد عتب على قوم من الأنصار، فأمر كعب بن جعيل بهجائهم فقال: أهجو الأنصار فأُردّ إلى الكفر، أدلّك على غلام من الحي نصرانـي كأن لسانه لسان ثور ـ يعني الأخطل ـ. فأمره فقال ذاك البيت، فدخل النعمان بن بشير على معاوية، فحسر عمامته عن رأسه ثم قال: يا معاوية أترى لؤمـاً؟ فقال: ما أرى إلّا كرماً. فقال له:

فما ليَ ثأرٌ دون قطع لسانه.

ودونك من يرضيه عنك الدراهم[1].

وروى (سنن أبي داود) عن أنس: أنّ المهاجرين قالوا للنبي صلى الله عليه وآله ذهبت الأنصار بالأجر كلّه. قال: لا ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم[2].

هذا، وفي (سيرة ابن هشام): أسعد أبو كرب تبع الآخر لما قـاتل أهـل المدينة تزعم الأنصار أنّهم كانوا يقاتلونه بالنهار ويقرونه بـالليل، فـيعجبه ذلك منهم ويقول: والله ان قومنا لكرام[3].

وفيه: بلغني عن يحيى بن سعيد أن النبي صلى الله عليه وآله حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو وقد أحدقت به الأنصار، فقالوا فيما بينهم: أترون النبي إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها. فلما فرغ من دعائه قال: ماذا قلتم؟ قالوا: لا شيء. فلم يزل بهم حتى أخبروه. فـقال النـبي: مـعاذ الله، المـحيى مـحياكـم والممات مماتكم.

---

(١) الكامل للمبرّد ١ : ١٥٣.

(٢) سنن أبي داود ٢ / ٣٤٩ حديث ٤٨١٢.

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ١١.

## ٢
## الحكمة (١٢٠)

وسئل عليه السلام عن قريش فقال:

أمّا بَنُو مَخْزُومٍ فَرَيْحَانَةُ قُرَيْشٍ تُحِبُّ حَدِيثَ رِجالِهِمْ وَالنِّكَاحَ فِي نِسَائِهِم، وَأَمّا بَنُو عَبْدِ شمسٍ فَأَبْعَدُهَا رَأْياً وَأَمْنَعُها لِمَا وَرَاءَ ظُهُورِهَا، وَأَمّا نَحْنُ فَأَبْذَلُ لِمَا فِي أَيْدِينَا وَأَسْمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا، وَهُمْ أَكْثَرُ وأَمْكَرُ وَأَنْكَرُ ونَحْنُ أَفْصَحُ وَأَنْصَحُ وَأَصْبَحُ.

أقول: وفي (رسالة الجاحظ) ـ كما في (ينابيع مودة سليمان الحنفي) ـ قال علي عليه السلام حين سُئل عن بني هاشم وبني أُمية ـ «نحن أنجد وأمجد وأجود وهم أنكر وأمكر وأغدر»[١].

وقال عليه السلام أيضاً: نحن أطعم للطعام وأضرب للهام[٢].

وروى (موفقيات ابن بكار) عن عبدالله بن إبراهيم الجمي عن نوفل بن عمارة: قال رجل من قريش لعلي عليه السلام: أخبرنا عنكم وعن بني عبد شمس. قال: نحن أصبح وأفصح وأسمح. فقال الرجل: ما أبقيت للقوم شيئاً. قال: بلى هم أكثر وأمكر وأنكر[٣].

وفي (العقد): قيل لعلي عليه السلام: أخبرنا عنكم وعن بني أُمية. فقال: بنو أُمية أنكر وأمكر وأفجر، ونحن أصبح وأنصح وأسمح.

وقال الشعبي: قال علي عليه السلام: أما بنو هاشم فأطعمها للطعام وأضربها للهام، وأمّا بنو أُمية فأشدّها حجراً وأطلبها للأمر الذي لا ينال فينالونه[٤].

---

(١) ينابيع المودة: ١٥٤.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥: ٢٠٨.

(٣) موفقيات ابن بكار: ٣٤٣.

(٤) العقد الفريد ٣: ٣١٥.

وفي (العيون): قال علي عليه السلام : خصصنا بخمس بصباحة وفصاحة وسماحة ورجاحة وحظوة ـ يعني عند النساء[١] ـ.

وسئل عليه السلام فقال: هم أغدر وأفجر وأمكر، ونحن أفصح وأصبح وأسمح.

قول المصنّف: «وسئل عليه السلام عن قريش» في (المروج): قريش خمسة وعشرون بطناً: بنو هاشم، بنو المطلب، بنو أسد بن عبد العزى، بنو عبد الدار بن قصي، بنو زهرة بن كلاب، بنو تيم بن مرة، بنو مخزوم، بنو يقظة، بنو عدي بن كعب، بنو سهم، بنو جمح ـ وهم قريش البطاح، بنو مالك بن حنبل، بنو معيص، بنو عامر، بنو أسامة بن لؤي، بنو الأدرم ـ وهم تيم بن غالب ـ بنو محارب بن فهم، بنو الحرث بن عبدالله، بنو عائذة ـ وهم خزيمة بن لؤي ـ بنو بنانة ـ وهم سعد بن لؤي ـ قريش الظواهر[٢].

وفي (المعارف): النضر بن كنانة أبو قريش، وولده مالك والصلت ـ وصار الصلت في اليمن ـ ورجعت قريش إلى مالك بن النضر فهو أبوها كلّها، وولده فهر والحارث، ومن الحارث أبو عبيدة، وأما فهر فمنه تفرّقت قبائل قريش وولده غالب ومحارب، ومن محارب ضرار بن الخطاب شاعر قريش في الجاهلية، وولد غالب لؤي وتيم ومن تيم الأدرم من أعرابهم قال:

ان بني الأدرم ليسوا من أحد ليسوا إلى قيس وليسوا من أسد
ولا توفاهم قريش في العدد

وأمّا لؤي فإليه ينتهي عدد قريش وشرفها، وولده كعب وعامر وسعد وخزيمة والحارث وعوف، وولد عامر حسل ومعيص، ومن معيص ابن ام

---

(١) العيون ٤ : ٢٥.

(٢) المروج ٢ : ٣٢.

كلثوم، ومن حسل سهل وسهيل والسكران بنو عمرو وسامة بن لؤي وقع بعمان، وأما سعد بن لؤي فمنهم عائذة وهم في بني شيبان ومقاس العائذي الشاعر. وأمّا كعب بن لؤي فولده مرة وهصيص وعدي، ومن هصيص بنو سهم وبنو جمح وأما عدي فمنهم عمر، وأما مرة فمنهم تيم رهط أبي بكر وطلحة، ومنهم مخزوم ومن مخزوم أبو جهل بن هشام، وفي هشام قالوا:

وأصبح بطن مكّة مقشعراً كأنّ الأرض ليس بها هشام

ومنهم كلاب وولد كلاب زهرة وقصي، وزهرة أخوال النبي صلى الله عليه وآله، وأمّا قصي ـ واسمه زيد ـ فسمّي مجمعاً لأنّه جمع قبائل قريش وأنزلها مكّة وبنى دار الندوة وأخذ المفتاح من خزاعة وولده عبد مناف ـ واسمه المغيرة ـ وعبد الدار وعبد العزى وعبد ـ وقد باد ـ ومن عبد العزى خويلد بن أسد أبو خديجة وجد الزبير، ومن عبد الدار آل أبي طلحة قتلوا يوم أُحد إلّا عثمان بن طلحة أسلم فدفع النبي صلى الله عليه وآله إليه مفتاح الكعبة وشيبة بن عثمان في ولده المفتاح، وولد عبد مناف هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل ومن نوفل جبير بن مطعم [١].

«فقال أمّا بنو مخزوم» بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب. قال الجوهري: يقال لكلّ مثقوب مخزوم.

وفي (البيان): قال خالد بن صفوان لعبدري: هشمتك هاشم وأمتك أُمية وخزمتك مخزوم، وأنت من عبد دارها ومنتهى عارها تفتح لها الأبواب إذا أقبلت وتغلقها إذا أدبرت [٢].

«فريحانة قريش» وفي (البيان): سأل معاوية دغفلاً عن بني مخزوم

(١) المعارف: ٦٧.

(٢) البيان والتبيين ١: ٣٣٦.

فقال: معزى مطيرة، عليها قشعريرة، إلّا بني المغيرة، فإنّ فيهم تشادق الكلام ومصاهرة الكرام(١).

وفي (البيان): قال معاوية: لا ينبغي أن يكون الهاشمي غير جواد، ولا الأُموي غير حليم، ولا الزبيري غير شجاع، ولا المخزومي غير تياه. فبلغ ذلك الحسن بن علي عليه السلام فقال: قاتله الله أراد أن يجود بنو هاشم فينفد ما بأيديهم، ويحلم بنو أُمية فيتحببوا إلى الناس، ويتشجع آل الزبير فيفنوا، ويتيه بنو مخزوم فيبغضهم الناس(٢).

«تحب حديث رجالهم» قد عرفت أن دغفلاً النسابة قال في بني المغيرة: تشادق الكلام.

هذا، ومن المحبوبين حديثاً مالك بن نويرة اليربوعي الذي قتله خالد بن الوليد من قبل أبي بكر غدراً وزنا بامرأته حتى أنكر ذلك عليه عمر، قال أخوه متمم لعمر: أسرني بنو تغلب في الجاهلية فبلغ ذلك مالكاً فجاء ليفتديني، فلما رآه القوم أعجبهم جماله وحدّثهم فأعجبهم حديثه فأطلقوني له بغير فداء.

«والنكاح في نسائهم» ومن نسائهم أُم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله ـ ومنهن أُم سلمة زوجة السفاح.

في (المروج): كانت أُم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبدالله بن الوليد بن المغيرة المخزومي عند عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك فهلك عنها، ثم كانت عند هشام فهلك عنها، فبينا هي ذات يوم إذ مر بها أبو العباس السفاح ـ وكان جميلاً وسيماً ـ فسألت عنه فنسب لها، فأرسلت مولاة لها تعرض عليه أن يتزوجها وقالت لها: قولي له: هذه سبعمائة دينار وجه بها إليّ ـ وكان معها

(١) البيان والتبيين ١ : ١٢١.

(٢) البيان والتبيين ٤ : ٦١.

مال عظيم وجوهر وحشم - فأتته المولاة فعرضت عليه ذلك فقال: أنا مملق لا مال عندي. فدفعت إليه المال فأنعم لها وأقبل إلى أخيها فسأله التزويج فزوجه إيّاها، فأصدقها خمسمائة دينار وأهدى مائتي دينار ودخل عليها من ليلته، فإذا هي على منصة، فصعد عليها فإذا كلّ عضو منها مكلّل بالجوهر فلم يصل إليها، فدعت بعض جواريها فنزلت وغيّرت لبسها ولبست ثياباً مصبغة وفرشت له فراشاً على الأرض دون ذلك، فلم يصل إليها. فقالت: لا يضرّك هذا، كذلك كان يصيبهم مثل ما أصابك. فلم تزل به حتى وصل إليها من ليلته وحظيت عنده، وحلف ألا يتزوج عليها ولا يتسرى، فولدت له محمداً وريطة، وغلبت عليه غلبة شديدة حتى ما كان يقطع أمراً إلّا بمشورتها وبتدبيرها ...[1].

وفي (نسب قريش مصعب الزبيري): بعث عبد الملك بن مروان إلى المغيرة ابن عبد الرحمن المخزومي أن يقدم عليه - أراد أن يزوجه اخته زينب - فقدم المغيرة أيلة وبها يحيى بن الحكم، فخطب إليه أُخته زينب وجعل له أربعين ألف دينار فزوّجه إيّاها. ولما قدم دمشق على عبد الملك خطب إليه زينب فقال له: مررت بعمّك يحيى فخطبها إليّ فزوجتها منه ولم أعلم أن لك فيها حاجة. فغضب عبد الملك على عمّه وأخذ كلّ شيء له، فقال يحيى «كعكتان وزينب» - يعني لا أُبالي إذا وجدت كعكتين وعندي زينب - وكانت زينب تسمى من حسنها الموصولة، لأنّ كل إرب منها كأنّما حسن خلقه ثم وصل إلى الإرب الآخر[2].

هذا، وورد مدح مطلق نساء قريش، روى (الكافي) عن أحدهما عليهما السلام قال: خطب النبي صلى الله عليه وآله أُم هاني بنت أبي طالب فقالت: يا رسول الله اني مصابة في

(١) المروج ٣: ٢٦٠.

(٢) نسب قريش: ٣٠٧.

حجري أيتام ولا يصلح لك إلّا امرأة فارغة. فقال النبي: ما ركب الإبل مثل نساء قريش أحناها على ولد ولا أرعى على زوج في ذات يديه[1].

هذا، وأتى ابن أبي الحديد بما يضحك الثكلى، فاقتصر في شرح العنوان على عد رجال مخزوم في الجاهلية والاسلام وما قيل فيهم من الأشعار. ثم ان ابن أبي الحديد كأنّه كان من أكبر رجال مخزوم وأنف من قوله عليه السلام فيهم، فقال: ويمكن أن يقال قالت مخزوم ما أنصفنا من اقتصر في ذكرنا على أن قال «مخزوم ريحانة قريش تحب حديث رجالهم والنكاح في نسائهم» ولنا في الجاهلية والإسلام مآثر عظيمة ورجال كثيرة. ثم عدّ منهم المغيرة والوليد بن المغيرة وهشام بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعكرمة بن أبي جهل وعمر بن أبي ربيعة وخالد بن الوليد وابنه عبد الرحمن وهشام بن إسماعيل وجمعاً آخر، وقال: ينبغي أن يقال إنّه عليه السلام لم يقل هذا الكلام احتقاراً لهم، ولكن لما كان أكثر همّه يوم المفاخرة أن يفاخر بني عبدشمس لما بينه وبينهم فلما مر ذكر مخزوم بالعرض قال فيهم ما قال، ولو كان يريد مفاخرتهم لما اقتصر على ما قال. على أن أكثر هؤلاء إسلاميون بعده وعلي إنّما يذكر من قبله[2].

فإنّ هذا الرجل يدّعي المعرفة ويتكلّم بمثل هذا الكلام، إلّا انّه لما كان كثير من الذين قال بامامتهم سابّين له عليه السلام لا غرو منه ان يقتصر على هذا المقدار، وكان يمكنه اذ أنف لمخزوم أن يقول انّه غير معلوم كون هذا من كلامه عليه السلام فقد عرفت ان (رسالة الجاحظ) و(عقد ابن عبد ربه) و(عيون ابن قتيبة) اقتصرت على نقل وصفه عليه السلام لهاشم وأُمية دون مخزوم.

ثم أيّ قيمة لرجال كفار ومنافقين ومخالفين عند الله تعالى وعند

---

(١) الكافي ٥ : ٣٢٦ ح ٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨ : ٢٨٥.

رسوله صلى الله عليه وآله وعنده عليه السلام، وقد قال الجاحظ ـ فيما نقل نفسه عنه ـ ان في مخزوم نزل قوله تعالى ﴿وذرني والمكذّبين أولي النَّعمة ...﴾[١] وقوله تعالى ﴿... وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم ...﴾[٢] وفي الوليد نزل قوله تعالى ﴿ذرني ومن خلقتُ وحيداً* وجعلت له مالاً ممدوداً* وبنين شهوداً* ثم يطمع أن أزيد* كلا انّه كان عنيداً* سأُرهقه صعوداً* انّه فكّر وقدّر* فقُتل كيف قدّر* ثم قُتل كيف قدّر* ثم نظر ثم عبس وبسر* ثم أدبر واستكبر* فقال ان هذا إلا سحرٌ يؤثر* ان هذا إلّا قول البشر* سأُصليه سقر* وما أدراك ما سقر* لا تبقي ولا تذر* لواحة للبشر﴾[٣] وقوله تعالى ﴿أما من استغنى* فأنت له تصدى* وما عليك ألّا يزّكى﴾[٤] وفي أبي جهل نزل قوله تعالى ﴿ذق انّك أنت العزيز الكريم﴾[٥] وقوله تعالى ﴿فليدع ناديه * سندع الزبانية﴾[٦].

وكان أبو جهل أعتى من فرعون، ففرعون لما أدركه الغرق قال ﴿... آمنت أنّه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ...﴾[٧] حتى قال له جبرئيل ﴿الان وقد عصيت قبل ...﴾[٨]، وأما أبو جهل فحين قتله ادّعى أنّه غلب على النبيّ صلى الله عليه وآله.

وعكرمة بن أبي جهل كان سرّ أبيه، فروى الزبير بن بكار أنّه لما بويع أبو بكر ندم قوم من الأنصار وذكروا علياً عليه السلام وهتفوا باسمه وأنّه في داره لم

---

(١) المزمل : ١١ .

(٢) الأنعام : ٩٤ .

(٣) المدثر : ١٠ ـ ٢٩ .

(٤) عبس : ٤ ـ ٧ .

(٥) الدخان : ٤٩ .

(٦) العلق : ١٦ ـ ١٨ .

(٧) يونس : ٩٠ .

(٨) يونس : ٩١ .

يخرج إليهم، وكان أشدّ قريش على الأنصار نفر سهيل بن عمرو العامري والحرث بن هاشم وعكرمة بن أبي جهل المخزوميان. وهؤلاء أشراف قريش الذين حاربوا النبيّ صلى الله عليه وآله ثم دخلوا في الاسلام وكلّهم موتور قد وتره الأنصار. إلى أن قال: فلما بلغ الأنصار قول هؤلاء الرهط قام ثابت بن قيس بن شماس فقال: يا معشر الأنصار إنّما يكبر عليكم هذا القول لو قاله أهل الدين من قريش، فأما إذ كان من أهل الدّنيا لا سيما من أقوام كلّهم موتور فلا يكبرن عليكم، فان تكلمت رجال قريش الذين هم أهل الآخرة مثل كلام هؤلاء فعند ذلك قولوا ما أحببتم وإلا فأمسكوا[١].

وأما خالد بن الوليد فعمدة آثاره فراره بالمسلمين يوم موتة فصار عاراً للإسلام، ولما رجعوا إلى المدينة كان المسلمون يصيحون بهم يا فرار ويحثّون عليهم التراب، وغدره بجمع من المسلمين زمان النبي صلى الله عليه وآله وقتله لهم بغير حق، فتبرأ منه ومن فعله النبي صلى الله عليه وآله وبعث لإرضاء أوليائهم، وغدره بجمع من المسلمين زمان أبي بكر كما مر وقرره أبو بكر ودافع عنه فعزله عمر ساعة وفاة أبي بكر وقيامه بالأمر لذلك[٢].

وأما ابنه عبد الرحمن فأحد أعوان معاوية، وكان عليه السلام يلعنه بعد صفين كما يلعن معاوية بعد صلاة غداته ومغربه[٣].

وأما عمر بن أبي ربيعة فهو الهتاك للمحصنات حتى سمّي بالفاسق وأحرقه الله في الدنيا قبل الآخرة[٤].

وأما هشام بن اسماعيل فهو أحد من كان يسبّه عليه السلام ، فلما عزله الوليد

---

(١) أخبار الموفقيات للزبير بن بكار: ٥٨٣.

(٢) المغازي للواقدي ٢: ٧٦٤.

(٣) الغارات: ١٧٤.

(٤) الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني ١: ٢٤٨.

عن المدينة وأمر ان يوقف للناس كان يحذّر السجاد عليه السلام لذلك[١]، فلم يتعرّض عليه السلام له تكرّماً. فأي فخر في هؤلاء الذين كانوا لجهنم حطباً.

ومع أنّه طوّل في نقل جمع منهم فاته من معروفيهم عمر بن عبد الرحمن. وهو الذي أتى في مكة إلى الحسين لما جاءته كتب أهل العراق وقال له عليه السلام: إن تستنصحني أذكر نصيحتي وإلّا كففت.

مع أنّ كلامه عليه السلام في بيان ذكر صفات طوائف قريش لا تعداد رجالهم فهل كان عليه السلام نسابة يذكر رجالهم، فأراد ابن أبي الحديد أن يكون له عليه السلام كتاب نسب لقريش ككتاب مصعب الزبيري وابن بكار.

مع أنّ مخزوماً مع اشتهارهم بالكبر والتيه لم يذكر عليه السلام ذلك بل اقتصر ـ على صحة النقل ـ على كونهم ريحانة قريش، فقالوا: قال النبي صلى الله عليه وآله لحزن بن أبي وهب المخزومي جدّ سعيد بن المسيب: ما اسمك؟ قال: حزن. فقال عليه السلام له: بل أنت سهل. فقال حزن: انّما السهولة للحمار. قال سعيد بن المسيب: فما زالت تلك الحزونة تعرف فينا حتى اليوم[٢].

وفي (الاستيعاب): قال أهل النسب وفي ولد حزن جروية وسوء خلق معروف ذلك فيهم لا يكاد يعدو منهم ولذلك قال معاوية ـ كما مر ـ لاينبغي للمخزومي أن يكون غير تياه[٣].

وأما ردّ الحسن عليه السلام عليه إنّما لأن معاوية لم يقل ذلك عن غرض صحيح بل للتحريض على الازدياد من الصفة المذمومة.

ولو كان ابن أبي الحديد قال: إنّهم بعد بني عبد مناف أشرف طوائف

---

(١) الكامل لابن الأثير ٥: ٥٢٦ ـ ٥٢٧.

(٢) سنن ابن أبي داود ٤: ٢٨٩ ح ٤٩٥٦، البخاري ٨: ٥٣، دار الفكر. البخاري ٨: ٥٣ دار الفكر.

(٣) الاستيعاب ١: ١٣٩. ترجمة حزن بن أبي وهب.

قريش كان كلامه صحيحاً، فلما سمع أبو قحافة أبو صديقهم قيام ابنه بالأمر تعجّب من تقدّم تيم الرذل على أُولئك فقال: كيف رضيت بنو عبد مناف وبنو مخزوم بذلك[١].

وكون مخزوم ريحانة قريش ليس وصفاً من انشائه عليه السلام، بل كان مقولاً قبله عليه السلام وقد فسّره عليه السلام لهم بتفسير حسن بأن لم يقتصر على حبّ نكاح نسائهم بل زاد حبّ حديث رجالهم. فروى أبو عبيدة في كتاب تاجه ـ وقد نقله ابن أبي الحديد[٢] في موضع آخر ـ إنّ خالد بن عبد الرحمن المخزومي دخل مسجد الكوفة، فانتهى إلى حلقة فيها أبو الصقعب التيمي من تيم الرباب ـ وكان من أعلم الناس ـ فلما سمع علمه وحديثه حسده فقال له: ممن الرجل؟ قال: من تيم الرباب. فقال له: ما أنت من سعد الأكثرين ولا حنظلة الأكرمين ولا عمرو الأشدّين. فقال له أبو الصقعب: فممّن أنت؟ قال: من بني مخزوم. قال: والله ما أنت من هاشم المنتجبين ولا أُمية المستخلفين ولا عبد الدار المستحجبين فبم تفخر؟ قال: نحن ريحانة قريش. قال أبو الصقعب: قبحاً لما جئت به، وهل تدري لِمَ سمّيت مخزوم ريحانة قريش؟ سمّيت بحظوة نسائها عند الرجال. فأفحمه.

وفي خبر خالد بن صفوان مع السفاح: لما جعل يصف له أقسام النساء الجواري والحرائر ليرغبه فيهن ويعطيه جائزة، فسمعت أُم سلمة امرأة السفاح ذلك وبعثت من خدمها من ضربه شديداً، فعكس الأمر لارضاء أُم سلمة وقال للسفاح: أخبرتك أنّ بني مخزوم ريحانة قريش وعندك ريحانة من الرياحين وأنت تسطح بعينك إلى حرائر النساء والإماء.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن الحديد ١٨: ٢٨٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ١٥: ١٣٢.

ثم اعتذاره بأنّه عليه السلام لم يقصد احتقار مخزوم، خبط في خبط فلم يكن عليه السلام أوّلاً في مقام المفاخرة بل في مقام بيان صفات طوائف قريش، وثانياً أي ربط لهذا الكلام بمفاخرته مع عبد شمس وهل كون كتابه عليه السلام إلى معاوية «منّا النبيّ ومنكم المكذّب» الوارد في ذلك يجعل كلّ كلام كذلك، وثالثاً لم يمر ذكر مخزوم بالعرض كيف وفي العنوان ذكر أوّلاً، ورابعاً ان قوله «وعلي عليه السلام إنّما يذكر من قبله» غلط، فهذا شيء عام فكل إنسان يصف طائفة يصف من وجد منهم لا من يوجد بعده، وانّما فرقه عليه السلام مع باقي الناس أنّه لا يكترث بغير الفضائل الدينية والأخلاقية.

هذا، وفي (الأغاني): وفد عمر بن أبي ربيعة على عبد الملك فسأله عن مفاخرته مع الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب، فقال: بينا أنا جالس في المسجد الحرام في جماعة من قريش إذ دخل الفضل ووافقني وأنا أتمثّل بهذا البيت:

وأصبح بطن مكّة مقشعراً ... كأن الأرض ليس بها هشام

فقال: يا أخا بني مخزوم إنّ بلدة تبجح بها عبد المطلب وبعث فيها النبي صلى الله عليه وآله وفيها بيت الله تعالى لحقيقة ألا تقشعر لهشام، وإنّ أشعر من هذا البيت وأصدق قول من يقول:

انما عبد مناف جوهر ... زين الجوهر عبد المطلب

فقلت: يا أخا بني هاشم أشعر من صاحبك الذي يقول:

إنّ الدليل على الخيرات أجمعها ... أبناء مخزوم للخيرات مخزوم

فقال لي: أشعر والله من صاحبك الذي يقول:

جبريل أهدى لنا الخيرات أجمعها ... أرام هاشم لا أبناء مخزوم

فقلت في نفسي: غلبني والله، ثم حملني الطمع في انقطاعه عني فقلت له:

بل أشعر منه الذي يقول:

أبناء مخزوم الحريق إذا ... حرّكته تارة ضرما
يخرج منه الشرار مع لهب ... من حاد عن حده فقد سلما

فأقبل علي وقال: أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول:

هاشم بحر إذا سما وطما ... أخمد حر الحريق واضطرما
واعلم وخير القول أصدقه ... بأنّ من رام هاشماً هشما

فتمنيت والله أن الأرض ساخت بي، ثم تجلدت عليه فقلت: أشعر من صاحبك الذي يقول:

أبناء مخزوم أنجم طلعت ... للناس تجلو بنورها الظلما
تجود بالنيل قبل تساله ... جوداً هنيئاً وتضرب البهما

فأقبل عليَّ بأسرع من اللحظ، ثم قال أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول:

هاشم شمس بالسعد مطلعها ... إذا بدت أخفت النجوم معا
اختارنا الله في النبي فمن ... قارعنا بعد أحمد قرعا

فأسودت الدّنيا في عيني، فانقطعت فلم أجد جواباً، ثم قلت له: يا أخا بني هاشم ان كنت تفتخر علينا بالنبي فما تسعنا مفاخرتك. فقال: كيف لا أفتخر به ولو كان منك لفخرت به علي. فقلت: صدقت إنّه لموضع الفخار.

وسررت بقطع الكلام إذ ابتدأ المناقضة، ثم قال: قد قلت فلم أجد بداً من الاستماع. فقلت: هات . فقال:

نحن الذين إذا سما بفخارهم ... ذو الفخر أقعده هناك القعدد
افخر بنا ان كنت يوماً فاخراً ... تلفى الأولى فخروا بفخرك أفردوا
قل يابن مخزوم لكلّ مفاخر ... منّا المبارك ذو الرسالة أحمد

مــاذا يــقول ذو الفـخار هـنا لكـم هــيهات ذلك هــل يــنال الفــرقد

فحصرت وتبلدت ثم قلت له: أنظرني. وفكّرت مليّاً ثم أنشأت أقول :

لا فــخر إلّا قــد عــلاه مــحمّد فــإذا فــخرت بــه فـاني أشــهد

ان قد فخرت وفـقت كـلّ مـفاخر وإليك في الشرف الرفيع المقصد

ولنــا دعــائم قــد تــناهى أول في المكرمات جرى عليها المولد

من دامـها حـاشى النـبي وأهـله في الأرض غطغطه الخليج المزبد

دع ذا ورح بــفناء خــود بـضة مــما نــطقت بــه وغــنى مـعبد

مــع فـتية تـندى بـطون أكـفّهم جــوداً إذا هــزّ الزمــان الأنكــد

يــتناولون ســلافة عــامية طــابت لشـاربها وطـاب المـقعد

فوالله لقد أجابني بجواب مثل كان أشدّ عليّ من الشعر، فقال لي: يا أخا بني مخزوم: «أريك السها وتريني القمر». فقلت له: لا أرى شيئاً أصلح من السكوت. فضحك وقام عنّي. قال: فضحك عبد الملك حتى استلقى[١].

«**وأما بنو عبد شمس فأبعدها رأياً، وأمنعها لما وراء ظهورها**» في (بيان الجاحظ): خاض جلساء عبد الملك يوماً في قتل عثمان، فقال رجل منهم: في أي سنّك كنت يومئذ؟ قال: كنت دون المحتلم. قال: فما بلغك من حزنك عليه؟ قال: شغلني الغضب له عن الحزن عليه[٢].

وفي (موفقيات ابن بكار): كتب مروان إلى معاوية في معنى قتل عثمان وكونه بصدد الانتقام من قتلته :

ولقد طويت أديمهم على نغل يحلم منه الجلد، كذبت نفس الظأن بنا ترك المظلمة وحبّ الهجوع، الا تهويمة الراكب العجل حتى تجذ جماجم وجماجم

(١) الأغاني ١٦ : ١٨٦ ـ ١٨٩.

(٢) بيان الجاحظ ٢ : ٣٢١.

جذ العراحين المهدلة حين إيناعها وانا ـ على صحة نيتي وقوّة عزيمتي وتحريك الرحم لي وغليان الدم مني ـ غير سابقك بقول ولا متقدّمك بفعل، وأنت ابن حرب طلاب الترات وآبي الضيم، وكتابي إليك وانا كحرباء السبب في الهجير ترقب عين الغزالة وكالسبع المفلت من الشرك يفرق من صوت نفسه.

وكتب إليه عبدالله بن عامر: وإنّا بني عبد شمس معشر أنف غرّ حجاج طلاب أوتار، والله لو كان ذمياً مجاورنا ليطلب العزّ لم نقعد عن الجار، فكيف عثمان لم يدفن بمزبلة على القمامة مطروحاً.

وكتب إليه الوليد بن عقبة: فملء بطني عليَّ حرام إلّا مسكة الرمق، حتى أفري أوداج قتلة عثمان فري الأُهب بشبات الشفار، وأما اللين فهنيهات إلا خيفة المرتقب يرتقب غفلة الطالب، انا على مداجاة ولما تبد صفحاتنا بعد، وليس دون الدم بالدم مرحل، ان العار منقصة والضعف ذل، أيخبط قتلة عثمان زهرة الحياة الدّنيا ويسقون برد المعين ولما يمتطوا الخوف ويستحلسوا الحذر، مع بعد مسافة الطرد وامتطاء العقبة الكؤود في الرحلة، لا دعيت لعقبة ان كان ذلك حتى أنصب لهم حرباً تضع الحوامل لها أطفالها ـ إلى أن قال:

نومي عليّ حرام ان لم أقم ... بدم ابن أُمي من بني العلات
قامت عليّ ـ إذا قعدت ولم أقم ... بطلاب ذاك ـ مناحة الأموات[1]

وفي (كامل المبرّد): قال أحد الأُمويين:

إذا ما وترنا لم ننم عن تراتنا ... ولم نك أوغالاً نقيم البواكيا

(١) لا وجود له في أخبار الموفقيات، لكنه موجود في ابن أبي الحديد ١٠: ٢٣٣، نقلاً عن الموفقيات.

ولكننا نمضي الجياد شوازباً  فنرمي بها نحو الترات المراميا[١]

«وأما نحن فأبذل لما في أيدينا» قال ابن الزبعرى في هاشم واسمه عمرو:

عمرو العلى هشم الثريد لقومه  ورجال مكّة مسنتون عجاف

قال الجاحظ: عم ابن الزبعرى أهل مكّة بالأزل والعجف وجعل هاشماً الذي هشم لهم الخبز والثريد، فغلب هذا اللقب على اسمه حتى صار لا يعرف إلّا به.

وقال الجاحظ أيضاً: كان أكثر ما يهب الملك من العرب مائة بعير، فيقال (ذهب هنيدة) وانما يقال ذلك إذا أُريد غاية المدح، ولقد وهب النبي صلى الله عليه وآله لرجل ألف بعير.

وفي (خلفاء ابن قتيبة): ذكروا أنّ عبدالله بن أبي محجن الثقفي قدم إلى معاوية وقال له: أتيتك من عند العي الجبان البخيل ابن أبي طالب. فقال له معاوية: أتدري ما قلت؟ أما قولك العي فوالله لو أن ألسن الناس جمعت فجعلت لساناً واحداً لكفاها لسان علي، وامّا انّه جبان فثكلتك أُمك هل رأيت أحداً قط بارزه إلّا قتله، وأما قولك إنّه بخيل فوالله لو كان لعلي بيتان أحدهما من تبر والآخر من تبن لأنفذ تبره قبل تبنه. فقال الثقفي: فعلام تقاتله؟ قال: على دم عثمان وعلى هذا الخاتم الذي من جعله في يده جازت طينته. فضحك الثقفي ولحق به عليه السلام[٢].

«وأسمح بنفوسنا عند الموت» في (الطبري): ان الحر قال للحسين عليه السلام لما أرسله ابن زياد إليه: أُذكرك في نفسك، فاني أشهد لئن قاتلت لتقتلن ولئن قوتلت لتهلكن فيما أرى. فقال له الحسين عليه السلام: أفبالموت تخوّفني، وهل يعدو

(١) الكامل للمبرّد ٣: ٧.

(٢) الخلفاء لابن قتيبة: ١١٤.

بكم الخطب أن تقتلوني، أقول لك ما قال أخو الأوس لابن عمه لقيه وهو يريد نصرة النبي صلى الله عليه وآله فقال له: أين تذهب فانّك مقتول. فقال:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى حقّاً وجاهد مسلما
وآسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبوراً يغش ويرغما[1]

وفيه ـ بعد ذكر أسر أهل البيت وإدخالهم على يزيد ـ دعا يزيد يوماً علي بن الحسين عليهما السلام ودعا عمرو بن الحسن بن علي وهو غلام صغير، فقال لعمرو: أتقاتل هذا الفتى؟ ـ يعني خالداً ابنه ـ قال: لا ولكن اعطني سكيناً ثم أُقاتله. فقال له يزيد ـ وضمّه ـ «شنشنة أعرفها من أخزم» هل تلد الحية إلّا حيّة.

وفي (تنبيه البكري على أوهام القالي): عن عمرو بن دينار قال: قال الحجاج لعلي بن الحسين عليهما السلام : أنتم كنتم أكرم عند شيخكم من آل الزبير عند شيخهم. قال ذلك لأنّه لم يشهد الطف أحد من بني هاشم أطاقت يده حمل حديدة إلاّ قتل قبل الحسين عليه السلام ، وقتل الحجاج عبدالله بن الزبير وطاف من العشي بين عباد وعامر ابني عبدالله واضعاً يديه عليهما[2].

هذا، وفي (نسب قريش مصعب الزبيري): إنّ الحسن المثنى لما وفد على عبد الملك ليمنع الحجاج من إشراكه عمر الأطراف معه في صدقات جدّه ولقيه يحيى بن الحكم فقال له: سأنفعك عند عبد الملك. ولما دخل الحسن على عبد الملك قال له عبد الملك: أسرع إليك الشيب ـ ويحيى في المجلس ـ فقال له: وما يمنعه شيبه أماني أهل العراق كلّ عام يقدم عليه منهم ركب يمنونه الخلافة. فأقبل عليه الحسن فقال له: بئس الرفد والله رفدت، وليس كما قلت ولكنّا أهل البيت يسرع إلينا الشيب ـ وعبد الملك يسمع ـ فأقبل عليه وقال: هلم

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٥.

(٢) في ذيل الأمالي كما ذكره العلامه التستري: ١٧٤.

ما قدمت له. فأخبره بقول الحجاج، فقال: ليس ذلك له. ولما خرج لقيه يحيى فعاتبه الحسن على سوء محضره فقال له يحيى: أيهاً والله ما يزال يهابك، ولولا هيبته إيّاك ما قضى لك حاجة وما ألوتك رفداً[1].

«وهم أكثر وأمكر وأنكر» في (الطبري) ـ في واقعة الحرة ـ لما بايع أهل المدينة عبدالله بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد وثبوا على عثمان بن محمد بن أبي سفيان ومن بالمدينة من بني أُمية ومواليهم ومن يرى رأيهم من قريش، فكانوا نحواً من ألف رجل، فخرجوا بجماعتهم حتى نزلوا دار مروان، فكتب بنو أُمية إلى يزيد مع رسول وخرج معه عبد الملك إلى ثنية الوداع وقال له: قد أجلتك اثنتي عشرة ليلة ذاهباً واثنتي عشرة ليلة مقبلاً، فوافني لأربع وعشرين ليلة في هذا المكان تجدني جالساً أنتظرك. فقدم على يزيد وهو جالس على كرسي واضع قدميه في ماء طست من وجع كان يجده ـ ويقال كان به النقرس ـ فقرأه ثم قال:

لقد بدّلوا الحلم الذي من سجيتي فبدّلت قومي غلظة بليان

ثم قال: أما يكون بنو أُمية ومواليهم ألف رجل؟ قال: بلى وأكثر. قال: فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة. قال: أجمع الناس عليهم فلم يكن لهم بهم طاقة. ـ إلى أن قال ـ وأقبل مسلم بن عقبة بالجيش حتى إذا بلغ أهل المدينة إقباله وثبوا على من معهم من بني أُمية فحصروهم في دار مروان وقالوا: لا نكفّ عنكم حتى نستنزلكم ونضرب أعناقكم أو تعطونا عهد الله وميثاقه لا تبغونا غائلة ولا تدلون لنا على عورة ـ إلى أن قال ـ فقال عبد الملك لمسلم بن عقبة: أرى أن تسير بمن معك فتنكب هذا الطريق حتى إذا انتهيت إلى أدنى نخيل بالمدينة نزلت حتى إذا كان الليل أذكيت الحرس حتى إذا أصبحت تركت المدينة ذات

(١) النسب، لمصعب الزبيري: ٤٦ ـ ٤٧.

اليسار حتى تأتيهم من قبل الحرة مشرقاً ثم تستقبل القوم وقد أشرفت عليهم وطلعت الشمس طلعت بين أكتاف أصحابك، فلا تؤذيهم وتقع في وجوههم فيؤذيهم حرّها وتصيبهم أذاها، ويرون ما دمتم مشرقين ايتلاق بيضكم وحرابكم وأسنة رماحكم وسيوفكم ودروعكم وسواعدكم ما لا ترونه أنتم لشيء من سلاحهم ما داموا مغربين. فقال له مسلم: لله أبوك أي امرىء ولد -إلى أن قال ـ فدخل مسلم بن عقبة المدينة فدعا الناس للبيعة على أنّهم خول ليزيد يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم ما شاء[1].

وفيه: قال خالد بن يزيد ذات يوم لعبد الملك بن مروان: عجب منك ومن عمرو بن سعيد كيف أصبت غرته؟ فقال:

دانيته مني ليسكن روعه فأصول صولة حازم مستمكن
غضباً ومحمية لديني انّه ليس المسيء سبيله كالمحسن

«ونحن أفصح» قال النبي صلى الله عليه وآله: أنا أفصح من نطق بالضاد. وقال الصادق عليه السلام: اعربوا حديثنا فانّا قوم فصحاء[2].

«وأنصح وأصبح» كان يقال لهاشم القمر لجماله.

قال الجاحظ في كتابه (فضل هاشم) يقال لهاشم القمر، وفي ذلك يقول مطرود الخزاعي ـ وكان بينه وبين بعض قريش شيء فدعاه إلى المحاكمة إلى هاشم وقال:

إلى القمر الساري المنير دعوته ومطعمهم في الازل من قمع الجزر

وكان عبد المطلب أجمل الناس جمالاً وأظهرهم جوداً وأكملهم كمالاً،

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٧٠.

(٢) الكافي ١: ٥٢ ح١٣.

وكان الزبير بن عبد المطلب شجاعاً أبيّاً وجميلاً بهياً[١].

وفي (المقاتل) لأبي الفرج: كان العباس بن علي عليه السلام رجلاً وسيماً جميلاً يركب الفرس المطهم ورجلاه تخطان في الأرض، وكان يقال له قمر بني هاشم[٢].

هذا، وفي (المروج): إنّ صعصعة لما ورد بكتاب أمير المؤمنين عليه السلام على معاوية قال له معاوية: ممّن الرجل؟ قال: من نزار. فقال له: ما كان نزار؟ قال: كان إذا غزا نكّس وإذا لقى افترس وإذا انصرف احترس .

قال: فمن أي أولاده؟ قال: من ربيعة. قال: وما كان ربيعة؟ قال: كان يطيل النجاد ويعول العباد ويضرب ببقاع الأرض العماد. قال: فمن أي أولاده أنت؟ قال: من جديلة. قال: وما كان جديلة؟ قال: كان في الحرب سيفاً قاطعاً وفي المكرمات غيثاً نافعاً وفي اللقاء لهباً ساطعاً. قال: فمن أي أولاده؟ قال: من عبد القيس. قال: وما كان عبد القيس؟ قال: كان حضرياً خصيباً أبيض وهاباً لضيفه ما يجد ولا يسأل عمّا فقد، كثير المرق طيب العرق، يقوم للناس مقام الغيث من السماء. قال: ويحك يابن صوحان فما تركت لهذا الحي من قريش مجداً ولا فخراً. قال: بلى والله تركت لهم ما لا يصلح إلّا بهم، تركت لهم الأبيض والأحمر والأصفر والأشقر والسرير والمنبر والملك إلى المحشر، وأنّى لا يكون ذلك كذلك وهم منار الله في الأرض ونجومه في السماء. ففرح معاوية وظنّ ان كلامه يشتمل على قريش كلّها. فقال: صدقت يابن صوحان ان ذلك كذلك. فعرف صعصعة ما أراد فقال: ليس لك ولا لقومك في ذلك إصدار ولا ايراد، بعدتم عن أنف المرعى وعلوتم عن عذب الماء. قال: فلِمَ ذلك ويلك يابن

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ١٥: ١٩٩ ـ ٢٠٠.

(٢) المقاتل لأبي الفرج : ٥٦ .

صوحان. قال: الويل لأهل النار. انما ذلك لبني هاشم. فقال له معاوية: قم. فقال صعصعة: «الصدق ينبئ عنك لا الوعيد»(١).

هذا، وروى (نوادر نكاح الفقيه) عن محمد بن مسلم عن الباقر عليه السلام قال: ان الله تعالى خلق الشهوة عشرة أجزاء تسعة في الرجال وواحدة في النساء، ذلك لبني هاشم وشيعتهم، وفي نساء بني أُمية وشيعتهم عشرة أجزاء تسعة في النساء وواحدة في الرجال(٢).

## ٣
## الكتاب (١٨)

ومن كتاب له عليه السلام إلى عبدالله بن العباس وهو عامله على البصرة:

اَعْلَمْ أَنَّ اَلْبَصْرَةَ مَهْبِطُ إِبْلِيسَ وَمَغْرِسُ اَلْفِتَنِ، فَحَادِثْ أَهْلَهَا بِالْاِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَاَحْلُلْ عُقْدَةَ اَلْخَوفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ، وَقَدْ بَلَغَنِي تَنَمُّرُكَ لِبَنِي تَمِيمٍ وَغِلْظَتُكَ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ بَنِي تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلَّا طَلَعَ لَهُمْ آخَرُ، وَإِنَّهُمْ لَمْ يُسْبَقُوا بِوَغْمٍ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلاَمٍ، وَإِنَّ لَهُمْ بِنَا رَحِماً مَاسَّةً وَقَرَابَةً خَاصَّةً، نَحْنُ مَأْجُورُونَ عَلَى صِلَتِهَا وَمَأْزُورُونَ عَلَى قَطِيعَتِهَا فَارْبَعْ أَبَا اَلْعَبَّاسِ رَحِمَكَ اَللهُ فِيمَا جَرَى عَلَى لِسَانِكَ وَيَدِكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذَلِكَ، وَكُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّي بِكَ وَلَا يَفِيلَنَّ رَأْيِي فِيكَ. وَاَلسَّلاَمُ.

أقول: قال ابن ميثم روي أنّ ابن عباس كان قد أضر ببني تميم حين ولّى البصرة للذي عرفهم به من العداوة يوم الجمل لأنّهم كانوا من شيعة طلحة والزبير وعائشة، فحمل عليهم ابن عباس فأقصاهم وتنكّر عليهم وعيّرهم

---

(١) المروج ٣ : ٣٨.

(٢) الكافي ٥ : ٣٣٨، نوادر نكاح الفقيه ٣ : ١٩٢.

بالجمل حتى كان يسمّيهم شيعة الجمل وأنصار عسكر ـ اسم جمل عائشة كما في (الدميري) فاشتدّ ذلك على نفر من شيعة علي عليه السلام من بني تميم منهم جارية بن قدامة ـ وفي المصدر حارثة ـ فكتب بذلك إليه عليه السلام يشكوه، فكتب عليه السلام إليه: أما بعد، فان خير الناس عند الله أعملهم بطاعته في ما عليه وله، وأقولهم بالحق وان كان مرّاً ألا وانّه بالحق قامت السماوات والأرض فيما بين العباد، فلتكن سريرتك كعلانيتك وليكن حكمك واحداً وطريقك مستقيماً، واعلم ان البصرة...[1].

وفي (صفين نصر): كان علي عليه السلام قد استخلف بعد الجمل ابن عباس على البصرة، فكتب إليه يذكر اختلافهم، فكتب عليه السلام إليه: أمّا بعد فقد قدم عليّ رسولك وذكرت ما رأيت وبلغك عن أهل البصرة بعد انصرافي وسأُخبرك عن القوم، هم من بين مقيم لرغبة يرجوها أو عقوبة يخشاها، فارغب راغبهم بالعدل والانصراف والاحسان إليه، وحل عقدة الخوف عن قلوبهم، فانّه ليس لأُمراء البصرة في قلوبهم عظم إلّا قليل منهم، وانته إلى أمري ولا تعده وأحسن إلى هذا الحي من ربيعة، وكل من قبلك فأحسن إليهم ما استطعت ان شاء الله. والسلام. وكتب عبيدالله بن أبي رافع في ذي القعدة سنة (٣٧).

وفيه أيضاً: وكتب عليٌّ عليه السلام إلى ابن عباس: أما بعد، فان خير الناس عند الله عزوجل أقومهم لله بالطاعة في ما له وعليه، وأقولهم بالحق ولو كان مرّاً، فان الحق به قامت السماوات والأرض، ولتكن سريرتك كعلانيتك، وليكن حكمك واحداً وطريقتك مستقيمة، فان البصرة مهبط الشيطان، فلا تفتحن على يد أحد باباً لا يطيق سدّه نحن ولا أنت، والسلام.

**«اعلم أنّ البصرة مهبط ابليس ومغرس الفتن»** روى كامل بن قولويه عن

---

(١) شرح ابن ميثم ٤ : ٣٩٥.

أبي عبدالله عليه السلام قال: لما مضى الحسين بكى عليه جميع ما خلق الله إلّا ثلاثة البصرة ودمشق وآل عثمان.

«فحادث» أي: عامل.

«أهلها بالإحسان إليهم» فان الإنسان أسير الإحسان.

«واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم» لئلا يجرّهم إلى احداث فتنة[1].

«وقد بلغني» المبلغ كان جارية بن قدامة كما قال ابن ميثم لأنّه كان من تميم وان كان شيعته عليه السلام.

«تنمرك» أي: تنكّرك كالنمر، والنمر لا تلقاه أبداً إلّا متنكراً غضبان[2]، وقال الجوهري في قول الشاعر:

قوم إذا لبسوا الحديد تنمّروا حلقاً وقدا[3]

أي: تشبّهوا بالنمر لاختلاف ألوان القد والحديد.

«لبني تميم وغلظتك عليهم» انّما تنمّر لهم وغلظ عليهم لأنّهم كانوا أعوان أهل الجمل، فكان يسمّيهم كما في (ابن ميثم): شيعة الجمل وأنصار عسكر ـ اسم جمل عائشة ـ وحزب الشيطان، كما أنّهم في وقت غارات معاوية وبعث ابن الحضرمي إلى البصرة كانوا من أعوانه[4].

قال في (المروج): راسل معاوية من بالعراق من تميم ليثبوا بعلي عليه السلام، فبلغه ذلك فقال في بعض مقاماته في كلام له طويل:

ان خبا يرى الصلاح فسادا أو يرى الغي في الأُمور رشادا

(١) صفين، لنصر بن مزاحم: ١٠٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤: ٣٩٥، وهو (حارثه) وليس (جارية).

(٣) الصحاح ٢: ٧٣٨ مادة (نمر).

(٤) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤: ٣٩٥.

لقريب من الهلاك كما أهلك سابور بالسواد إيادا[١]

«وإنّ بني تميم لم يغب لهم نجم إلّا طلع لهم آخر» في (تاريخ اليعقوبي): كانت الرئاسة في تميم، وكان أوّل رئيس منهم سعد بن زيد مناة بن تميم ثم حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم[٢].

وفي (الصحاح): قال النبي صلى الله عليه وآله: تميم كأهل مضر وعليها المحمل[٣].

وفي (القاموس): حكّام العرب في الجاهلية أكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة والأقرع بن حابس وربيعة بن مخاشن وضمرة بن أبي ضمرة لتميم[٤].

وفي (البيان): دخل الأحنف على معاوية فأشار له على الوساد فجلس على الأرض فقال له: ما منعك ؟ قال: ان فيما أوصى قيس بن عاصم المنقري ولده ان قال: لا تغش السلطان حتى يملك، ولا تقطعه حتى ينساك، ولا تجلس له على فراش ولا وساد، واجعل بينك مجلس رجل أو رجلين، فانّه عسى أن يأتي من هو أولى بذلك المجلس مني. فقال: لقد أُوتيت تميم الحكمة مع رقة الحواشي[٥].

وفي (الصناعتين) لأبي هلال: قال رجل من قريش لخالد بن صفوان التميمي: ما اسمك؟ قال: خالد بن صفوان بن الأهتم. فقال: ان اسمك لكذب ما خلد أحد، وان أباك لصفوان وهو حجر، وان جدّك لأهتم ـ قلت والأهتم من كسر ثناياه ـ وان الصحيح خير من الأهتم. فقال له خالد: من أي قريش أنت؟

---

(١) المروج ١ : ٢٨٠.

(٢) التاريخ لليعقوبي ١ : ٢٢٩.

(٣) الصحاح ٣ : ١٨١٤ مادة (كهل).

(٤) القاموس : ١٤١٥ مادة (حكم).

(٥) البيان والتبيين ٣ : ٥٤٠.

قال: من بني عبد الدار. قال: فمثلك يشتم تميماً في عزّها وحسبها وقد هشمتك هاشم وامتك أمية وجمحت بك جمح وخزمتك مخزوم وأقصتك قصي، فجعلتك عبد دارها وموضع شنارها، تفتح لهم الأبواب إذا دخلوها وتغلقها إذا خرجوا[1].

هذا، ونظير قوله عليه السلام «لم يغب لهم نجم إلّا طلع لهم آخر» قول أبي الطحان القيني:

| | |
|---|---|
| واني من القوم الذين هم هم | إذا مات منهم سيد قام صاحبه |
| نجوم سماء كلّما غاب كوكب | بدا كوكب تأوي إليه كواكبه |
| أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم | دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه |
| وما زال منهم حيث كانوا مسود | تسير المنايا حيث سارت كتائبه[2] |

وفي (العيون) قال شبيب بن شيبة: إنّي لأعرف أمراً لا يتلاقى به اثنان إلّا وجب النجح بينهما. فقال له خالد بن صفوان: ما هو؟ قال: العقل، فان العاقل لا يسأل ما لا يجوز ولا يرد عمّا يمكن. فقال له خالد: نعيت إليّ نفسي، انّا أهل بيت لا يموت منّا أحد حتى يرى خلفه[3].

«وإنّهم لم يسبقوا بوغم» أي: ترة وحقد.

وفي (الأغاني): قدم عمارة بن تميم ومحمد بن الحجاج سجستان لحرب ابن الأشعث، فلما قدماها هرب ولم يبق من أصحابه بسجستان إلّا نحو سبعمائة رجل من بني تميم كانوا مقيمين بها. فقال لهما أبو حزابة التميمي الشاعر: ان الرجل قد هرب منكما ولم يبق من أصحابه أحد. وانما

---

(١) الصناعتين: ٣٥٥ ـ ٣٥٦.

(٢) الأغاني لابي الفرج الاصفهاني ١٣: ٩.

(٣) العيون ٣: ١١٩.

بسجستان من كان بها من بني تميم قبل قدومه. فقالا: ما لهم عندنا أمان لأنّهم كانوا مع ابن الأشعث وخلعوا الطاعة. فقال: ما خلعوا الطاعة ولكنه ورد عليهم في جمع عظيم لم يكن لهم بدفعه طاقة. فلم يجيباه إلى ما أراد. فعاد إلى قومه وحاصرهم أهل الشام فاستقلت بنو تميم، فكانوا يخرجون إليهم في كل يوم فيواقعونهم ويبيتونهم بالليل وينتهبون أطرافهم حتى ضجروا بذلك، فلما رأى عمارة فعلهم صالحهم وخرجوا إليه، فلما رأى قلتهم قال: ما كنتم إلاّ ما أرى. قالوا: لا فان شئت أن نقيلك الصلح أقلناك وعدنا للحرب. فقال: أنا غني عن ذلك. فقال أبو حزابة:

لله عينا من رأى من فوارس

أكر على المكروه منهم وأصبرا

وأكرم لو لاقوا سواداً مقارباً

ولكن لقوا طماً من البحر أخضرا

فما برحوا حتى أعضوا سيوفهم

ذرى الهام منهم والحديد المسمرا

وحتى حسبناهم فوارس كهمس

حيوا بعدما ماتوا من الدهر أعصرا(١)

وفي (البيان): ذكر مؤمل بن خاقان ان تميم بن مر قال في خطبته: ان تميماً لها الشرف العود، والعزّ الأقعس والعدد الهيضل، وهي في الجاهلية القدام والذروة والسنام، وقد قال الشاعر:

فقلت له وانكر بعض شأني ... ألم تعرف رقاب بني تميم(٢)

---

(١) الأغاني ٢٢: ٢٦٧ ـ ٢٦٨.

(٢) البيان ١: ١١٩.

وفيه أيضاً: لما حضرت قيس بن عاصم الوفاة دعا بنيه فقال: يا بني احفظوا عني فلا أحد أنصح لكم مني، إذا مت فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم فيسفه الناس كباركم، ولا تهونوا عليهم وعليكم باصلاح المال فانّه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم، وإيّاكم ومسألة الناس فانّها أخزى كسب الرجل[١].

وفيه : سئل دغفل النسابة عن تميم قال: حجر أخشن ان دنوت منه آذاك وان تركته أعفاك[٢]. وقال الراجز :

| | |
|---|---|
| ان تميماً اعطيت تماما | واعطيت مآثراً عظاما |
| وعدداً وحسباً قمقاما | وبازخاً من عزّها قداما |
| في الدهر أعيى الناس ان يراما | إذا رأيت منهم الأجساما |
| والدل والشيمة والكلاما | واذرعاً وقصراً وهاما |
| عرفت ان لم يخلقوا طغاما | ولم يكن أبوهم مسقاما |
| لم تر في من يأكل الطعاما | أقل منهم سقطاً وذاما |

وفي (موفقيات ابن بكار): كان عبد الرحمن بن حسان معنى غريضاً ذا كبر ونخوة، فكتب من المدينة إلى مسكين بن عامر بن شريح بن عمرو بن عمرو ابن عدس بن زيد بن عبدالله بن دارع يدعوه إلى المفاخرة والتهاجي في كتاب ـ إلى أن قال ـ فقال مسكين في قصيدة :

| | |
|---|---|
| فان يبل الشباب فكلّ شيء | سمعت به سوى الرحمن بال |
| الا ان الشباب ثياب لبس | وما الأموال إلا كالظلال |
| وما أدري وان جامعت قوماً | أفيهم رغبتي أم في الزيال |

---

(١) البيان ٢ : ٨٠.

(٢) البيان ٢ : ٨٠.

وعـــاملة ومـــا تـدري أفـيه … يكـون نجاحها أم في الحيال
لعلّك يابن فرخ اللؤم تنمي … تروم الراسيات من الجبال
فـانّك لن تـنال المجد حتى … ترد الماضيات من الليالي
أبـي مضر الذي حدّثت عنه … وكلّ ربيعة الاثرين خالي
وانـي حين أُنسب من تميم … لفي الشمّ الشماريخ الطوال
وآبائي بنو عدس بن زيد … وخالي البشر بشر بني هلال
كساني عزّتي عمرو بن عمرو … وردّ انـي زرارة بالفعال
كفانا حاجب كسرى وقوماً … هم البيض الكرام ذوو السبال
وسـار عطارد حتى أتاهم … فأعطوه المنى غير انتحال

قال: «كفانا حاجب»، يعني كفى العرب جميعاً أمر كسرى حيث منعهم أن يرعوا في بلاد العجم إلا بضمين، فرهنه قوسه فأطلقه.

وذو القرنين آخاه لقيط … وكان صفيّه دون الرجال

وذو القرنين عمرو بن هند.

هـما حبيا بديباج كريم … ويـاقوت يفصل بالمحال
وكـان الحازم القعقاع منّا … لزاز الخصم والأمر العضال
شريح فارس النعمان جدي … ونـازلها إذا دعيت نزال
وقـاتل خاله بأبيه منّا … سماعة لم يبع حسباً بمال
وندمان ابن جفنة كان خالي … فـفارقه وليس له بقال
ويـوم مظلم لبني تميم … جلونا شمسه والكف عال
دعتنا الحنظلية إذ لحقنا … وقد حملت على جمل ثقال
فأدركها ـ ولم يعدل ـ شريح … واعوج عند مختلف العوالي
فـغرنا ان غيرتنا كذاكم … إذا برز النساء من الحجال

متى نأسر ونؤسر في اناس ... ويوجع كلّما عقد الحبال
فنحن الذائدون إذا بدئنا ... ولا يرضون منّا بالبدال

إلى أن قال:

كأنّ قدور قومي كلّ يومٍ ... قباب الترك ملبسة الجلال
أمام الحي تحملها أثاف ... مـلملمة كأثباج الرئال
كأنّ الموقدين لها جمال ... طلاها الزفت والقطران طال
بأيديهم معازف من حديد ... يشبهها مقيرة الدوالي

وقال في قوله «متى نأسر ونؤسر في أُناس»: أسرت بنو أسد رجلاً من زرارة وفي بني زرارة أسير من بني أسد فعوّضوه به، فأبت بنو أسد حتى زادوهم في فداء الزراري(١).

وفي (بلاغات نساء البغدادي): قال معاوية لجروة بنت غالب التميمية: أخبريني عن قومك. قالت: هم أكثر الناس عدداً وأوسعهم بلداً وأبعدهم أمداً، هم الذهب الأحمر والحسب الأفخر، اما بنو عمرو بن تميم فأصحاب بأس ونجدة وتحاشد وشدّة، لا يتخاذلون عند اللقاء ولا يطمع فيهم الأعداء، سلمهم فيهم وسيفهم على عدوّهم، واما بنو سعد بن زيد مناة ففي العدد الأكثرون وفي النسب الأطيبون، يضرون ان غضبوا ويدركون ان طلبوا، أصحاب سيوف وجحف ونزال وزلف، على ان بأسهم فيهم وسيفهم عليهم، واما حنظلة فالبيت الرفيع والحسب البديع والعزّ المنيع، المكرمون للجار والطالبون بالثار والناقضون للأوتار، واما البراجم فأصابع مجتمعة وكفّ ممتنعة، واما طهية فقوم هوج وقرن لجوج، وأما بنو ربيعة فصخرة صماء وحية رقشاء، يغزون غيرهم ويفخرون بقومهم، وأما بنو يربوع ففرسان

---

(١) أخبار الموفقيات للزبيد بن بكار: ٢٦٦ ـ ٢٧٢.

الرماح وأسود الصباح، يعتنقون الأقران ويقتلون الفرسان، واما بنو مالك فجمع غير مفلول وعزّ غير مجهول ليوث هرارة وخيول كرارة، واما بنو دارم فكرم لا يداني وشرف لا يسامى وعزّ لا يوازى.

فقال لها معاوية: أنت أعلم الناس بتميم، فما قولك في علي؟ قالت: حاز والله الشرف حدّاً لا يوصف وغاية لا تعرف، وبالله أسأل إعفائي ممّا أتخوّف[1].

وفي (كامل المبرد): وجّه الحجاج البراء بن قبيصة إلى المهلب يستحثه في مناجزة القوم، وكتب إليه انّك لتحبّ بقاءهم لتأكل بهم - فقال المهلب لأصحابه: حركوهم. فخرج فرسان من أصحابه إليهم فخرج إليهم جمع فاقتتلوا إلى الليل، فقال لهم الخوارج: أما تملّون. فقالوا: لا حتى تملّوا. قالوا: فمن أنتم؟ قالوا: تميم. قالت الخوارج : ونحن بنو تميم. فلما أمسوا افترقوا. فلما كان من الغد خرج عشرة من أصحاب المهلب وخرج إليهم عشرة من الخوارج، فاحتفر كلّ واحد منهم حفيرة وأثبت قدمه فيها، فكلّما قتل رجل منهم جاء رجل من أصحابه فاجتره ووقف مكانه حتى اعتموا. فقال لهم الخوارج: ارجعوا. فقالوا: بل ارجعوا أنتم. فقالوا: ويلكم من أنتم؟ قالوا: تميم. قالوا: ونحن تميم. فرجع براء بن قبيصة إلى الحجاج فقال له: مه؟ قال: رأيت قوماً لا يعين عليهم إلّا الله[2].

وفي (الطبري): وفد الأحنف بن قيس وجارية بن قدامة - من بني ربيعة بن كعب - والجون بن قتادة العبشمي والحتات بن يزيد أبو منازل - أحد بني حوى بن سفيان بن مجاشع - إلى معاوية، فأعطى كلّ رجل منهم مائة ألف

---

(١) بلاغات النساء، لابن طيفور: ٧٤.

(٢) الكامل للمبرّد ٣: ١١٢٨ - ١١٢٩.

وأعطى الحتات سبعين ألفاً، فلما كانوا في الطريق سأل بعضهم بعضاً فأخبروا بجوائزهم، فكان الحتات أخذ سبعين ألفاً، فرجع إلى معاوية فقال: ما ردّك؟ قال: فضحتني في بني تميم، أما حسبي بصحيح؟ أولست ذا سن؟ أولست مطاعاً في عشيرتي؟ فقال معاوية بلى. قال: فما بالك خسست بي دون القوم؟ فقال: اني اشتريت من القوم دينهم ووكلتك إلى دينك ورأيك في عثمان ـ وكان عثمانياً ـ فقال: وأنا فاشتر مني ديني. فأمر له بتمام جائزة القوم وطعن في جائزته[1] ـ قلت أي طعن بالوباء في إقامته لتحصيل ما أمر به ـ فحبسها معاوية فقال الفرزدق في ذلك:

أبوك وعمي يا معاوية أورثا
تراثاً فيحتاز التراث أقاربه

فما بال ميراث الحتات أخذته
وميراث حرب جامد لك ذائبه

فلو أنّ هذا الأمر في جاهلية
علمت من المرء القليل حلائبه

ولو كان في دين سوى ذا شنأتم
لنا حقّنا أو غصّ بالماء شاربه

ولو كان إذ كنّا وفي الكفّ بسطة
لصمم عضب فيك مضاربه

وقد رمت شيئاً يا معاوي دونه
خياطيف علود صعاب مراتبه

(١) تاريخ الطبري ٤: ١٨٠.

وما كنت أُعطي النصف من غير قدرة
سواك ولو مالت عليّ كتائبه
ألست أعزّ الناس قوماً وأُسرة
وأمنعهم جاراً إذا ضيم جانبه
وما ولدت بعد النبي وآله
كمثلي حصان في الرجال يقاربه
أبي غالب والمرء ناجية الذي
إلى صعصع ينمي فمن ذا يناسبه
وبيتي إلى جنب الثريا فناؤه
ومن دونه البدر المضيء كواكبه
أنا بن الجبال الصم في عدد الحصى
وعرق الثرى عرقي فمن ذا يحاسبه
أنا بن الذي أحيى الوئيد وضامن
على الدهر اذ عزت لدهر مكاسبه
وكم من أب لي يا معاوي لم يزل
أغرّ يباري الريح ما أزور جانبه
نمته فروغ المالكين ولم يكن
أبوك الذي من عبد شمس يقاربه
تراه كنصل السيف يهتزّ للندى
كريماً يلاقي المجد ما طر شاربه

طويل نجاد السيف مذ كان لم يكن
قصي وعبد الشمس ممّن يخاطبه[1]

فردّ ثلاثين ألفاً على أهله.

وقال ابن أبي الحديد ذكر أبو عبيدة في (تاجه) أنّ لبني تميم مآثر لم يشركها فيها غيرهم، أما بنو سعد بن زيد مناة فلها ثلاث خصال يعرفها العرب: إحداها كثرة العدد حتى ملأت السهل والجبل، عدلت مضر كثرة وعامة، العدد منها في كعب بن سعد ولذلك قال سعد بن معزا:

كعبي من خير الكعاب كعبا من خيرها فوارساً وعقبا
تعدل جنباً وتميم جنبا

ولذا كانت تسمى سعد الأكثرين وفي المثل (في كل واد بنو سعد).

والثانية: الإفاضة في الجاهلية، كان ذلك في بني عطارد وهم يتوارثون ذلك كابراً عن كابر حتى قام الاسلام، وكانوا إذا اجتمع الناس أيام الحج بمنى لم يبرح أحد حتى يجوز القائم بذلك من آل كرب بن صفوان، قال أوس بن معزا:

ولا يريمون في التعريف موقفهم حتى يقال أجيزوا آل صفوانا

والثالثة: أنّ منهم أشرف بيت في العرب الذي شرفته ملوك لخم، قال المنذر بن المنذر بن ماء السماء ذات يوم وعنده وفود العرب ودعا ببردي أبيه: ليلبس هذين أعزّ العرب وأكرمهم حسباً. فأحجم الناس. فقال أحيمر بن خلف بن بهدلة: أنا لهما. قال الملك: بماذا؟ قال: بأنّ مضر أكرم العرب وأعزّها وأكثرها عديداً، وإنّ تميماً كأهلها وأكثرها وان بيتها وعددها في بني بهدلة وهو جدّي. قال: هذا في أصلك وعشيرتك، فكيف في عترتك وأدانيك؟ قال: أنا

---

(١) ديوان الفرزدق ١ : ٥٢ ـ ٥٣.

أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة. فدفعهما إليه. وإلى هذا أشار الزبرقان في قوله:

وبردا ابن ماء المزن عمي اكتساهما بفضل معدّ حيث عدّت محاصله

ولهم في الاسلام خصلة. قدم قيس بن عاصم المنقري على النبي صلى الله عليه وآله في نفر من بني سعد، فقال صلى الله عليه وآله: هذا سيّد أهل الوبر. فجعله سيد خندف وقيس ممّن يسكن الوبر.

وأمّا بنو حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم فلهم خصال كثيرة، فمن ذلك بيت زرارة بن عدس بن زيد بن دارم بن مالك بن حنظلة، يقال انّه أشرف البيوت في بني تميم. ومن ذلك قوس حاجب بن زرارة المرهونة عند كسرى عن مضر كلّها وفي ذلك قيل:

أقسم كسرى لا يصالح واحداً من الناس حتى يرهن القوس حاجب

ومن ذلك في صعصعة بن ناجية من مجاشع بن دارم، وهو أول من أحيى الوئيد. قام الإسلام وقد اشترى ثلاثمائة موءودة فأعتقهن وربّاهن، وكانت العرب تئد البنات خوف الإملاق.

ومن ذلك غالب بن صعصعة أبو الفرزدق، قرى مائة ضيف واحتمل عشر ديات لقوم لا يعرفهم. وكان من حديث ذلك ان بني كلب بن وبرة افتخرت بينها في أنديتها، فقالت: نحن لباب العرب الذين لا ينازعون حسباً وكرماً. فقال شيخ منهم: ان العرب غير مقرّة لكم بذلك، ان لها احساباً وان لها لباباً وان لها فعالاً، ولكن ابعثوا مائة منكم في أحسن هيئة وبزة ينفرون من مروا به من العرب ويسألونه عشر ديات ولا ينتسبون له، فمن قراهم وبذل لهم الديات فهو الكريم الذي لا ينازع فضلاً. فخرجوا حتى قدموا أرض بني تميم وأسد، فنفروا الأحياء حيّاً حيّاً وماء فماء لايجدون أحداً على ما يريدون،

حتى مروا على أكثم بن صيفي فسألوه ذلك فقال: من هؤلاء القتلى ومن أنتم وما قصّتكم، فان لكم لشأناً باختلافكم في كلامكم؟ فعدلوا عنه ثم مروا بعتيبة بن الحرث بن شهاب اليربوعي فسألوه ذلك، فقال: من أنتم؟ قالوا: فقال: اني لأبغي كلباً بدم فان انسلخ الأشهر الحرم وأنتم بهذه الأرض وأدرككم الخيل نكلت بكم وأثكلتكم أُمهاتكم. فخرجوا من عنده مرعوبين. فمروا بعطارد بن حاجب بن زرارة فسألوه ذلك فقال: قولوا أبياتاً وخذوها. فقالوا: أما هذا فقد سألكم قبل أن يعطيكم. فتركوه ومرّوا ببني مجاشع بن دارم فأتوا على واد قد امتلأ من البعير فيها غالب بن صعصعة يهنأها، فسألوه القرى والديات فقال لهم: هاكم البذل قبل النزول، فابتزوها من البرك وخذوا دياتكم ثم انزلوا. فنزلوا وأخبروه بالحال وقالوا: أرشدك الله من سيد قوم لقد أرحتنا من طول النصب ولو علمنا لقصدنا إليك، فذلك قول الفرزدق :

فلله عينا من رأى مثل غالب قرى ماه ضيفاً ولم يتكلّم
واذ نبحت كلب على الناس أنّهم أحقّ بتاج الماجد المتكرّم
فلم يجز عن أحسابها غير غالب جرى بعناني كل أبلج خضرم[1]

وأما بنو يربوع بن حنظلة فمنهم عتاب بن هرمي بن رباح، كانت له ردافة ملوك آل المنذر، والردافة أن يثنى به في الشرب وإذا غاب الملك خلفه في مجلسه. وورث ذلك بنوه كابراً عن كابر حتى قام الإسلام[2].

ودخل الفرزدق على سليمان وكان يشنأه لكثرة بأوه وأغلظ في خطابه حتى قال: من أنت لا أُم لك؟ قال: أوما تعرفني؟ أنا من حي هم أوفى العرب وأحلم العرب وأسود العرب وأجود العرب وأشجع العرب. فقال سليمان: والله

(١) ديوان الفرزدق ٢ : ١٩٩ ـ ٢٠٠ والأصل الا هل علمتم من رأى قبل غالب.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٥ : ١٢٦ ـ ١٣٠ .

لتحجن لما ذكرت أو لأُوجعن ظهرك ولأُبعدن دارك. فقال: أما أوفى العرب فحاجب بن زرارة رهن قوسه عن العرب كلّها وأوفى، وأمّا أحلم العرب فالأحنف يضرب به المثل حلماً، وأما أسود العرب فالحريش بن هلال السعدي، وأما أجود العرب فخالد بن عتاب الرياحي، وأما أشعر العرب فها أنا ذا عندك. قال سليمان: فما جاء بك؟ لا شيء لك عندنا. وغمّه ما سمع من عزّه ولم يستطع له رداً[١].

قال ابن أبي الحديد: ولو ذكر الفرزدق عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي وقال انّه أشجع العرب لثقافته بالرمح، وكان يقال له صيّاد الفوارس، وسمّ الفوارس وهو الذي أسر بسطام بن قيس فارس ربيعة وشجاعها، مكث عنده في القيد حتى استوفى فداه وجز ناصيته وخلّى سبيله على أن لا يغزو بني يربوع. ولكن لم يذكره الفرزدق لأنّه كان تميمياً، لأن جريراً يفتخر به لأنّه من بني يربوع، فحمله عداوة جرير على أن عدل عن ذكره[٢].

قلت: لم يعلم كون وجهه ما ذكر، لأن الانسان لا يفتخر بعمّه إذا كان في مقابل ابن عمه، وأمّا إذا كان في مقابل أجنبي فيفتخر به ولو كان من أعدائه، فهذا معاوية يفتخر ببني هاشم وهو أعدى عدوّهم في قبال ابن الزبير لكون أُمية وهاشم من عبد مناف.

ثم لم يذكر الفرزدق بدل الأحنف قيس بن عاصم المنقري، فقيل للأحنف ممّن تعلمت الحلم؟ قال: من قيس.

ثم ذكر قصّة عجيبة في حلمه. وكيف كان، فنقل (أجواد التنوخي) قصّة

---

(١) ابن أبي الحديد ١٥: ١٣٠ ـ ١٣١.

(٢) ابن أبي الحديد ١٥: ١٣١.

المنذر مع أحيمر وبدّل الأول بنعمان بن المنذر والثاني بعامر بن أحيمر وزاد: ان النعمان قال له: كيف أنت في نفسك؟ فقال: وأما في نفسي ـ فوضع قدمه في الأرض وقال: ـ من أزالها عن مكانها. فلم يقم إليه أحد.

ثم ما ذكره أبو عبيدة في فضائل تميم فضائل دنيوية التي كانت العرب تفتخر بها ولم يكن لهم فضائل دينية، وكلامه عليه‌السلام لا يقتضي أكثر من فضائل دنيوية، وكيف نقول بفضائل دينية لهم وقد نزل بذمّهم القرآن، ففُسِّرَ قوله تعالى ﴿إنّ الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾[1] بهم.

ففي (الطبري): قدم في سنة (٩) وفد تميم على النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله عطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس التميمي في أشراف منهم، منهم الأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعمر بن الأهتم والحتات بن فلان ونعيم بن زيد وقيس بن عاصم ومعهم عيينة بن حصين الفزاري، فلما دخل وفد تميم المسجد نادوا النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله من وراء الحجرات أن أخرج إلينا يا محمد. فآذى صياحهم النبي فخرج إليهم، فقالوا: جئناك لتفاخرنا فأذن لشاعرنا وخطيبنا؟ قال: نعم قد أذنت. فقام عطارد بن حاجب فقال: الحمد لله الذي له علينا الفضل وهو أهله الذي جعلنا ملوكاً، ووهب لنا أموالاً عظاماً نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعزّ أهل المشرق وأكثره عدداً وأيسره عدّة، فمن مثلنا في الناس، ألسنا برؤوس الناس وأولى فضلهم، فمن يفاخرنا فليعدد مثل ما عددنا، وانّا لو نشاء لأكثرنا الكلام ولكنّا نحيى من الاكثار فما أعطانا، أقول هذا الان لتأتونا بمثل قولنا وبأمر أفضل من أمرنا.

إلى أن قال بعد ذكر أمر النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله ثابت بن قيس الخزرجي أن يجيب خطيبهم، ثم قالوا: يا محمّد ائذن لشاعرنا. فقال: نعم. فقام الزبرقان

---

(١) الحجرات : ٤ .

بن بدر فقال:

| | |
|---|---|
| نــحن الكــرام فـلا حـيّ يـعادلنا | منّا المـلوك وفـينا تـنصب البـيع |
| وكـم قسـرنا مـن الأحـياء كـلّها | عـند النـهاب وفـضل العـز يـتبع |
| ونحن نطعم عند القحط مـطعمنا | مـن الشـواء إذا لم يـؤنس القـزع |
| ثم ترى النـاس تأتـينا سـراتـهم | من كلّ أرضٍ هـوياً ثـم نـصطنع |
| فننحر الكوم غـبطاً فـي أرومـتنا | للـنازلين إذا مـا أُنـزلوا شـبعوا |
| فــلا تـرانـا إلى حـيّ نـفاخرهم | إلّا استقادوا وكـاد الرأس يـقتطع |
| إنّــا أبــينا ولا يأبـى لنــا أحــد | إنّــا كــذلك عــند الفـخر نـرتفع |
| فــمن يــقادرنا فـي ذاك يـعرفنا | فيرجع القـول والأخـبار تسـتمع |

إلى أن قال بعد ذكر أمر النبي صلى الله عليه وآله حساناً أن يجيب شاعرهم وامتثاله، فلما فرغ حسان قال الأقرع بن حابس وابي: ان هذا الرجل لمؤتى له، لخطيبه أخطب من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا وأصواتهم أعلى من أصواتنا. فلما فرغ القوم أسلموا وجوّزهم النبي صلى الله عليه وآله فأحسن جوائزهم[1].

وكيف لا وكانوا من أتباع جمل عائشة كما كان ابن عباس يقول لهم.

وفي (الأغاني): قال ابن الزبير: ان بني تميم كانوا وثبوا على البيت قبل الاسلام بمائة وخمسين سنة فاستلبوه، فاجتمعت العرب عليها لما انـتهكت منه ما لم ينتهكه أحد قط فأجلتها من أرض تهامة[2].

هذا، وفي (شعراء القتيبي): دسَّ جرير رجلاً إلى الأُقيشر وقال له: اذهب إليه وقل له اني جئت لأهجو قومك وتهجو قومي. فصار إليه بـذلك فـقال له الأُقيشر: ممّن أنت؟ قال: من بني تميم. فقال الأُقيشر:

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٣٧٧.

(٢) لم نعثر عليه في الأغاني.

فـلا أسـداً نسبٌ ولا تـميماً وكـيف يـحلّ سبّ الأكـرمينا
ولكـن التـقارض حـلّ بـيني وبينك يابن مضرطة العـجينا

فسمّي الرجل ابن مضرطة العجين[1].

هذا، وفي (المروج): كان سابور لما يقتل العرب أتى على بلاد البحرين ـ وفيها يومئذٍ بنو تميم ـ فأمعن في قتلهم، ففروا وشيخهم يومئذ عمرو بـن تميم وله يومئذ ثلاثمائة سنة ـ وكان يعلق في عمود البيت في قفة قد اتخذت له ـ فأرادوا حمله فأبى وقال: أنا هالك اليوم أو غداً وماذا بقي لي من فسحة العمر ولعل الله ينجيكم من صولة هذا الملك المسلّط على العرب. فتركوه. فصبحت خيل سابور الديار فنظروا ارتحل أهلها ونظروا إلى قفة فـي شـجرة، فأقـبل عمرو لما سمع الصهيل يصيح بصوت ضـعيف، فأخـذوه وجـاؤوا بـه إلى سابور، فنظر إلى دلائل الهرم عليه قيل له: من أنت أيّها الشيخ الفاني؟ قال: أنا عمرو بن تميم بلغت من العمر ما ترى وقد هرب الناس لإسرافك في القتل وأنا سائلك عن أمر. قال: قل. قال: ما الذي يحملك على قتل رعيتك ورجال العرب؟ فقال: أقتلهم لأنّا ملوك الفرس نجد في مخزون علمنا ان العرب ستدال علينا ويكون لهم الغلبة علينا. فقال: ان كنت تعلم ذلك فلأن تحسن إليهم ليكافئوك عند ادالة الدولة لهم على قومك بإحسانك فهو أحزم في الرأي، وان كان باطلاً فلم تستعجل الإثم وتسفك دماء رعـيتك. فـقال: صـدقت ونـصحت. فـنادى مناديه بالأمان ورفع السيف[2].

«وإنّ لنا بهم رحماً ماسة وقرابة خاصّة» الظاهر أنّه عليه السلام أشـار إلى كـون هند بن أبي هالة التميمي أخا فاطمة صلوات الله عـليها لأمـها وخـال ابـنيه

---

(١) الشعراء للقتيبي : ١٣٤.

(٢) المروج ١ : ٢٨١.

الحسن والحسين عليهما السلام لأمّهما.

وقال ابن ميثم قيل تلك القرابة لاتصال هاشم وتميم عند الياس بن مضر. وهو كما ترى، فولد الياس مدركة وطابخة وقمعة، ومن كلّ منهم قبائل كثيرة، وتميم من طابخة كالرباب وضبة ومزينة[1].

وفي (فتوح البلاذري): إنّ سياه الأسواري الذي كان على مقدّمة يزدجرد ثم دخل الاسلام وشهد مع أبي موسى حصار تستر لما صار هو وأصحابه إلى البصرة سألوا: أيّ الأحياء أقرب نسباً إلى النبي صلى الله عليه وآله؟ فقيل: بنو تميم. وكانوا على أن يحالفوا الأزد، فتركوهم وحالفوا بني تميم، ثم خطت لهم خططهم فنزلوا وحفروا نهرهم المعروف بنهر الأساورة[2].

وفي (المعمرون) لأبي حاتم: قال هشام: أخبرني عن واحد من بني تميم. قالوا كانت الأتاوة ـ أي الخراج ـ من مضر في الكبر والقعدد في النسب، فصارت إلى بني عمرو بن تميم فوليها ربيعة بن عُزى بن بزى الأسيدي فطال عمره وهو أبو الحفاد وهو القائل: يا أبا الحفاد أفناك الكبر[3].

**«نحن مأجورون على صلتها»** في (الكافي): عن أبي جعفر عليه السلام: ان الرحم متعلقة يوم القيامة بالعرش تقول: اللّهم صل من وصلني واقطع من قطعني[4].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: صلوا أرحامكم ولو بالتسليم، يقول تعالى ﴿...اتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيباً﴾[5].

**«ومأزورون»** وأصله (موزورون) لأنّه من الوزر، وانّما قال عليه السلام

---

(١) ابن ميثم ٤: ٣٩٧.

(٢) الفتوح للبلاذري: ٥١٩.

(٣) المعمرون لأبي حاتم: ١٠٣.

(٤) الكافي ٢: ١٥١ ح ١٠.

(٥) النساء: ١، وقد أخرج الحديث الكليني ٢: ١٥٥ ح ٢٢..

«مأزورون» لمكان «مأجورون».

«على قطيعتها» عنه عليه السلام : ان الرحم معلقة بالعرش تقول: اللّهم صل من وصلني واقطع من قطعني.

«فأربع» أي: تحبس.

«أبا العباس» هو كنية ابن عباس.

«رحمك الله» معترضة.

«فيما جرى على لسانك ويدك» هكذا في (المصرية)[1] والصواب: «على يدك ولسانك» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطية).

«من خير وشر» فإن كان خيراً فاعمله، وان كان شرّاً فاجتنبه.

«فإنّا شريكان في ذلك» لأنّه لولا السلطان ما قدر الوالي[2].

«وكن عند صالح ظنّي بك» من إجراء الأُمور على مجاريها الصحيحة.

«ولا يفيلن رأيي فيك» أي: لا يخطئ فراستي فيك. يقال فال الرأي يفيل أي ضعف. ومما قيل في ذمّهم :

إذا ما تميميّ أتاك مفاخراً فقل عدّ عن ذا كيف أكلك للضب

ولما راجز أبو النجم العجلي العجاج بن رؤبة من زيد بن تميم قال له فيما قال :

عيشي تميم واصغري فيمن صغر وباشري الذل وأعطي من عشر
وأمّري الأُنثى عليك والذكر

---

(١) الطبعة المصرية: ٥٥٤.

(٢) ابن أبي الحديد ١٥: ١٢٥، وابن ميثم ٤: ٣٩٥، كذلك النسخة الخطية: ٢٣٨.

## ٤
## الحكمة (٤٥٥)

وسُئل عن أشعر الشعراء فقال عليه السلام:

**إنَّ القَوْمَ لَمْ يَجْرُوا فِي حَلْبَةٍ تُعْرَفُ الغَايَةُ عِنْدَ قَصَبَتِهَا، فَإِنْ كَانَ وَلاَبُدَّ فالمَلِكُ الضِّلِّيلُ**

(يريد امرأ القيس).

**أقول** : قال ابن أبي الحديد في (أمالي ابن دريد الحرموزي): عن ابن المهلبي عن ابن الكلبي عن شداد بن ابراهيم عن عبيدالله بن الحسن العنبري عن ابن عرادة قال: كان علي عليه السلام يعشي الناس في شهر رمضان باللحم ولا يتعشى معهم فإذا فرغوا خطبهم ووعظهم، فأفاضوا ليلة في الشعراء وهم على عشائهم، فلما فرغوا خطبهم وقال في خطبته ـ «ان ملاك أمركم الدين وعصمتكم التقوى وزينتكم الأدب وحصون أعراضكم الحلم» ثم قال: يا أبا الأسود قل فيما كنتم تفيضون فيه، أيّ الشعراء أشعر ـ فقال: الذي يقول:

ولقد اغتدى يدافع ركني ... أعوجي ذو ميعة أضريج

مخلط مزيل معن مقن ... مفنخ مطرح سيوح خروج

ـ يعني أبا داود الإيادي ـ فقال عليه السلام: ليس به. قالوا: فمن؟ فقال عليه السلام: لو رفعت للقوم غاية فجروا إليها معاً علمنا من السابق منهم، ولكن ان يكن فالذي لم يقل عن رغبة ولا رهبة. قيل: من هو؟ قال: هو الملك الضليل ذو القروح. قيل: امرؤ القيس؟ قال عليه السلام: هو[١].

**قلت** : ورواه أبو الفرج في (أغانيه) في (أبي داود الإيادي) بإسناده عن شداد لكن فيه «شداد بن عبيدالله» لا «شداد بن إبراهيم» عن عبيدالله بن الحر لا

---

(١) شرح ابن أبي الحديد، في أمالي ابن دريد ٢٠ : ١٥٣ .

«ابن الحسن» عن أبي عرادة لا «ابن عرادة» ولابد أن أحدهما تحريف كلّاً أو بعضاً.

ومتنه أيضاً هكذا : كان علي صلوات الله عليه يفطر الناس في شهر رمضان، فإذا فرغ من العشاء تكلّم فأقلّ وأوجز فأبلغ، فاختصم الناس ليلة حتى ارتفعت أصواتهم في أشعر الناس، فقال عليه السلام لأبي الأسود: قل. فقال - وكان يتعصّب لأبي داود الإيادي ـ أشعرهم الذي يقول:

ولقد اغتدى يدافع ركني ... أحوذي ذو ميعة اضريج

مخلط مزيل مكر مفر ... منفخ مطرح سبوح خروج

سلهب سرحب كأنّ رماحاً ... حملته وفي السراة دموج

فأقبل عليه السلام على الناس وقال: كلّ شعرائكم محسن ولو جمعهم زمان واحد وغاية واحدة ومذهب واحد في القول لعلمنا أيّهم أسبق إلى ذلك، وكلّهم قد أصاب الذي أراد وأحسن فيه، وإن يكن أحد أفضلهم فالذي لم يقل رغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حجر فانّه كان أصحّهم بادرة وأجودهم نادرة[١].

قول المصنّف: «وسئل من أشعر الشعراء» هكذا في (المصرية)[٢]، والصواب: «وسئل عليه السلام عن أشعر الشعراء» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطية)[٣].

وكيف كان فقال ابن أبي الحديد قال أبو الفرج في (أغانيه): لا خلاف أنّ امرأ القيس وزهيراً والنابغة مقدّمون على الشعراء كلّهم، وإنما اختلف في تقديم بعضهم على بعض. ثم نقل عن (الأغاني) روايات عن جرير والأحنف

---

(١) الأغاني لأبي الفرج ١٦ : ٣٧٦.

(٢) الطبعة المصري: ١٦٧.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ٢٠: ١٥٣، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥: ٤٥٨، والنسخة لاخطية ٣٣٠.

والحطيئة في تقديم زهير، وقال: روي عن النبي ﷺ أيضاً: أفضل شعرائكم القائل «ومن ومن» ـ يعني زهيراً في قصيدته «أمن أُم أوفى» ففيها:

ومـــن يك ذا فـضل فـيبخل بـفضله
عـلى قـومه يسـتغن عـنه ويـذمم
ومـن لم يـذد عـن حـوضه بسـلاحه
يـهدم ومـن لم يـظلم النـاس يـظلم
ومـن هـاب أسـباب المـنايا يـنلنه
ولو نـال أسـباب السـماء بسـلّم
ومن لم يجعل المعروف من دون عرضه
يـفره ومـن لا يـتّق الشـتم يُشـتم

ثم نقل عنه روايات عن عمر وعبد الملك وأبي الأسود وأبي عمرو والشعبي في تقديم النابغة، ونقل عن النقيب أيضاً تفضيل النابغة في اعتذاره إلى النعمان[1].

قلت: وبعدهم باقي السبعة صاحب السبع المعلّقات، وهذا معنىً بحث عنه في كلّ زمان عموماً وخصوصاً وكلّ قال بهواه، ففي (الأغاني): أنّ المأمون قال لعبد الله بن طاهر: من أشعر من قال الشعر في خلافة بني هاشم؟ قال: الذي يقول:

أيـا قـبر مـعن كـنت أوّل حـفرة من الأرض خطّت للسماحة موضعا

فقال أحمد بن يوسف: بل أشعرهم الذي يقول:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي مـتأخر عـنه ولا مـتقدّم

فقال له المأمون: أبيت إلا غزلاً أين أنتم عن الذي يقول:

(١) شرح نهج البلاغة لبن أبي الحديد ٢٠: ١٥٥.

يا شقيق النفس من حكم نمت عن عيني ولم أنم[١]

وفي (تاريخ بغداد): قيل لأبي حاتم: من أشعر الناس؟ قال: الذي يقول:

ولها مبتسم كثغر الأقاحي وحديث كالوشي وشي البرود

نزلت في السواد من حبة القلب وزادت زيادة المستزيد

عندها الصبر عن لقائي وعندي زفرات يأكلن صبر الجليد[٢]

يعني بشاراً - وكان يقدمه على جميع الناس.

وفيه قال خالد الكاتب: بينا أنا مارّ بباب الطاق إذا براكب خلفي على بغلة، فلما لحقني نخسني بسوطه فقال: أنت القائل «وليل المحب بلا آخر»؟ قلت: نعم. قال: وصف امرؤ القيس الليل الطويل في ثلاث أبيات ووصفه النابغة في ثلاثة أبيات ووصفه بشّار في ثلاثة أبيات، وبرزت عليهم بشطر قلته؟ قلت: وبِمَ وصفه امرؤ القيس؟ قال: بقوله:

وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

فقلت له لمّا تمطّى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل

ألا أيّها الليل الطويل ألا انجلي بصبحٍ وما الإصباح منك بأمثل[٣]

قلت: وبِمَ وصف النابغة؟ فقال: بقوله:

كليني لِهَمٍّ يا أُميمة ناصب وليل أُقاسيه بطيء الكواكب

وصدر أزاح الليل عازب همّه فضاعف فيه الهمّ من كلّ جانب

تقاعس حتى قلت ليس بمنقض وليس الذي يهدي النجوم بآئب

قلت: وبِمَ وصفه بشّار؟ فقال: بقوله:

---

(١) الاغاني ٢٦: ٤٠٢.

(٢) تاريخ بغداد ٧: ١١٧.

(٣) ديوان امرؤ القيس: ٤٨ ـ ٤٩.

خليلي مـا بـال الدجـى لا تـزحـزح ... وما بال ضوء الصـبح لا يـتوضح

أظن الدجى طالت وما طالت الدجى ... ولكــن أطــال الـلـيل سـقم مـبرح

أضــلّ الـنــهار المســتنير طـريقه ... أم الدهــر لـيـل كـلّه ليس يــبرح

إلى أن قال: فلما مضى سألت عنه فقيل: هو أبو تمام الطائي.

وهذا مع كونه عن هوى لا يبعد حيث انّه هو راوي مدح بيته وضعه له لترويجه، وإلا فأين المعاني العالية التي تضمّنها ثـلاثة الثـلاثة مـن شـطره العامي[١].

وفيه: قال مسلمة بن مهدي: قلت لأبي العتاهية: من أشعر الناس؟ فقال: جاهلياً أم إسلامياً أم مولداً؟ قلت: كل. قال: الذي يقول في المديح:

إذا نــحن أثــنينا عـليك بـصالح ... فأنت كما تثنى وفوق الذي تـثنى

وان جـرت الألفـاظ مـنّا بـمدحة ... لغـيرك إنسـاناً فأنت الذي تـعنى

والذي يقول في الزهد:

وما الناس إلّا هالك وابن هالك ... وذو نسب في الهالكين عريق

إذا امتحن الدّنيا لبيبٌ تكشفت ... له عــدوّ فــي ثــياب صـديق

ولقيت العتابي فسألته عن ذلك، فردّ علي مثل ذلك[٢].

وفيه قال مسعود بن بشر: لقيت ابن مناذر بمكّة ـ وكان عالماً بالشعر زاهداً في الدنيا ـ فقلت له: من أشعر الناس؟ فقال: من إذا شبب لعب وإذا أخذ في ماجد قصد. قلت: مثل من؟ قال: مثل جرير إذ يقول:

ان الذين غـدوا بـلبك غـادروا ... وشـلا بـعينك لا يـزال مـعينا

غيضن من عبراتهن وقلن لي ... ماذا لقيت مـن الهـوى ولقـينا

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٨: ٣١٢.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٧: ٣٤٤، والأدبيات لأبي نواس.

ثم قال حين جدّ :

ان الذي حـرم الخـلافة تـغلباً جـعل الخـلافة والنـبوّة فـينا
مضر أبي وأبو الملوك فهل لكم يا جرو تـغلب مـن أب كأبـينا؟
هذا ابن عمي في دمشق خـليفة لو شـئت سـاقكمُ إليّ قـطينا[١]

وفيه : قال صدقة بن محمد: اجتمع عند المأمـون ذات يـوم عـدّة مـن الشعراء، فقال أيّكم القائل:

فــلما تــحساها وقــفنا كأنــنا نرى قمراً في الأرض يبلغ كوكباً[٢]

قالوا : أبو نؤاس . قال فالقائل :

إذا نزلت دون اللهاة من الفتى دعا همه عن صدره برحيل[٣]

قالوا : أبو نؤاس . قال: فالقائل:

فــتمشت فــي مـفاصلهم كتمشي البرء في السقم[٤]

قالوا: أبو نؤاس . قال هو إذن أشعركم[٥].

وفيه : قال أبو العتاهية : قلت عشرين ألف بيت في الزهد وودت أنّ لي مكانها أبياتاً ثلاثة قالها أبو نؤاس هي :

يـا نُـواسِـي تـوقّر وتـــعزّ وتـــصبّر
ان يكـن سـاءك دهـر ان مـا سـاءك أكـثر
يا كبير الذنب عفو الله مـن ذنـبك أكـبر[٦]

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٧: ٤٤٤.

(٢) في الديوان ذكر بيت الشعر بشكل آخر راجع : ٣٧.

(٣) ديوان أبي نؤاس : ٤٠٩.

(٤) ديوان أبي نؤاس : ٤٥٧.

(٥) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٧: ٤٤٥.

(٦) ديوان أبي نؤاس : ٢٨٨ مع تغيير في بعض الألفاظ .

وكانت هذه الأبيات مكتوبة على قبر أبي نؤاس.

وعن المناقب : قيل للأصمعي من أشعر الناس؟ قال: من قال:

وكأن أكفّهم والهام تهوي عن الأعناق تلعب بالكرينا

فقال: هو السيّد الحميري. فقال: هو والله أبغضهم إليّ .

وبالجملة إذا أعجبهم شعر حكموا بأشعرية قائله، وإنّما يحتاج الحكم إلى الاطلاع على أشعار جميعهم والمقايسة بينها. وقالوا: إنّ لبيداً أنشد النابغة قوله:

ألم تلمم على الدمن الخوالي لسلمى بالمذائب فالقفال

فقال له: أنت أشعر هوازن. فأنشده قوله :

عفت الديار محلّها فمقامها بمنى تأبّد غولها فرجامها

فقال له: اذهب فأنت أشعر العرب(١).

وفي (الشعراء) لابن قتيبة: أنشد العتبي مروان بن أبي حفصة لزهير. فقال: هذا أشعر الناس، ثم أنشده للأعشى فقال بل هذا أشعر الناس، ثم أنشده لأمرئ القيس فكأنما سمع غناء على الشراب فقال: امرؤ القيس والله أشعر الناس(٢).

والقول الفصل ما قاله عليه‌السلام من كون امرئ القيس أفضلهم على الجملة، وأما ما روي عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله أنّ أفضلهم زهير، فإن صحّت الرواية فمحمول على أنّ المراد كونه أفضلهم من حيث بيان الكلمات الحكمية كما في قصيدته تلك، وهو لا ينافي كون امرئ القيس أفضل منه في التشبيهات والمعاني الشعرية، مع أنّه يأتي أنّ النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله جعل امرأ القيس سابق الشعراء وجعله

---

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٣: ٢٢١.

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٩.

الفرزدق مع الحطيئة واسمه جرول والمخبل السعدي وكنيته أبو يزيد من النوابغ فقال:

وهب القصائد للنوابغ إذ مضوا وأبو يزيد وذي القروح وجرول

وأمّا في (المناقب): عن أبي محمد الفحام قال: سأل المتوكل ابن الجهم عن أشعر الناس؟ فذكر شعراء الجاهلية والإسلام. ثم إنّه سأل الهادي عليه السلام فقال: الجماني حيث يقول:

لقد فاخرتْنا من قريش عصابة بمطّ خدود وامتداد أصابع

فلما تنازعنا المقال قضى لنا عليهم بما يهوى نداء الصوامع

ترانا سكوتاً والشهيد بفضلنا عليهم جهير الصوت في كلّ جامع

فإنّ رسول الله أحمد جدّنا ونحن بنوه كالنجوم الطوالع

فقال المتوكل: أشهد أنّ محمّداً رسول الله. فقال عليه السلام: محمّد جدّي أم جدّك؟ فضحك المتوكل وقال: هو جدّك لا ندفعك عنه[1].

فلا ينافي كلام جدّه عليه السلام، لأن كلامه في شعراء الجاهلية وكلام الهادي في شعراء الإسلام، وكلامه من حيث العموم وكلام الهادي من حيث الخصوص.

ثم إنّه كما كان أبو الأسود يعتقد تقدّم أبي داود، يعتقد ابن عباس تقدم زهير، فروى الطبري في ذكر شيء من سير عمر عن عكرمة عن ابن عباس قال: بينما عمر وبعض أصحابه يتذاكرون الشعر فقال بعضهم: فلان أشعر. وقال بعضهم: بل فلان أشعر. أقبلت فقال: قد جاءكم أعلم الناس بها. فقال لي: من شاعر الشعراء يابن عباس؟ قلت: زهير بن أبي سلمى. فقال: هلم من شعره ما نستدلّ به على ما ذكرت. فقلت: امتدح قوماً من بني عبدالله بن غطفان فقال:

---

(١) مناقب آل أبي طالب لبن شهرآشوب ٤: ٤٠٦.

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم    قوم بأوّلهم أو مجدهم قعدوا
قوم أبوهم سنان حين تنسبهم    طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
إنسٌ إذا أمنوا جنٌّ إذا فزعوا    مرزؤون بهاليل إذا حشدوا
محسدون على ما كان من نعم    لا ينزع الله منهم ما له حسدوا

فقال عمر: أحسن، وما أعلم أولى بهذا الشعر من هذا الحي من بني هاشم لفضل النبي صلى الله عليه وآله وقرابتهم منه. فقلت له: وفقت ولم تزل موفقاً. فقال: يابن عباس أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمّد؟ فكرهت أن أُجيبه فقلت: إن لم أكن أدري فأمير المؤمنين يدريني. فقال: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوّة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحاً بجحاً، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت. فقلت له: إن تأذن لي في الكلام وتمطّ عني الغضب تكلمت؟ فقال: تكلّم يابن عباس. فقلت: أما قولك اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها حيث اختار الله عزوجل لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود. وأمّا قولك إنّهم كرهوا أن تكون لنا النبوّة والخلافة فإنّ الله عزوجل وصف قوماً بالكراهية فقال ﴿ذلك بأنّهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾[1].

فقال عمر: هيهات والله يابن عباس قد كانت تبلغني عنك أشياء كنت أكره أن تزيل منزلتك مني لها. فقلت: وما هي، فإن كانت حقّاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك، وإن كانت باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه.

فقال عمر: بلغني أنّك تقول إنّما صرفوها عنّا حسداً وظلماً. فقلت: أما قولك ظلماً فقد تبيّن للجاهل والحليم، وامّا قولك حسداً فإن إبليس حسد آدم فنحن ولده المحسودون.

---

(١) محمد: ٩.

فقال عمر: هيهات أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلّا حسداً ما يحول وغشاً ما يزول. فقلت له: مهلاً لا تنسب قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً بالحسد والغش، فإنّ قلب رسول الله ﷺ من قلوب بني هاشم. فقال عمر: إليك عني يابن عباس. فقلت: أفعل. فلما ذهبت لأقوم استحيى مني فقال: يابن عباس مكانك، فوالله إنّي لراع لحقّك محبّ لما سرّك. فقلت له: إنّ لي عليك حقّاً وعلى كلّ مسلم فمن حفظه فحظّه أصاب ومن أضاعه أخطأ. ثم قام فمضى[1].

بل كان عمر نفسه أيضاً قائلاً بتقدّم زهير وان مرّ نقل ابن أبي الحديد عن (الأغاني) نقله ذهابه إلى تقدم النابغة[2].

فروى الطبري في ذاك الباب أيضاً عن ابن عباس قال: خرجت مع عمر في بعض أسفاره، فإنّا لنسير ليلة وقد دنوت منه إذ ضرب مقدم رحله بسوطه وقال:

كذبتم وبيت الله يقتل أحمد ... ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم قال: استغفر الله. ثم سار فلم يتكلّم قليلاً ثم قال:

وما حملت من ناقة فوق رحلها ... أبـرّ وأوفى ذمّة من محمّد
وأكسى لبرد الخال قبل ابتذاله ... وأعطى لرأس السابق المتجرّد

ثم قال: استغفر الله، يابن عباس ما منع علياً من الخروج معنا؟ قلت: لا أدري. قال: يابن عباس أبوك عم النبي وأنت ابن عمه، فما منع قومكم منكم؟ قلت: لا أدري. قال: لكني أدري يكرهون ولايتكم لهم. قلت: لِمَ ونحن لهم كلّ

(١) تاريخ الطبري ٣: ٢٨٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ١٥٥.

الخير. قال: اللّهم غفراً يكرهون أن تجتمع فيكم النبوّة والخلافة فيكون بجحاً بجحاً، لعلّكم تقولون إنّ أبا بكر فعل ذلك، لا والله ولكن أبا بكر أتى أحزم ما حضره ولو جعلها لكم ما نفعكم مع قربكم، أنشدني لشاعر الشعراء زهير قوله:

إذا ابتدرت قيس بن عيلان غايةً     من المجد من يسبق إليها يُسوّدِ[١]

فأنشدته وطلع الفجر[٢]....

قلت: ولِمَ استغفر في كلّ مرّة من إنشاد أبيات قيلت في مدح النبي صلى الله عليه وآله، هل كان مدحه منكراً استغفر منه، ولِمَ لم يستغفر من أمره ابن عباس بإنشاد قصيدة زهير في مدح قيس عيلان.

كما إنّه لِمَ يقول لابن عباس «أنت ابن عم النبي وأبوك عمّه فما منع قريشاً منكما» ويترك ذكر أمير المؤمنين عليه السلام مع أنّه لم يكن ابن عباس ولا أبوه يدعى في قباله، بل كانا مذعنين بأنّ الخلافة له عليه السلام، وإنّما أراد بذلك التفرقة بينه عليه السلام وبين أقربائه، كما إنّه وصاحبه في أوّل الأمر ذهبا بإشارة المغيرة عليهما إلى العباس وجعلا له نصيباً ليضعفا بذلك أمره عليه السلام، فأنكر العباس عليهما، بما ذكره التاريخ.

هذا، وكما اختلف في أشعر الشعراء اختلف في أشعر الأشعار، فقيل لأبي عمرو بن العلاء ـ كما في (العقد) ـ أيّ بيت تقوله العرب أشعر؟ قال: البيت الذي إذا سمعه سامعه سوّلت له نفسه أن يقول مثله، ولأن يخدش أنفه بظفر كلب أهون عليه من أن يقول مثله.

وقيل مثل ذلك للأصمعي فقال: الذي يسابق لفظه معناه.

(١) زهير بن أبي سلمى: ٢٣.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٢٨٨.

وقيل مثل ذلك للخليل فقال: البيت الذي يكون في أوّله دليل على قافيته.

وقيل مثل ذلك لعمير فقال: البيت الذي لا يحجبه عن القلب شيء. قال: وأحسن من هذا كلّه قول زهير:

وأحسن بيت أنت قائله ... بيت يقال إذا أنشدته صدقا[١]

وفي (صناعتي العسكري): قيل للأصمعي: من أشعر الناس؟ فقال: من يأتي بالمعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيراً، أو الكبير فيجعله بلفظه خسيساً، أو ينقضي كلام قبل القافية فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى. قيل: نحو من؟ قال: نحو ذي الرمة حيث يقول:

قف العيس في إطلال مية فاسأل ... رسوماً كأخلاق الرداء المسلسل

فتم كلامه عند الرداء، فزاد بالمسلسل معنى ثم قال:

أظنّ الذي يجد عليك سؤالها ... دموعاً كتبذير الجمان المفصل

فتم كلامه عند الجمان، فزاد بالمفصل معنى، ونحو قول الأعشى:

كناطح صخرة يوماً ليفلقها ... فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

فزاد بقوله «وأوهى قرنه الوعل» معنى[٢].

وفيه أيضاً: سئل بعضهم عن أحذق الشعراء؟ فقال: من يتفقد الابتداء والمقطع.

هذا، وفي (اليتيمة): كانت بهمدان شاعرة مجيدة تعرف بالحنظلية، وخطبها أبو علي كاتب بكر، فلما ألحّ عليها وألحف كتبت إليه:

أيرك أير ما له ... عند حري هذا فرج

فاصرفه عن باب حري ... وادخله من حيث خرج

---

(١) العقد الفريد ٥: ٣٢٥ ـ ٣٢٦.

(٢) الصناعتين: ٤٢٢ ـ ٤٢٣.

فقال الصاحب بن عباد: هذه والله في هذين البيتين أشعر من كبشة أُم عمرو والخنساء أُخت صخر ومن كعوب الهذلية وليلى الأخيلية[١].

هذا، وكما اختلف في الأشعر عموماً اختلف فيه في جرير والفرزدق خصوصاً، ففي (الأغاني): قال يونس بن حبيب: ما ذكر جرير والفرزدق في مجلس شهدته قط فاتفق المجلس على أحدهما.

وفيه قيل للمفضل الضبي: الفرزدق أشعر أم جرير؟ قال: الفرزدق، قال بيتاً هجا فيه قبيلتين ومدح قبيلتين فقال:

عجبت لعجل إذ تهاجى عبيدها كما آل يربوع هجوا آل دارم

فقيل له قد قال جرير:

ان الفرزدق والبعيث وأُمه وأبا البعيث لشر ما استار

فقال: وأي شيء أهون من أن يقال: فلان وفلان وفلان كلّهم بنو الفاعلة[٢].

قلت: وفي لفظه «وأبا البعيث» ركاكة وإنّما حق الكلام «وأباه» كما قال: وأُمّه.

هذا، ووصف أبو بكر الخوارزمي ابن أُخت محمد بن جرير الطبري الشعراء بأوصاف فقال: ما ظنّك بقوم الاقتصار لمحمود إلا منهم. والكذب مذموم إلا فيهم، وإذا ذموا ثلبوا، وإذا مدحوا سلبوا، وإذا رضوا رفعوا الوضيع، وإذا غضبوا وضعوا الرفيع، وإذا افتروا على أنفسهم بالكبائر لم يلزمهم حدّ ولم يمتدّ إليهم يد ....

أشار بقوله الأخير إلى ما حكي عن الفرزدق أنّه أنشد سليمان بن عبد

(١) اليتيمة ٣: ٢٩٢.

(٢) الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني ٢١: ٢٨٤.

الملك قصيدته التي يقول فيها :

فبتن بجانبيَّ مصرعات　　　وبتُّ أفضُّ أغلاق الختام

فقال له سليمان: أقررت بالزنا ولابد من حدّك. فقال له: كتاب الله يدرأ عني الحد. قال: وأين؟ قال: قوله تعالى ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون* ألم تر أنّهم في كلّ واد يهيمون* وأنّهم يقولون ما لا يفعلون﴾[1] فضحك وأجازه.

قالوا : وعن هذه القصة أخذ صفي الدين الحلي قوله :

نحن الذين أتى الكتاب مخبِّراً　　　بعفاف أنفسنا وفسق الألسن

هذا، وعن الثعالبي: قال لي سهل بن المرزبان يوماً: إنّ من الشعراء من شلشل ومنهم من سلسل ومنهم من قلقل ومنهم من بلبل .

وقالوا : أراد بقوله «من شلشل» الأعشى في قوله :

وقد أروح إلى الحانوت يتبعني　　　شاو مشل شلول شلشل شول

وأراد بقوله «من سلسل» مسلم بن الوليد في قوله :

سلت وسلت ثم سل سليلها　　　فأتى سليل سليلها مسلولا

وأراد بقوله «من قلقل» المتنبي في قوله :

فقلقلت بالهمّ الذي قلقل الحشى　　　قلاقل عيس كلّهن قلاقل

وأراد بقوله «من بلبل» المتغلبي في قوله :

وإذا البلابل أفصحت بلغاتها　　　فانف البلابل باحتساء بلابل

قلت: وململ أحد شعراء بلدتنا (تستر) المعروف بملّا حسنا في قوله بالفارسية باللسان البلدي:

ساقيا مى بيار بى مل مل　　　ده بملاى بى تأمل مل

وهلهل في قوله أيضاً :

---

(١) الشعراء : ٢٢٤ ـ ٢٢٦ .

داديمه يه هل ودو هـل دهـلم دگه چو ری دلم مزن چه دهل

«فقال ان القوم» أي: الشعراء.

«لم يجروا» من: أجروا الخيل.

«في حلبة» بسكون اللام أي: ميدان ومجال واحد، يقال «تجاروا في الحلبة» أي مجال الخيل للسباق، ويقال مجازاً: فلان يركض في كلّ حلبة من حلبات المجد.

«تعرف الغاية» أي: النهاية.

«عند قصبتها» في (النهاية): في حديث سعيد ابن العاص «سبق بين الخيل فجعلها مائة قصبة» .

أراد أنّه ذرع الغاية بالقصب فجعلها مائة قصبة. ويقال: ان تلك القصبة تركز عند أقصى الغابة، فمن سبق إليها أخذها واستحق الخطر، فلذلك يقال: حاز قصب السبق[1].

قال عليه السلام ذلك لاختلاف مشاربهم، فكان امرؤ القيس مفتوناً بالنساء، والأعشى بالشراب، وطرفة بالدعة، وطفيل بالخيل، وقالوا: لم يقل أحد في التسلية أحسن من أوس بن حجر في قوله:

أيتها النفس اجملي جزعاً فإنّ ما تحذرين قد وقعا

وفي رياضة النفوس من أبي ذؤيب في قوله:

والنفس راغبة إذا رغّبتها وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تقنع

وفي الهيبة أحسن من الفرزدق في قوله :

يُغضي حياء ويغضى من مهابته فلا يكلّم إلّا حين يبتسم

وفي المديح من جرير في قوله :

---

(١) النهاية لابن الأثير ٤: ٦٧.

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح[١]

ومن زهير في قوله:

تـراه إذا مـا جـئته مـتهللاً كأنك تُعطيه الذي أنت سـائله

ولو لم يكن في كفّه غير نفسه لجاد بـها فـليتق الله سـائله[٢]

وفي الهجاء من الأعشى في قوله:

تبيتون في المشتى مـلاء بـطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خـمائصا[٣]

ومن جرير في قوله :

فغضّ الطرف إنّك من نـمير فلا كعباً بـلغت ولا كـلابا[٤]

وفي القدرة من النابغة في قوله:

فـإنّك كـالليل الذي هـو مـدركي وإن خلت أنّ المنتأى عنك واسع

وفي الرقة من امرئ القيس في قوله :

ومـا ذرفت عـيناك إلّا لتـضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل[٥]

وفي الكسل مما رواه يحيى بن سعيد الأُموي لبعضـهم :

سألت الله أن يأتـي بسـلمى وكـان الله يـفعل مـا يشـاء

فيأخذها ويطرحـها بـجنبي ويرقدها وقد كشف الغـطاء

ويأخذني ويطرحـني عـليها ويرقدنا وقد قضـي القـضاء

ويـرسل ديـمه سـحاً عـلينا فـيغسلنا ولا يـلقى عـناء

وهذا باب واسع ومن أراد اطلاعاً أكثر فليراجع (ديوان المعاني) لأبـي

---

(١) ديوان جرير : ٧٧.

(٢) بيتان من قصيدتين الاولى في صفحة ٦٨ والثانية في صفحة ٧٢ من ديوان زهير ابن أبي سلمى.

(٣) ديوان الأعشى : ٩٩.

(٤) ديوان جرير : ٦٣.

(٥) من المعلقه ديوان أمرئ القيس: ٣٨.

هلال العسكري[١].

وفي (المعجم): قال محمد بن سلام: سألت يونس النحوي عن أشعر الناس. فقال: لا أومي إلى رجل بعينه، ولكني أقول امرؤ القيس إذا ركب والنابغة إذا رهب وزهير إذا رغب والأعشى إذا طرب ـ وقالوا: وجرير إذا غضب.

ولابن جني كتاب مترجم بالمهج في تفسير اسماء شعراء الحماسة[٢].

في (الأغاني): قالوا: اجتمع الزبرقان بن بدر والمخبل السعدي وعبدة بن الطبيب وعمرو بن الأهتم قبل أن يسلموا وبعد المبعث، قال: فجاءهم رجل من بني يربوع وهم جلوس يشربون، فقالوا له: أخبرنا أيّنا أشعر. قال: أخاف أن تغضبوا فأمّنوه. فقال: أما عمرو فشعره برود يمينه تنشر وتطوى، وأما أنت يا زبرقان فشعرك كلحم لم ينضج فيؤكل ولم يترك نيئاً فينتفع به، واما أنت يا مخبل فشعرك شهب من نار الله يلقيها على من يشاء، وأما أنت يا عبدة فشعرك كمزادة أحكم خزرها فليس يقطر منها شيء[٣].

«فإن كان ولابد» من ذكر أشعرهم مع اختلاف مشاربهم وتشتّت مساربهم.

«فالملك الضليل» وكما اختلف في الأشعر اختلف في الأشبه بأمرئ القيس، فقال الحموي في الحسين بن أحمد بن الحجاج الكاتب: قالوا انّه في درجة امرئ القيس لم يكن بينهما مثلهما وان كان جلّ شعره مجون وسخف، وناهيك برجل يصف نفسه بمثل قوله:

---

(١) ديوان المعاني لأبي هلال العسكري: راجع ١: ٧٦ و ١: ١٩٧.

(٢) المعجم ٢٠: ٦٥.

(٣) الأغاني ١٣: ١٩٧.

رجل يدّعي النبوّة في السخف ومن ذا يشكّ في الأنباء
جاء بالمعجزات يدعو إليها فأجيبوا إليها يا معشر السخفاء
خاطر يصفح الفرزدق في الشعر ونحو ينيك أُمّ الكسائي[(١)]

وقال الصاحب بن عباد: بدئ الشعر بملك ـ يعني امرأ القيس ـ وختم بملك ـ يعني أبا فراس[(٢)].

وأقول: إلّا أنّ الملك الثاني كان مهدياً لا ضليلاً كالأول، فان أبا فراس صاحب القصيدة الميمية في مظلومية أهل البيتعليهم السلام وظالمية بني العباس. يحكى أنّه دخل بغداد وأمر أن يشهر خمسمائة سيف خلفه وقيل أكثر، ووقف في المعسكر وأنشد القصيدة وخرج من باب آخر، أول القصيدة:

الحقّ مهتضم والدين مخترم وفيء آل رسول الله مقتسم

ومنها قوله:

يا للرجال أما لله منتصر من الطغاة وما للدين منتقم
بنو علي رعايا في ديارهم والأمر يملكه النسوان والخدم
محلؤون فأصفى شربهم وشل عند الورود وأوفى وردهم لمم
فالأرض إلّا على ملاكها سعة والمال إلّا على أربابها ديم[(٣)]

كان أبو فراس ابن عم ناصر الدولة الحمداني وسيف الدولة الحمداني، فقالوا فيه: كان وشاح قلادة آل حمدان.

وأمّا كون امرئ القيس ملكاً فلأن أباه حجر بن عمرو الكندي ملك على بني أسد، وكان يأخذ منهم شيئاً معلوماً، فامتنعوا منه فسار إليهم فأخذ

---

(١) معجم الحموي ٩: ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

(٢) معجم الحموي ٩: ٢٠٨.

(٣) ديوان أبي فراس: ٢٥٧ ـ ٢٥٨.

سرواتهم فقتلهم بالعصي، ثم اجتمع بنو أسد فجاؤوا إليه على غفلة فوجدوه نائماً فذبحوه، فآلى أمرؤ القيس ألّا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً حتى يثأر بأبيه ثم استجاش بكر ابن وائل فأوقع بهم.

وأمّا كونه ضليلاً فلعهره، حتى أنّ أباه أراد قتله لذلك، قال ابن قتيبة في (شعرائه): كان أبوه قد طرده لما صنع بفاطمة ما صنع، كان عاشقاً لها فطلبها زماناً فلم يصل إليها وكان يطلب غرة حتى كان منها يوم الغدير بدارة جلجل، فلما بلغ ذلك أباه دعا مولى له وقال له: اقتل امرأ القيس وائتني بعينيه، فذبح جؤذراً فأتاه بعينيه، فندم. فقال له: أبيت اللعن إنّي لم أقتله[1]....

وفي (الأغاني): كان امرؤ القيس عاشقاً لابنة عم له يقال لها عنيزة، فطلبها زماناً فلم يصل إليها، وكان في طلب غرة من أهلها ليزورها فلم يقض له، حتى كان يوم الغدير ـ وهو يوم دارة جلجل ـ وذلك أن الحي احتملوا فتقدّم الرجال وتخلّف النساء والخدم والثقل، فلما رأى ذلك امرؤ القيس تخلّف بعدما سار مع قومه غلوة، فكمن في غابة من الأرض حتى مر به النساء فإذا فتيات وفيهن عنيزة، فلما وردن الغدير قلن: لو نزلنا فذهب عنّا بعض الكلال. فنزلن إليه ونحين العبيد عنهن ثم تجردن فاغتمسن في الغدير، فأتاهن امرؤ القيس محتالاً وهنّ غوافل، فأخذ ثيابهن فجمعها وقال لهن: والله لا أُعطي جارية منكن ثوبها ولو أقامت في الغدير يومها حتى تخرج مجرّدة: فأبين ذلك عليه حتى تعالى النهار ثم خشين أن يقصرن دون المنزل الذي أردنه، فخرجت إحداهن فوضع لها ثوبها ناحية فأخذته فلبسته، ثم تتابعن على ذلك حتى بقيت عنيزة، فناشدته الله أن يطرح إليها ثوبها فقال: دعينا منك. فخرجت فنظر إليها مقبلة ومدبرة، فأخذت ثوبها وأقبلن عليه يعذلنه ويقلن له: عريتنا

---

(١) الشعر والشعراء ١: ٥١.

وحبستنا وجوعتنا. قال: فان نحرت لكن مطيتي أتأكلن منها. قلن: نعم. فاخترط سيفه فعقرها ونحرها وكشطها وصاح بالخدم فجمعوا إليه حطباً فأجّج ناراً عظيمة، ثم جعل يقطع من سنامها وأطائبها وكبدها فيلقيها على الجمر فيأكلن ويأكل معهن ويشرب من ركوة كانت معه ويغنيهن وينبذ إلى العبيد والخدم من الكباب حتى شبعن وطربن، فلما أراد الرحيل قالت احداهن: أنا أحمل طنفسته. وقالت الأخرى: أنا أحمل رحله. وقالت الأُخرى: أنا أحمل حشيته وانساعه. فتقسمن متاع راحلته بينهن وبقيت عنيزة لم تحمل له شيئاً، فقال لها يابنة الكرام لابد لك أن تحمليني معك فإنّي لا أُطيق المشي وليس من عادتي. فحملته على غارب بعيرها، فكان يدخل رأسه في خدرها فيقبلها، فإذا امتنعت مال حدجها فتقول له: يا امرأ القيس عقرت بعيري فانزل. فذلك قوله:

تقول وقد مال الغبيط بنا ... عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل[1]

وقال ابن أبي الحديد كان يعلن في شعره بالفسق كقوله:

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع ... فألهيتها عن ذي تمائم محول
إذا ما بكى من خلفها انصرفت له ... بشقٍّ وتحتي شقها لم يحول[2]

وكقوله:

سموت إليها بعدما نام أهلها ... سمو حباب الماء حالا على حال
فقالت: لحاك الله انك فاضحي ... ألست ترى السمار والناس أحوالي
فقلت لها: تالله أبرح قاعداً ... ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي
فلما تنازعنا الحديث وأسمحت ... هصرت بغصن ذي شماريخ ميال
فصرنا إلى الحسنى ورقّ كلامنا ... ورضت فذلّت صعبة أي إذلال

---

(١) الأغاني ٢١: ٣٤١ ـ ٣٤٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ١٧٠.

حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما ان حديث ولا صال

فأصبحت مشعوفاً وأصبح بعلها عليه القتام كاسف الوجه والبال[١]

وكقوله:

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهوٍ بها غير معجل

تخطيت أبواباً إليها ومعشراً عليّ حراصاً أو يسرون مقتلي

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر إلا لبسة المتفضل

فقالت: يمين الله ما لك حيلة وما أن أرى عنك الغواية تنجلي

فقمت بها أمشي تجر وراءنا على أثرنا اذيال مرط مرحل

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن حبت ذي حقاف عقنقل

هصرت بفودي رأسها فتمايلت عليّ هضيم الكشح ريا المخلخل[٢]

وكقوله:

فبتُّ أُكابد ليل التمام ولم يبد منّا لدى البيت بشر

وقد رابني قولها يا هناه ويحك الحقت شراً بشر[٣]

وكقوله:

تقول وقد جردت من ثيابها كما رعت مكحول المدامع أتلعا

لعمرك لو شخصٌ أتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

فبتنا نصد الوحش عنّا كأننا قتيلان لم يعلم لنا الناس مصرعا

تجافى عن المأثور بيني وبينها وتدني عليّ السابريَ المضلعا[٤]

قلت: وجره عهره إلى هلكته، فكان أتى قيصراً ليعينه على ثأر أبيه،

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ١٧٠.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ١٧٠.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢٠ : ١٧١ .

(٤) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ٢٠: ١٧٢.

فسمع بمراودته ابنته فأهلكه، ففي (شعراء ابن قتيبة): لم يـزل امـرؤ القـيس يسير في العرب يطلب النصر حتى خرج إلى الروم ونظرت إليه ابنة قـيصر فعشقته، فكان يأتيها وتأتيه فطبن الطماح الأسدي لهما ـ وكان حجر أبو امرئ القيس قتل أباه ـ فوشى به إلى الملك فخرج امرؤ القيس متسرعاً، فبعث قيصر في طلبه رسولاً فأدركه دون أنقرة بيوم ومعه حلة مسمومة، فلبسها في يوم صائف فتناثر لحمه وتفطّر جسده، وكان يحمله جابر التغلبي فذلك قول امرئ القيس:

فأمــا تــريني فــي رحـالة جـابر على جرح كـالقر تـخفق أكـفاني

فــيارب مكــروب كـررت وراءه وعان فككت الغـل مـنه فـفداني

إذا المرء لم يـخزن عـليه لسـانه فليس على شيء سواه بـخزان(١)

وقال حين حضرته الوفاة بأنقرة :

رب خــطبة مــحبرة وطــعنة مســحنفرة

وجــفنة مـثعنجرة تــبقى غـداً بأنـقرة

وهذا آخر شيء تكلّم به ثم مات(٢).

ومثله في الإسلام عمر بـن أبـي ربـيعة المـخزومي الشـاعر، فكـانوا يسمّونه الفاسق لتعرضه للنساء، ففي (الشعراء): حجّ عبد الملك فـلقيه عـمر فقال له عبدالملك: يا فاسق. فقال له: بئست تحية ابن العم على طول الشحط. قال: يا فاسق أما إنّ قريشاً تعلم إنّك أطـولها صـبوة وأبـطأها تـوبة، ألست القائل:

ولولا أن تــعنّفني قــريش مقال الناصح الأدنى الشفيق

---

(١) ديوان امرئ القيس : ١٧٣ ـ ١٧٤ .

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة ١ : ٥٣ .

لقـــلت إذا التـقينا قـبّليني ولو كنّا على ظهر الطريق[١]

وكان يتعرّض للنساء ويتشبب بهن، فسيّره عمر بن عبد العزيز إلى الدهلك ثم غزا في البحر فأُحرقت السفينة التي كان فيها فاحترق هو ومن معه[٢].

وقد وصف عليه السلام امرأ القيس في رواية ابن دريد بذي القروح لما عرفت من لبسه الحلة المسمومة وتوليدها فيه القروح[٣].

وفي (الأغاني): أرسل القراء الأشراف ـ وهم سليمان بن صرد وهاني بن عروة وخالد بن عرفطة ومسروق بن الأجدع ـ إلى لبيد: أيّ العرب أشعر؟ قال: الملك الضليل ذو القروح. قالوا: من ذو القروح؟ قال: امرؤ القيس[٤].

قول المصنّف: «يريد امرؤ القيس» قال ابن أبي الحديد: قال محمد بن سلام الجمحي في (طبقات شعرائه): حدث عوانة عن الحسن ان النبيّ صلى الله عليه وآله قال لحسان: من أشعر العرب؟ قال: الزرق العيون من بني قيس. قال: لست أسألك عن القبيلة، انّما أسألك عن رجل واحد. فقال: ان مثل الشعر كناقة نحرت فجاء امرؤ القيس فأخذ سنامها وأطائبها، ثم جاء المتجاوران من الأوس والخزرج فأخذا ما والى ذلك منها، ثم جعلت العرب تمرعها حتى إذا بقي الفرث والدم جاء عمرو بن تميم والنمر بن قاسط فأخذاه. فقال النبي صلى الله عليه وآله : ذاك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها، خامل يوم القيامة معه لواء الشعراء إلى النار ...[٥].

---

(١) الشعر والشعراء : ٣٦٩ ـ ٣٧٠ دار الكتب العلمية.

(٢) المصدر نفسه : ٣٦٧.

(٣) الشعر والشعراء : ٤٩.

(٤) الأغاني ١٥ : ٣٧٢.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢٠ : ١٦٩.

قلت : وروى الخطيب في (تاريخ بغداده) عن عفيف بن معد يكرب قال: كنّا عند النبي ﷺ فجاء وفد من أهل اليمن فقالوا له: لقد أحيانا الله ببيتين من شعر امرئ القيس. قال لهم: وما ذاك ؟ قالوا: أقبلنا نريدك حتى إذا كنّا بموضع كذا وكذا أخطأنا الماء فمكثنا لا نقدر عليه، فانتهينا إلى موضع طلح ومـمر، فانطلق كلّ منّا إلى أصل شجرة ليموت في ظلّها، فبينما نحن في آخر رمق إذاً راكب قد أقبل معتم، فلما رآه بعضنا تمثّل :

ولمـا رأت أنّ الشـريعة هـمّها وأنّ بياضاً في فرائصها دامي

تيممت العين التي عند ضارج يفيء عليها الظل عرمضها طامي

فقال الراكب: من يقول هذا الشعر؟ قلنا: امرؤ القيس. قال: هذه والله ضارج أمامكم وقد رأى ما بنا من الجهد. فرجعنا إليها فإذا بيننا وبينها نحو من خمسين ذراعاً، فإذا هي كما وصف امرؤ القيس عليها العرمض يفيء عليها الظلّ. فقال النبيّ ﷺ : ذاك مشهور في الدنيا خامل في الآخرة، مذكور في الدُّنيا منسي في الآخرة، يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء يقودهم إلى النار[1].

رواه (عيون ابن قتيبة). وقد أشار ابن لنكك إلى حديث النبي ﷺ المتقدّم في قوله:

إذا خفق اللواء عليّ يوماً وقد حمل امرؤ القيس اللواء

رجوت الله لا أرجو سواه لعل الله يرحم من أساء

وفي (حيوان الجاحظ): قال خلف الأحمر: لم أرَ أجمع من بيت لامرئ القيس:

أفاد وجاد وساد وقاد وعاد وزاد وأفضل

---

(١) تاريخ بغداد للخطيبالبغدادى ٢: ٣٧٤، وكذلك البيان والتبيين لابن قتيبة ١: ١٤٤.

ومن بيت له:

له أيــطلا ظـبي وســاقا نــعامة وارخاء سرحان وتقريب تـنفل

وقالوا: لم نرَ في التشبيه كقوله حين شبّه شيئين بشيئين فـي حـالين مختلفين في بيت واحد:

كأن قـــلوب الطــير رطــباً ويــابساً
لدى وكرها العناب والحشف البالي[1]

وفي (الشعراء): سبق امرؤ القيس الشعراء إلى أشياء ابتدعها واتبعوه عليها من استيقافه صحبه في الديار ورقة النسيب وقرب الماجد ويستحسن من تشبيهه قوله:

كأنّ عيون الوحش حول قبابنا وأرحـلنا الجـزع الذي لم يـثقب

وقوله:

كأني غـداة البـين لمـا تـحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل

وقد أجاد في وصف الفرس:

مكـــــر مــفر مــقبل مــدبر مــعاً كجلمود صخر حطّه السيل من عل
له ايـــطلا ظــبي وســاقا نــعامة وارخاء سرحـان وتـقريب تـتفل[2]

وفي (تاريخ اليعقوبي): لما بلغ امرؤ القيس مقتل بني أسد لأبيه ـ وكان غائباً ـ جمع جمعاً وقصد لهم، فلما كان في الليلة التي أراد أن يغير عليهم في صبيحتها نزل بجمعه ذلك فذعر القطا، فطار عن مجاثمه فمر ببني أسد، فقالت بنت علباء القائم بأمر بني أسد: ما رأيت كالليلة قطاً أكثر. فقال علباء: (لو ترك القطا لنام)، فأرسلها مثلاً وعرف أن جيشاً قد قرب منه، فارتحل وأصبح امرؤ

---

(١) الحيوان للجاحظ ٣: ٥٣.

(٢) الشعر والشعراء: ٥٢ ـ ٥٣ دار الكتب العلمية.

القيس فأوقع بكنانة فأصاب فيهم وجعل يقول: يا لثارات حجر. فقالوا: والله ما نحن إلا من كنانة. فقال:

ألا يا لهف نفسي بعد قوم هم كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدّهم ببني أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب
وأفلتهن (علباء) جريضاً ولو أدركنه صفر الوطاب

ومضى إلى اليمن لما لم يكن به قوّة على بني أسد ومن معهم من قيس، فأقام زماناً وكان يدمن مع ندامى له، فأشرف يوماً فإذا براكب مقبل، فسأله من أين أقبلت؟ قال: من نجد. فسقاه مما كان يشرب ، فلما أخذت منه الخمرة رفع عقيرته وقال:

سقينا امرأ القيس بن حجر بن حارث
كؤوس الشجا حتى تعوذ بالفهر
وألهاه شرب ناعم وقراقر
وأعياه ثار كان يطلب في حجر
وذاك لعمري كان أسهل مشرعاً
عليه من البيض الصوارم والسمر

ففزع امرؤ القيس لذلك ثم قال: يا أخا أهل الحجاز من قائل هذا الشعر؟ قال: عبيد بن الأبرص. قال: صدقت. ثم ركب واستنجد قومه فأمّدوه بخمسمائة من مذحج، فخرج إلى أرض معد فأوقع بقبائل من معد وقتل الأشقر بن عمرو ـ وهو سيّد بني أسد ـ وشرب في قحف رأسه وقال:

قولا لدودان عبيد العصا ما غرّكم بالأسد الباسل

وطلب قبائل معد امرأ القيس وذهب من كان معه وبلغه ان المنذر ملك الحيرة قد نذر دمه، فأراد الرجوع إلى اليمن فخاف حضرموت وطلبته بنو

أسد وقبائل معد، فسار إلى سعد الأيادي ـ وكان عاملاً لكسرى على بعض كور العراق ـ واستتر عنده إلى أن مات سعد، فسار إلى تيماء وسأل السموأل بن عاديا أن يجيره ، فقال: أنا لا أُجير على الملوك. فأودعه أدرعاً وانصرف عنه إلى ملك الروم واستنصره، فوجه معه تسعمائة من أبناء البطارقة، فسار الطماح الأسدي إلى قيصر وقال له : إنّ امرأ القيس شتمك في شعره وزعم أنّك علج أغلف. فوجّه قيصر إليه بحلّة قد فضخ فيها السمّ، فلما ألبسها تقطع جلده فقال:

تأوبني دائي القديم فغلسا    أُحاذر أن يزداد دائي فأنكسا
لقد طمح الطماح من بعد أرضه    ليلبسني من دائه ما تلبسا
فلو أنّها نفس تموت سوية    ولكنّها نفس تساقط أنفسا(١)

هذا، وفي (عقلاء مجانين النيسابوري) قال الجاحظ: رأيت مجنوناً بالكوفة فقال لي: من أنت؟ قلت: عمرو بن بحر الجاحظ. قال: يزعم أهل البصرة انّك أعلمهم. قلت: ان ذلك يقال. قال: من أشعر الناس؟ قلت: امرؤ القيس. قال: حيث يقول ماذا؟ قلت:

كأنّ قلوب الطير رطباً ويابساً    لدى وكرها العناب والحشف البالي

قال: فأنا أشعر منه. قلت: حيث تقول ماذا؟ قال: حيث أقول:

كأنّ وراء الستر فوق فراشها    قناديل زيت من وراء قرام

فأينا أشعر؟ قلت: أنت. والقرام : الستر الملوّن(٢).

هذا، وادّعى رجل شاعرية شخص عند شاعر فقال:

وتشابهت سور القرآن عليكم    فقرنتم الأنعام بالشعراء

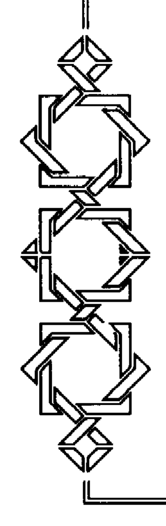
---

(١) تاريخ اليعقوبي ١: ٢١٧ ـ ٢٢٠.

(٢) عقلاء المجانين للنيسابوري : ١٥٥ ـ ١٥٦.

# الفصل الحادي والخمسون

## في كلامه في الاستسقاء وفي الاضحية





## ١
## الخطبة (١١٣)

ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء:

ٱللّٰهُمَّ قَدِ ٱنْصَاحَتْ جِبَالُنَا وَٱغْبَرَّتْ أَرْضُنَا وَهَامَتْ دَوَابُّنَا وَتَحَيَّرَتْ فِي مَرَابِضِهَا وَعَجَّتْ عَجِيجَ الثَّكَالَى وَمَلَّتِ التَّرَدُّدَ فِي مَرَاتِعِهَا وَٱلْحَنِينَ إِلَى مَوَارِدِهَا. ٱللّٰهُمَّ فَارْحَمْ أَنِينَ ٱلْآنَّةِ وَحَنِينَ ٱلْحَانَّةِ. ٱللّٰهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا وَأَنِينَهَا فِي مَوَالِجِهَا. ٱللّٰهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ ٱعْتَكَرَتْ عَلَيْنَا حَدَابِيرُ السِّنِينَ وَأَخْلَفَتْنَا مَخَايِلُ ٱلْجَوْدِ فَكُنْتَ الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَئِسِ وَٱلْبَلَاغَ لِلْمُلْتَمِسِ. نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ ٱلْأَنَامُ وَمُنِعَ ٱلْغَمَامُ وَهَلَكَ السَّوَامُ أَلَّا تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا وَلَا تَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا وَٱنْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ ٱلْمُنْبَعِقِ وَالرَّبِيعِ المُغْدِقِ وَالنَّبَاتِ المُونِقِ. سَحّاً وَابِلاً تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ. ٱللّٰهُمَّ سُقْياً مِنْكَ مُحْيِيَةً مُرْوِيَةً تَامَّةً عَامَّةً طَيِّبَةً مُبَارَكَةً هَنِيئَةً مَرِيئَةً زَاكِياً نَبْتُهَا ثَامِراً فَرْعُهَا نَاضِراً وَرَقُهَا تُنْعِشُ

بِهَا الضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ وَتُحْيِي بِهَا المَيِّتَ مِن بِلاَدِكَ. اَللَّهُمَّ سُقْياً مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنَا وَتَجْرِي بِهَا وِهَادُنَا وَتُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا وَتُقْبِلُ بِـها ثِمَارُنا وَتَعِيشُ بِها مَواشِينَا وَتَندَى بِها أَقَاصِينَا وَتَسْتَعِينُ بِهَا ضَوَاحِينَا مِنْ بَرَكَاتِكَ اَلْوَاسِعَةِ وَعَطَايَاكَ اَلْجَزِيلَةِ عَلَى بَرِيَّتِكَ المُرْمِلَةِ وَوَحْشِكَ المُهْمَلَةِ وَأَنْزِلْ عَلَيْنا سَمَاءً مُخْضِلَةً مِدْرَاراً هَاطِلَةً يُدَافِعُ اَلْوَدْقُ مِـنْها اَلْوَدْقَ وَيَحْفِزُ اَلْقَطْرُ. غَيْرَ خُلَّبٍ بَرْقُهَا وَلَا جَـهَامٍ عَـارِضُهَا وَلَا قَـزَعٍ رَبَابُها وَلَا شَفَّانٍ ذِهَابُها حَتَّى يُخْصِبَ لِإمْـرَاعِـهَا اَلْـمُجْدِبُونَ وَيَـحْيَا بِبَرَكَتِها المُسْنِتُونَ. فَإِنَّكَ تُنْزِلُ اَلْغَيْثَ بَعْدَ مَا قَنَطُوا وَتَـنْشُرُ رَحْـمَتَكَ وَأَنْتَ اَلْوَلِيُّ اَلْحَمِيدُ.

قوله عليه السلام «انصاحت جبالنا» أي: تشققت من المحول، يقال: انصاح الثوب إذا انشق، ويقال أيضاً انصاح النبت وصاح وصوح إذا جف ويبس.

وقوله عليه السلام «وهامت دوابنا» أي: عطشت، والهيام العطش.

وقوله «وحدابير السنين» جمع حدبار، وهي الناقة التي أنضاها السير، فشبّه بها السنة التي فشا فيها الجدب، قال ذو الرمة:

حـدابـير مـا تـنفكّ إلّا مـناخة     على الخسف أو نرمي بها بلداً قفرا[١]

وقوله «ولا قزع ربابها» القزع: الصغار المتفرقة من السحاب.

وقوله «ولا شفان ذهابها» تقديره: ولا ذات شفان ذهابها، والشفان الريح الباردة، والذهاب: الأمطار اللينة، فحذف (ذات) لعلم السامع به.

أقول: رواها الشيخ في تهذيبه أبسط، فقال: روي أنّه عليه السلام خطب في الاستسقاء فقال: «الحمد لله سابغ النعم ومفرّج الهم وبارئ النسم، الذي جعل السماوات لكرسيه عماداً والجبال للأرض أوتاداً والأرض للعباد مهاداً،

(١) لسان العرب ١٢ : ٣١٤.

وملائكته على أرجائها وعرشه على أمطائها، وأقام بعزّته أركان العرش وأشرق بضوئه شعاع الشمس وأحيى بشعاعه ظلمة الغطش وفجّر الأرض عيوناً والقمر نوراً والنجوم بهوراً ثم علا فتمكن وخلق فأتقن فتهيمن فخضعت له نخوة المستكبر وطلبت إليه خلّة المستكين».

«اللّهم فبدرجتك الرفيعة ومحلتك المنيعة وفضلك السابغ وسبيلك الواسع، أسألك أن تصلّي على محمّد وآل محمّد كما دان لك ودعا إلى عبادتك ووفى بعهدك وأنفذ أحكامك واتبع أعلامك، عبدك ونبيّك وأمينك على عهدك إلى عبادك القائم بأحكامك ومؤيد من أطاعك وقاطع عذر من عصاك».

«اللّهم فاجعل محمّداً أجزل من جعلت له نصيباً من رحمتك، وانظر من أشرق وجهه بسجال عطاياك، وأقرب الأنبياء زلفة يوم القيامة عندك، وأوفرهم حظّاً من رضوانك، وأكثرهم صفوف أُمة في جنانك، كما لم يسجد للأحجار، ولم يعتكف للأشجار ولم يستحلّ السبا ولم يشرب الدماء».

«اللّهم خرجنا إليك حين فاجأتنا المضايق الوعرة وألجأتنا المجالس العسرة وعضتنا علائق الشين وتأثلت علينا لواحق المين واعتكرت علينا حدابير السنين، وأخلفتنا مخائل الجود واستظمأنا لصوارخ العود، وكنت رجاء المبتئس والثقة للملتمس، ندعوك حين قنط الأنام ومنع الغمام وهلك السوام، يا حي يا قيوم عدد الشجر والنجوم، والملائكة الصفوف والعنان المكفوف، ألّا تردنا خائبين ولا تؤاخذنا بأعمالنا ولا تخاصمنا بذنوبنا، وانشر علينا رحمتك بالسحاب المتألق والنبات المونق، وامنن على عبادك بتنويع الثمرة وأحي بلادك ببلوغ الزهرة، وأشهد ملائكتك الكرام السفرة سقياً منك نافعة دائمة غزرها واسعاً درّها سحاباً وابلاً سريعاً عاجلاً، تحيي به ما قد مات وتردّ به ما قد فات وتخرج به ما هو آت».

«اللّهم اسقنا غيثاً مغيثاً ممرعاً طبقاً مجلجلاً متتابعاً خوفقة منبجسة بروقة مرتجسة هموعة، وسيبه مستدر وصوبه مستمطر، لا تجعل ظلّه علينا سموماً وبرده علينا حسوماً وضوءه علينا رجوماً وماءه أُجاجاً ونباته رماداً رمدداً».

«اللّهم إنّا نعوذ بك من الشرك وهواديه والظلم ودواهيه والفقر ودواعيه، يا معطي الخيرات من أماكنها ومرسل البركات من معادنها، منك الغيث المغيث وأنت الغياث المستغاث ونحن الخاطئون أهل الذنوب وأنت المستغفر الغفار، نستغفرك للجمات من ذنوبنا ونتوب إليك من عوام خطايانا».

«اللّهم فأرسل علينا ديمة مدراراً واسقنا الغيث واكفاً مغزاراً غيثاً واسعاً، وبركة من الوابل نافعة تدافع الودق بالودق ويتلو القطر منه القطر، غير خلب برقه ولا مكذّب رعده ولا عاصفة جنائبه، ريّاً يقص بالري ربابه وفاض فانضاع به سحابه، جرى آثار هيدبه جنابه سقياً منك، محيية مروية محفلة مفضلة، زاكياً نبتها نامياً زرعها ناضراً عودها، ممرعة آثارها، جارية بالخصب والخير على أهلها، تنعش بها الضعيف من عبادك وتحيي بها الميت من بلادك وتنعم بها المبسوط من رزقك وتخرج بها المخزون من رحمتك وتعمّ بها من ناء من خلقك، حتى يخصب لإمراعها المجدبون ويحيا ببركتها المسنتون وتترع بالقيعان غدرانها وتورق ذرى الآكام زهراتها، ويدهام بذرى الآجام شجرها وتستحق علينا بعد اليأس شكراً منة من مننك مجللة ونعمة من نعمك مفضلة على بريتك المرملة وبلادك المغرية وبهائمك المعملة ووحشك المهملة».

«اللّهم منك ارتجاؤنا وإليك مآبنا، فلا تحبسه علينا لتبطنك سرائرنا ولا

تؤاخذنا بما فعل السفهاء منّا، فإنّك تنزل الغيث من بعدما قنطوا وتنشر رحمتك وأنت الولي الحميد».

ثم بكى عليه السلام، فقال: سيدي صاحت جبالنا واغبرت أرضنا وهامت دوابنا وقنط أُناس منّا وتاهت البهائم وتحيّرت في مراتعها، وعجّت عجيج الثكالى على أولادها وملّت الدوران في مراتعها حين حبست عنها قطر السماء فدقّ لذلك عظمها وذهب لحمها وذاب شحمها وانقطع درّها، اللّهم ارحم أنين الآنّة وحنين الحانّة ارحم تحيّرها في مراتعها وأنينها في مرابضها[1].

ورواه (الفقيه)[2] مثله مع اختلاف يسير، ورواه كتب غريب الحديث[3].

«**اللّهم قد انصاحت**» من: انصاح الثوب وانصاحت العصا أي تشققا، قال أبو عبيدة: إذا انشق الثوب من قبل نفسه قيل قد انصاح، ومنه قول عبيد: «من بين مرتتق منها ومنصاح».

«**جبالنا**» من يبسها وعدم نزول المطر عليها. هذا ولكن في (اللسان): وفي حديث الاستسقاء: «اللّهم ضاحت بلادنا واغبرت أرضنا» أي: برزت للشمس وظهرت بعدم النبات فيها، وهي فاعلت من (ضحا) مثل رامت من (رمى) وأصلها: ضاحيت.

«**واغبرت**» من باب (احمر).

«**أرضنا**» من عدم جريان ماء عليها.

«**وهامت**» في (المصباح): هام يهيم وهياماً: خرج على وجهه لا يدري أين يتوجّه، فهو هائم ان سلك طريقاً مسلوكاً، فإن سلك طريقاً غير مسلوك فهو

---

(١) التهذيب للطوسي ٣: ١٥١ ح ١١ باب ١٣.

(٢) انظر فقيه من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ١: ٥٢٧ ح ١٥٠١.

(٣) غريب حديث رسول الله وأمير المؤمنين للصدوق.

راكب التعاسيف[١].

«دوابّنا» وفي (الأغاني): قال ابن الأعرابي في قول النمر بن تولب:

أقود خيلاً رجعاً فيها صرر    أطعمها اللحم إذا عزّ الشجر[٢]

كانت العرب إذا لم تجد العلف دقّت اللحم اليابس فأطعمته الخيل.

«وتحيرت في مرابضها» قال الجوهري: المرابض للغنم كالمعاطن للإبل...[٣].

والأصح قول ابن دريد: ربضت الشاة وغيرها من الدواب، وقد يقال للحافر أيضاً: ربضت ...[٤].

والظاهر أنّ الجوهري رأى في كلامهم «مرابض الغنم» فتوهّم الاختصاص.

«وعجت» أي: رفعت صوتها.

«عجيج الثكالى» جمع الثكلى مرأة فقدت ولدها[٥].

«وملّت التردد في مراتعها» ولا تجد علفاً. وفي (البيان): قال سلام الكلابي: وجدنا أرضا ماحلة مثل جلد الأجرب تضيء ولا يسكت ذيبها ولا يقيد راكبها[٦].

«والحنين» الصوت اشتياقاً.

«إلى مواردها» من الماء.

---

(١) المصباح المنير: ٦٤٠ مادة (هام).

(٢) الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ٢٢: ٢٧٨.

(٣) الصحاح للجوهري ٢: ١٠٧٦ مادة (ربض).

(٤) الجمهرة لابن دريد ١: ٣١٤ مادة (ربض).

(٥) الصحاح للجوهري ١: ٣٢٧ مادة (عجج).

(٦) البيان والتبيين ٢: ١٥٧.

«اللّهم فارحم أنين الآنّة وحنين الحانّة» قال الجوهري: ما له حانّة ولا آنّة، أي: ناقة ولا شاة[١].

«اللّهم فارحم حيرتها في مذاهبها» إلى تحصيل القوت.

«وأنينها في موالجها» دخولها في محل إقامتها.

قال ابن أبي الحديد: ابتدأ بذكر الأنعام وما أصابها من الجدب اقتداء بسنّة النبي صلى الله عليه وآله، فقال: لولا البهائم الرتّع والصبيان الرضّع والشيوخ الركّع لصبّ عليكم العذاب صبّاً[٢].

وقال مجاهد في قوله تعالى ﴿...ويلعنهم اللاعنون﴾[٣] دوابّ الأرض تلعنهم يقولون: منعنا القطر بخطاياهم.

وقال الخوئي ابتدأ عليه السلام بذكر الدواب لأنّها أقرب إلى مظنة الرحمة[٤].

وفي (منتخب التوراة): يا بني آدم كيف لا تجتنبون الحرام واكتساب الآثام ولا تخافون النيران ولا تتقون غضب الرحمن، فلولا مشائخ ركع وبهائم رتع وشبّان خشعّ لجعلت السماء فوقكم حديداً والأرض صفصفاً والتراب رماداً، ولا أنزلت عليكم قطرة ولا أنبت لكم من الأرض حبّة ولصبّ عليكم العذاب صبّاً[٥].

قال: وفي (الفقيه) عن أبي عبدالله عليه السلام : إنّ سليمان خرج ذات يوم مع أصحابه ليستسقي، فوجد نملة قد رفعت قائمة من قوائمها

---

(١) الصحاح للجوهري ٤: ٢١٠٥ مادة (حنن).

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧ : ٢٦٤.

(٣) البقرة : ١٥٩.

(٤) شرح نهج البلاغة لحبيب الله الخوئي ٨ : ٧٨.

(٥) منتخب التوراة الآية التاسعة من (أربعون سورة منتخبة من التوراة) : ٩٤، كتاب خطي رقم الايداع ٨ / ٦٦ مكتبة الطباطبائي.

إلى السماء وهي تقول: اللّهم انّا خلق من خلقك لا غنى بنا عن رزقك ولا تهلكنا بذنوب بني آدم. فقال سليمان عليه السلام لأصحابه: ارجعوا فقد سقيتم بغيركم[١].

وروى الرازي: إنّ الناس أصابهم في بعض الأزمنة قحط شديد، فأصحروا يستسقون فلم يستجب لهم، فأتيت بعض الجبال فإذا بظبية قلقة من كثرة العطش وشدة الهيام مبادرة نحو غدير هناك، فلما وصلت إليه فلم تجد فيه ماء تحيرت واضطربت ورفعت رأسها إلى السماء تحركه وتنظر إليها، فبينما هي كذلك رأيت سحابة ارتفعت وامطرت حتى امتلأ الغدير، فشربت منه وارتوت ثم رجعت.

قلت: ليس الأمر كما قالا، ففي (الفقيه): كان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا استسقى قال: «اللهم اسق عبادك وبهائمك وانشر رحمتك وأُحي بلادك الميتة» يرددها ثلاث مرات[٢].

«اللهم خرجنا إليك حين اعتكرت» أي: كرت وغلظت قال: تطاول الليل علينا واعتكر[٣].

«علينا حدابير السنين» أي: سنين كجمال بدا عظمها من الهزال.

وكتب ابن الاشعث إلى الحجاج: سأحملك على صعب حدباء حدبار. وقال الأخطل:

ولو لا يزيد ابن الملوك وسيبه تجللت حدباراً من الشر أنكدا[٤]

«وأخلفتنا» من: خلف الوعد، استعارة. يقال: أخلفت النجوم إذا أمحلت

(١) من لا يحضره الفقيه للصدوق ١ : ٥٢٤ .

(٢) من لا يحضره الفقيه للصدوق ١: ٥٢٧ .

(٣) شرح نهج البلاغة للخوئي ٨ : ٧٩ .

(٤) من لا يحضره الفقيه ١ : ٥٢٧ .

فلم يكن فيها مطر.

«مخائل» جمع مخيلة: سحاب تخال فيها المطر.

«الجَود» بالفتح، أي: المطر الغزير الذي يروي كل شيء.

وقف أعرابي بقوم فقال: تتابعت علينا سنون جماد شداد، لم يكن للسماء فيها رجع ولا للأرض فيها صدع، فنضب العد ونشف الوشل وأمحل الخصب وكلح الجدب وشفّ المال وكسف البال وشظف المعاش وذهب الرياش.

ودخلت ليلي الأخيلية على الحجاج فقالت: أتيت لإخلاف النجوم وقلة الغيوم وكلب البرد وشدة الجهد.

«فكنت الرجاء للمبتئس» أي: الحزين. قال:

ما يقسم الله اقبل غير مبتئس     منه واقعد كريماً ناعم البال[1]

«والبلاغ» أي: الكفاية قال الراجز: تزج من دنياك بالبلاغ.

«للملتمس» أي الطالب مرة بعد أُخرى.

«ندعوك حين قنط الانام» كأنه عليه السلام أشار إلى قوله تعالى ﴿...ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد﴾[2] أي: وعدت تنزيلك الغيث بعد يأس الناس فندعوك أن تجود علينا كما وعدت.

«ومنع» معلوماً لكون قبله وبعده كذلك.

«الغمام»: أي السحاب قطره.

«وهلك السوام» بفتح السين وتخفيف الميم: بمعنى السائم، من: سامت الماشية: رعت.

---

(١) لسان العرب لابن منظور ١ : ٢٠٣ وهو لحسان بن ثابت .

(٢) الشورى: ٢٨ .

«ألاّ تؤاخذنا بأعمالنا» فقال تعالى ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾[١].

قال ابن أبي الحديد[٢]: روي عن ابن مسعود إذا بخس المكيال حبس القطر.

وقال الخوئي روى (الفقيه) عن الصادق عليه السلام إذا فشت أربعة ظهرت أربعة: إذا فشا الزنا ظهرت الزلازل، وإذا أمسكت الزكاة هلكت الماشية، وإذا جار الحاكم في القضاء أمسك المطر من السماء، وإذا خفرت الذمة نُصر المشركون على المسلمين[٣].

وروى (الكافي) عن النبيّ صلى الله عليه وآله: خمس إن أدركتموهن فتعوّذوا بالله منهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوها إلّا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلّا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان، ولم يمنعوا الزكاة إلّا منعوا القطر، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلّا سلط الله عليهم عدوهم وأُخذوا بعض ما في أيديهم، ولم يحكموا بغير ما أنزل الله إلّا جعل بأسهم بينهم[٤].

قلت: وفي (الفقيه) عن النبيّ صلى الله عليه وآله: إذا غضب الله تعالى على أمّة ثم لم ينزل بها العذاب غلت أسعارها، وقصرت أعمارها، ولم تربح تجارها، ولم تزك اثمارها، ولم تغزر أنهارها، وحبس عنها أمطارها،

(١) الشورى: ٣٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٦٨.

(٣) شرح نهج البلاغة لحبيب الله الخوئي ٨: ٨٠.

(٤) الكافي ٢: ٣٧٣ الراوية ١.

وسلط عليها أشرارها[١].

وفي الخبر: إنّ بني اسرائيل أصابهم قحط سبع سنين، فخرج موسى يستسقي لهم في سبعين ألفاً، فأوحى إليه: كيف أستجيب لهم وقد أظلمت عليهم ذنوبهم، وسرائرهم خبيثة، يدعونني على غير يقين ويأمنون مكري، ارجع إلى عبد من عبادي يقال له (برخ) حتى أستجيب له.

وفي خبر آخر: استسقى موسى عليه السلام لبني إسرائيل حين أصابهم قحط، فأوحى تعالى إليه لا أستجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمام قد أصرّ على النميمة. فقال: يا رب ومن هو حتى نخرجه من بيننا؟ فقال: يا موسى أنهاكم عن النميمة واكون نماماً، فتابوا بأجمعهم فسقوا[٢].

«**ولا تأخذنا بذنوبنا**» قال ابن أبي الحديد: الفرق بين (تأخذنا) هنا و (تؤاخذنا) في سابقه أنّ المؤاخذة دون الأخذ، لأنّ الأخذ الاستئصال[٣].

قلت: المؤاخذة مقدّمة الأخذ، قال تعالى ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة...﴾[٤].

«**وانشر علينا رحمتك بالسحاب**» وعنه عليه السلام ـ كما في (الفقيه) ـ السحاب: غربال المطر، لو لا ذلك لافسد كل شيء[٥].

«**المنبعق**»: أي المتصبب بشدة.

«**والربيع المغدق**» أي: الكثير الماء؛ قال تعالى ﴿...لأسقيناهم

---

(١) من لا يحضره الفقيه للصدوق ١: ٥٢٤ ، وقد رواه الطوسي في التهذيب ٣: ١٤٧.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ٧٥: ٢٦٨ ح ١٩ ب ٦٧.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٦٨.

(٤) فاطر: ٤٥.

(٥) من لا يحضره الفقيه للصدوق ١: ٥٢٥.

ماء غدقاً﴾[١].

«والنبات المؤنق» أي: المعجب.

وفي (الفقيه): عن الصادق عليه السلام: إنّ الله تعالى إذا أراد أان ينفع بالمطر أمَر السحاب فأخذ الماء من تحت العرش، وإذا لم يرد النبات أمَر السحاب فأخذ الماء من البحر. قيل: إنّ ماء البحر مالح؟ قال: إنّ السحاب يعذبه[٢].

«سحاً» من: سحّ الماء إذا سال من فوق، وسححت الماء صببته، قال دريد:

فربة غارة أسرعت فيها كسحّ الخزرجي جريم تمر[٣]

ثم الظاهر كونه مفعولاً مطلقاً لـ(انثر)، والأصل انثر نشراً سحاً، لا لـ(لتسح) محذوف كما قال الخوئي. ويمكن كونه حالا من «رحمتك» بكونه بمعنى الوصف[٤].

«وابلا» أي: مطراً شديداً.

«تحيي به ما قد مات وتردّ به ما قد فات» في (الأساس): فاتني بكذا: سبقني به وذهب به عني، قال الأخطل:

صحا القلب إلا من ظغائن فاتني بهنّ أمير مستبدّ فأصعدا[٥]

وأعوذ بالله من موت الفوات، وهو الفجأة.

«اللهم سقياً» بالضم اسم مصدر، والألف للتأنيث بشهادة أوصافها.

---

(١) الجن: ١٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه للصدوق ١: ٥٢٤.

(٣) جمهرة اللغة لابن دريد ١: ٩٨ مادة (سحح).

(٤) شرح نهج البلاغة للخوئي ٨: ٧٦.

(٥) أساس البلاغة للزمخشري: ٣٤٩ مادة (فوق).

«منك محيية» لما مات من النباتات.

«مروية» لما ظمأ منها.

«عامّة» لجميع الأمكنة.

«طيبة مباركة» فيها النماء والزيادة.

«هنيئة» قال الجوهري: كل أمر يأتيك من غير تعب فهو هنيء.

«مريعة» من (مرع) بالفتح والضم، قال في (الأساس): مكان مريع وممرع مكلىء.

«زاكياً» نامياً.

«نبتها ثامراً فرعها» أعلاها.

«ناضراً» حسناً.

«ورقها تنعش» أي: ترفع، قال النابغة ولبيد:

وإنك غيث ينعش الناس سيبه وسيف أعيرته المنية قاطع
ومني على السباق فضل ونعمة كما نعش الدكداك صوب البوارق[1]

«بها الضعيف من عبادك وتحيى به الميت» بالفتح فالسكون يستوي فيه المذكر والمؤنث، قال تعالى ﴿لنحيي به بلدة ميتاً...﴾[2].

«اللهم سقياً منك تعشب» أي: تأتي بالكلاء الرطب.

«بها نجادنا» مرتفعات أرضنا.

«وتجري بها» من جرى النهر.

«وهادنا» منخفضات أرضنا.

«وتقبل» بالضم، قال ابن دريد: أقبل الشيء إذا ابتدأ بخير أو صلاح.

---

(١) لسان العرب لابن منظور ١٤ : ٢٠٣.

(٢) الفرقان: ٤٩.

«**بها ثمارنا وتعيش بها مواشينا**» من الابل والغنم والبقر[١].

في (كنايات الجرجاني): روي أنّ الحجاج سأل أعرابياً فقال: كيف كانت سنتكم هذه؟ قال: تفرقت الغنم ومات الكلب وطفئت النار. فقال لأُصحابه: أترون ذكر خصباً أم جدباً. قالوا: جدباً. قال: ما أقلّ بصركم إنّما ذكر خصباً، ذكر أنّ الغنم تفرقت وصرفت وجوهها إلى المرعى، ومات الكلب حين لم يمت من الغنم شيء فيأكل من لحمه، وطفئت النار لاكتفاء الناس باللبن عن اللحم[٢].

وقال الجوهري في قول الشاعر:

إذا القوس وترها أيد رمى فأصاب الكلي والذرى[٣]

يعني أنّ الله تعالى إذا وتر القوس التي في السحاب رمى كلى الإبل واسنمتها بالشحم، يعني من النبات الذي يكون من المطر.

«**وتندى**» أي: تصير مبتلة ذات ندى.

«**بها أقاصينا**» أي: أباعد أرضنا من الزرع.

«**وتستعين بها ضواحينا**» الظاهر أنّ المراد: ارزقنا سقياً تستعين بها في الشرب والري نخيلنا التي في البر مما تشرب بعروقها ولا يسقيها أحد.

قال الجوهري في (ضمن) كتب النبيّ ﷺ لحارثة بن قطن ومن بدومة الجندل من كلب: «إنّ لنا الضاحية من البعل ولكم الضامنة من النخل» الضاحية هي الظاهرة التي في البر من النخل، والبعل الذي يشرب بعروقه من غير سقي، والضامنة ما تضمنه أمصارهم وقراهم من النخل[٤].

---

(١) الجمهرة لابن دريد ١: ٣٧٢ مادة (قبل).

(٢) منتخب الكنايات للجرجاني: ٧٠.

(٣) الصحاح للجوهري ١: ٤٤٣ مادية (أيد).

(٤) الصحاح للجوهري ٤: ٢١٥٦ مادة (ضمن).

ويمكن أن يكون المراد «اسقنا سقياً تستعين بها قرانا» قال الجوهري: ضاحية كل شيء ناحيته البارزة، يقال: هم ينزلون الضواحي[1].

«من بركاتك الواسعة» قال ابن دريد: في الشيء النماء بعد النقصان[2].

«وعطاياك الجزيلة» أي: الكثيرة العظيمة. وفي (الأساس): أنشد ثعلب:

فويهاً لقدرك ويهاً لها إذا اختير في المحل جزل الحطب[3]

وأنشد سيبويه:

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطباً جزلاً وناراً تأجّجا[4]

«على بريتك» أي: خلقك.

«المرملة» أي: النافد زادهم.

«ووحشك» أي: حيوان البر.

«المهملة» بلا راع لها.

«وأنزل علينا سماء» أي: ماء السماء، كقول الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وان كانوا غضابا[5]

«مخضلة» قال ابن دريد: أُخضل المطر الأرض إذا بلّها بالماء.

«مدراراً» أي: تدر بالمطر، قال النمر بن تولب:

سلام الإله وريحانه ورحمته وسماء درر

غمام ينزل رزق العباد فأحيى البلاد وطاب الشجر[6]

---

(١) الصحاح ٤ : ٢٤٠٦ مادة (ضحا).

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد ١ : ٣٢٥ مادة (برك).

(٣) أساس البلاغة للزمخشري : ٥٩ مادة (جزل).

(٤) كتاب سيبويه ٣ : ٨٦.

(٥) لسان العرب لابن منظور ٦ : ٣٧٩ وهو لمعاوية بن مالك.

(٦) جمهرة اللغة لابن دريد ٢ : ٦٠٧ مادة (فضل).

«هاطلة» متتابعة المطر.

«يدافع الوذق» بالسكون.

«منها الودق» قال الشاعر:

فـــلا مــزنة ودقت ودقــها ... ولا أرض أبقل منها ابقالها[١]

قال ابن دريد: الودق: القطر الذي يخرج من خلل السحاب قبل احتفال المطر.

«ويحفز» أي: يدفع من خلف.

«القطر منها القطر غير خلب برقها»[٢] قال الجوهري: البرق الخلب: الذي لا غيث فيه كأنه خادع، ومنه قيل لمن يعد ولا ينجز: انما انت كبرق خلب. ويقال: برق خلب بالإضافة.

«ولا جهام» بالفتح: السحاب بلا ماء.

«عارضها» أي: الذي يعترض في الأُفق[٣].

هذا وفي (المعجم) لمحسن التنوخي:

خـرجنا لنستسقي بـيمن دعـائه ... وقد كاد هدب الغيم أن يبلغ الأرضا

فلما ابـتدا يـدعو تـقشّعت السـما ... فـما تـمّ إلاّ والغـمام قـد انـقضّا[٤]

«ولا قزع» الأُصل في القزع التفرق، قال الاعشي:

قـــوم بـــيوتهم امـــن لجـــارهم ... يوماً إذا ضمت المحذورة القرعا[٥]

أي: فرقاً مختلفة.

(١) لسان العرب ١٥ : ٢٥٦ وهو لعامر بن جوين الطائي.

(٢) جمزة اللغة لابن دريد ٢ : ٦٧٧، مادة (ودق).

(٣) الصحاح للجوهري ٣ : ١٤٤٨ مادة (برق).

(٤) معجم الأُدباء لياقوت الحموي ١٧ : ٩٤.

(٥) ديوان الاعشي: ١٠٧.

«ربابها» بالفتح أي: سحابها

«ولا شفان» في (المصباح): قال ابن السكيت: الشفان والشفيف البرد، وفي (الأساس): تقول عند هبوب الشفان تقلص الشفتان، قال يصف ثوراً:

الجاه شفان لها شفيف في دف ارطاه لها دفوف[1]

«ذهابها» قال الجوهري: الذهبة بالكسر المطرة، والجمع الذهاب. قال البعيث:

وذي اشر كالاشحوان تشوفه ذهاب الصبا والمعصراة الدوالج[2]

«حتى يخصب» بالضم من (اخصبوا): صاروا إلى الخصب بالكسر نقيض الجدب.

«لإمراعها» أمرع الوادي أي: أكلأ، وفي المثل: أمرعت فانزل.

«المجدبون» أهل القحط.

«ويحيى ببركتها المسنتون» الواقعون في سنة القحط، قال ابن الزبعرى في هاشم:

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف[3]

ويقال: «تسنت اللئيم الشريفة» إذا تزوجها في سنة قحط لغناه وفقرها.

«فإنك تنزل الغيث» المطر في شدة الحاجة إليه.

«من بعد» وفي (المصرية): «بعد».

«ما قنطوا» أي يأسوا.

«وتنشر رحمتك وأنت الولي الحميد»[4].

---

(١) أساس البلاغة للزمخشري : ٢٣٨، مادة (ش ف ف).

(٢) الصحاح للجوهري ١: ١٣٠، مادة (ذهب).

(٣) لسان العرب لابن منظور ٦ : ٣٨٤.

(٤) الطبعة المصرية : ٢٧٨.

في (الفقيه)[1] عن الصادق عليه السلام: جاء أصحاب فرعون إليه فقالوا: غار ماء النيل وفيه هلاكنا. فقال: انصرفوا اليوم. فلما كان الليل توسط النيل ورفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إنّك تعلم أنّي أعلم أنّه لا يقدر أن يجيء بالماء إلّا أنت فجئنا به. فأصبح النيل يندفق.

وفي (توحيد المفضل) قال عليه السلام له: اتخذ أُناس من الجهال هذه الآفات الحادثة في بعض الأزمان كمثل الوباء واليرقان والبرد والجراد ذريعة إلى جحود الخالق والتدبير والخلق، فيقال في جواب ذلك: إنّه إن لم يكن خالق ومدبر فلم لا يكون ما هو أكثر من هذا وأفضع، فمن ذلك أن تسقط السماء على الأرض وتهوى الأرض فتذهب سفلاً وتتخلف الشمس عن الطلوع أصلاً وتجفّ الأنهار والعيون حتى لا يوجد ماء للشفه وتركد الريح حتى تخم الأشياء وتفسد ويفيض ماء البحر على الأرض حتى يغرقها؟ ثم هذه الآفات التي ذكرناها من الوباء والجراد وما أشبه ذلك ما بالها لا تدوم وتمتدّ حتى يجتاح كل ما في العالم، بل تحدث في الأحايين ثم لا تلبث أن ترفع، أفلا ترى أنّ العالم يصان ويحفظ من تلك الأحداث الجليلة التي لو حدث عليه شيء منها كان فيه بواره، ويلذع أحياناً بهذه الآفات اليسيرة لتأديب الناس وتقويمهم، ثم لا تدوم بل تكشف عنهم عند القنوط منهم، فيكون وقوعها لهم موعظه وكشفها عنهم رحمة[2].

وفي (ذيل الطبري)[3] عن أبي جري الهجيمي: انتهيت إلى رجل والناس حوله يصدرون عن رأيه وما قال لهم من شيء رضوا به، فقلت: من هو؟ قالوا:

---

(١) من لا يحضره الفقيه للصدوق ١: ٥٢٦.

(٢) التوحيد للمفضل بن عمر: ١٦٧ ـ ١٦٨.

(٣) ذيل تاريخ الأمم للطبري: ٨٥.

رسول الله. قلت: عليك السلام يا رسول الله. قال عليك السلام تحية الميت، ولكن قل: السلام عليك. قلت: السلام عليك أنت رسول الله. قال: نعم أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضرّ فدعوته استجاب لك، وإذا كنت في سفر فضلّت راحلتك فدعوته ردّها عليك، وإذا أصابك عام سنة فدعوته استجاب لك. قلت: اعهد إلي عهداً. قال: لا تسبنّ أحداً ولا تزهدنّ في معروف[1].

قال ابن أبي الحديد[2]: قال أبو حنيفة لا صلاة للاستسقاء، وقال باقي الفقهاء بخلاف ذلك، وقالوا: روي أن النبيّ صلى الله عليه وآله صلى بالناس جماعة في الاستسقاء فصلى ركعتين جهر بالقراءة فيهما وحوّل رداءه ورفع يديه واستسقى.

قلت: ليس مخالفة أبي حنيفة للاجماع منحصراً بهذا، فأنكر تكبيرات أيّام التشريق في غير الأمصار وأنكر العقيقة وقال: هي من عمل الجاهلية[3].

قال ابن أبي الحديد: قالوا: يأمر الإمام الناس بصوم ثلاثة أيّام قبل الخروج ثم يخرج في اليوم الرابع وهم صيام[4].

قلت: بل يخرج عندنا في اليوم الثالث ويستحب أن يكون يوم الاثنين. روى (الكافي)[5] عن مرة مولى محمّد بن خالد قال: صاح أهل المدينة إلى محمّد ابن خالد في الاستسقاء فقال لي: انطلق إلى أبي عبدالله عليه السلام فاسأله: ما رأيك؟ فأتيته فقال: قل له يخرج يوم الاثنين ويخرج المنبر ثم يخرج يمشي كما يمشي يوم العيدين وبين يديه المؤذنون في أيديهم عنزهم حتى إذا انتهى إلى

---

(١) ذيل تاريخ الأمم للطبري: ٦٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٦٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٦٦.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٦٨.

(٥) الكافي ٣: ٤٦٣ ح ١.

المصلى يصلي ركعتين بالناس بغير أذان ولا إقامة ثم يصعد المنبر فيقلب رداءه فيجعل الذي على يمينه على يساره وبالعكس، ثم يستقبل القبلة فيكبر الله مائة تكبيرة رافعاً بها صوته، ثم يلتفت إلى الناس عن يمنة فيسبح مائة تسبيحة رافعاً بها صوته، ثم يلتفت إلى الناس عن يساره فيهلل الله مائة تهليلة رافعاً بها صوته، ثم يستقبل الناس فيحمد الله مائة تحميدة، ثم يرفع يديه فيدعو ثم يدعون فإنّي أرجو ألّا يخيبوا. قال: ففعل فما رجعنا إلّا أهمّتنا أنفسنا. فلما رجعنا قالوا: هذا الله من تعليم جعفر(١).

وفيه، وفي رواية ابن المغيرة: يكبر في العيدين في الأُولى سبعاً وفي الثانية خمساً ويصلّي قبل الخطبة.

وزاد (المقنعة) الاستغفار وتكرار قلب الرداء ودعاء فقال: فإذا سلم رقي المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيه صلى الله عليه وآله ووعظ وزجر وأنذر وحذر، فإذا فرغ من خطبته قلب رداءه عن يمينه إلى يساره وعن يساره إلى يمينه ثلاث مرات ثم استقبل القبلة فرفع رأسه نحوها وكبر الله مائة تكبيرة رافعاً بها صوته وكبر الناس معه، ثم التفت عن يمينه يسبح الله تعالى مائة تسبيحة رافعاً بها صوته ويسبح الناس معه، ثم التفت عن يساره فحمد الله مائة تحميدة رافعاً بها صوته وحمد الناس معه، ثم أقبل على الناس بوجهه فاستغفر الله مائة مرة رافعاً صوته واستغفر الناس معه، ثم حول وجهه إلى القبلة فدعا ودعا الناس معه فقال: اللهم رب الأرباب ومعتق الرقاب ومنشئ السحاب ومنزل القطر من السماء ومحيي الأرض بعد موتها، يا فالق الحب والنوى، يا مخرج الزرع والنبات ومحيي الأموات وجامع الشتات، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً غدقاً مغدقاً هنيئاً مريئاً تنبت به الزرع وتدرّ به الضرع وتحيي به

(١) الكافي ٣: ٤٦٣ ح١.

الأرض بعد موتها وتسقي به مما خلقت أنعاماً وأناسي كثيراً[١].

وعن الكفعمي[٢]: أفضل القنوت فيه ما روي عن النبيّ ﷺ: استغفر الله الذي لا إله إلّا هو الحي القيوم الرحمن الرحيم ذو الجلال والاكرام واسأله أن يتوب علي توبة عبد ذليل خاضع فقير بائس مسكين مستكين لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، اللهم معتق الرقاب ورب الارباب ومنشئ السحاب ومنزل القطر من السماء إلى الأرض بعد موتها فالق الحب والنوى ومخرج النبات وجامع الشتات صل على محمّد وآل محمّد واسقنا غيثاً مغيثاً غدقاً مغدوقاً هنيئاً مريئاً تنبت به الزرع وتدرّ به الضرع وتحيي به مما خلقت أنعاماً وأناسي كثيراً، اللهم اسق عبادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحي بلادك الميتة[٣].

والأصل فيه وفي دعاء المقنعة واحد لكن ذاك جعله بعد الاذكار.

ومن دعائه عليه السلام رافعاً يديه ـ كما في (الرضوي) ـ: يا مغيثنا ومغنينا ومعيننا على ديننا ودنيانا بالذي تنشر علينا من الرزق نزل بنا عظيم لا يقدر على تفريجه غير منزله، عجّل على العباد فرجك فقد أشرفت الأبدان على الهلاك، فإذا هلكت الأبدان هلك الدين، يا ديان العباد ومقدِّر أُمورهم بمقادير أرزاقهم لا تحل بيننا وبين رزقنا وما أضعنا فيه من كرامتك معترفين قد أُصيب من لا ذنب له من خلقك بذنوبنا، ارحمنا بمن جعلته أهلاً لاستجابة دعائه حين سألك يا رحيم لا تحبس عنا ماء السماء وانشر علينا نعمك وعد علينا برحمتك وابسط علينا كنفك وعد علينا بقبولك واسقنا الغيث ولا تجعلنا

---

(١) المقنعة للمفيد: ٢٠٧ ـ ٢٠٨ باب صلاة الاستسقاء.

(٢) المصباح للكفعمي: ٤١٦ .

(٣) المصباح للكفعمي: ٤١٦.

فيه من القانطين ولا تهلكنا بالسنين ولا تؤاخذنا بما فعل المبطلون وعافنا يا رب من النقمة في الدين وشماتة القوم الكافرين، ياذا النفع والضر إنّك إن أجبتنا فبجودك وكرمك ولإتمام ما بنا من نعمائك وإن تردّنا فبجنايتنا على أنفسنا فاعف عنا قبل أن تصرفنا وأقلنا وأقلبنا بإنجاح الحاجة يا الله[1].

قال ابن أبي الحديد: مذهب الشيعة أن يستقبل الإمام بعد الركعتين يكبر الله مائة، ثم يسبح مائة عن يمينه ثم يهلل مائة عن يساره، ثم يستقبل الناس ويحمد مائة ثم يخطب بهذه الخطبة[2].

قلت: بل اختلفوا في تقديم الخطبة وتأخيرها، فابن بابويه والمفيد على الأول والنعماني والشيخ على الثاني.

وكيف كان فروى قرب الاسناد عن أبي البختري عن جعفر عن أبيه عن جده قال: اجتمع عند علي عليه السلام قوم فشكوا إليه قلّة المطر وقالوا: يا أبا الحسن ادع لنا بدعوات في الاستسقاء. فقال: يا حسن ادع. فقال: «اللهم هيج لنا السحاب بفتح الأبواب بماء عباب ورباب بانصباب وانسكاب يا وهاب بصوب الماء يا وهاب يا فعال اسقنا مطراً قطراً طلاً مطلاً طبقاً مطبقاً عامّاً معمّاً مدهماً بهماً رشاً مرشاً واسعاً كافياً عاجلاً طيباً مباركاً سلاطح بلاطح يناطح الاباطح مغدودقاً مطبوبقاً مغرورقاً، اسق سهلنا وجبلنا بدونا وحضرنا حتى ترخص به أسعارنا وتبارك به في ضياعنا ومدننا، وارنا الرزق موجوداً والغلاء مفقوداً آمين رب العالمين».

ثم قال للحسين عليه السلام: ادع. فقال «اللهم معطي الخيرات من مظانّها ومنزل الرحمات من معادنها ومجري البركات على أهلها، منك الغيث المغيث

---

(١) بحار الأنوار ٩١: ٣٣٤ ح١٨ الباب ١ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٦٩ .

وأنت الغياث والمستغاث ونحن الخاطئون وأهل الذنوب وأنت المستغفر الغفار لا إله إلّا أنت، اللهم أرسل السماء علينا ديمة مدراراً واسقنا الغيث واكفاً مغزاراً غيثاً مغيثاً واسعاً مسبعاً مهطلاً مريعاً غدقاً مغدقاً عباباً مجلجلاً صحاً صحصاحاً بساً بساساً مسبلاً عاماً ودقاً مطفاحاً، تدفع الودق بالودق دفاعاً ويطلع القطر منه القطر غير خيب البرق ولا مكذب الرعد، تنعش بها الضعيف من عبادك وتحيي به الميت من بلادك وتستحق علينا مننك. آمين رب العالمين».

فما تم كلامه حتى صب الماء صباً. فسأل سلمان: أهذا شيء علماه؟ فقال: ويحكم ألم تسمعوا قول النبيّ ﷺ: أُجريت الحكمة على لسان أهل بيتي[1].

ورواه (الفقيه): وفيه جاء قوم من أهل الكوفة فقالوا يا امير المؤمنين[2].

قال ابن أبي الحديد: ومن دعاء النبيّ ﷺ في الاستسقاء: «اللهم اسقنا وأغثنا، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً وحياً ربيعاً وحداً طبقاً غدقاً مغدقاً مونقاً عاماً هنيئاً مريئاً وابلاً سابلاً مسملاً درراً نافعاً غير ضار عاجلاً غير رائث تحيي به العباد وتغيث به البلاد وتجعله بلاغاً منا للحاضر والباد، اللهم أنزل علينا في أرضنا زينتها وأنزل علينا في أرضنا سكنها، اللهم أنزل علينا ماء طهوراً وأحي به بلدة ميتاً واسعة مما خلقت أنعاماً وأناسي كثيراً»[3].

قلت: ومن دعاء السجاد «اللهم اسقنا الغيث وانشر علينا رحمتك بغيثك المغدق من السحاب المنساق لنبات أرضك المونق في جميع الآفاق، وامنن

---

(١) قرب الإسناد للحميري: ١٥٧.

(٢) من لا يحضره الفقيه للصدوق ١: ٥٣٥.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٧٣.

على عبادك بإيناع الثمرة وأحي بلادك ببلوغ الزهرة، وأشهد ملائكتك الكرام السفرة بسقي منك نافع دائم غزره واسع درره وابل سريع عاجل تحيي به ما قد مات وترد به ما قد فات وتخرج به ما هو آت وتوسع به في الأقوات سحاباً متراكماً هنيئاً مريئاً طبقاً مجلجلاً غير ملث ودقه ولا خلب برقه، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريعاً ممرعاً عريضاً واسعاً غزيراً تردّ به النهيض وتجبر به المهيض، اللهم اسقنا سقياً تسيل منه الظراب وتملأ منه الجباب وتفجر به الأنهار وتنبت به الأشجار وترخص به الأسعار في جميع الأمصار وتنعش به البهائم والخلق وتكمل لنا به طيبات الرزق وتنبت لنا به الزرع وتدر به الضرع وتزيدنا به قوة إلى قوتنا، اللهم لا تجعل ظله علينا سموماً ولا تجعل برده علينا حسوماً ولا تجعل صوبه علينا رجوماً ولا تجعل ماءه علينا أُجاجاً، اللهم صل على محمّد وآل محمّد وارزقنا من بركات السماوات والأرض إنك على كل شيء قدير».

قال ابن أبي الحديد[1]: جاء في الأخبار الصحيحة عن رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم ابن عبد مناف قالت: تتابعت سنون أقحلت الضرع وأرقت العظم، فبينا أنا راقدة ـ اللهم أو مهومة ـ إذا أنا بهاتف صيت يصرخ بصوت صحل: يا معشر قريش إنّ هذا النبيّ المبعوث فيكم قد أظلّتكم أيامه وهذا ابن نجومه فحي هذا بالخصب والحيا، ألا فانظروا رجلا منكم عظاماً جساماً أبيض بضاً أوطف الأهداب سهل الخدين أشمّ العرنين له سنة يهدى إليه، ألا فليخلص هو وولده وليدلف إليه من كل بطن رجل، ألا فليسنوا عليهم من الماء وليمسوا من الطيب وليطوفوا بالبيت سبعاً وليكن فيهم الطيب الطاهر فليستق الرجل وليؤمّن القوم، ألا فغثتم إذا ما شئتم. فأصبحت ـ علم الله ـ مذعورة قد

(١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٧٠.

قف جلدي ووله عقلي، فاقتصصت رؤياي على الناس، فذهبت في شعاب مكة فو الحرمة والحرم إن بقي أبطحي إلّا وقال: هذا شيبة الحمد. فتتامت رجال قريش وانفضّ إليه من كل بطن رجل فسنّوا عليهم ماء ومسّوا طيباً واستلموا واطوفوا ثم ارتقوا أبا قبيس وطفق القوم يدفون حول عبدالمطلب ما إن يدرك سعيهم مهله حتى استقروا بذروة الجبل واستكفوا جانبيه، فقام، فاعتضد ابن ابنه محمّداً فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام قد أيفع أو كرب، ثم قال: «اللهم سادّ الخلة وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم ومسؤول غير مبخل وهذه عبداؤك واماؤك بعذرات حرمك يشكون إليك سنتهم التي أذهبت الخف والظلف فاسمعن، اللهم وامطرن علينا غيثاً مغدقاً مريعاً سحاً طبقاً دراكاً».

فو الكعبة ما راموا حتى انفجرت السماء بمائها واكتظّ الوادي بثجثجه وانصرف الناس يقولون لعبد المطلب: هنيئاً لك سيد البطحاء.

وفي رواية أبي‌عبيدة: فسمعت شيخان قريش وجلتها عبدالله بن جدعان وحرب بن أُمية وهشام بن المغيرة يقولون لعبد المطلب: هنيئاً لك باب البطحاء، وفي ذلك قال شاعر قريش ـ وقد روى هذا الشعر لرقيقة:

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا ... وقد فقدنا الحيا واجلوذ المطر

فجاد بالماء وسمى له سبل ... فعاشت به الأنعام والشجر

قلت: ورواه (كاتب الواقدي) وزاد في الأبيات:

منّاً من الله بالميمون طائره ... وخير من بشرت يوماً به مضر

مبارك الأمر يستسقى الغمام به ... ما في الأنام له عدل ولا خطر

ورواه اليعقوبي في (تاريخه)[1] إلّا أنّه قال: توالت على قريش سنون مجدبة حتى ذهب الزرع وقحل الضرع، ففزعوا إلى عبدالمطلب وقالوا: قد

---

(١) التأريخ لليعقوبي ٢: ١٢.

سقانا الله بك مرة بعد أُخرى فادع الله أن يسقينا، وسمعوا صوتاً ينادي من بعض جبال مكة: معشر قريش إنّ النبيّ الأُمي منكم وهذا أوان توكفه، ألا فانظروا منكم رجلاً عظاماً جساماً له سنّ يدعو إليه....

ورواه أحمد بن أبيطاهر البغدادي في (بلاغات نسائه)[١] عن مخرمة بن نوفل عن أُمه رقيقة نباتة وكانت لدة[٢] عبدالمطلب قالت: تتابعت على قريش سنون ـإلى أن قال ـوفي ذلك تقول رقيقة، ونقل الأبيات الأربعة بيتي كاتب الواقدي مع بيتي أبيعبيدة[٣].

قال ابن أبي الحديد : عن أنس بن مالك: أصاب أهل المدينة قحط على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله ، فقام إليه رجل وهو يخطب يوم جمعة فقال: هلك الشاء هلك الزرع ادع الله أن يسقينا، فمدّ صلى الله عليه وآله يده ودعا واستسقى وإنّ السماء كمثل الزجاجة فهاجت ريح ثم أنشأ سحاباً ثم اجتمع ثم أرسلت عزاليها، فخرجنا نخوض الماء حتى اتينا منازلنا ودام القطر، فقام إليه الرجل في اليوم الثالث فقال: يا رسول الله تهدمت البيوت ادع الله أن يحبسه عنا، فتبسم صلى الله عليه وآله ثم رفع يده وقال: اللهم حوالينا ولا علينا ـفو الذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالحق لقد نظرت إلى السماء ولقد انجاب حول المدينة كالإكليل[٤].

وفي حديث عائشة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله استسقى حين بدأ قرن الشمس فقعد على المنبر وحمد الله وكبّر ثم قال: إنّكم شكوتم جدب دياركم وقد أمركم الله أن تدعوه ووعدكم أن يستجيب لكم فادعوه، ثم رفع صوته فقال: «اللهم أنت الغنيّ ونحن الفقراء فأنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم اجعل ما

---

(١) بلاغات النساء لأحمد بن أبي طاهر البغدادي .

(٢) لدة: نظير في السن .

(٣) بلاغات النساء لابن طيفور: ٧٩ ـ ٧٠ .

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٧٢ .

تنزله علينا قوة لنا وبلاغاً إلى حين برحمتك يا أرحم الراحمين» فأنشأ الله سحاباً فرعدت وبرقت فلم يأت النبيّ ﷺ منزله حتى سالت السيول، فلما رأى سرعتهم إلى الكن ضحك حتى بدت نواجذه وقال: أشهد أنّي عبدالله ورسوله وأنّ الله على كل شيء قدير.

قلت: وروى كاتب الواقدي في (طبقاته)[1] عن أبي وجزة السعدي أنّ النبيّ ﷺ لما رجع من غزوة تبوك ـ وكانت سنة تسع ـ قدم عليه وفد بني فزارة فسألهم عن بلادهم فقال أحدهم: أسنت بلادنا وهلكت مواشينا وأجدب جنابنا وغرث عيالنا فادع لنا ربك، فصعد النبيّ ﷺ المنبر ودعا فقال:

«اللهم اسق بلادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحي بلدك الميت، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً مريعاً واسعاً عاجلاً غير آجل نافعاً غير ضار، اللهم اسقنا سقياً رحمة لاسقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق، اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء».

فمطرت فما رأوا السماء ستاً، فصعد النبيّ ﷺ المنبر فدعا فانجابت السماء عن المدينة انجياب الثوب.

وروى أيضاً: إنّ وفد بني مرة قدموا على النبيّ ﷺ مرجعه من تبوك، فقال لهم كيف البلاد؟ قالوا: والله إنّا لمسنتون فادع الله لنا فقال: «اللهم اسقهم الغيث» فرجعوا فوجدوا قد مطروا في اليوم الذي دعا لهم.

هذا، وفي (الأرشاد): لما أُغمي على النبيّ ﷺ أكبّت فاطمة عليها السلام تندبه وتبكي وتقول:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ففتح النبيّ ﷺ عينيه وقال بصوت ضئيل: يا بنية هذا قول عمك

---

(١) الطبقات للواقدي ١: ٢٩٧.

أبي طالب ولكن قولي ﴿وما محمّد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم...﴾[١].

وقال ابن أبي الحديد روى ابن مسعود: إنّ عمر خرج يستسقي بالعباس فقال: اللهم إنّا نتقرب إليك بعم نبيك وبقية آبائه وكبر رجاله فإنّك قلت وقولك الحق ﴿واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة...﴾[٢]، فحفظتهما لصلاح أبيهما فاحفظ اللهم نبيك في عمه فقد دلونا به إليك مستشفعين ومستغفرين. ثم أقبل على الناس فقال: استغفروا ربكم إنّه كان غفاراً. قال ابن مسعود: ورأيت العباس يومئذ وقد طال عمره وعيناه تنضحان وسبابته تجول على صدره وهو يقول:

«اللهم أنت الراعي فلا تهمل الضالّة ولا تدع الكسير بدار مضيعة، فقد ضرع الصغير ورقّ الكبير وارتفعت الشكوى وأنت تعلم السر وأخفى، اللهم أغثهم بغياثك من قبل أن يقنطوا فيهلكوا إنّه لا ييأس الا القوم الكافرين». فنشأت طريرة من سحاب وقال الناس: ترون ترون، ثم تلاءمت واستقلت ومشت فيها ريح، ثم هدرت ودرّت، فو الله ما برحوا حتى اعتلقوا الأحذية وقلصوا المآزر وطفق الناس يلوذون بالعباس يمسحون أركانه ويقولون هنيئاً ساقي الحرمين[٣].

قلت: ونقله (الفقيه)[٤] بطريق آخر فقال: روي عن ابن عباس أنّ عمر خرج يستسقي فقال للعباس: قم وادع ربك واستسق وقال: اللهم إنّا نتوسل إليك بعم نبيك. فقام العباس فحمد الله وأثنى عليه وقال:

---

(١) الأرشاد ١: ١٨٦، مؤسسه أهل البيت، والآية ١٤٤ من آل عمران.

(٢) الكهف : ٨٢ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٧٤.

(٤) من لا يحضره الفقيه للصدوق ١: ٥٣٨ .

«اللهم إنّ عندك سحاباً وإنّ عندك مطراً فانشر السحاب وأنزل فيه الماء ثم انزله علينا واشدد به الأصل وأطلع به الفرع وأحي به الزرع، اللهم إنّا شفعاء إليك عمن لا منطق له من بهائمنا وأنعامنا شفعنا في أنفسنا وأهالينا، اللهم إنّا لا ندعو إلّا إيّاك ولا نرغب إلّا إليك، اللهم اسقنا سقياً وارعاً نافعاً طبقلاً مجللاً، اللهم إنّا نشكو إليك جوع كل جائع وعري كل عار وخوف كل خائف وسغب كل ساغب».

وأقول: لِمَ لمْ يستسق عمر بنفس النبيّ صلى الله عليه وآله امير المؤمنين عليه السلام؟ لِمَ لم يستسق بريحانتي النبيّ وابنيه وسيدي شباب أهل الجنة وقد باهل بهم النبيّ بأمر الله تعالى في نصّ القرآن.

والعمية للنبيّ صلى الله عليه وآله من حيث هي لا أثر لها، فقد كان أبولهب أيضاً عمّاً للنبيّ. ثم إن كان معتقداً بعم النبيّ صلى الله عليه وآله لِمَ لم يجعله في الشورى إلّا أنّه استسقى به لحطّ قدر أمير المؤمنين عليه السلام كما أنّه لما أراد استحكام أمر صاحبه توسل إلى العباس هو مع صاحبه بإشارة المغيرة بأن يجعلا له نصيباً في أمر الخلافة تضعيفاً لجانب امير المؤمنين، فيقولان له: إن كنت ابن عمه فهو عمه.

وأراد أيضاً في الاستسقاء بالعباس أنّه إن لم ينزل لهم المطر يقول توسلت بعم النبيّ فلم يكن أهلاً للإجابة، وإن جاءهم المطر يقول: أنا الأصل في ذلك، إلّا أنّ الله تعالى نقض غرضه فرأى الناس نزول المطر من دعاء العباس، فقد عرفت لفظ الخبر (طفق الناس يلوذون بالعباس يمسحون أركانه ويقولون هنيئاً لك ساقي الحرمين).

وأشار إلى ذلك لقيط المحاربي في أبياته في المهدي، ففي (المعجم)[١]

---

(١) المعجم ١٧: ٣٧.

أمر المهدي في سنة (١٦٠) الناس بصوم ثلاثة أيام لبطء المطر ليستسقى، فلما كان في اليوم الثالث من الليل طرق الناس ليلتهم كلها ثلج ملأ الارض، فقال لقيط في ذلك مخاطباً للمهدي:

لما استغاث بك العباد بجهدهم ... متوسلين إلى إله الناس

أسقاهم بك مثل ما أسقاهم ... صوب الغمام بجدك العباس

هذا، وقد دعا الله تعالى قس بن ساعدة في الجاهلية لكونه قرأ الكتب بالنبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة الاثني عشر الذين مثله في العصمة في استسقائه على ما روى السروي في (مناقبه).

فقال: روى الكلبي عن شرقي بن قطامي عن تميم بن وعلة المرى عن الجارود بن المنذر العبدي ـ وكان نصرانياً فأسلم عام الحديبية ـ وأنشأ يقول:

يا بني المهدي أتتك رجال ... قطعت فدفداً وأفرت جبالا

جابت البيد والمهامه حتى ... غالها من طوى السرى ما غالا

أنبأ الأوّلون باسمك فينا ... وبأسماء بعده تتتالى

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أفيكم من يعرف قس بن ساعدة الإيادي؟ فقال الجارود: كلنا نعرفه غير أنّي من بينهم بخبره واقف على أثره. فقال سلمان: أخبرنا. فقال: لقد شهدته وقد خرج من نادٍ من أنديته إلى ضحضاح ذي قتاد وسمر وغياد وهو مشتمل بنجاد فوقف في اضحيان ليل كالشمس رافعاً إلى السماء وجهه واصبعه، فدنوت منه فسمعته يقول:

«اللهم ربَّ السماوات الأرفعة والأرضين الممرعة بحق محمّد والثلاثة المحاميد معه والعليين الأربعة وفاطمة والحسنين الأبرعة وجعفر وموسى التبعة سميّ الكليم الضرعة أُولئك النقباء الشفعة والطريق المهيعة راشة

الاناجيل ومحاة الأضاليل ونفاة الأباطيل الصادقو القيل عدد نقباء بني إسرائيل فهم أوّل البداية وعليهم تقوم الساعة وبهم تنال الشفاعة ولهم من الله فرض الطاعة اسقنا غيثاً مغيثاً».

ثم قال: ليتني مدركهم ولو بعد لأي من عمري ومحياي، ثم أنشأ يقول:

| | |
|---|---|
| أقسم قسٌّ قسَماً | ليس به مكتتما |
| لو عاش ألفى سنة | لم يلق منها سأما |
| حتى يلاقي أحمداً | والنجباء الحُكما |
| هم أوصياء أحمد | أفضل من تحت السما |
| يعمى الأنام عنهم | وهم ضياء للعمى |
| لست بناسٍ ذكرهم | حتى أحلّ الرجما |

قال الجارود: فقلت: يا رسول الله أنبأني بخبر هذه الأسماء التي لم نشهدها وأشهدنا قس ذكرها كما أنبأك الله. فقال صلى الله عليه وآله: يا جارود ليلة أُسري بي إلى السماء اوحى إليّ عزّ وجلّ أن سل من قد أرسلنا قبلك من رسلنا على ما بعثوا. قلت: على ما بعثوا؟ قال: على نبوتك وولاية علي والأئمة منكما. ثم عرّفني عزّ وجلّ بهم وبأسمائهم. ثم ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله أسماءهم للجارود واحداً واحداً إلى المهدي عليه السلام، ثم قال: قال تعالى هؤلاء أولياء، وهذا ـ يعني المهدي ـ المنتقم من أعدائي...[1].

وأقول: (الحسنين) في دعاء قس بلفظ الجمع لأنّ المراد الحسنان والعسكري عليهما السلام.

قول المصنّف: «قال الشريف» هكذا في (المصرية) ولكن في (ابن ميثم): «قال السيد رحمه الله» وفي (ابن أبي الحديد): «قال الشريف الرضي رحمه الله» فالظاهر

---

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ١: ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

كونه كلامهما لا كلام المصنف ولذا ليس في (الخطية) رأساً. وكيف كان فزاد ابن ميثم عن المصنف جملة «تفسير ما في هذه الخطبة من الغريب» إلا أن يكون سقط لفظة «في» من أول الكلام من النسخة فيكون من إنشائه[١].

قوله عليه السلام «انصاحت جبالنا» أي: تشققت.

«من المحول» قال الجوهري[٢]: المحل القحط، يقال: أرض محل وأرض محول كما قالوا: بلد سبسب وبلد سباسب يريدون بالواحد الجمع، قال ابن السكيت: أمحل البلد فهو ما حل ولم يقولوا: ممحل[٣]، «يقال انصاح الثوب إذا انشق ويقال أيضاً انصاح النبت وصاح وصوح إذا جف ويبس» هكذا في (المصرية وابن ميثم والخطية) وزاد ابن أبي الحديد والخوئي «كله بمعنى».

وكيف كان فليس كله بمعنى، فانصاح بمعنى انشقّ لازم، وأما صوّح فقد يجيء لازماً كما في حديثه عليه السلام «فبادروا العلم من قبل تصويح نبته» وقد يجيء متعدياً بمعنى أيبس، قال ذو الرمة:

وصوح البقل ناج تجيء به  هيف يمانية في مرها نكب

وأما (صاح) ففي (الصحاح)[٤] صحت الشيء فانصاح أي شققته فانشقّ[٥]، وفي (المصباح):[٦] صاحت الشجرة طالت.

«وقوله وهامت» هكذا في (المصرية) والصواب: هامت كما في (ابن أبي

---

(١) النسخة المصرية المصححة لا تتضمن هذه العبارة أمّا النسخة الخطيّة فيها، وقال الشريف «بل منها» تفسير ما في هذه الخطبة... ٩٨، شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٦٣ الرواية (١١٤).

(٢) الصحاح للجوهري ١: ٣٨٤.

(٣) الصحاح ٣: ١٨١٧، مادة «محل».

(٤) الصحاح ١٠: ٣٨٤، مادة (صوح).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصباح المنير للفيومي: ٣٥٣، مادة (صاح).

الحديد وابن ميثم والخطية).

«دوابنا أي عطشت والهيام العطش» قد عرفت أنه يحتمل وجهاً آخر[١].

«وقوله حدابير السنين» إلى:

حدابير ما تنفك إلّا مناخة على الخسف أو نرمى بها بلداً قفرا

قال ابن أبي الحديد: لا أعرف البيت إلّا «حراجيج» وهكذا رأيته بخط ابن الخشاب[٢].

قلت: ونقله الجوهري[٣] في (فك) وابن هشام[٤] في (إلّا الزائدة) أيضاً: «حراجيج».

«وقوله ولا قزع ربابها» ليست الجملة في (ابن ميثم)[٥].

«القزع القطع الصغار المتفرقة من السحاب» التفسير لقوله «قزع ربابها» لا لمطلق القزع، فقد عرفت أنه بمعنى مطلق التفرق والاختلاف.

«وقوله ولا شفان ذهابها» إلى «فحذف (ذات) لعلم السامع به» هذا إن فسرنا «الشفان» بالريح الباردة، وإن فسرناه بمطلق البرد كما مر فلا يحتاج إلى تقدير.

ثم إنّ الجزري فسّره بالريح الباردة وجعله من (شفن) وقال ويجوز أن يكون شفان فعلان من شف إذا نقص، أي قليلة أمطارها مع أنّ غيره لم يذكره

---

(١) انظر الطبعة المصرية : ٢٧٨، وانظر ابن أبي الحديد ٧: ٢٦٨. اما النسخة الخطية: ٩٨، فقد وردت العبارة بهذا اللفظ «وهامت دوابنا».

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧: ٢٦٨.

(٣) الصحاح للجوهري ٣: ١٦٥٣ مادة (فك).

(٤) مغني اللبيب لابن هشام ١: ١٠٢.

(٥) شرح ابن ميثم ٣: ٣٥ الرواية (١١٢).

إلّا في (شف)[١].

هذا، ويناسب قوله عليه السلام «بالسحاب المنبعق...»، ما رواه (شعراء القتيبي): أنّ والياً من قريش على المدينة كان عنده ابن مطير ـ وكان مطر جود ـ فقال له: صف لي هذا المطر. قال: دعني أُشرف عليه، فأشرف ثم نزل فقال:

| | |
|---|---|
| كثرت ـ لكثرة قطره ـ أطباؤه | فإذا تحلب فاضت الأطباء |
| وله رباب هيدب لرفيفه | قبل التبعق ديمة وطفاء |
| وكأن ريقه ولما يحتفل | ودق السماء عجاجة كدراء |
| وكأن بارقه حريق تلتقي | ريح عليه عرفج والاء |
| مستضحك بلوامع مستعبر | بمدامع لم تمرها الاقذاء |
| فله بلا حزن ولا بمسرة | ضحك يؤلف بينه وبكاء |
| حيران متبع صباه يقوده | وجنوبه كنف له ووعاء |
| غدق ينتج في الأباطح فرقاً | تلد السيول وما لها اسلاء |
| غرّ محجلة دوالج ضمّنت | حمل اللقاح وكلّهُنّ عذراء |
| سحم فَهُنَّ إذا كظمن سواجم | سود وهن إذا ضحكن وضاء |
| لو كان من لجج السواحل ماؤه | لم يبق في لجج السواحل ماء[٢] |

## ٢
## من الخطبة (١٤١)

ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء:

**أَلَا وَإِنَّ الأَرْضَ الَّتي تَحْمِلُكُمْ وَالسَّمَاءَ الَّتى تُظِلُّكُمْ مُطِيعتَانِ لِـرَبِّكُمْ،**

---

(١) النهاية لابن الأثير ٢: ٤٨٧.

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٣٨ ـ ٣٩، في مقدمة الكتاب.

وَمَا أَصْبَحتَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتِهِمَا تَوَجُّعاً لَكُمْ وَلاَ زُلْفَةً إِلَيْكُمْ وَلاَ لِخَيْرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ، وَلَكِنْ أُمِرَتَا بِمَنافِعِكمْ فَأَطَاعَتَا وَأُقِيمتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَأَقَامَتَا، إِنَّ ٱللهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ وَحَبْسِ ٱلْبَرَكَاتِ وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ ٱلْخَيْرَاتِ لِيَتُوبَ تَائِبٌ وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ، وَ قَدْ جَعَلَ ٱللهُ الإِسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةِ الْخَلْقِ، فَقَالَ ﴿ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾* فَرَحِمَ ٱللهُ ٱمْرَأً ٱسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ وَٱسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ وَبَادَرَ مَنِيَّتَهُ، ٱللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الأَسْتَارِ وَالأَكْنَانِ وَبَعْدَ عَجِيجِ ٱلْبَهَائِمِ وَٱلْوِلْدَانِ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ، ٱللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ ٱلْقَانِطِينَ وَلَا تُهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا يَا أَرحَمَ الرَّاحِمِينَ، ٱللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ حِينَ أَلْجَأَتْنَا المَضَايِقُ ٱلْوَعْرَةُ وَأَجَاءَتْنَا المَقَاحِطُ المُجْدِبَةُ وَأَعْيَتْنَا المَطَالِبُ المُتَعسِّرَةُ وَتَلَاحَمَتْ عَلَيْنَا ٱلْفِتَنُ المُسْتَصْعَبَةُ، ٱللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَلَّا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ وَلَا تَقْلِبَنَا وَاجِمِينَ وَلَا تُخَاطِبَنَا بِذُنُوبِنَا وَلَا تُقَايِسَنَا بِأَعْمَالِنَا، ٱللَّهُمَّ ٱنْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَبَرَكَتَكَ وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ وَٱسْقِنَا سُقْياً نَافِعَةً مُرْوِيَةً مُعْشِبَةً تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ وَتُحْيِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ، نَافِعَةَ ٱلْحَيَا كَثِيرَةَ ٱلْمُجْتَنَى تُرْوِي بِهَا ٱلْقِيعَانَ وَتُسِيلُ ٱلْبُطْنَانَ وَتَسْتَوْرِقُ ٱلأَشْجَارَ وَتُرْخِصُ ٱلأَسْعَارَ إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ.

«ألا وان الأرض التي تحملكم والسماء التي تظلكم» ﴿الذي جعل لكم الأرض

(*) نوح : ١٠ ـ ١٢ .

فراشاً والسماء بناء...﴾[١].

في (توحيد المفضل): أوّل العبر والدلائل على الباري جلّ قدسه تهيئة هذا العالم وتأليف أجزائه ونظمها على ما هي عليه، فإنّك إذا تأملت العالم بفكرك وخبرته بعقلك وجدته كالبيت المبني المعدّ فيه جميع ما يحتاج إليه عباده، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم مضيئة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر، وكل شيء فيها لشأنه معدّ، والإنسان كالمملك ذلك البيت والمخول جميع ما فيه، وضروب النبات مهيأة لمآربه، وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه، ففي هذا دلالة واضحة على أنّ العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملاءمة وأنّ الخالق له واحد، وهو الذي ألّفه ونظمه بعضاً إلى بعض، تعالى عما يقول الجاحدون وعظم عما ينتحله الملحدون[٢].

«مطيعتان لربكم» ﴿...فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين* فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كلّ سماء أمرها﴾[٣].

«وما أصبحتا تجودان لكم ببركتهما توجّعاً لكم» كغني يجود على مسكين توجعاً له.

«ولا زلفة» أي: قربة.

«إليكم» كمن يهدي إلى سلطان أو أمير تقرباً إليه.

«ولا لخير ترجوانه منكم» كمحترف يهدي إلى غني رجاء اكثر منه.

«ولكن أُمرتا بمنافعكم فأطاعتا وأُقيمتا على حدود مصالحكم فأقامتا» ﴿أو لم

---

(١) البقرة : ٢٢.

(٢) التوحيد للمفضل بن عمر : ٤٧ .

(٣) فصلت: ١١ ـ ١٢ .

ير الذين كفروا أنّ السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما...﴾[1].

وعن السجاد عليه السلام: جعل تعالى الأرض ملائمة لطبائعكم موافقة لأجسادكم ولم يجعلها شديدة الحرارة فتحرقكم ولا شديدة البرودة فتجمدكم ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم ولا شديدة النتن فتعطبكم ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في دوركم وأبنيتكم وقبور موتاكم، ولكنه عزّ وجلّ جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به وتتماسكون عليه وتتماسك عليها أبدانكم وبينانكم، وجعل فيها ما تنقاد به لدوركم وقبوركم وكثير من منافعكم، فذلك قوله تعالى ﴿...جعل لكم الأرض فراشاً...﴾[2] وقوله تعالى ﴿...والسماء بناء...﴾[3] يعني سقفاً محفوظاً من فوقكم يرى فيها شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم. ثم قال ﴿وأنزل من السماء ماء﴾[4] يعني المطر ينزله من علو ليبلغ قلل جبالكم وتلالكم وهضابكم وأوهادكم، ثم فرّقه رذاذاً ووابلاً وهطلاً لتنشفه أرضوكم، ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعة واحدة فيفسد أراضيكم وأشجاركم وزروعكم وثماركم.

**«إنّ الله يبتلي عباده عند الاعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات واغلاق خزائن الخيرات»** في (الكافي)[5]: عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم...﴾[6] هؤلاء قوم كانت لهم

---

(١) الأنبياء: ٣٠.

(٢) البقرة: ٢٢.

(٣) البقرة: ٢٢.

(٤) إبراهيم: ٣٢.

(٥) الكافي ٢: ٢٧٤، رواية ٢٣.

(٦) سبأ: ١٩.

قرى متصلة ينظر بعضهم إلى بعض وأنهار جارية وأموال ظاهرة، فكفروا نعم الله وغيّروا ما بأنفسهم من عافية الله فغيّر الله ما بهم من نعمة، وإنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم، فأرسل الله عليهم سيل العرم ففرق قراهم وخرّب ديارهم وذهب بأموالهم وأبدلهم مكان جنّاتهم جنتين ذواتي، أُكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل. ثم قال: ﴿ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور﴾[١] ﴿ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتّقَوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض...﴾[٢] ﴿أفأمِن أهلُ القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون * أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحىً وهم يلعبون * أفأمِنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الّا القوم الخاسرون * أو لم يهدِ للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم...﴾[٣].

وفي (الكافي): عن الرضا عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء: إذا أطعت رضيت وإذا رضيت باركت وليس لبركتي نهاية، وإذا عصيت غضبت وإذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ السابع من الورى[٤].

وعنه عليه السلام: كلما أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعلمون أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون[٥].

وعنهم عليهم السلام: إنّ لله تعالى في كل يوم وليلة منادياً ينادي: مهلاً مهلاً عباد الله عن معاصي الله، فلو لا بهائم رتّع وصبية رضّع وشيوخ ركّع لصبّ

---

(١) سبأ: ١٧.

(٢) الأعراف: ٩٦.

(٣) الأعراف: ٩٧ ـ ١٠٠.

(٤) الكافي ٢: ٢٧٥ ح٢٦.

(٥) المصدر نفسه ٢: ٢٧٥ ح٢٩.

عليكم العذاب صبّاً ترضون به رضا[١].

وعن الصادق عليه السلام: من همَّ بسيئة فلا يعملها فإنّه ربما عمل البلا لسيئة فيراه الرب فيقول: وعزّتي لا أغفر لك بعد ذلك أبداً، وإنّ العمل السيىء أسرع في صاحبه من السكين في اللحم[٢].

وعنهم عليهم السلام: حقّ على الله ألّا يُعصى في دار إلّا أضحاها الشمس حتى يطهرها[٣].

هذا، وفي (الطبري): أصابت الناس في سنة (١٨) مجاعة شديدة وجدوب وقحوط وسمّي ذاك العام عام الرمادة، قال ابن إسحاق: وكان في ذاك العام أيضاً طاعون عمواس فتفانى فيها أُناس[٤].

وفي (عيون القتيبي): عن وهب بن منبه قال: أوحى الله تعالى إلى نبي من بني اسرائيل يقال له أرميا حين ظهرت فيهم المعاصي: أن قم بين ظهراني قومك فأخبرهم أنّ لهم قلوباً ولا يفقهون وأعيناً ولا يبصرون وآذاناً ولا يسمعون، وإنّي تذكرت صلاح آبائهم فعطفني ذلك على أبنائهم، سلهم كيف وجدوا غب طاعتي؟ وهل سعد أحد ممن عصاني بمعصيتي؟ وهل شقى أحد ممن أطاعني بطاعتي؟ إنّ الدواب تذكر أوطانها فتنزع إليها وإنّ هؤلاء القوم تركوا الأمر الذي أكرمت عليه آباءهم والتمسوا الكرامة من غير وجهها، أمّا أحبارهم فأنكروا حقي وأمّا قراؤهم فعبدوا غيري، واما نسّاكهم فلم ينتفعوا بما علموا من حكمتي، وأما ولاتهم فكذبوا عليّ وكذبوا رسلي، خزنوا المكر في قلوبهم وعوّدوا الكذب ألسنتهم، وإنّي أُقسم بجلالي وعزتي لأتيحنّ عليهم

---

(١) المصدر نفسه ٢: ٢٧٦ ح٣١.

(٢) الكافي ٢: ٢٧٢ الرواية (١٦).

(٣) المصدر نفسه ٢: ٢١٣ الرواية (١٧).

(٤) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٣: ١٩٠.

جنوداً لا يفقهون ألسنتهم ولا يعرفون وجوههم ولا يرحمون بكاءهم ولأبتعثن فيهم ملكاً جباراً قاسياً له عساكر كقطع السحاب ومواكب كأمثال العجاج، كأن خفقان راياته طيران النسور وكأنّ حمل فرسانه كرّ العقاب، يعيدون العمران خراباً ويتركون القرى وحشة، فيا ويل إيليا وسكّانها كيف أذللّهم للقتل وأسلّط عليهم السباء وأعيد بعد لجب الأعراس صراخ الهام، وبعد صهيل الخيل عواء الذئب وبعد شرفات القصور مساكن السباع وبعد ضوء السرج رهج العجاج، ولأُبدّلن رجالهم بتلاوة الكتاب انتهارالأرباب وبالعزّ الذل وبالنعمة العبودية، ولأبدلن نساءهم بالطيب التراب وبالمشي على الزرابي الخبب، ولأجعلن أجسادهم زبلاً للأرض وعظامهم ضاحية للشمس.

وفي رواية: ثم لآمرنّ السماء فلتكونن طبقاً من حديد والأرض فلتكونن سبيكة من نحاس، فإن أمطرت السماء وأنبتت الأرض شيئاً في خلال ذلك فبرحمتي للبهائم، ثم أحبسه في زمن الزرع وأرسله في زمن الحصاد، فإن زرعوا خلال ذلك شيئاً سلّطت عليه الآفة، فإن خلص منه شيء نزعت منه البركة، فإن دعوني لم أجبهم وإن سألوني لم أُعطهم وإن بكوا لم أرحمهم وإن تضرّعوا صرفت وجهي عنهم[1].

وعن أبي جعفر عليه السلام: أما إنّه ليس من سنة أقلّ مطراً من سنة، ولكن الله يضعه حيث يشاء، إنّ الله تعالى إذا عمل قوم بالمعاصي صرف عنهم ما كان قدر لهم من المطر في تلك السنة إلى غيرهم وإلى الفيافي والبحار والجبال، وإنّ الله تعالى ليعذّب الجعل في جحرها بحبس المطر من الأرض التي بمحلتها بخطايا من بحضرتها، وقد جعل الله لها السبيل إلى مسلك سوى محلة أهل

(١) عيون الأخبار ٢: ٢٦١ ـ ٢٦٢.

المعاصي. ثم قال: ﴿...فاعتبروا يا أُولي الأبصار﴾[١].

ثم قال عليه السلام: وجدنا في كتاب عليّ عليه السلام أن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إذا ظهر الزنا كثر موت الفجأة، وإذا طفف المكيال أخذهم الله بالسنين والنقص، وإذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركاتها من الزرع والثمار والمعادن كلها، وإذا جاروا في الأحكام تعاونوا على الظلم والعدوان، وإذا نقضوا العهود سلّط الله عليهم شرارهم فيدعو عند ذلك خيارهم فلا يستجاب لهم.

«ليتوب تائب» ﴿ولقد أرسلنا إلى أُمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضرّاء لعلهم يتضرعون﴾[٢].

«ويقلع» أي: يكف عن الجناية.

«مقلع ويتذكر متذكر» ﴿ولقد صرفناه بينهم ليذكروا...﴾[٣] ﴿ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر﴾[٤].

«ويزدجر» أي يمتنع.

«مزدجر» ﴿ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر﴾[٥].

«وقد جعل الله» هكذا في (المصرية)[٦] والصواب: «وقد جعل الله سبحانه» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٧].

«الاستغفار سبباً لدرور» من: درّ الضرع باللبن دروراً.

---

(١) الحشر: ٢.

(٢) الأنعام: ٤٢.

(٣) الفرقان: ٥٠.

(٤) القمر: ١٧.

(٥) القمر: ٤.

(٦) الطبعة المصرية: ٢٧٨.

(٧) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٦٨، انظر شرح ابن ميثم الرواية (١٤٢). أما الخطية ففي الصفحة ١١٧.

«الرزق فقال» حكاية عن نوح عليه السلام لقومه.

﴿استغفروا ربكم إنّه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً﴾[١] أي: تدرّ بالمطر كثيراً ومراراً.

﴿ويمددكم بأموال وبنين﴾[٢] في (الكافي): قال رجل لأبي عبدالله عليه السلام: لا يولد لي. فقال: استغفر ربك في السحر مائة مرة فإن نسيته فاقضه[٣].

وفيه: عن الأبرش الكلبي: شكا إلى أبي جعفر عليه السلام أنه لا يولد له. قال: استغفر الله في كل يوم أو كل ليلة مائة مرة، فإنّه تعالى يقول ﴿...استغفروا ربكم إنّه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً * ويمددكم بأموال وبنين...﴾[٤] وتتمة الآية الأخيرة ﴿ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾.

«فرحم الله امرأ استقبل توبته» قال هود لقومه ﴿ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين﴾[٥].

«واستقال خطيئته» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله نزل بأرض قرعاء، فقال لأصحابه: إيتونا بحطب. فقالوا: نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب. قال: فليأت كل إنسان بما قدر عليه. فجاؤوا به حتى رموا بين يديه بعضه على بعض فقال صلى الله عليه وآله: هكذا تجتمع الذنوب ثم قال: إيّاكم والمحقّرات من الذنوب، فإنّ لكل شيء طالباً الا وإنّ طالبها يكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾.

---

(١) نوح: ١٠ ـ ١١.

(٢) نوح: ١٢.

(٣) الكافي ٦: ٦٩٩.

(٤) نوح: ١٠ ـ ١٢.

(٥) هود: ٥٢.

«وبادر منيته» ﴿أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرّطت في جنب الله...﴾[1].

«اللهم إنّا خرجنا إليك من تحت الأستار والأكنان» والمراد بها لبيوت.

«وبعد عجيج» أي: رفع صوت.

«البهائم والولدان راغبين في رحمتك» التي وسعت كل شيء.

«وراجين نعمتك» المسبغة على عبادك ظاهرة وباطنة.

«وخائفين من عذابك ونقمتك» أي الآيسين من رحمتك.

«ولا تهلكنا بالسنين» أي: سني القحط والغلاء.

وفي (القاموس)[2]: في (الشغر) قال ابن هشام حفر السيل عن قبر باليمن فيه امرأة في عنقها سبع مخانق من در وفي يديها ورجليها من الأسورة والخلاخيل والدماليج سبعة سبعة وفي كل إصبع خاتم فيه جوهرة مثمنة وعند رأسها تابوت مملوّ مالاً ولوح فيه مكتوب «باسمك اللهم الرحمن الرحيم، أنا تاجة بنت ذي شغر بعثت مائرنا الى يوسف فابطأ علينا، فبعثت لاذني بمدمن ورق لتأتيني بمدمن طحين فلم تجده، فبعثت بمد من ذهب فلم تجده، فبعثت بمد من بحري فلم تجده، فأمرت به فطحن فلم انتفع به، فاقتلفت فمن سمع بي فليرحمني وأية امرأة لبست حلياً من حليتي فلا ماتت إلّا ميتتي».

وفي (الكافي)[3] عن الصادق عليه السلام: إنّ قوماً أُفرغت عليهم النعمة وهم أهل الثرثار، فعمدوا إلى مخ الحنطة فجعلوها خبزاً وجعلوا ينجون به

---

(١) هود: ٥٦.

(٢) القاموس: ٥٣٥، مادة (شَغَرَ).

(٣) الكافي ٣: ٦٦٢ ح ١.

صبيانهم، حتى اجتمع من ذلك جبل عظيم، فمرّ بهم رجل صالح وامرأة تفعل ذلك بصبي لها، فقال: ويحكم اتقوا الله ولا تغيّروا ما بكم من نعمة. فقالت له: كأنّك تخوّفنا بالجوع، أما ما دام ثرثارنا يجري فإنّا لا نخاف الجوع. فأسف الله تعالى فأضعف لهم الثرثار وحبس عنهم قطر السماء ونبات الأرض فاحتاجوا إلى ذلك الجبل وانه كان ليقسم بينهم بالميزان[١].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: كان نبي في من كان قبلكم يقال له دانيال، وإنّه أعطى صاحب معبر رغيفاً لكي يعبر به، فرماه وقال: ما أصنع به؟ الخبز عندنا يداس بالأرجل. فلما رأى ذلك دانيال رفع يده إلى السماء ثم قال: اللهم أكرم الخبز فقد رأيت ما صنع هذا العبد وما قال. فأوحى الله تعالى إلى السماء أن تحبس الغيث وإلى الأرض أن كوني طبقاً كالفخار، فلم يمطروا حتى بلغ من أمرهم أنّ بعضهم أكل بعضاً، فلما بلغ منهم ما أراد الله تعالى من ذلك قالت امرأة لأُخرى ولهما ولدان: يا فلانة تعالي حتى نأكل أنا وأنت اليوم ولدي، وإذا كان غداً أكلنا ولدك. قالت لها: نعم، فأكلتاه فلما أن جاعتا راودت الأُخرى على أكل ولدها فامتنعت عليها. فقالت لها: بيني وبينك نبي الله. فاختصمتا إلى دانيال فقال لهما: بلغ الأمر إلى ذلك؟ قالتا: وأشدّ. فرفع يده إلى السماء فقال: اللهم عد علينا بفضلك ورحمتك ولا تعاقب الأطفال ومن فيه خير بذنب صاحب المعبر. فأمر الله تعالى إلى السماء أن امطري على الأرض وإلى الأرض أن أنبتي لخلقي ما فاتهم من خيرك، فإنّي لأرحمنهم بالطفل الصغير[٢].

**«ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منّا يا ارحم الراحمين»** يؤاخذ الله تعالى الحلماء بفعل السفهاء لانهم لا يأخذون على أيديهم.

---

(١) الكافي ٦: ٣٠١ ح١.

(٢) الكافي ٦: ٣٠١ ح٢.

وفي الخبر: أوحى الله تعالى إلى شعيب النبيّ أنّي معذِّب من قومك مائة ألف، أربعين من شرارهم وستين من خيارهم. فقال عليه السلام: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار. فأوحى تعالى إليه: لأنّهم داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي[١].

«**اللهم إنّا خرجنا إليك نشكو إليك ما لا يخفي عليك**» والشكاية إليه تعالى ليس فيها كراهة، قال تعالى حكاية عن يعقوب: «إنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله» وإنّما المذموم الشكاية منه تعالى.

«**حين ألجأتنا**» أي: اضطرتنا.

«**المضايق**» جمع المضيقة.

«**الوعرة**» أي: الصعبة.

«**واجاءتنا**» أي: جاءت بنا اضطراراً. قال زهير:

وجار سار معتمداً إليكم    أجاءته المخافة والرجاء[٢]

«**المقاحط**» جمع المقحطة.

«**المجدبة**» والجدب: يبس الأرض وانقطاع المطر.

«**وأعيتنا**» أي: أعجزتنا.

«**المطالب المتعسرة وتلاحمت علينا**» أي: صارت كالمتلاحمة الشجة التي أخذت في اللحم.

«**الفتن المستصعبة**» قال اعرابي: اللهم أنت الرب يستغاث، لك الحياة ولك الميراث، وقد دعاك الناس وعندك الغياث، لم يبق إلّا عكرس انكاث، وشيح أُصولها مباث، وطاحت الألبان والأرماث.

---

(١) تهذيب الأحكام للطوسي ٦: ١٨١ ح٢١ الباب ٢٢.

(٢) الصحاح للجوهري: ٤٢ مادة (جيأ).

«اللهم إنّا نسألك ألا تردّنا خائبين» خاب الرجل: إذا لم ينل ما طلب.

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: لما استسقى النبيّ صلى الله عليه وآله وسقي الناس حتى قالوا إنّه الغرق. فقال بيده -وردّها- «اللهم حوالينا ولا علينا» فتفرق السحاب، فقالوا: يا رسول الله استسقيت لنا فلم نسق ثم استسقيت فسقينا. قال: إنّي دعوت وليس لي في ذلك نية ثم دعوت ولي في ذلك نية[1].

«ولا تقلبنا واجمين» الواجم الذي اشتدّ حزنه حتى أمسك عن الكلام.

«ولا تخاطبنا بذنوبنا» بأن تقول لنا: يا مذنبون. بل خاطبنا باسمك ووصفك يا مرحومين ويا معفوين.

«ولا تقايسنا» ومصدره القياس كالمقايسة.

«بأعمالنا» فنكون من المهلكين.

«اللهم انشر علينا غيثك» المطر عقيب المحل وعند الحاجة إليه.

«وبركتك ورزقك ورحمتك» في (الروضة) عن النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى جعل السحاب غرابيل للمطر تذيب البرد حتى يصير ماء لكيلا يضرّ شيئاً، والذي ترون فيه من البرد والصواعق نقمة من الله تصيب بها من يشاء من عباده[2].

«واسقنا سقياً نافعة مروية» من (أرواه) من الماء.

«معشبة» جائية بالعشب، أي: الكلاء الرطب في أول الربيع.

«تنبت بها ما قد فات وتحيى بها ما قد مات».

في (الروضة)[3] عن أبي عبدالله عليه السلام: اتى قوم النبيّ صلى الله عليه وآله فقالوا: إنّ

---

(١) الكافي للكليني ٢: ٢٧٤ الرواية ٥.

(٢) الكافي ٨: ٢٣٩ الرواية ٣٢٦ الباب (٨).

(٣) الروضة: ٢١٧ ح ٢٦٦.

بلادنا قد قحطت وتوالت السنون علينا فادع الله تعالى يرسل السماء علينا. فأمر بالمنبر فأُخرج واجتمع الناس فصعده ودعا وأمر الناس أن يؤمّنوا، فلم يلبث أن هبط جبرئيل فقال: أخبر الناس أنّ ربك قد وعدهم أن يمطروا اليوم كذا وكذا وساعة كذا وكذا، فلم يزل الناس ينتظرون ذلك اليوم وتلك الساعة حتى إذا كانت أهاج الله تعالى ريحاً فأثارت سحاباً وجللت السماء وأرخت عزاليها، فجاء أُولئك النفر بأعيانهم إلى النبيّ ﷺ فقالوا: ادع الله أن يكفّ السماء عنّا فإنّا كدنا أن نغرق. فاجتمع الناس ودعا النبيّ ﷺ وأمر أن يؤمّنوا على دعائه، فقال له رجل: اسمعنا فإنّ كل ما تقول ليس يسمع. فقال: قولوا «اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم صبها في بطون الأودية وفي نبات الشجر وحيث يروى أهل الوبر، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً»[1].

«**نافعة الحيا**» في (فقه اللغة): إذا أحيى المطر الأض بعد موتها فهو الحيا، وفي (الصحاح) الحيا المطر والخصب.

«**كثيرة المجتنى**» من اجتنيت الثمرة.

هذا وفي (الأغاني): قال إسحاق بن أيوب بن سلمة: اعتمرت في رجب سنة (١٠٥) فصادفني ابن ميادة بمكة قدمها معتمراً، فأصابنا مطر شديد تهدمت منه البيوت وتوالت فيه الصواعق، فجلس إليّ ابن ميادة غد ذاك اليوم، فجعل يأتيني من قومي وغيرهم فأستخبرهم عن ذلك الغيث فيقولون: صعق فلان وانهدم منزل فلان، فقال ابن ميادة: هذا العيث لا الغيث.

فقلت: فما الغيث عندك؟ فقال:

سحائب لامن صيب ذي صواعق ‏ ‏ ‏ ‏ ولا محرقات ماؤهن حميم

---

(١) الكافي للكليني ٨: ٢١٧ ح٢٦٦.

إذا ما هبطن الأرض قد مات عودها بكين بها حتى يعيش هشيم[(١)]

«تروى» من أرواه من الماء.

«بها القيعان» جمع القاع: المستوي من الأرض.

«وتسيل» من سال الماء وأساله غيره.

«البطنان» جمع البطن: الغامض من الأرض.

«وتستورق الأشجار» أي: يخرج ورقها.

«وترخص الأسعار انك على كل شيء قدير» فافعل بنا ما سألنا.

وروى (توحيد الصدوق): إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله مر بالمحتكرين فأمر بحكرتهم أن تخرج إلى بطون الأسواق وحيث تنظر الأبصار إليها، فقيل له صلى الله عليه وآله: لو قومت عليهم. فغضب حتى عرف الغضب في وجهه وقال: أنا أقوم عليهم، إنّما السعر إلى الله عزّ وجلّ يرفعه إذا شاء ويخفضه إذا شاء[(٢)].

وروى أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لما قيل له: لو أسعرت فإنّ الاسعار تزيد وتنقص، قال: ما كنت لألقى الله تعالى ببدعة لم يحدث لي فيها شيئاً، فدعوا عباد الله يأكل بعضهم من بعض[(٣)].

وعن السجاد عليه السلام: ان الله تعالى وكل بالسعر ملكاً يدبره بأمره[(٤)].

## ٣
## من الحكمة (٤٧٢)

وقال عليه السلام في دعاء استسقى به:

اللهُمَّ اسقِنَا ذُلُلَ السحابِ دُونَ صِعَابِهَا.

---

(١) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٢: ٣٢٣.

(٢) التوحيد للصدوق: ٣٨٨ ح ٣٣، لم يأتِ الشيخ الطوسي في النهاية على ذكره بل اكتفى بالإشارة ص١٣٩.

(٣) من لا يحضره الفقيه للصدوق ٣: ٢٦٨، الرواية ٣٩٦٩، الباب ٢.

(٤) الكافي للكليني ٥: ١٦٣ الرواية ٣.

أقول: رواه كتب غريب الحديث، كما يظهر من (النهاية) وحيث إنه عليه السلام دعا لذلل السحاب ننقل أوصاف السحاب وأسماءها من (فقه لغة الثعالبي)، فقال: أوّل ما ينشأ السحاب فهو النشئ، فإذا انسحب في الهواء فهو السحاب، فإذا تغيّرت له السماء فهو الغمام، فإذا كان غيماً ينشأ في عرض السماء فلا تبصره ولكن تسمع رعده من بعيد فهو العقر، فإذا أظلّ السماء فهو العارض، فإذا كان ذا رعد وبرق فهو العراص، فإذا كانت السحاب قطعاً صغاراً متدانياً بعضها من بعض فهي النمرة، فإذا كانت متفرقة فهي القزع، فإذا كانت قطعاً متراكمة فهي الكرفي، فإذا كانت كأنّها قطع الجبال فهي قلع وكنهور واحدتها كنهورة، فإذا كانت قطعاً مستدقة رقاقاً فهي الطخارير واحدتها طخرور، فإذا كانت حولها قطع من السحاب فهي مكللة، فإذا كانت سوداء فهي طخياء ومتطخطخة، فإذا رأيتها وحسبتها ماطرة فهي مخيلة، فإذا غلظ السحاب وركب بعضه بعضاً فهو المكفهر فإذا ارتفع ولم ينبسط فهو النشاص، فإذا انقطع في أقطار السماء وتلبد بعضه فوق بعض فهو القرد، وإذا ارتفع وحمل الماء وكثف وأطبق فهو العماء والعماية والطخاء والطخاف والطهاء، فإذا اعترض اعتراض الجبل قبل أن يطبق السماء فهو الحيا، فإذا عن فهو العنان، فإذا أظل الأرض فهو الدجن، فإذا اسودّ تراكب فهو المحمومي، فإذا تعلق سحاب دون السحاب فهو الرباب، فإذا كان سحاب فوق السحاب فهو الغفارة، فإذا تدلى ودنا من الأرض مثل هدب القطيفة فهو الهيدب، فإذا كان ذا ماء كثير فهو القنيف، فإذا كان أبيض فهو المزن والصبير، فإذا كان لرعده صوت فهو الهزيم، فإذا اشتد صوت رعده فهو الأجشّ فإذا كان بارداً وليس فيه ماء فهو الصرار، فإذا كان خفيفاً تسفره الريح فهو الزبرج، فإذا كان ذا صوت شديد

فهو الصيب، فإذا هراق ماؤه فهو الجهام. ويقال بل ما لا ماء فيه[1].

ثم الظاهر أنّ المراد بذلل السحاب سحاب إذا ظهر أمطر وأكثر، وبصعابها سحاب ترعد وتبرق وتتكاثف وتتداني ولا ترى منها أثراً.

هذا، وفي (الأُسد): استسقى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: «اللهم اسقنا» فقال أبو لبابة له صلى الله عليه وآله: إنّ التمر في المربد وما في السماء سحاب نراه. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله ثلاثاً «اللهم اسقنا» وقال في الثالثة «حتى يقوم أبو لبابة عرياناً يسدّ ثعلب مربده بإزاره». فاستهلت السماء وأمطرت مطراً شديداً، فأطافت الأنصار بأبي لبابة وقالوا له: إنّ السماء لن تقلع حتى تقوم عرياناً فتسدّ ثعلب مربدك بأزارك كما قال النبيّ صلى الله عليه وآله، فقام فسد ثعلب مربده بأزاره فأقلعت السماء[2].

قول المصنّف: «قال الرضي» إنّه من كلام الشراح فليس في (الخطية) رأساً وفي (ابن ميثم) «قال السيد»[3].

«وهذا من الكلام العجيب الفصاحة» ككثير من كلامه عليه السلام.

«وذلك أنّه عليه السلام شبه السحاب ذوات الرعود» قال الثعالبي في (فقه لغته): تقول العرب رعدت السماء، فإذا زاد صوتها قيل أرزمت ودوّت، فإذا زاد واشتدّ قيل قصفت وقعقعت، فإذا بلغ النهاية قيل جلجلت وهدهدت[4].

«والبوارق» قال الثعالبي أيضاً: عن الأصمعي وأبي زيد: إذا برق البرق كأنه يبتسم وذلك بقدر ما يريك سواد الغيم من بياضه قيل انكل انكلالا، فإذا بدأ من السماء برق يسير قيل أوشمت السماء ومنه قيل «أوشم النبت» إذا أبصرت أوّله، فإذا برق برقاً ضعيفاً قيل خفى يخفى عن أبي عمرو، وخفا

---

(١) فقه اللغة للثعالبي: ٢٧٤ ـ ٢٧٥.

(٢) أُسد الغابة لابن الأثير ٥: ٢٨٤.

(٣) النسخة الخطيّة: سقطت منه العبارة، شرح ابن ميثم ٥: ٤٦٥ الرواية ٢٧٦.

(٤) فقه اللغة للثعالبي: ٢٧٦.

يخفو عن الكسائي، فإذا لمع لمعاً خفيفاً قيل لمح وأومض، فإذا تشقق قيل انعق انعقاقاً، فإذا ملأ السماء وتكشف واضطرب قيل تبوج، فإذا كثر وتتابع قيل ارتعج، فإذا لمع وأطمع ثم عدل قيل له خُلب[١].

«والرياح والصواعق» قال الثعالبي أيضاً: إذا وقعت الريح بين الريحين فهي النكباء، فإذا وقعت بين الجنوب والصبا فهي الجربيا، فإذا هبت من جهات مختلفة فهي المتناوحة، فإذا كانت لينة فهي الريدانة، فإذا جاءت بنفس ضعيف وروح فهي النسيم، فإذا كان لها حنين كحنين الإبل فهي الحنون، فإذا ابتدأت بشدة فهي النافجة، فإذا كانت شديدة فهي العاصف والسيهوج، فإذا كانت شديدة ولها زفزفة وهي الصوت فهي الزفزافة، فإذا اشتدت حتى تقلع الخيام فهي الهجوم، فإذا حرّكت الأغصان تحريكاً شديداً وقلعت الأشجار فهي الزعزع والزعزاع والزعزعان، فإذا جاءت بالحصباء فهي الحاصبة، فإذا درجت حتى ترى لها ذيلا كالرسن في الرمل فهي الدروج، فإذا كانت شديدة المرور فهي النئوج، فإذا كانت سريعة فهي المجفل والجافة، فإذا هبت من الأرض نحو السماء كالعمود فهي الإعصار ويقال لها زوبعة أيضاً، فإذا هبت بالغبرة فهي الهبوة، فإذا حملت المور وجرت الذيل فهي الهوجاء، فإذا كانت باردة فهي الحرجف والصرصر والعرية فإذا كان مع بردها ندى فهي البليل، فإذا كانت حارة فهي الحرور والسموم، فإذا كانت حارة وأتت من قبل اليمن فهي الهيف، فإذا كانت باردة شديدة تخرق الثوب فهي الخريق، فإذا ضعفت وجرت فويق الأرض فهي المسفسفة، فإذا لم تلقح شجراً ولم تحمل مطراً فهي العقيم وقد نطق بها القرآن[٢].

---

(١) فقه اللغة : ٢٧٦ ـ ٢٧٧ .

(٢) فقه اللغة : ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

«بالابل الصعاب التي تقمص برحالها» قال الجوهري: يقال دابة فيها قماص، وهو أن ترفع يديها وتطرحهما معاً وتعجن برجليها، وفي المثل «ما بالعير من قماص» وهو الحمار يضرب لمن ذلّ بعد عز[١].

وفي (الأساس): قمصت الناقة بالرديف: مضت به نشيطة، قال لبيد:

عذافرة تقمص بالردا في تخونها نزولي وارتحالي[٢]

«وتقص» هكذا في (المصرية)[٣] والصواب: «وتتوقص» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٤].

وفي (الأساس): «توقصت الركاب توقصاً»، وهو نزوها مع القرمطة كأنها تكسر الخطو[٥].

«بركبانها» جمع الركب أصحاب الإبل في السفر.

«وشبه السحاب خالية» هكذا في (المصرية)[٦] والصواب: «الخالية» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية).

«من تلك الروائع» جمع الروعة بالفتح أي: الفزعة.

«بالإبل الذلل التي تحتلب طيعة» أي: طائعة.

«وتقعد» في (الصحاح): القَعود البعير الذي يقتعده الراعي في كل حاجة، وهو بالفارسية رخت، وبتصغيره جاء المثل «اتخذوه قعيد الحاجات» إذا امتهنوا الرجل في حوائجهم.

---

(١) الصحاح للجوهري ٢: ٥٤ مادة (قمص).

(٢) أساس البلاغة للزمخشري : ٣٧٧.

(٣) الطبعة المصرية : ٢٧٨.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٢٢٩، وابن ميثم ٥: ٤٦٥ بلفظ «تقص».

(٥) أساس البلاغة : ٥٠٦ مادة (وقص).

(٦) الطبعة المصرية : ٢٧٨.

«مسمحة» أي: ذلولة.

هذا، وروى (العيون): أنّ المأمون لما جعل الرضا عليه السلام ولي عهده احتبس المطر، فجعل بعض حاشية المأمون من المتعصبين عليه عليه السلام يقولون انظروا لما جاءنا علي بن موسى وصار ولي عهدنا حبس عنا المطر، فاتصل ذلك بالمأمون فاشتد عليه فقال له عليه السلام: لو دعوت الله. قال: نعم. قال: متى ـ وكان يوم الجمعة ـ فقال: يوم الاثنين. قال النبيّ صلى الله عليه وآله: أتاني البارحة في منامي ومعه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا بني انتظر يوم الاثنين فابرز إلى الصحراء واستسق فإنّ الله تعالى سيسقيهم وأخبرهم بما يريك الله مما لا يعلمون من حالهم ليزداد علمهم بفضلك ومكانك من ربك تعالى. فلما كان يوم الاثنين غدا إلى الصحراء وخرج الخلائق ينظرون، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «اللهم يا ربّ أنت عظّمت حقنا أهل البيت فتوسلوا بنا كما أمرت وأمّلوا فضلك ورحمتك وتوقّعوا إحسانك ونعمتك فاسقهم سقياً نافعاً عاماً غير رائث ولا ضائر، وليكن ابتداء مطرهم بعد انصرافهم من مشهدهم هذا إلى منازلهم ومقارّهم». فو الذي بعث محمّداً بالحق لقد نسجت الرياح في الهواء الغيوم وأرعدت وأبرقت وتحرك الناس كأنهم يريدون التنحي عن المطر، فقال عليه السلام: على رسلكم فليس هذا الغيم لكن إنّما هو لأهل بلد كذا. فمضت السحابة وعبرت ثم جاءت أُخرى تشتمل على رعد وبرق فتحركوا فقال عليه السلام: على رسلكم انما هو لأهل بلد كذا. حتى جاءت عشر سحابة في كلها يقول عليه السلام: هي لبلد كذا. ثم أقبلت سحابة فقال عليه السلام: هذه لكم فاشكروا الله وإنّها ممسكة عنكم إلى ان تدخلوا مقارّكم. فانصرفوا إلى ان قربوا من بيوتهم فجاءت بوابل المطر فملأت الأودية والحياض والغدران والفلوات، فجعلوا

يقولون: هنيئاً لولد رسول الله كراماته تعالى...[١].

## ٤
## من الخطبة (٥٣)

ومن كلام له عليه السلام في ذكر يوم النحر:

**وَمِنْ كَمَالِ الأَضْحِيَةِ اسْتِشْرَافُ أُذُنِهَا وَسَلاَمَةُ عَيْنِها، فإِذا سَلِمَتِ الأُذُنْ وَالعَيْنُ سَلِمَتِ الأَضْحِيَةُ وَتَمَّتْ، وَلَوْ كانَتْ عَضْباءَ القَرْنِ تَجُرُّ رِجْلَها إلى الْمَنْسِكِ.**

قال الشريف: والمنسك هنا المذبح.

قول المصنّف: «ومن كلام له عليه السلام في ذكر يوم النحر» هكذا في (المصرية)[٢] ولكن في (ابن ميثم): «ومن كلام له عليه السلام يوم النحر في صفة الأضحية» وفي (الخطية وابن أبي الحديد): «ومنها في ذكر يوم النحر وصفة الأضحية» والصواب: ما في (ابن ميثم) لأنّ العنوان ليس فيه إلّا صفة الأضحية[٣].

وكيف كان فالعنوان جزء من خطبته عليه السلام في يوم النحر رواها (الفقيه) بتمامها في باب صلاة العيدين -إلى أن قال: وإنّ هذا يوم حرمته عظيمة وبركته مأمولة والمغفرة فيه مرجوة، فأكثروا ذكر الله تعالى واستغفروه وتوبوا إليه إنّه هو التواب الرحيم، ومن ضحى منكم بجذع من المعز فإنّه لا يجزي عنه والجذع من الضأن يجزي، ومن تمام الأضحية استشراف عينها وأُذنها وإذا سلمت العين والأذن تمت الأضحية، وإن كانت عضباء القرن أو

---

(١) عيون أخبار الرضا للصدوق: ١٣.

(٢) الطبعة المصرية المصححة «في ذكر النحر وصفة الأضحية»: ١٥٥.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٤، شرح ابن ميثم ٢: ١٤٢ ورد «في ذكر يوم النحر»، النسخة الخطية: ٣٧ «في ذكر يوم النحر وصفة الأضحية».

تجر برجلها فلا تجزي وإذا ضحيتم فكلوا وأطعموا واهدوا واحمدوا الله على ما رزقكم من بهيمة الأنعام...»[١].

قوله عليه السلام: «ومن كمال» هكذا في (المصرية)[٢] والصواب: «ومن تمام» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٣]، وكما في مستنده (الفقيه).

«الأضحية» في (إصلاح المنطق) قال الأصمعي: فيها أربع لغات أضحية وأضحيّة ـ وجمعها أضاحي ـ وضحية ـ وجمعها ضحايا ـ وأضحاة وجمعها أضحى، كما يقال أرطاة وأرطى، وبه سمي يوم الأضحى. وقال الفراء: الأضحى مؤنثة وقد تذكّر يذهب بها إلى اليوم وأنشد:

رأيتكم بني الحذواء لما ... دنا الأضحى وصللت اللحام
توليتم بودكم وقلتم ... لعك منك أقرب أو جذام[٤]

«استشراف أُذنها» قد عرفت أنّ رواية (الفقيه) «استشراف عينها وأُذنها».

قال الجوهري: استشرفت الشيء إذا رفعت بصرك تنظر إليه وبسطت كفك فوق حاجبك كالذي يستظل من الشمس، ومنه قول ابن نظير:

فيا عجباً للناس يستشرفونني ... كأنْ لم يروا بعدي محبّاً ولا قبلي[٥]

وروى (المعاني)[٦] و(التهذيب) عنه عليه السلام قال: أمرنا النبيّ صلى الله عليه وآله في الأضاحي أن نستشرف العين والأذن، ونهانا عن الخرقاء والشرقاء

(١) من لا يحضره الفقيه للصدوق ١: ٥٢٠ الرواية ١٤٨٤.

(٢) الطبعة المصرية: ١٥٥.

(٣) شرح ابن ميثم ٢: ١٤٢ بلفظ «من كمال» أما ابن أبي الحديد والخطية فبلفظ «من تمام» ٤: ٤.

(٤) إصلاح المنطق لابن السكيت: ٢٩٨.

(٥) الصحاح للجوهري ٣: ١٣٨٠.

(٦) معاني الأخبار ٢: ٥٨.

والمقابلة والمدابرة[١].

وزاد الأوّل «الخرقاء» أن يكون في الأُذن ثقب مستدير و «الشرقاء» المشقوقة الأذن باثنين حتى ينفذ إلى الطرف، و «المقابلة» أن يقطع من مقدم اذنها شيء ثم يترك ذلك معلقاً لاينين كأنه زغبة، و «المدابرة» ان يفعل ذلك بمؤخر أُذن الشاة.

وفي (النهاية) -بعد ذكر تفسير (الصحاح) للاستشراف- ومنه حديث الأضاحي «أمرنا أن نستشرف العين والأُذن» أي: نتأمل سلامتهما من آفة[٢].

وفي (المغرب): قوله «فاستشرفوا العين والأُذن» أي: تأملوا سلامتهما من آفة أو عور.

ومما ذكرنا يظهر لك ما في قول ابن أبي الحديد والخوئي استشراف أُذنها: انتصابها وارتفاعها، أُذن شرفاء أي: منتصبة، وقول ابن ميثم واستشراف أُذنها: طولها...[٣].

«**وسلامة عينها**» قد عرفت أنّ في رواية (الفقيه) بدل ما هنا (استشراف أُذنها وسلامة عينها): «استشراف عينها وأُذنها».

«**وإذا سلمت الأُذن والعين**» قد عرفت أنّ رواية (الفقيه) بلفظ: «وإذا سلمت العين والأُذن».

«**سلمت الأضحية**» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: إن كان شق أُذن الأضحية وسماً فلا بأس، وإن كان شقاً فلا يصلح[٤].

وفي (الفقيه): سئل الكاظم عليه السلام عن الرجل يشتري الأضحية عوراء فلا

---

(١) تهذيب الأحكام للطوسي ٥: ٢١٢٠ الرواية ٥٤ من الباب ١، وفي من لا يحضره الفقيه ٢: ٤٨٩.

(٢) النهاية لابن الأثير ٢: ٤٦٢ مادة (شرف).

(٣) راجع شرح ابن أبي الحديد ٤٠: ٤، وشرح ابن ميثم ٢: ١٤٢.

(٤) الكافي للكليني ٤: ٤٩١ ح ١١.

يعلم الا بعد شرائها هل تجزي عنه؟ قال: نعم إلا أن يكون هدياً واجباً فلا يجوز أن يكون ناقصاً[١].

وفي (التهذيب): عن أحدهما عليهما السلام في ما إذا كانت الأُذن مشقوقة أو مثقوبة بسمة فقال: ما لم يكن منها مقطوعاً فلا بأس[٢].

ومر خبر شريح: نهانا النبيّ صلى الله عليه وآله عن الخرقاء والشرقاء والمقابلة والمدابرة. ومرّ كون الجميع من عيوب الأُذن.

«**ولو كانت عضباء القرن**» قال أبو زيد ـ كما في (الصحاح) ـ العضباء: الشاة المكسورة القرن الداخل وهو المشاش...[٣].

وفي (الجمهرة) ظبي أعضب: إذا انكسر أحد قرنيه، والأُنثى عضباء ويتشاءم به، قال الأخطل:

إنّ السيوف غدوها ورواحها    تركت هوازن مثل قرن الأعضب

وقال غيره:

غراب وظبي اعضب القرن خبرا    ببين وصردان العشي تصيح[٤]

هذا، وفي (الصحاح) ناقة عضباء أي: مشقوقة الاذن[٥]، وأمّا ناقة النبيّ صلى الله عليه وآله التي تسمى العضباء فإنما كان ذلك لقباً لها ولم تكن مشقوقة الأُذن[٦].

وفيه أيضاً: كانت للنبيّ صلى الله عليه وآله ناقة تسمى قصواء ولم تكن

---

(١) من لا يحضره الفقيه للصدوق ٢: ٤٩٦ رواية ٣٥٩ الباب (٢).

(٢) تهذيب الأحكام ٥ : ٢١٣، رواية ٥٧ الباب (١).

(٣) تهذيب الأحكام للطوسي ٥: ٢١٢ الرواية ٥٤ الباب (١).

(٤) جمهرة اللغة ١: ٣٥٤، مادة (عضب).

(٥) الصحاح للجوهري ١: ١٨٤، مادة (عضب).

(٦) المصدر نفسه ١: ١٨٤ مادة (عضب).

مقطوعة الاذن[١].

ومثله (القاموس): وقال في (جدع): لم تكن ناقة النبيّ صلى الله عليه وآله جدعاء ولا عضباء ولا قصواء وإنّما هن ألقاب مع أنّهما وهِما[٢]، فإنّ ابن دريد إنّما قال: كان اسمها العضباء ولم يقل لم يكن بها عيب[٣]، وكذلك الطبري إنّما روى عن محمّد بن إبراهيم التيمي «ان اسم ناقة النبيّ صلى الله عليه وآله كان القصواء والجدعاء والعضباء» ولم يقل لم يكن بها عيب[٤].

ومما يوضح أنّ الاسم لم يكن مجرداً ما رواه الطبري عن سعيد بن المسيب قال: كان اسم ناقة النبيّ صلى الله عليه وآله العضباء وكان في طرف أُذنها جدع[٥].

وكيف كان، فالمصنف حرف الرواية وأسقط جواب (لو) فجعلها وصلية فحصر عيب الأُضحية في العين والأُذن.

وكيف تجزى عضباء القرن وقد روى المشائخ الثلاثة عن السكوني عن جعفر عن آبائه عليهم السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله: لا يضحي بالعرجاء بين عرجها، ولا بالعوراء بين عورها، ولا بالعجفاء ولا بالخرقاء، ولا بالجذعاء ولا بالعضباء.

وزاد الأوّل «ولا الجرباء». وقال الأخيران العضباء مكسورة القرن.

وروى الأوّلان صحيحاً عن جميل عن الصادق عليه السلام في الأضحية يكسر قرنها. قال: ان كان القرن الداخل صحيحاً فهو يجزي[٦].

ورواه الأخير هكذا: في المقطوع القرن أو المكسور القرن إذا كان القرن

---

(١) المصدر نفسه ٤: ٢٤٦٢ مادة (قصا).

(٢) القاموس المحيط : ٩١٤، مادة (جدع).

(٣) جمهرة اللغة ١: ٣٥٤ مادة (عضب).

(٤) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٤٢٢.

(٥) المصدر نفسه ٢: ٤٢٢.

(٦) الكافي للكليني ٤: ٢٢٠ رواية ٧.

الداخل صحيحاً وإن كان القرن الظاهر الخارج مقطوعاً[١].

وقال ابن بابويه: قال الصفار إذا ذهب من القرن الداخل ثلثاه وبقي ثلثه فلا بأس بأن يضحى به[٢].

«**تجر رجلها إلى المنسك**» قد عرفت أنّ رواية الصدوق (وإن كانت عضباء القرن أو تجر برجلها فلا تجزي) فالمصنّف حرّف في حذف الجواب والعاطف ـ والظاهر أنّ قوله «إلى المنسك» مصحف «فلا تجزى» فليس كلمة «إلى المنسك» في رواية (الفقيه) ولا مناسبة لها، وإن كان (مصباح الشيخ) أيضاً نقله مثل المصنّف[٣]، فكما أنّ إجزاء العضباء خلاف مذهبنا كذلك إجزاء العرجاء، فقد عرفت ثمة رواية الثلاثة عن النبيّ صلى الله عليه وآله: لا يضحى بالعرجاء بيّن عرجها[٤].

ثم قد عرفت حكم عيب العين والأُذن والقرن والرجل، وأمّا باقي الاعضاء فقال ابن أبي عقيل يكره أن يضحى بالخصي، وقال ابن الجنيد: لا يجوز في الهدي نقص بعض الأعضاء، وقال الشيخ في (النهاية): لا يجوز في الهدي الخصى إلا أن لا يتمكن، وقال بجواز الموجوء[٥]، وقال العماني ـ كما في (المختلف) ـ لا تصحّ بالجداء وهي التي ليس لها إلّا ضرع واحد، والأخبار ظاهرة في الجواز[٦].

قول المصنّف: «والمنسك هنا المذبح» ليس في (ابن ميثم) رأساً. وكيف

---

(١) تهذيب الأحكام للطوسي ٥: ٢١٣، رواية ٥٦ باب ١ .

(٢) من لا يحضره الفقيه للصدوق ٢: ٤٩٦ رواية ٣٠٦٢ الباب (٢).

(٣) مصباح المتهجد: ٣٧.

(٤) تهذيب الأحكام للطوسي ٥: ٢١٣ رواية ٥٥ الباب (١).

(٥) النهاية في مجرد الفقه والفتاوي للطوسي : ٢٥٧.

(٦) لا وجود له في (مختلف الشيعة) للعلّامة الحلّي.

كان فالتقييد بهنا لأنّ المنسك يأتي كمعانٍ، ففي (الصحاح): نسكت الشيء: أي غسلته بالماء[١]، العبادة، والنسيكة الذبيحة، والجمع نسك ونسائك، والمنسك والمنسك ـ بفتح السين وكسره ـ الموضع الذي تذبح فيه النسائك.

هذا، وفي (طبقات كاتب الواقدي) قالوا: كان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا ضحى اشترى كبشين سمينين أقرنين أملحين، فإذا صلى وخطب اتى بأحدهما وهو قائم في مصلاه فذبحه بيده بالمدية ثم يقول: «اللهم هذا عن أُمتي جميعاً من شهد لك بالتوحيد وشهد لي بالبلاغ» ثم يؤتى بالآخر فيذبحه بيده ثم يقول «هذا عن محمّد وآل محمّد» فيأكل هو وأهله منها ويطعم المساكين[٢].

وفي (تنبيه المسعودي)[٣]: ضحى النبيّ صلى الله عليه وآله في سنة (٢) من الهجرة أول اضحى رآه المسلمون وامر بذلك، وخرج إلى المصلى وذبح به شاتين[٤].

وفي (تذكرة سبط ابن الجوزي)[٥]: قال أحمد بن حنبل في (فضائله): بإسناده عن عليّ عليه السلام قال: أمرني النبيّ صلى الله عليه وآله أن أُضحي عنه، فأنا أُضحي عنه أبداً. فكان عليه السلام يضحي عنه صلى الله عليه وآله إلى أن استشهد، بكبشين أملحين[٦].

قال محمّد بن شهاب الزهري: إنّما خص النبيّ صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام بذلك دون أقاربه وأهله لقربه منه، فكأنه فعل ذلك بنفسه[٧].

وفي (الطبري): خطب إبراهيم بن هشام المخزومي ـ خال هشام بن عبد

---

(١) الصحاح للجوهري ٣: ١٦١٢ مادة (نسك).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ١: ٢٤٩.

(٣) التنبيه للمسعودي: ٢٠٧.

(٤) تذكرة الخواص: ٤١.

(٥) تذكره الخواص لسبط ابن الجوزي: ٤١.

(٦) بحار الأنوار للمجلسي: ٢٢٠ الرواية ١٣ الباب (٩).

(٧) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٤١.

الملك ـ بمنى فقال: سلوني فأنا ابن الوحيد لا تسألون أحداً أعلم مني. فقام إليه رجل من أهل العراق فسأله عن الأضحية أهي واجبة؟ فما درى أي شيء يقول، فنزل[١].

وفيه أيضاً: ضحى أهل سامراء في سنة (٢٤٦) يوم الاثنين على الرؤية وأهل مكة يوم الثلاثاء، وقدم في سنة (٢٤٠) محمّد بن عبدالله بن طاهر بغداد منصرفاً من مكة في صفر فشكا ما ناله من الغم بما وقع من الخلاف في يوم النحر، فأمر المتوكل بإنفاذ خريطة صفراء من الباب إلى أهل الموسم برؤية هلال ذي الحجة وأن يسار بها كما يسار بالخريطة الواردة بسلامة الموسم.

وفي (عيون القتيبي): كان بالبصرة ثلاثة إخوة من ولد عتاب بن أسيد، كان احدهم يحج عن حمزة ويقول: استشهد قبل أن يحج. وكان الآخر يفطر عن عائشة أيام التشريق ويقول: غلطت في صومها أيام العيد فمن صام عن أبيه وأُمه فأنا أفطر عن أمي عائشة. وكان الآخر يضحى عن أبيبكر وعمر ويقول: أخطآ السنة في ترك الأُضحية[٢]. ونقل (بيان الجاحظ) عن الخليل: أنّ الثلاثة كانوا إخوة أبي قطبة البخيل[٣].

وفي (عقد ابن عبد ربه): قال الأصمعي: ولي رجل قضاء الأهواز فأبطأت عليه أرزاقه وليس عنده ما يضحي به، فشكا ذلك إلى امرأته واخبرها بما هو فيه من الضيق وأنّه لا يقدر على أضحية، فقالت له: لا تغتم فإنّ عندي ديكاً عظيماً قد سمنته، فإذا كان يوم الأضحى ذبحناه. فبلغ جيرانه الخبر فأهدوا له ثلاثين كبشاً وهو في المصلى لا يعلم فلما صار إلى منزله ورأى ما

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٤ : ١٢٨.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٥٥.

(٣) البيان والتبيان، لم نعثر عليه.

فيه من الأضاحي قال لامرأته من أين هذا؟ قالت: أهدى لنا فلان وفلان وفلان ـ حتى سمت له جماعة ـ فقال لها: يا هذه تحفظي بديكنا هذا فلهو أكرم على الله من إسحاق بن إبراهيم، إنّه فدى ذلك بكبش واحد وفدى ديكنا هذا بثلاثين كبشاً[1].

وفي (يتيمة الثعالبي)[2]: كتب الصابي إلى الشريف الموسوي السيد الرضي:

| | |
|---|---|
| مرجيك وصابيك | هذا الأضحى يهنيكا |
| ويدعو لك، والله | مجيب ما دعا فيكا |
| وقد أوجز إذ قال | مقالا وهو يكفيكا |
| أراني الله اعداءك | في حال أضاحيكا |

وفيه كتب الصابي إلى صمصام الدولة يهنيه بالأضحى:

| | |
|---|---|
| يا سنة البدر في الدياجي | وغرة الشمس في الصباح |
| صمصام حرب وغيث سلم | ناهيك في البأس والسماح |
| اسعد بفطر مضى واضحى | وافاك باليمن والنجاح |
| وانحر اعادي بني بويه | بالسيف في جملة الأضاحي |
| فالكل منهم ذوو قرون | يصلح للذهاب والنطاح |

وفيه كتب الصابي إلى عضد الدولة في عيد أضحى:

| | |
|---|---|
| وكفاك من نحر الأضاحي فيه ما | نحرت يمينك من طلا الاعداء |
| حرمت مآكلها علينا واغتدت | حلّاً لوحش القفر والبيداء |
| صل يا ذا العلا لربك وانحر | كل ضد وشأن لك أبتر |

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ٦: ٤٣٨.

(٢) اليتيمة للثعالبي ٢: ٣٣٠.

أنت أعلى من أن تكون أضاحيك قروماً من الجمال تعفر
بل قروماً من الملوك ذوي السؤدد تيجانها أمامك تنتثر
كلما خر ساجداً لك رأس منهم قال سيفك الله أكبر[١]

وفي (العقد): خطب عبدالله بن عامر بالبصرة في يوم أضحى، فأرتج عليه فمكث ساعة ثم قال: والله لا أجمع عليكم عياً ولؤماً من اخذ شاة من السوق فهي له وثمنها علي[٢].

وفي (كنايات الجرجاني): حكي أن المفضل الضبي بعث بأضحية هزيلة إلى شاعر، ثم لقيه فسأله عنها فقال: كانت قليلة الدم، فضحك المفضل: وقال مهلا أردت قوله:

ولو ذبح الضبي بالسيف لم تجد من اللؤم للضبي لحماً ولا دما[٣]

هذا، وفي (سنن أبي داود) عن النفيلي عن زهير عن أبي اسحاق عن شريح ابن النعمان ـ وكان رجل صدق ـ عن عليّ عليه السلام قال: أمرنا النبيّ صلى الله عليه وآله ان نستشرف العين والأذنين وألّا نضحي بعوراء ولا مقابلة ولا مدابرة ولا خرقاء ولا شرقاء. قال زهير: فقلت لأبي إسحاق أذكر عضباء؟ فقال: لا. قلت: فما المقابلة. قال: قطع طرف الأُذن. قلت: فالمدابرة؟ قال: قطع من مؤخر الأُذن. قلت: فالشرقاء؟ قال: شق الاذن. قلت: فالخرقاء؟ قال: خرق اذنها للسمة[٤].

وفي (ميزان الذهبي): عن عبدالرحمن بن محمّد بن حبيب الجرمي صاحب الانماط عن أبيه عن جدّه أنّه شهد خالداً ضحى بالجعد بن درهم[٥].

---

(١) يتيمة الدهر للثعالبي ٢: ٣٣٠.

(٢) العقد الفريد ٤: ١٤٩.

(٣) منتخب الكنايات للجرجاني: ٧٧.

(٤) سنن أبي داود ١: ٦٤١ ح ٤٨٠٤.

(٥) ميزان الاعتدال للذهبي ٢: ٥٨٥ ترجمة عبد الرحمن بن محمّد.

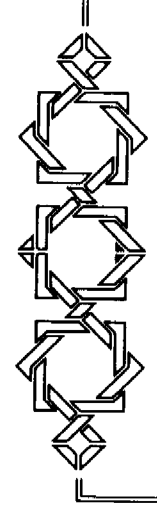
قلت: مراده بخالد خالد بن عبدالله القسري وبالجعد الذي ينسب مروان ابن محمّد بن مروان آخر خلفاء بني اُمية إليه، فكان معروفاً بمروان الجعدي كما كان معروفاً بمروان الحمار، كان جعد زنديقاً قالوا زعم أنّ الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى، وكان مروان على مذهبه فكان أهل الموصل يقولون لمروان: يا جعدي يا معطل، قتل جعداً خالد القسري بالعراق يوم النحر وجعله عوض أضحية[1].

---

(١) ميزان الاعتدال ١: ٣٩٩ في ترجمة الجعد بن درهم.

# الفصل الثاني والخمسون

# في الاقبال والادبار





## ١
## من الحكمة (٨)

قال عليه السلام:

**إذا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا على أَحَدٍ أعارَتهُ محاسِنَ غَيْرِهِ، وإِذَا أَدْبَرَتْ عنْهُ سَلَبَتْهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ.**

أقول: الأصل فيه كما في (مروج المسعودي): نقل ضرار بن ضمرة ذلك الكلام عنه عليه السلام في جملة كلمات أُخرى عنه عليه السلام لمعاوية[1].

وروى سبط ابن الجوزي في (تذكرته) نقلاً من (كتاب سر العالمين للغزالي) أبياتاً له عليه السلام قريبة من العنوان، وهي:

المرء في زمن الاقبال كالشجره ... وحولها الناس ما دامت لها الثمره

حتى إذا ما عرت من حملها انصرفوا ... عنها عقوقاً وقد كانوا لها بررة

وحاولوا قطعها من بعد ما شفقوا ... دهراً عليها من الارياح والغبره

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٤٢١.

قلّت مروات أهل الأرض كلهم الا الاقل فليس العشر من عشره
لا تحمدن امرأ حتى تجرّبه فربما لا يوافي خبره خبره[1]

ومن شواهد كلامه عليه السلام ما في (وزراء الجهشياري) عن جبرئيل الطبيب ـ وكان صنيع البرامكة ـ قال: دخلت على الرشيد يوماً وهو جالس على بساط على مشرعة باب خراسان في ما بين الخلد والفرات وأُم جعفر من وراء ستر، فقال الرشيد: قد وجدت شيئاً فأشر عليها بما تعمل به. قال: فبينا أنا أنظر في ذلك ارتفعت صيحة عظيمة، فسأل عنها فقيل له: يحيى بن خالد ينظر في أُمور المتظلمين. فقال: بارك الله عليه وأحسن جزاءه فقد خفف عني وحمل الثقل ـ وذكره بجميل. ففعلت ام جعفر مثل ذلك ولم تدع شيئاً يذكره أحد من جميل إلّا ذكرته به. قال: فامتلأت بذلك سروراً وقلت في ذلك بما أمكنني وخرجت مبادراً إلى يحيى فخبرته بذلك فسرّ به.

ومضت مدة ثم جاءني يوماً رسول الرشيد، فصرت إليه فوجدته جالساً في ذلك المجلس بعينه وأُم جعفر من وراء الستر أيضاً والفضل بن الربيع بين يديه، وقد وجدت أُم جعفر شيئاً فأمرني بتأمل علّتها، وإنّي لفي ذلك إذ ارتفعت ضجة شديدة، فقال الرشيد: ما هذا؟ فقيل: يحيى ينظر في أُمور المتظلمين. فقال: فعل الله به وفعل ـ وأقبل يذمّه ويسبّه ـ وقال: استبدّ بالأُمور دوني وأمضاها على غير رأيي وعمل بما أحبّه دون محبتي، وتكلمت ام جعفر بنحو من كلامه وثلبته أكثر مما يثلب به أحد، فورد علي من ذلك ما أقام وأقعد، ثم أقبل علي الرشيد فقال لي: يا جبرئيل إنّه لم يسمع كلامي غيرك وغير الفضل، وليس الفضل ممن يحكى شيئاً عني وعلي لئن تجاوزك لأتلفن نفسك. قال: فتبرأت عنده من ذكره واكبرت الإقدام على حكاية شيء منه وانصرفت،

---

(١) تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي: ١٧٤ نقله عن كتاب سرّ العالمين للغزالي.

فلم أصبر وقلت: والله إن تلفت نفسي في الوفاء لم أُبال. وصرت إلى يحيى فعرفته ما جرى، فقال لي: أتذكر وقد جئتني في يوم كذا من شهر كذا وأنا في هذا الموضع فحكيت عن الرشيد إلّا حمادٍ والثناء وعن ام جعفر مثل ذلك؟ فقلت: نعم ـ وعجبت من حفظه الوقت ـ فقال: إنّه لم يكن مني في هذه الحال التي ذمني فيها شيء لم يكن مني في ذلك الوقت الذي أحمدني فيه، ولكن المدة إذا آذنت بالانقضاء جعلت المحاسن مساوي ومن أراد أن يتجني قدر[1].

وفي السير: قيل ليحيى البرمكي: أخبرنا بأحسن ما رأيت في أيام سعادتك. فقال: ركبت يوماً في سفينة اريد التنزه، فلما أردت الخروج اتكأت على لوح من ألواحها وكان باصبعي خاتم، فطار فصه من يدي وكان ياقوتاً أحمر قيمته ألف مثقال من الذهب، فتطيرت من ذلك ثم عدت إلى منزلي وإذاً بالطباخ قد أتى بذلك الفص بعينه وقال: أيّها الوزير لقيت هذا الفص في بطن حوت من حيتان اشتريتها للمطبخ. فقلت: هذا لا يصلح الا للوزير. فقلت: الحمد لله هذا بلوغ الغاية.

وقيل له: أخبرنا ببعض ما لقيت من المحن. قال: اشتهيت لحماً في قدر وانا في السجن، فغرمت ألف دينار في شهوتي حتى أتيت بقدر ولحم مقطع وأتيت بنار فأوقدت تحت القدر ونفخت ـ ولحيتي في الأرض حتى كادت روحي تخرج ـ فلما نضجت تركتها تفور وتغلى وفتتت الخبز وعمدت لإنزلها، فانفلتت من يدي وانكسر القدر على الأرض فبقيت ألتقط اللحم وامسح منه التراب وآكله وذهب المرق الذي كنت أشتهيه.

وفي (وزراء الجهشياري): ذكر الكرماني أنّ الفضل بن يحيى نقل من محبس كان فيه إلى محبس آخر، فوقف له بعض العامة فدعا عليه، فاضطرب

---

(١) الوزراء والكتّاب للجهشياري: ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

الفضل من ذلك اضطراباً لم ير منه مثل قبله في شيء من حوادث النكبة، فقال لبعض من كان معه: أحبّ أن تلقى هذا الرجل وتسأله عما دعاه إلى ما كان هل لحقه من بعض أسبابنا على غير علم منا ظلم فنتلافيه، فصار الرسول إليه فسأله هل لحقه منه ما يوجب ذلك؟ قال: لا والله ولكن قيل لي إنّ هؤلاء كلهم زنادقة. فلما عاد الرسول إليه بذلك قال: والله سريت عني وفرجت عني. ثم أنشد:

غير ما طالبين ذحلا ولكن مال دهر على اناس فمالوا[1]

وقال ابن أبي الحديد: كان الرشيد أيام كان حسن الرأي في جعفر البرمكي يحلف بالله أن جعفراً أفصح من قس بن ساعدة وأشجع من عامر بن الطفيل وأكتب من عبد الحميد بن يحيى وأسوس من ابن الخطاب وأحسن من مصعب بن الزبير -ولم يكن جعفر حسن الصورة كان طويل الوجه جداً- وأنصح له من الحجاج لعبد الملك وأسمح من عبدالله بن جعفر وأعفّ من يوسف بن يعقوب. فلما تغير رأيه فيه أنكر محاسنه الحقيقية التي لا يختلف اثنان أنّها فيه نحو كياسته وسماحته، وكان جعفر لم يجسر أحد أن يرد عليه قولا ولا رأياً، فيقال: إنّ أوّل ما ظهر من تغير الرشيد له أنّه كلم الفضل بن الربيع بشيء فردّه عليه الفضل ولم تجر عادته من قبل أن يفتح فاه في وجهه. فأنكر سليمان بن أبيجعفر ذلك على الفضل، فغضب الرشيد لإنكار سليمان وقال له: ما دخولك بين أخي ومولاى -كالراضي بما كان من الفضل- ثم تكلم جعفر بشيء قاله للفضل فقال الفضل للرشيد: أشهد عليه. فقال له جعفر: فضّ الله فاك يا جاهل إذا كان الخليفة الشاهد فمن الحاكم المشهود عنده. فضحك

(١) الوزراء والكتّاب للجهشياري: ٢٥٨ ـ ٢٥٩.

الرشيد وقال: يا فضل لا تمار جعفراً فانك لا تقع عنه موقعاً[١].

وفي صلة (تاريخ الطبري): غضب المقتدر في سنة (٢٩٩) على وزيره علي ابن محمد بن فرات وكانت له أياد جليلة وفضائل كثيرة، فلم يمسك الناس عن انتقاصه وهجوه مع حسن آثاره[٢].

وفي (كامل المبرد) : دخل يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج على سليمان بن عبدالملك وكان يزيد دميماً، فلما رآه قال: قبّح الله رجلاً أجرك سنه وأشركك في أمانته. فقال له يزيد: رأيتني والأمر لك وهو عني مدبر، ولو رأيتني والأمر علي مقبل لاستكبرت مني ما استصغرت واستعظمت مني ما استحقرت. فقال له سليمان: أترى الحجاج استقر في قعر جهنم بعد. فقال: لا تقل ذلك، فإنّ الحجاج وطأ لكم المنابر وأذلّ لكم الجبابر وهو يجيء يوم القيامة عن يمين أبيك ويسار أخيك فحيث كانا كان[٣].

وفي (كامل ابن الأثير): توفي المعز لدين الله العلوي بمصر سنة (٣٦٥) وكان سبب موته أن ملك الروم بالقسطنطنية أرسل إليه رسولاً كان يتردّد إليه بإفريقية، فخلا به بعض الأيام فقال له المعز: أتذكر إذ أتيتني رسولاً وأنا بالمهدية فقلت لك لتدخلنّ عليَّ وأنا بمصر مالكاً لها؟ قال: نعم. قال: وأنا أقول لك لتدخلن علي بغداد وانا خليفة. فقال له الرسول: إن آمنتني على نفسي ولم تغضب قلت لك ما عندي. فقال له المعز: قل وأنت آمن. قال الرسول: بعثني إليك الملك ذلك العام فرأيت من عظمتك في عيني وكثرة أصحابك ما كدت أموت منه، ووصلت إلى قصرك فرأيت عليه نوراً عظيماً غطى بصري، ثم

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١٠٥.

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٥: ٦٧٥٠، دار الكتب العلمية.

(٣) الكامل للمبرد ٢: ٥٤٦ ـ ٥٤٧.

دخلت عليك فرأيتك على سريرك فظننتك خالقاً، فلو قلت لي إنّك لتعرج إلى السماء لتحققت ذلك، ثم جئت إليك الآن فما رأيت من ذلك شيئاً أشرفت على مدينتك فكانت في عيني سوداء مظلمة، ثم دخلت عليك فما وجدت لك من المهابة ما وجدته ذلك العام، فقلت: ان ذلك كان امرأ مقبلاً وإنّه الآن بضد ما كان عليه. فأطرق المعز وخرج الرسول من عنده واخذت المعز الحمى لشدة ما وجد حتى مات(١).

## ٢
## الحكمة (٢٣٩)

وقال عليه السلام:

صَوَابُ الرَّأْيِ بِالدُّوَلِ يُقْبِلُ بِإِقْبَالِهَا وَيَذْهَبُ بِإِدْبَارِهَا.

أقول: ومن شواهد كلامه عليه السلام ما في (الطبري) قال هشام بن عمرو التغلبي: كنت في عسكر أبي مسلم لما حارب عبدالله بن علي من قبل المنصور، فتحدث الناس فقيل: أي الناس أشد؟ فقال: قولوا حتى أسمع. فقال رجل: أشدّ الناس أهل خراسان، وقال: قوم أهل الشام. فقال أبو مسلم: كل قوم في دولتهم أشدّ الناس(٢).

وما فيه ـ في قتال المثنى بن حارثة مع العجم من قبل عمر ـ قال المثنى: قاتلت العرب والعجم في الجاهلية والإسلام، والله لمائة من العجم في الجاهلية كانوا أشدّ علي من ألف من العرب لمائة من العرب اليوم أشد علي من ألف من العجم، إنّ الله اذهب مصذوقتهم ووهن كيدهم، فلا يرو عنكم زهاء ترونه ولا سواد ولا قسي فج ولا نبال طوال، فإنّهم إذا أعجلوا عنها أو فقدوها كالبهائم

---

(١) الكامل لابن الأثير ٨: ٦٦٣ ـ ٦٦٤.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٣٧٣.

أينما وجهتموها اتجهت.

وما في (الأغاني): كان جعفر بن منصور يستخف مطيع بن إياس ويحبه وكان منقطعاً إليه وله معه منزلة حسنة، فذكر له حماد الراوية وكان صديقه وكان مطرحاً مجفواً في أيامهم، فقال: إيتنا به لنراه. فأتى مطيع حماداً فأخبره بذلك وأمره بالمسير معه إليه، فقال له حماد: دعني فإنّ دولتي كانت مع بني أمية ومالي عند هؤلاء خير. فأبى مطيع إلّا الذهاب إليه، فاستعار حماد سواداً وسيفاً، ثم أتاه ثم مضى به مطيع إلى جعفر، فأمره بالجلوس وقال له: أنشدني. قال: لمن أيها الأمير؟ ألشاعر بعينه أم لمن حضر؟ قال: بل لجرير. قال حماد: فسلخ والله شعر جرير كله من قلبي إلّا قوله:

بأن الخليط برامتين فودعوا أو كلما اعتزموا لبين تجزع[1]

فأنشدت حتى انتهيت إلى قوله:

وتقول بوزع قد دببت على العصا هلا هزأت بغيرنا يا بوزع[2]

فقال لي: اعد علي هذا البيت، فأعدته فقال: بوزع أي شيء هو؟ فقلت: اسم امرأة. قال: امرأة اسمها بوزع هو نفي من العباس بن عبدالمطلب إن كانت بوزع إلّا غولاً من الغيلان، تركتني والله يا هذا الليلة لا أنام من فزع بوزع، يا غلمان قفاه. فصفعت والله حتى لم أدر أين أنا، ثم قال: جروا برجله. فجروا برجلي حتى أُخرجت من بين يديه مسحوباً. فتخرق السواد وانكسر جفن السيف ولقيت شراً عظيماً مما جرى علي، وكان أغلظ من ذلك كله إغرامي ثمن السواد وجفن السيف، فلما انصرفت أتاني مطيع يتوجع لي فقلت له: ألم

---

(١) ديوان جرير: ٢٦٧.

(٢) المصدر نفسه: ٢٦٨.

أُخبرك أنّي لا أُصيب منهم خيراً وإنّ حظي قد ذهب مع بني أُمية[١].

وقال ابن أبي الحديد: قال الصولي: اجتمع بنو برمك عند يحيى في آخر دولتهم وهم يومئذ عشرة، فأداروا الرأي بينهم في أمر فلم يصح لهم، فقال يحيى: انّا لله ذهبت والله دولتنا، كنّا والله في إقبالنا يبرم الواحد منّا عشرة آراء مشكلة في وقت واحد، واليوم نحن عشرة في أمر غير مشكل ولا يصحّ لنا فيه رأي[٢].

## ٣
## الحكمة (٢٣٠)

وقال عليه السلام:

شَارِكُوا الَّذِي قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الرِّزْقُ فإنَّهُ أَخْلَقُ لِلْغِنَّيَ وَأَجْدَرُ بِإِقْبَالِ الحَظِّ.

أقول: (أخلق) بمعنى: أجدر، والحظ: النصيب، وفي (الصحاح): الحظ: جمعه أحظ وحظوظ. ويجيء على غير قياس أحاظ، قال القريع:

وليس الغنى والفقر من حيل الفتى ... ولكن أحاظ قسمت وجدود[٣]

في (تاريخ بغداد): قال الصولي: تذاكرنا يوماً عند المبرّد الحظوظ وأرزاق الناس من حيث لا يحتسبون، قال: هذا يقع كثيراً، فمنه قول ابن أبي فنن في أبيات عملها لمعنى أراده:

مالي ومالك قد كلفتني شططاً ... حمل السلاح وقول الدارعين قف
أمن رجال المنايا خلتني رجلاً ... أمسى وأصبح مشتاقاً إلى التلفِ

(١) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٨: ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٥٤.

(٣) الصحاح للجوهري ٢: ١١٧٢ مادة (حظظ).

يمشي المنون إلى غيري فأكرهها   فكيف أسعى إليها بارز الكتفِ
أم هل حسبت سواد الليل شجّعني   أو أن قلبيَ في جنبي أبي دلف

فبلغ هذا الشعر أبا دلف فوجّه إليه أربعة آلاف درهم جاءه على غفلة[١].

قلت: وكما جاء ابن أبي فنن دراهم على غفلة كذلك جاء أبا دلف مديح على غفلة، وهو أمدح بيت حيث جعله كالمثل في الشجاعة.

وقال ابن أبي الحديد: قال بعضهم: البخت على صورة رجل أعمى أصمّ أخرس وبين يديه جواهر وحجارة وهو يرمي بكلتا يديه[٢].

ثم زيادة (المصرية) كلمة «عليه»[٣] في آخر الكلام زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٤].

## ٤
## الحكمة (٥١)

وقال عليه السلام:

**عَيْبُكَ مَسْتُورٌ مَا أَسْعَدَكَ جَدُّكَ.**

أقول: في (الصحاح) الجد الحظ والبخت، وفي الدعاء «ولا ينفع ذا الجد منك الجد» أي: لا ينفع ذا الغنى عندك غناء، و «منك» أي عندك، وقوله تعالى ﴿تعالى جد ربنا﴾ أي عظمته، وقيل غناه[٥].

وفي أخبارنا أنّ الجن قالوا ذلك الكلام جهالة. فحكاه تعالى عنهم فلابد أنّهم أرادوا بالجد الحظ والبخت، وتعالى ربّنا عن الجدّ بمعنى قالوا.

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٢ : ٤١٩ .
(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٥٧ الرواية ٢٢٧.
(٣) الطبعة المصرية : ٧٠٨.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٥٧، وانظر شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥: ٣٥٨ الرواية ٢١٦.
(٥) الصحاح للجوهري ١ : ٤٥٢ مادة (جدد).

ومما قيل في الجدّ:

ومـا لبُّ اللبيب بغير حظ     بأغنى في المعيشة من فتيل
رأيت الحظ يستر كلّ عيب     وهيهات الحظوظ من العقول[١]

قلت: وفي المصراع الأخير قلب، والأصل «وهيهات العقول من الحظوظ».

أيضاً:

إنّ المقادير إذا ساعدت     ألحقت العاجز بالحازم[٢]

أيضاً:

وإذا جددت فكلّ شيء نافع     وإذا حددت فكلّ شيء ضائر

أيضاً:

ألا فاخش ما يرجى وجدك هابط     ولا تخش ما يخشى وجدك رافع
فلا نافع إلّا مع النحس ضائر     ولا ضائر إلّا مع السعد نافع

وقال ابن أبي الحديد: أكثر الناس في الجد والى الآن لم يتحقق معناه، ومن كلام بعضهم «إذا أقبل البخت باضت الدجاجة على الوتد وإذا أدبر البخت انشغر الهاون في الشمس»[٣].

ومن كلام الحكماء: إنّ السعادة لتلحظ الحجر فيدعى ربّاً[٤].

وقال أبو حيان: نوادر ابن الجصاص الدالة على تغفله وبلهه كثيرة جدّاً، قد صنّف فيها الكتب، ومن جملتها أنّه سمع إنساناً ينشد نسيباً فيه ذكر هند فقال: لا تذكروا حماة النبي إلّا بخير. وأشياء عجيبة أظرف من هذا، وكانت

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ١ : ٢٤٢.
(٢) عيون الأخبار ١ : ٣٢٩.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨ : ١٨١.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١٨١.

سعادته تضرب بها الأمثال وكثرة أمواله التي لم يجمع لقارون مثلها، فكان الناس يعجبون من ذلك، حتى أن جماعة من شيوخ بغداد كانوا يقولون ان ابن الجصاص أعقل الناس وأحزمهم، وانّه هو الذي ألحم الحال بين المعتضد وبين خمارويه بن أحمد بن طولون وسفر بينهما سفارة عجيبة وبلغ من الجهتين احسن مبلغ، خطب قطر الندى بنت خمارويه للمعتضد وجهّزها من مصر على أجمل وجه وأعلى ترتيب، ولكنّه كان يقصد أن يتغافل ويتجاهل ويظهر البله والنقص يستبقي بذلك ماله ويحرس به نعمته ويدفع عنه عين الكمال وحسد الأعيان، فقلت لأبي غسان البصري: أظنّ ما قاله هؤلاء صحيحاً، فان المعتضد مع حزمه وعقله وكماله وإصابة رأيه ما اختاره للسفارة والصلح إلّا والمرجو منه فيما يأتيه ويستقبله من أيامه نظير ما قد شوهد منه فيما مضى من زمانه، وهل كان يجوز أن يصلح أمراً قد تفاقم فساده برسالة أحمق وسفارة أخرق. فقال أبو غسان: إنّ الجد ينسلخ حال الأخرق ويستر عيب الأحمق ويذبّ عن عرض الملطخ ويقرب الصواب: بمنطقه والصحة برأيه والنجاح بسعيه، والجد يستخدم العقلاء لصاحبه ويستعمل آراءهم وأفكارهم في مطالبه، وإن ابن الجصاص على ما قيل وحكي ولكن جده كفاه غائلة الحمق، ولو عرفت خبط العاقل إذا فارقه الجد لعلمت أنّ الجد قد يصيب بجهله ما لا يصيب العالم بعلمه مع حرمانه. فقلت له: فما الجد؟ فقال: ليس لي عنه عبارة معينة ولكن لي به علم شاف واستفدته بالتجربة والسماع العريض من الصغير والكبير، وسمعت امرأة من الأعراب ترقّص ابناً لها وتقول: رزقك الله جداً يخدمك عليه ذوو العقول، ولا رزقك عقلاً تخدم به ذوي الجدود[1].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١٨١ ـ ١٨٢.

## ٥
## الحكمة (١٥٢)

وقال عليه السلام:

**لِكُلِّ مُقْبِلٍ إدْبارٌ، وَمَا أدْبَرَ كأَنْ لَمْ يَكُنْ.**

أقول: في (المروج) قال إبراهيم بن المهدي: بعث إليّ الأمين وهو محاصر، فصرت إليه فإذا هو جالس في طارمة خشبها من عود وصندل عشرة في عشرة، وإذا سليمان بن أبي جعفر المنصور معه في الطارمة وهي قبة كان اتخذ لها فراشاً مبطناً بأنواع الحرير والديباج المنسوج بالذهب الأحمر وغير ذلك من أنواع الأبريسم، فسلمت فإذا قدامه قدح بلور مخروز فيه شراب ينفذ مقداره خمسة أرطال وبين يدي سليمان قدح مثله، فجلست بأزاء سليمان، فأتيت بقدح كالأول والثاني، فقال: إنّما بعثت إليكما لما بلغني قدوم طاهر بن الحسين إلى النهروان وما قد صنع في أمرنا من المكروه وقابلنا به من الاساءة ، فدعوتكما لأفرّح بكما وبحديثكما. فأقبلنا نحدّثه ونؤنسه حتى سلا عمّا كان يجده وفرح ودعا بجارية من خواص جواريه تسمى ضعفاً، فتطيرت من اسمها ونحن على تلك الحال، فقال لها: غنينا. فوضعت العود في حجرها وغنت:

كليب لعمري كان أكثر ناصراً وأيسر جرماً منك ضرج بالدم

فتطير من قولها ثم قال لها: اسكتي قبّحك الله. ثم عاد إلى ما كان عليه من الغمّ والإقطاب، فأقبلنا نحادثه ونبسطه إلى أن سلا وضحك، ثم أقبل عليها وقال: هات ما عندك فغنت:

هم قتلوه كي يكونوا مكانه كما غدرت يوماً بكسرى مرازبه

فأسكتها وزأرها وعاد إلى الحالة الأُولى، فسليناه حتى عاد إلى

الضحك، فأقبل عليها الثالثة وقال غني، فغنّت:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنّا أهلها فأدبانا صروف الليالي والجدود العواثر

وقيل بل غنّت:

أما ورب السكون والحرك إنّ المنايا كثيرة الشرك

فقال لها قومي عني فعل الله بك وصنع بك. فقامت فعثرت بالقدح الذي كان بين يديه فكسرته فانهرق الشراب، وكانت ليلة قمراء ونحن في شاطئ دجلة في قصره المعروف بالخلد، فسمعنا قائلاً يقول ﴿...قُضي الأمر الذي فيه تسفتيان﴾[١]. قال إبراهيم بن المهدي: فقمت وقد وثب، فسمعت منشداً من ناحية القصر ينشد:

لا تعجبن من العجب قد جاء ما يقضي العجب

قد جاء أمرٌ فادحٌ فيه لذي عجب عجب

قال إبراهيم: فما قمنا معه بعد تلك الليلة إلى أن قتل[٢].

وقال ابن أبي الحديد: قال شيخ من همدان: بعثني أهلي في الجاهلية إلى ذي الكلاع بهدايا، فمكثت تحت قصره حولاً لا أصل إليه، ثم أشرف إشرافة من كوة فخرّ له من حول العرش سجداً، ثم رأيته بعد ذلك بحمص فقيراً يشتري اللحم ويسمطه خلف دابته وهو القائل:

أفّ لدنيا إذا كانت كذا أنا منها في هموم وأذى

إن صفا عيش امرئ في صبحها بوجته ممسياً كأس القذى

---

(١) يوسف: ٤١.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٣٩٢.

ولقــد كــنت إذا قــيل مــن أنــعم العــالم عــيشاً قـيل ذا[١]

وقال الشاعر:

في هـذه الدار فـي هـذا الرواق عـلى هذي الوسادة كان العز فـانقرضـا[٢]

وفي (تاريخ خلفاء السيوطي): وفـي سـنة (٣٢٠) ركب مـونس عـلى المقتدر فكان معظم جند مونس البربر، رمى بربري المقتدر بحربة سقط منها ثم ذبحه بالسيف وشيل رأسه على الرمح وبقي مكشوف العورة حتى ستر بالحشيش. قيل إنّ وزيره أخذ له ذلك اليوم طالعاً فقال له المـقتدر: أي وقت هو؟ قال: وقت الزوال. فتطير وهم بالرجوع، فأشرفت خيل مـونس ونشـبت الحرب[٣].

هذا، وعنهعليه‌السلام: إنّ للنكبة غايات لابد أن تنتهي إليـها، فـإذا حكـم عـلى أحدكم بها فليطأطئ لها وليصبر حتى تجوز، فإنّ إعـمال الحـيلة فـيها عـند إقبالها زائد في مكروهها[٤].

ويأتي في فصل القضاء والقدر قولهعليه‌السلام: تذلّ الأمور للـمقادير حـتى يكون الحتف في التدبير[٥].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٦٣.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٣٨٤.

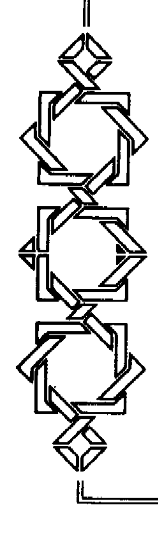
(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٣٨٤.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ٢٢٦ ـ ٢٨١.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨ / ١٧: ١٢٠.

# الفصل الثالث والخمسون

## في الفتن والشبه والبدع



## ١
## في أوّل الباب الثالث من النهج

باب المختار من حكم امير المؤمنين عليه السلام ويدخل في ذلك المختار من أجوبة مسائله والكلام القصير الخارج في ساير أغراضه.

قال عليه السلام:

**كُنْ فِي الفِتنِة كَابْنِ اللَّبُونِ لاَ ظَهْرٌ فيُرْكَبْ وَلاَ ضَرْعٌ فَيُحْلَبَ.**

قول المصنّف: «باب المختار» هو القسم الأخير من كتابه «من حكم أمير المؤمنين عليه السلام» اقتصر عليه في (المصرية) وزاد ابن أبي الحديد وابن ميثم: «ومواعظه» وهو الصحيح لأصحية نسختيهما لاسيما الأخير الذي نسخته بخط المصنف.

ولأنّ فيه مواعظ كثيرة ومنها في العنوان (١٥٠) كلامه عليه السلام لرجل سأله أن يعظه الذي قال المصنف فيه «ولو لم يكن في هذا الكتاب إلّا هذا الكلام لكفى به موعظة ناجعة».

ووصف الشعبي كلامه عليه السلام في الحكم وغيرها فقال: تكلّم أمير المؤمنين عليه السلام بتسع كلمات ارتجلهن ارتجالاً فقأن عيون البلاغة وأيتمن جواهر الحكمة وقطعن جميع الأنام عن اللحاق بواحدة منهن، ثلاث منهن في الحكمة وثلاث في المناجاة وثلاث في الأدب، أما اللائي في الحكمة فقال: قيمة كلّ امرئ ما يحسنه، وما هلك امرؤ عرف قدره، والمرء مخبوء تحت لسانه. وأما اللائي في المناجاة فقال: اللّهم كفى بي عزّاً أن أكون لك عبداً، وكفى بي فخراً أن تكون لي رباً، أنت كما أحب فاجعلني كما تحب. وأما اللائي في الأدب فقال: امنن على من شئت تكن أميره، واستغن عمّن شئت تكن نظيره واحتج إلى من شئت تكن أسيره[١].

«ويدخل في ذلك المختار من أجوبة مسألته» ترى أجوبة مسألته في العناوين (١٦) (٣٠) (٩٤) (١٢٠) (١٥٠) (٢٢٧) (٢٢٩) (٢٣٥) (٢٦٦) (٢٨٧) (٢٩٤) (٣٠٠) (٣١٨) (٣٥٦) (٤٧٠).

«والكلام القصير» كان حاجب هشام بن عبد الملك يأمر منتجعيه بالإيجاز في الكلام، فقام أعرابي فقال: إنّ الله تعالى جعل العطاء محبة والمنع مبغضة فلأن نحبك خير من أن نبغضك. فأعطاه وأجزل له.

«الخارج في سائر أغراضه» أي باقي مقاصده، والأصل في (الغرض) الهدف و (سائر) يأتي بمعنى الجميع ومعنى الباقي، والأخير هو المراد هنا.

قوله «كن في الفتنة» الأصل في «الفتنة» قولهم «دينار مفتون» فتن بالنار، وكلّ شيء أُدخل النار فقد فتن، وقالوا «الناس عبيد الفتانَين» أي الدرهم والدينار.

«كابن اللبون» ابن اللبون: ولد الناقة الذكر إذا دخل في الثالثة، لأن أُمّه

---

(١) الخصال للصدوق: ١٨٦.

وضعت غيره فصار لها لبن، والأُنثى بنت اللبون، ويجمعان بنات اللبون.

**«لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب»** نظيره قول حاجب بن زرارة في القعقاع: ما هو رطب فيعصر ولا يابس فيكسر.

وفي المثل: لا تكن حلواً فتزدرد ولا مرّاً فتلفظ.

ومن الأمثال في الاعتزال قولهم: لا ناقة لي في هذا ولا جمل. وقالوا: ان كنت من أهل الفطن فلا تدر حول الفتن.

ثم كما لا ينتفع بابن اللبون لصغره كذلك بالثلب لكبره، وهو الذي انكسرت أنيابه من شدّة هرمه، وإنما الانتفاع الكامل بالناب الذي في وسط الشباب، قال بعضهم:

ألم تر أن الناب يحلب علبة ويترك ثلب لاضراب ولا ظهر

قال ابن أبي الحديد: أيام الفتنة هي أيام الخصومة بين رئيسين ضالين يدعوان كلاهما إلى ضلالة، كفتنة عبد الملك وابن الزبير وفتنة مروان والضحاك وفتنة الحجاج وابن الأشعث، وأما إذا كان أحدهما صاحب حق فليست أيام فتنة كالجمل وصفين[1].

قلت: إن جانبوا العصبية وأرادوا فهم الحقيقة فأول أيام الفتنة أيام أوّلهم، ففي (الطبري): قال أبو مويهبة مولى النبيّ صلى الله عليه وآله: بعث إليّ النبي من جوف الليل فقال: يا أبا مويهبة! إنّي قد أُمرت أن أستغفر لأهل البقيع فانطلق معي. فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم قال: السلام عليكم أهل المقابر، ليهن لكم ما أصبحتم ممّا أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أوّلها، الآخرة شرّ من الأُولى ـ إلى أن قال ـ ثم انصرف. فبدأ

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨ : ٨٢.

بالنبيّ صلى الله عليه وآله وجعه الذي قبض فيه[١].

وفي (بلاغات نساء أحمد بن أبي طاهر البغدادي) من رجالهم في ذكره خطبة سيّدة نساء العالمين باتفاق فرق المسلمين لما منعها أبو بكر فدك وفي الخطبة: فأنقذكم الله برسوله صلى الله عليه وآله بعد اللتيا والتي، وبعدما مني ببهم الرجال وذؤبان العرب، كلّما حشوا ناراً للحرب أطفأها ونجم قرن للضلال وفغرت فاغرة من المشركين قذف بأخيه في لهواتها، فلا ينكفي حتى يطأ صماخها بأخمصه ويخمد لهبها بحده، مكدوداً في ذات الله قريباً من رسول الله سيّداً في أولياء الله، وأنتم في بلهنية وادعون آمنون، حتى إذا اختار الله تعالى لنبيه دار أنبيائه ظهرت خلّة النفاق وسمل جلباب الدين ونطق كاظم الغاوين ونبغ خامل الآفلين وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه صارخاً بكم، فوجدكم لدعائه مستجيبين وللغرة فيه ملاحظين، فاستنهضكم فوجدكم خفافاً وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير أبلكم وأوردتموها غير شربكم، هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجراح لما يندمل، بداراً زعمتم خوف الفتنة ألا في الفتنة سقطوا وإنّ جهنم لمحيطة بالكافرين[٢].

وروى الإسكافي منهم في نقضه (عثمانية الجاحظ) عن أبي رافع قال: أتيت أبا ذر بالربذة أُودّعه، فلما أردت الانصراف قال لي ولا ناس معي: ستكون فتنة فاتقوا الله وعليكم بالشيخ علي بن أبي طالب فاتبعوه، فإني سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول له: أنت أوّل من آمن بي وأوّل من يصافحني يوم القيامة، وأنت الصدّيق الأكبر، وأنت الفاروق الذي تفرّق بين الحق والباطل،

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٤٣٢.

(٢) بلاغات النساء لابن طيفور: ١٣ ـ ١٤.

وأنت يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الكافرين، وأنت أخي ووزيري وخير من أترك بعدي[١].

ثم ما قاله ابن أبي الحديد: من فتنة الحجاج وابن الأشعث خلاف عقيدة أهل نحلته، فإنّ عندهم كان قيام ابن الأشعث فتنة، وأمّا الحجاج فكان عامل من بايعه جميع الناس وكان عندهم خليفة حقّاً وأميراً للمؤمنين به.

وكذلك قوله «فتنة عبد الملك وابن الزبير» غير صحيح عند أهل ملته، فانّه عندهم كان ابتداء ابن الزبير ولي الله وعبد الملك عدوّ الله، ولما غلب عبد الملك صار هو ولي الله وابن الزبير عدوّ الله[٢].

ففي (كامل المبرد): خرج مصعب بن الزبير إلى باجميراء، ثم أتى الخوارج خبر مقتله بمسكن ولم يأت المهلب وأصحابه، فتواقفوا يوماً على الخندق، فناداهم الخوارج: ما تقولون في المصعب؟ قالوا: إمام هدى. قالوا: فما تقولون في عبد الملك؟ قالوا: ضالّ مضل. فلما كان بعد يومين أتى المهلب قتل صعب وإنّ أهل الشام اجتمعوا على عبد الملك، وورد عليه كتاب عبد الملك بولايته، فلما تواقفوا ناداهم الخوارج: ما تقولون في مصعب؟ قالوا: لا نخبركم. قالوا: فما تقولون في عبد الملك؟ قالوا: إمام هدى. قالوا: يا أعداء الله بالأمس ضال مضل واليوم امام هدى، يا عبيد الدّنيا عليكم لعنة الله[٣].

والخوارج وإن طعنوا عليهم بكون ما عليهم خلاف العقل وخلاف الفطرة التي فطر الناس عليها، إلّا أنّه يقال لهم: إنّ ذلك لازم لكم أيضاً بموافقة العامة في إمامة صديقهم وصديقه، فلا يمكن القول بالملزوم وترك اللازم.

---

(١) نقض العثمانية لأبي جعفر الإسكافي: ٢٩٠ ملحقة بالعثمانية.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٨٢.

(٣) الكامل في الأدب للمبرّد ٣: ١١٠١ ـ ١١٠٢.

وأما قوله «إذا كان أحدهما صاحب حق فليست أيام فتنة كالجمل وصفين» فأيضاً أهل ملّته غير معترفين به، فهذا ابن عبد البر من أئمتهم قال في سعد بن أبي وقاص الذي لم يشهد الجمل وصفين مع أمير المؤمنين عليه السلام: كان ممّن قعد ولزم بيته في الفتنة وأمر أهله أن لا يخبروه من أخبار الناس بشيء حتى تجتمع الأمة على إمام[1].

وقال في ترجمة ابن فاروقهم: قيل لنافع: ما بال ابن عمر بايع معاوية ولم يبايع علياً؟ فقال: كان ابن عمر لا يعطي يداً في فرقة ولا يمنعها من جماعة، ولم يبايع معاوية حتى اجتمعوا عليه[2].

قبّح الله هذا الدين الذي يصير معاوية الذي كان النبي صلى الله عليه وآله لعنه في غير موطن وعدوّ الدين أولى بالإمامة من أمير المؤمنين عليه السلام الذي جعله الله تعالى في كتابه كنفس النبي صلى الله عليه وآله في قوله ﴿...وأنفسنا وأنفسكم...﴾[3] وجعله النبي بمنزلة نفسه في المتواتر منه في قوله للناس: من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه.

لا يقال: انّما قال «من كنت مولاه فعلي مولاه» لا ما قلت. قلت: ما ذكرته ان لم يكن لفظه هو معناه، ألم يكن قال تلك الجملة بعد قوله للناس «ألستُ بكم أولى من أنفسكم» وقول الناس له «بلى أنت أولى بنا من أنفسنا» فهل يصير معناها غير ما قلناه.

قبّح الله هذا الدين الذي هو خلاف ناموس الإنسانية، حتى ان الحجاج الذي قال عمر بن عبد العزيز الذي هو أحد خلفائهم: لو أنّ جميع الأُمم جاءت

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ٢: ٦٠٩.

(٢) المصدر نفسه ٣: ٩٥٣.

(٣) آل عمران: ٦١.

يوم القيامة كلّ واحدة منهم بشرارهم وجئناهم بالحجاج لغلبنا جميعهم. لم يرضه، فقال الاسكافي أحد أئمتهم في نقض (عثمانيته): امتنع ابن عمر من بيعة علي عليه السلام وطرق على الحجاج بابه ليلاً ليبايع لعبد الملك كيلا يبيت تلك الليلة بلا إمام، زعم لأنّه روي ان النبي صلى الله عليه وآله قال «من مات ولا إمام له مات ميتة جاهلية»[1] وحتى بلغ من احتقار الحجاج له واسترذاله حاله أن أخرج رجله من الفراش فقال: اصفق بيدك عليها. قال ورواه بعضهم وزاد: ولما خرج قال الحجاج: ما أحمق هذا يترك بيعة علي ويأتيني مبايعاً في ليله.

## ٢
## الخطبة (٩١)

إنَّ الفِتَنَ إذَا أقْبَلَتْ شَبَّهَتْ وَإذَا أدْبَرَتْ نَبَّهَتْ، يُنْكِرْنَ مُقْبِلاتٍ وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ، يَحُمْنَ حَوْلَ الرِّيَاحِ يُصِبْنَ بَلَداً وَيُخْطِئْنَ بَلَداً.

أقول: رواه الثقفي في أول (غاراته) باسنادين عن زر بن حبيش عنه عليه السلام: الأول عن إسماعيل بن ابان عن عبد الغفار بن القاسم عن المنصور بن عمرو عن ذر. والثاني عن أحمد بن عمران الأنصاري عن أبيه عن أبن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن زر قال: خطب علي عليه السلام بالنهروان ـ إلى أن قال ـ فقام إليه رجل آخر فقال له عليه السلام: حدّثنا عن الفتن. قال: ان الفتن إذا أقبلت شبهت وإذا أدبرت نبهت، يشبهن مقبلات ويعرفن مدبرات، ان الفتن تحوم كالرياح يصبن بلداً ويخطئن أُخرى[2].

«ان الفتن إذا أقبلت شبهت وإذا أدبرت نبهت» في (نهاية الجزري): التشابه قسمان، قسم إذا رُدّ إلى المحكم يفهم معناه، وقسم لا سبيل إلى معرفة

---

(١) نقض العثمانية: ٣٠١.

(٢) الغارات للثقفي: ٧.

حقيقته، فالمتتبع له متتبع للفتنة، لأنّه لا يكاد ينتهي إلى شيء تسكن إليه نفسه، ومنه حديث ذكر فيه فتنة «تشبه مقبلة وتبين مدبرة» أي أنّها إذا أقبلت شبهت على القوم وأرتهم أنّهم على الحق حتى يدخلوا فيها ويركبوا منها ما لا يجوز، فإذا أدبرت بان أمرها فعلم من دخل فيها أنّه كان على الخطأ[1].

«**ينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات**» قد عرفت أنّ (غارات الثقفي) رواه «يشبهن مقبلات ويعرفن مدبرات».

«**يحمن حول الرياح**» هكذا في (المصرية)[2]، والصواب: «حوم الرياح» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[3]، مع أنّه لا معنى لما في (المصرية)، فالفتن لا يدرن حول الرياح بل يدرن حول الناس دور الرياح، من قولهم «حام الطائر حول الشيء حوماً» أي دار.

«**يصبن بلداً ويخطئن أُخرى**» أي كما أن الرياح الشديدة تصيب بلداً وتخطئ بلداً كذلك الفتن يصبن بلداً فيبتلى الناس بوخامتهن ويخطئن بلداً فيسلمون منها.

## ٣
## الحكمة (٧٦)

وقال عليه السلام:

إنّ الأُمُور إذَا اشْتَبَهَتْ اعتَبَرَ آخِرُها بِأوَّلها.

كان العباسيون يدّعون إجراء العدالة إذا ظهروا إلّا انّه كان حالهم في الآخر معلومة من أوّلها.

---

(١) النهاية لابن الأثير للجزري ٢ : ٤٤٢.

(٢) الطبعة المصرية : ٢٣٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٤٤ الخطبة (١٩٢)، أمّا شرح ابن ميثم ٢: ٣٨٨، بلفظ «حول»، أما الخطية ٧٤ بلفظ «حوم».

ولما بايعت الأوس أبا بكر لئلا يصير الأمر إلى الخزرج وكانت بينهما رقابة من الجاهلية، قال لهم المنذر بن الحباب: فعلتموها أما والله لكأني بأبنائكم على أبواب أبنائهم قد وقفوا يسألونهم بأكفّهم ولا يسقون الماء. وصار كما قال[1].

## ٤
## الحكمة (٩٣)

وقال عليه السلام:

لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ» لأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ، وَلَكِنْ مَنِ اسْتَعَاذَ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مُضِلاَّتِ الْفِتْنَةِ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ «وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ» ومَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَخْتَبِرُهُمْ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ لِيَتَبَيَّنَ السَّاخِطَ لِرِزْقِهِ وَالرَّاضِيَ بِقَسْمِهِ وَإِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَلَكِنْ لِتَظْهَرَ الْأَفْعَالُ الَّتِي بِهَا يَسْتَحِقُّ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، لأَنَّ بَعْضَهُمْ يُحِبُّ الذُّكُورَ وَيَكْرَهُ الإِنَاثَ وَبَعْضَهُمْ يُحِبُّ تَثْمِيرَ الْمَالِ وَيَكْرَهُ انْثِلاَمَ الْحَالِ ـ وهَذَا مِنْ غَرِيبِ مَا سُمِعَ مِنْهُ فِي التَّفْسِيرِ ـ.

**«لا يقولن أحدكم اللّهم اني أعوذ بك من الفتنة»** قال ابن بابويه في (توحيده): الفتنة على عشرة أوجه: فوجه الضلال، والثاني: الاختبار وهو قوله تعالى ﴿...وفتناك فتوناً...﴾[2] ﴿ألم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾[3] والثالث: الحجّة وهو قوله تعالى ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلّا أن قالوا

(١) التوحيد للصدوق : ٣٨٦.

(٢) طه : ٤٠.

(٣) العنكبوت : ١ ـ ٢.

والله ربنا ما كنّا مشركين﴾[١] والرابع: الشرك وهو قوله تعالى ﴿...والفتنة أشدّ من القتل...﴾[٢] والخامس: الكفر وهو قوله تعالى ﴿...ألا في الفتنة سقطوا...﴾[٣] والسادس: الإحراق بالنار وهو قوله تعالى ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات...﴾[٤] والسابع: العذاب كقوله تعالى ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾[٥] ﴿ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون﴾[٦] ﴿...ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً...﴾[٧] والثامن: القتل كقوله تعالى ﴿...إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا...﴾[٨] ﴿فما آمن لموسى إلّا ذريّة من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم...﴾[٩] والتاسع: الصدّ كقوله تعالى ﴿وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك...﴾[١٠] والعاشر: شدّة المحنة كقوله تعالى ﴿...ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾[١١]، وقد زاد علي بن ابراهيم وجهاً آخر، وهو المحبة كقوله تعالى ﴿...انّما أموالكم وأولادكم فتنة...﴾[١٢] وعندي أنّه المحنة بالنون لا المحبة بالباء لقول النبيّ صلى الله عليه وآله «الولد مجبنة مبخلة»[١٣].

(١) الأنعام : ٢٣ .
(٢) البقرة : ١٩١ .
(٣) التوبة : ٤٩ .
(٤) البروج : ١٠ .
(٥) الذاريات : ١٣ .
(٦) الذاريات : ١٤ .
(٧) المائدة : ٤١ .
(٨) النساء : ١٠١ .
(٩) يونس : ٨٣ .
(١٠) الاسراء : ٧٣ .
(١١) يونس : ٨٥ .
(١٢) الأنفال : ٢٨ .
(١٣) بحار الأنوار ١٠٤ : ٩٧ رواية ٦٠ ب ٢ .

قلت: والمفهوم من الخليل أن الأصل في معناه الإحراق، فقال: الفتن الإحراق[١]، قال تعالى ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾[٢]، وورق فتين أي فضة محرقة ويقال للحرة فتين كأن حجارتها محرقة.

هذا، وعن الأصمعي لا يقال أفتنته بل فتنته، ورد عليه بقول أعشى همدان في سعيد بن جبير:

لئن أفتنتني فهي بالأمس أفتنت    سعيداً فأمسى قد قلى كلّ مسلم[٣]

وعن أُم عمرو بنت الأهتم: مررنا بمجلس فيه سعيد بن جبير ونحن جوار ومعنا جارية تغني بدف معها وتنشد البيت «لئن أفتنتني...»، فقال سعيد: كذبتن كذبتن.

«لأنّه ليس أحد إلّا وهو مشتمل على فتنة» ولو بالمال أو الولد، ولأن سنته تعالى فتن عباده ولن تجد لسنته تبديلا، قال تعالى ﴿أحسب الناس ان يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون* ولقد فتنا الذين من قبلهم فَليعلمنَّ الله الذين صدقوا وليعلَمَنَّ الكاذبين﴾[٤].

«ولكن من استعاذ فليستعذ بالله من مضلّات الفتن» كما في فتنة بني اسرائيل بالعجل الذي أضلّهم السامري به حتى تركوا هارون وأرادوا قتله.

وكما في فتنة المسلمين بعد وفاة النبيصلى الله عليه وآله بمثل فتنة بني اسرائيل بجعل الثاني الأول عجله حتى تركوا خليفة نبيّهم وأرادوا قتله، وكان النبيصلى الله عليه وآله قال لهم في المتواتر: لتتبعن بني إسرائيل حذواً بحذو حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه.

---

(١) العين لأحمد الفراهيدي ٨ : ١٢٧ مادة (فتن).

(٢) الذاريات : ١٣ .

(٣) العين للفراهيدي ٨ : ١٢٨ مادة (فتن).

(٤) العنكبوت : ٢ ـ ٣.

وفي (خلفاء ابن قتيبة) ـ في قصة السقيفة ـ فأخرجوا علياً فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع. فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟ قالوا: إذن والله الذي لا إله إلّا هو لضرب عنقك. قال: إذن تقتلون عبد الله وأخا رسوله. قال عمر: أما عبد الله فنعم وأما أخو رسوله فلا. وأبو بكر ساكت لا يتكلّم، فقال له عمر: ألا تأمر فيه؟ فقال: لا أُكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه. فلحق علي بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله يصيح ويبكي وينادي: يابن أُمّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ـ إلى آخر ما ذكر[١].

هذا، وروى (توحيد الصدوق) أنّه تعالى قال: إنّ من عبادي المؤمنين لمن يريد الباب من العبادة فأكفّه عنه لئلا يدخله عجب فيفسده، وإنّ منهم لمن لا يصلح ايمانه إلّا بالفقر ولو أغنيته لأفسده، وإنّ منهم لمن لا يصلح ايمانه إلّا بالغنى ولو أفقرته لأفسده، وان منهم لمن لا يصلح إيمانه إلّا بالسقم ولو صححت جسده لأفسده ذلك، وإنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلّا بالصحّة ولو أسقمته لأفسده، وإنّي أُدبر عبادي بعلمي بقلوبهم فإنّي عليمٌ خبير[٢].

**«فإنّ الله سبحانه يقول ﴿واعلموا أنّما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم﴾[٣].**

**«ومعنى ذلك أنّه سبحانه»** سقطت كلمة «سبحانه» من (المصرية)[٤] مع وجودها في (ابن ميثم وابن أبي الحديد والخطية)[٥].

(١) الخلفاء لابن قتيبة: ١٣.

(٢) التوحيد للصدوق: ٣٩٨ ح١.

(٣) الأنفال: ٢٨.

(٤) الطبعة المصرية: ٦٧٧.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٤٨، وابن ميثم ٥: ٢٨٧.

«يختبرهم» أي: يمتحنهم.

«بالأموال والأولاد ليتبيّن الساخط لرزقه» في الأموال.

«والراضي بقسمه» في الأولاد.

«وإن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم» ﴿...فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾(١).

«ولكن لتظهر الأفعال التي بها يستحق الثواب والعقاب» لأن الجزاء على العمل لا مجرّد النيّة ومقتضى الطوية، وإن كان هو تعالى يثيب على مجردهما تفضلاً ولا يؤاخذ على صرفهما تكرّماً.

«لأنّ بعضهم يحب الذكور ويكره الاناث» حتى قال تعالى في مثلهم ﴿وإذا بُشّر أحدهم بالأُنثى ظلّ وجهه مسودّاً وهو كظيم* يتوارى عن القوم من سوء ما بُشّر به أيمسكه على هون أم يدسّه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾(٢).

قالوا: ولحب الناس الذكور وكراهتم للإناث ـ وكان الواجب عليهم التسليم لمشيته تعالى شأنه ـ قدّم عزوجل هبة الإناث على الذكور فقال ﴿...يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور﴾(٣).

«وبعضهم يحبّ تثمير المال ويكره انثلام الحال» أي وقوع الخلل فيه، قال تعالى ﴿وإنّه لحبّ الخير لشديد﴾(٤) وفسر الخير هنا بالمال.

وقال تعالى في امتحان عبيده بالمال والولد وغيرهما ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات

---

(١) العنكبوت: ٣.

(٢) النحل: ٥٨ ـ ٥٩.

(٣) الشورى: ٤٩.

(٤) العاديات: ٨.

وبشّر الصابرين﴾[١].

«وهذا من غريب ما سمع منه في التفسير» ولو كان قال ما روي عنه عليه السلام بدل ما سمع منه عليه السلام كان أحسن.

جعله من غريب التفسير لأنّ المتبادر من كون الأموال فتنة أنّ الانسان يطغى أن رآه استغنى، وأنّ كثيراً من الناس يميل المال بهم إلى الشهوات كما أنّ كثيراً منهم يصعب عليهم إخراج الحقوق التي أوجب الله تعالى عليهم في المال فيهلكون كما ان المتبادر من كون الأولاد فتنة أنّهم يصيرون سبباً للتخلّف عن الجهاد، والبخل عن الزكاة، وتحصيل المال لهم من غير طريق المشروع لو ضاق عليه المشروع ولموافقة الآباء غالباً أهواء أبنائهم المهوية، كما اتفق للزبير مع ابنه، فقال عليه السلام: ما زال الزبير منّا حتى نشأ ابنه الميشوم.

وروت العامة في تفسير الآية عن بريدة: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يخطب فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل النبيّ صلى الله عليه وآله إليهما فأخذهما ووضعهما في حجره على المنبر وقال: صدق الله تعالى ﴿انّما أموالكم وأولادكم فتنة...﴾[٢] نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما[٣].

هذا، ومما روي عنه عليه السلام من غريب التفسير غير ما مرّ أنّه عليه السلام قال: الاستثناء في اليمين متى ما ذكر ولو بعد أربعين صباحاً ـ ثم تلا هذه الآية ﴿...واذكر ربّك إذا نسيت...﴾[٤].

وأنّه عليه السلام قال: تستحب المقاربة مع أهله ليلة أول شهر الصيام لقوله

---

(١) البقرة : ١٥٥ .

(٢) التغابن : ١٥ .

(٣) سنن الترمذي ٥: ٦١٦ ح ٣٧٧٤.

(٤) الكافي ٧ : ٤٤٨ الرواية ٦، والآية ٢٤ من سورة الكهف.

تعالى ﴿أُحلّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم...﴾[١].

## ٥
## في الخطبة (١٤٣)

منها:

وَمَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إلّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ، فَاتَّقُوا البِدَعَ وَالْزَمُوا المَهْيَعَ، إنَّ عوازِمَ الأُمورِ أفضلُهَا إنَّ مُحْدَثَاتِها شِرَارُها.

«وما أُحدثت بدعة إلّا تُرك بها سنة» قال ابن أبي الحديد: البدعة كلّ ما لم يكن في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله، فمنها الحسن كصلاة التراويح ومنها القبيح كالمنكرات التي ظهرت أواخر الخلافة العثمانية وإن كانت قد تكلّفت الأعذار عنها[٢].

قلت: صلاة التراويح أيضاً من بدع، قال عليه السلام ترك بها سنة، وكيف تكون حسنة وكانت تشريعاً في قبال الدين، وإنما التشريع لله تعالى ﴿مالكم كيف تحكمون* أم لكم كتاب فيه تدرسون* إنّ لكم فيه لما تخيرون﴾[٣].

ما كان للنبي صلى الله عليه وآله أن يشرّع شيئاً من قبل نفسه إلّا بوحي منه تعالى إليه، فكيف كان لعمر الذي أفحمته مرأة في أنفها فطس في حظره جعل الصداق أكثر من خمسمائة درهم بأنّه تعالى قال ﴿...وآتيتم إحداهن قنطاراً...﴾[٤] فقال: كل الناس أفقه من عمر.

وروى سليم بن قيس الهلالي في كتابه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام خطب فقال: قد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله متعمّدين لخلافه

---

(١) البقرة : ١٨٧ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩ : ٩٤.

(٣) القلم : ٣٦ ـ ٣٨.

(٤) النساء : ٢٠.

ناقضين لعهده مغيّرين لسنّته، ولو حملت الناس على تركها تفرّق عني جندي حتى أبقى وحدي وقليل من شيعتي، والله لقد أمرت أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلّا في فريضة وأعلمتهم أن اجتماعهم في النوافل بدعة، فتنادى بعض أهل عسكري ممّن يقاتل معي يا أهل الاسلام لقد غيرت سنّة عمر نهينا عن الصلاة في شهر رمضان تطوّعاً، وقد خفت أن يثوروا في ناحية عسكري[١].

وروى محمد بن علي بن بابويه عن الباقر والصادق عليهما السلام: أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: إنّ الصلاة بالليل في شهر رمضان في جماعة بدعة، وصلاة الضحى بدعة، ألا وإنّ كلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة سبيلها إلى النار[٢].

وروى محمد بن يعقوب الكليني: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام مر برجل يصلّي الضحى في مسجد الكوفة، فغمز جنبه بالدرة وقال: نحرت صلاة الأوابين نحرك الله[٣].

وأما أعمال عثمان ـ ولم قال ـ كالمنكرات التي ظهرت أواخر الخلافة العثمانية كنفيه أبا ذر وضربه عماراً ونهبه بيت المال لأقاربه وتوليته لهم حتى يصلّوا بالناس سكارى ويصلّوا الصبح أربعاً ويغنوا في الصلاة وغيرها من نظائرها فشنائع ينكرها الموحد والملحد والمسلم والكافر.

وأما ما قاله من تكلّف الأعذار الذي نوريهم، فالتكلّف لعدم منكرية عداوة أبي جهل مع النبي صلى الله عليه وآله أقرب إلى العقول منه.

ثم جعلها في عداد البدع كصلاة التراويح في غير محله.

---

(١) سليم بن قيس، لا وجود له في الطبعة النجفية، لعل المؤلف أخذه من البحار حيث ذكرَ المجلسي في ٩٦: ٢٠٣ الرواية ٢١ باب ٢٤.

(٢) الفقيه للصدوق ٢: ١٣٧ الرواية ١٩٦٤ باب ٢.

(٣) الكافي ٣: ٤٥٢ رواية ٨.

«**فاتقوا البدع**» روى ابن بابويه عن الصادق عليه السلام : من مشى إلى صاحب بدعة فوقرها فقد مشى في هدم الإسلام[١].

«**والزموا المهيع**» أي الطريق الواسع وهو طريق الاسلام، قال تعالى ﴿وإنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله...﴾[٢].

«**إنّ عوازم الأُمور أفضلها**» قال ابن أبي الحديد: عوازم ما تقادم منها من قولهم «عجوز عوزم» أي مسنّة، ويجوز أن يكون جمع عازمة بمعنى مفعول أي معزوم عليها، أي مقطوع معلوم بيقين صحتها، والأول أظهر لأن في مقابلته «وان محدثاتها» والمحدث في مقابلة القدم[٣].

قلت: بل الظاهر أن «عوازم» محرف «قدائم» جمع قديم للتشابه الخطي بينهما، لأن العزم في مقابل الرخصة لا المحدث، يقال عزائم القرآن ورخصه، ثم جمع العوزم بالعوازم كما قاله غير معلوم.

## ٦
## الخطبة (٥٠)

ومن كلام له عليه السلام :

إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ ٱللهِ وَيَتَوَلَّى عَلَيها رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ ٱللهِ، فَلَوْ أَنَّ البَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ ٱلْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى المُرْتَادِينَ، وَلَوْ أَنَّ ٱلْحَقَّ خَلَصَ مِنَ الباطِلِ ٱنْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ المُعَانِدِينَ، وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ وَمِنْ هَذَا

---

(١) الفقيه للصدوق ٣ : ٥٧٢ ح٤٩٥٧ الباب ٢ .

(٢) الأنعام : ١٥٣ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩ : ٩٤ .

ضِغْثٌ فَيُمْزَجَانِ، فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ ٱللهِ ٱلْحُسْنَى.

أقول: رواه الكليني في (بدع كافيه) بإسنادين عن عاصم بن حميد عن محمد ابن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أيها الناس إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معاً، فهنالك استحوذ الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم منه الحسنى[1].

ورواه في (روضته) مع زيادات، فروى عن سليم بن قيس قال: خطب علي عليه السلام فقال: إنّما بدء وقوع الفتن من أهواء تتبع وأحكام تبتدع، يخالف فيها حكم الله، يتولى فيها رجال رجالاً، إنّ الحق لو خلص لم يكن اختلاف ولو أنّ الباطل خلص لم يخف على ذي حجى، لكنّه يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجتمعان فيجللان معاً، فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم الحسنى، إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كيف أنتم إذا لبستكم فتنة تربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير يجري الناس عليها ويتخذونها سنة، فإذا غيّر منها شيء قيل قد غيّرت السنّة، وقد أتى الناس منكراً ثم تشتدّ البلية وتسبى الذريّة وتدقهم الفتنة كما تدقّ النار الحطب وكما تدقّ الرحى بثفالها، ويتفقهون لغير الله ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بأعمال الآخرة.

ثم أقبل بوجهه وحوله ناس من أهل بيته وخاصته وشيعته فقال: قد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله متعمّدين لخلافه ناقضين بعهده مغيّرين لسنّته، ولو حملت الناس على تركها وحوّلتها إلى مواضعها

---

(١) الكافي ١ : ٥٤ رواية ١ . وأيضاً ٨ : ٥٨ الرواية ٢١.

والي ما كانت في عهد رسول الله لتفرّق عني جندي حتى أبقى وحدي أو مع قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله وسنّة رسوله، أرأيتم لو أمرت بمقام ابراهيم فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله ورددت فدك إلى ذريّة فاطمة ورددت صاع رسول الله كما كان وأمضيت قطائع أقطعها النبي لأقوام لم تمض لهم ولم تنفذ ورددت دار جعفر إلى ورثته وهدمتها من المسجد ورددت قضايا من الجور قضي بها ونزعت نساء تحت رجال بغير حق فرددتهن إلى أزواجهن واستقبلت بهن الحكم (في الفروج والأحكام) وسبيت ذراري بني تغلب ورددت ما قسم من أرض خيبر ومحيت دواوين العطاء وأعطيت كما كان النبي يعطي بالسوية ولم أجعلها دولة بين الأغنياء وألقيت المساحة وسويت بين المناكح وأنفذت خمس الرسول كما أنزل الله عزوجل وفرضه ورددته إلى ما كان عليه وسددت ما فتح من الأبواب وفتحت ما سد منه وحرمت المسح على الخفين وحددت على النبيذ وأمرت باحلال المتعتين وأمرت بالتكبير على الجنائز خمس تكبيرات وألزمت الناس الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وأخرجت من أُدخل مع رسول الله في مسجده ممن كان رسول الله أخرجه وأدخلت من أُخرج بعد رسول الله وحملت الناس على حكم القرآن (في) الطلاق على السنّة وأخذت الصدقات على أصنافها وحدودها ورددت الوضوء والغسل والصلاة إلى مواقيتها وشرائعها وحدودها ورددت أهل نجران إلى مواضعهم ورددت سبايا فارس وسائر الأُمم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه، إذن لتفرّقوا عني، والله لقد أمرت الناس ألا يجتمعوا في شهر رمضان إلّا في فريضة وأعلمتهم أنّ اجتماعهم في النوافل بدعة، فتنادى بعض أهل عسكري ممن يقاتل معي: يا أهل الاسلام غيّرت سنّة عمر نهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوّعاً، ولقد خفت أن

يثوروا في ناحية جانب عسكري، ما لقيت من هذه الأُمة من الفرقة وطاعة أئمة الضلالة والدعاة إلى النار[١]. ونقلهما الخوئي أيضاً.

ورواه عاصم بن حميد في أصله - فيما وصل إلينا من الأُصول الأربعمائة - عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب علي عليه السلام الناس فقال: انما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع وأحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله يتولى فيها رجال رجالا، فلو أنّ الباطل أخلص لم يخف على ذي حجى، ولو أن الحق أخلص لم يكن اختلاف، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معاً، هنالك استولى الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم منه الحسنى[٢].

ورواه اليعقوبي في (تاريخه) وزاد: إنّ خطبته عليه السلام بها كانت بعد رجوعه من صفين وحكم الحكمين[٣].

قول المصنّف: «ومن كلام له عليه السلام» هكذا في (المصرية)[٤] والصواب: «ومن خطبة له عليه السلام» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية) وكما يشهد له مداركه[٥].

«إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع» كفتنة الاجتماع في السقيفة طلباً للرئاسة فقال المغيرة بن شعبة لأبي بكر وعمر: وسعوها في قريش تتسع، أتريدون أن تجمعوا من أهل هذا البيت - بيت هاشم - خيل حلبة - أي: بتصدي علي للأمر بعد محمّد -

---

(١) روضة الكافي للكليني ٨: ٥٨ رواية ٢١.

(٢) بحار الأنوار ٢: ٣١٥ رواية ٨٣ الباب ٣٤.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٩١.

(٤) الطبعة المصرية: ١٥٢.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٤٠ الرواية ٥٠، وابن ميثم ٢: ١٣٣، والنسخة الخطية: ٣٦.

وكلامه عليه السلام وان كان بعد وقوع فتنة الخوارج إلا انّه بيّن بدء فتنهم فلو لم يكن يوم السقيفة لم تحصل فتنة الخوارج، لأنّها حصلت بسبب قيام معاوية في قباله عليه السلام، وقيام معاوية مع محاربته لله ولرسوله حتى أُسر فأظهر إسلاماً وأسرّ كفره كان بواسطة قيام عثمان بأمر الخلافة، وقيام عثمان به مع عدم سابقة له أيام النبي صلى الله عليه وآله إلا حمايته عن أعداء الله وأعداء رسوله ذويه وبني أبيه كان بتدبير عمر له لما كان كتب في غشوة أبي بكر استخلافه لعمر، وان كان أبو بكر بعد إفاقته أمضاه له طوعاً أو كرها.

«**وأحكام تبتدع**» فأوصياء الأنبياء في كلّ عصر كانوا في بيوتهم ومن جنسهم ﴿ذريّة بعضها من بعض﴾ وأنكر الذين في قلوبهم مرض ذلك، فقال عمر لابن عباس اعتذاراً عن صرف الأمر عنه عليه السلام: إنّ قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوّة فتكونوا عليهم جحفاً.

«**يخالف فيها كتاب الله**» أليس تعالى قال في كتابه ﴿وربّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عمّا يشركون﴾[1] ﴿أم لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون﴾[2].

وقد قضى الله تعالى ولايته عليه السلام في قوله جل وعلا ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون* ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإنّ حزب الله هم الغالبون﴾[3].

وقد قضى رسوله صلى الله عليه وآله ولايته عليه السلام بعد تقريرهم بأنّه أولى بهم من أنفسهم، بأنّه من كان هو أولى به بنفسه فعليّ أولى به من نفسه في المتواتر

---

(١) القصص: ٦٨.

(٢) القلم: ٣٧ ـ ٣٨.

(٣) المائدة: ٥٥ ـ ٥٦.

عنه ﷺ، وقد قال تعالى ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾(١).

وأما قول فاروقهم «إنّ قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوّة» فهل كانت النبوة بأيديهم حتى تكون الخلافة بأيديهم فيكرهوا جمعهما لهم، وقد أجابه ابن عباس عن قوله بقوله جل وعلا ﴿ذلك بأنّهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾(٢).

«**ويتولى عليها رجال رجالاً على غير دين الله**» قال أبو بكر يوم السقيفة للناس: إنّما أدعوكم إلى أبي عبيدة أو عمر كلاهما قد رضيت لكم ولهذا الأمر وكلاهما له أهل. فقالا له: ما ينبغي لأحد من الناس أن يكون فوقك يا أبا بكر، أنت صاحب الغار ثاني اثنين وأمرك النبي بالصلاة.

فهل هذا من دين الله أن يجعلوا خلافة رسول الله ﷺ نهبة بينهم، أليس من قواعد أهل العالم أن يكون خليفة كلّ شخص أن يخرج عن عهدة ما خرج ذاك الشخص عنه وحينئذٍ وكما هو تعالى أعلم حيث يجعل رسالته يكون هو أعلم حيث يجعل خلافة رسوله، وأين أُولئك الأجلاف عن مقامه ﷺ.

«**فلو أنّ الباطل خلص من مزاج الحق**» أي: من مزجه به.

«**لم يخف**» بفتح الفاء من الخفاء.

«**على المرتادين**» أي: الطالبين. والأصل فيه طلب الكلاء. قال ابن قتيبة في (خلفائه)(٣) ـ بعد ذكر طلب الأنصار كون الأمر لهم لأن بواسطتهم تمكّن

---

(١) الأحزاب : ٣٦.

(٢) محمد : ٩.

(٣) الخلفاء لابن قتيبة : ٦ ـ ٧.

النبيﷺ من نشر الاسلام أو كون الأمر بينهم وبين قريش لئلا يبغي بعضهم على بعض ـ قام أبو بكر وقال: إنّ الله بعث محمداً رسولاً إلى خلقه وشهيداً على أُمته ليعبدوا الله ويوحّدوه، وهم إذ ذاك يعبدون آلهة شتى يزعمون أنّها شافعة وعليهم بالغة نافعة، وانما كانت حجارة منحوتة وخشباً منجورة، فاقرأوا إن شئتم ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم...﴾[١] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرّهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله...﴾[٢] ﴿...ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى...﴾[٣] فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم، فخص الله المهاجرين الأولين بتصديقه والايمان به والمواساة والصبر معه على الشدّة من قومهم وإذلالهم وتكذيبهم إيّاهم، وكلّ الناس مخالف عليهم يزرؤهم فلم يستوحشوا من قلّة عددهم وإزراء الناس لهم واجتماع قومهم عليهم، فهم أول من عبد الله في الأرض وأول من آمن بالله تعالى ورسوله، وهم أولياؤه وعشيرته وأحقّ الناس بالأمر من بعده، لا ينازعهم فيه إلّا ظالم[٤].

فترى مزج الباطل كونه ولي الأمر بحق أعمال النبيﷺ وعشيرته، ولم يكن مصداق ذلك بتمام معنى الكلمة إلّا أمير المؤمنينعليه السلام وأين كان هو وصاحبه يوم نزل ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[٥] فجمع النبي بني عبد المطلب وهم أربعون وقال لهم: من يؤازرني حتى يكون خليفتي؟ فلم يجبه إلّا أمير المؤمنينعليه السلام.

---

(١) الأنبياء : ٩٨.

(٢) يونس : ١٨.

(٣) الزمر : ٣.

(٤) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة : ٦ ـ ٧.

(٥) الشعراء : ٢١٤.

ولم يجبهم الأنصار بذلك لأنّهم لما شاهدوا الأحوال في مرض النبيﷺ ومنعه من وصيته ومخالفته في تجهيز جيش أُسامة وعلموا بإرادة قريش تصديهم للسلطان، وكانوا يعرفون عاقبة ذلك وما يرد عليهم من الإذلال والمهانة كما كان النبي أيضاً أخبرهم قبل بذلك، وكانوا واترين لقريش المؤلفة الطلقاء الذين كان أبو بكر وعمر مستظهرين بهما وعلموا أنهم لا يرضون بتأمير أمير المؤمنينعليه السلام أصلاً، أعرضوا عن جوابهم بذلك وجدوا أن يكونوا هم المتصدين أو شركاء.

ولم يحضر أمير المؤمنينعليه السلام لاشتغاله بتجهيز النبيﷺ، وكانوا انتهزوا الفرصة في ذلك بأخذ البيعة من الناس وإتمام الأمر لهم ثم أحضروه للبيعة فقالعليه السلام ـ كما في (خلفاء ابن قتيبة) ـ لهم: أنا أحقّ بهذا الأمر منكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي وتأخذوه منّا أهل البيت غصباً.

حتى أن بشير بن سعد الخزرجي والد النعمان بن بشير الذي كان أوّل من بايع أبا بكر حتى قبل عمر حسداً لابن عمه سعد بن عبادة لئلا ينال الرئاسة، لما سمع كلامهعليه السلام بما مر قال له: لو كان هذا الكلام سمعه الأنصار منك قبل بيعتهم لأبي بكر ما اختلفت عليك. فقالعليه السلام له: أفكنت أدع رسول اللهﷺ في بيته لا أدفنه وأخرج أُنازع الناس بسلطانه. وقالت له فاطمة صلوات الله عليها: ما صنع أبو الحسن إلّا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم.

«**ولو أنّ الحق خلص من الباطل**» هكذا في (المصرية)[1]، والصواب: «من

---

(١) الطبعة المصرية المصححة ورد فيها لفظ «لبس الباطل»: ١٥٢.

لبس الباطل» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[1].

«انقطعت عنه ألسن المعاندين» رووا عن ابن عباس قال: كنت عند عمر فتنفس نفساً ظننت ان أضلاعه قد انفرجت، فقلت له: ما أخرج هذا النفس منك إلّا هم شديد. قال: أي والله يابن عباس، إني افتكرت فلم أدر فيمن أجعل هذا الأمر بعدي. ثم قال: لعلّك ترى صاحبك لها أهلاً. قلت: وما يمنعه من ذلك مع جهاده وسابقته وقرابته وعلمه. قال: صدقت ولكنه امرؤ فيه دعابة... .

وعن (موفقيات الزبير بن بكار) قال ابن عباس: إنّي لأُماشي عمر إذ قال لي: ما أرى صاحبك إلّا مظلوماً. فقلت في نفسي: والله لا يسبقني بها، فقلت له: فاردد إليه ظلامته. فانتزع يده من يدي ومضى يهمهم ساعة، ثم وقف فلحقته فقال: يابن عباس ما أظن منعهم إلّا انّه استصغره قومه. فقلت في نفسي: هذه شرّ من الأُولى. فقلت: والله ما استصغره الله ورسوله حين أمره أن يأخذ (براءة) من صاحبك. فأعرض عني وأسرع، فرجعت .

وعن الكتاب عن ابن عباس قال: خرجت أُريد عمر ـ إلى أن قال ـ فقال عمر: إنّ صاحبكم إن ولي هذا الأمر أخشى عجبه بنفسه أن يذهب به فليتني أراكم بعدي. فقلت: إنّ صاحبنا من قد علمت إنّه ما غيّر ولا بدّل ولا أسخط النبيﷺ أيام صحبته له. فانقطع عليّ الكلام وقال: ولا في ابنة أبي جهل لما أراد أن يخطبها على فاطمة. فقلت: قال الله تعالى ﴿...ولم نجد له عزماً﴾[2] إنّ صاحبنا لم يعزم على سخط النبيﷺ ولكن الخواطر التي لا يقدر أحد على دفعها عن نفسه وربما كانت من الفقيه في دين الله العالم العامل بأمر الله. فقال:

---

(١) ابن أبي الحديد ٣: ٢٤٠. رواية ٥٠، وابن ميثم ٢: ١٣٣ ليس فيه لفظ «لبس»، أما الخطية فقد ورد فيها لفظ «لبس الباطل».

(٢) طه : ١١٥ .

يابن عباس من ظن أنّه يرد بحوركم فيغوص فيها معكم حتى يبلغ قعرها فقد ظنّ عجزاً[١].

وعن ابن عباس أيضاً قال: دخلت على عمر في أول خلافته فقال: كيف خلفت ابن عمك؟ فظننته يعني عبدالله بن جعفر. فقلت: خلفته يلعب مع أترابه. قال: إنّما عنيت عظيمكم أهل البيت. فقلت: خلّفته يمتح بالغرب على نخيلات من فلان وهو يقرأ القرآن. قال: عليك دماء البدن إن كتمتنيها، هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم. قال: أيزعم أنّ النبي نص عليه؟ قلت: نعم وأزيدك، سألت أبي عمّا يدّعيه فقال صدق. فقال: لقد كان من النبي في أمره ذرو من القول لا يثبت حجّة ولا يقطع عذراً، ولقد كان يربع في أمره وقتاً ما، ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه فمنعت من ذلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام، لا وربّ هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله أنّي علمت ما في نفسه فأمسك... .

فترى هذا المعاند ينسب تارة إليه عليه السلام الدعابة وأُخرى صغر السن، وتارة العجب بنفسه، وأُخرى عدم رضاء قريش به.

«ولكن يؤخذ من هذا» أي: الباطل.

«ضغث» أي: قبضة.

«ومن هذا» أي: الحق.

«ضغث» أي: قبضة.

«فيخرجان» هكذا في (المصرية)[٢] والصواب: «فيمزجان» كما في (ابن

---

(١) أخبار الموفقيات : ٦١٩ .

(٢) الطبعة المصرية المصححة «فيخرجان»، وليس «فيخرجان» راجع : ١٥٢.

أبي الحديد و ابن ميثم والخطية)(١).

«فهنالك» أي: فعند أخذ ضغث من الباطل وضغث من الحق ومزجهما.

«يستولي الشيطان على أوليائه» لكونهم طالبي الشبهات والشهوات.

«وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى» وهم طالبوا الحق لا بالتقليد والعصبية. قال جل وعلا: ﴿الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا...﴾(٢).

وقال ابن أبي الحديد: كلامه عليه السلام حق، فإنّ الذين ضلّوا من مقلدة اليهود والنصارى وأرباب المقالات الفاسدة من أهل الملة الاسلامية إنّما ضلّ أكثرهم بتقليد الأسلاف، وإنّما قلّدهم الاتباع لما شاهدوا من إصلاح ظواهرهم ورفضهم الدنيا وإقبالهم على العبادة وتمسكهم بالدين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وصلابتهم في عقائدهم، فاعتقد الأتباع والقرون التي جاءت بعدهم أنّ هؤلاء يجب اتباعهم وأنّ مخالفهم مبتدع، ووقع الضلال والغلط بذلك لأن الباطل استتر وانغمر بما مازجه من الحق الغالب الظاهر المشاهد عياناً والحكم للظاهر ولولاه لما تروج الباطل ولا كان له قبول أصلاً(٣).

## ٧
## الخطبة (٣٨)

ومن خطبة له عليه السلام:

**وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الحَقَّ. فَأَمَّا أَوْلِيَاؤُهُمْ فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى، وَأَمَّا أَعْدَاؤُهُمْ فَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا**

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٤٠، وابن ميثم بلفظ «يخرجان» خلاف ما ذكره العلّامة التستري. أما النسخة الخطية فيخرجان: ٣٦.

(٢) العنكبوت : ٦٩ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٢٤٢ .

**الضَّلَالُ وَدَلِيلُهُمُ الْعَمَى، فَمَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ وَلَا يُعْطَى الْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ.**

أقول: قول المصنّف: «ومن خطبة لهعليه السلام» الظاهر أن «من» ههنا للتبعيض أي بعض خطبة لهعليه السلام غير «من» في قوله «ومن خطبة لهعليه السلام» في باقي المواضع، ففي الباقي للتقسيم بمعنى قسم من خطبةعليه السلام. قلنا ذلك لأنّ قوله «وإنّما سميت الشبة -إلى - ودليلهم العمى» ليس أول كلام، وقوله بعد «فما ينجو من الموت -إلى - من أحبه» ليس بمربوط بالمذكور بل بسابقه المحذوف.

«وانما سميت الشبهة شبهة لأنها تشبه الحق» أي: ليس بحق وإنّما هي شبيهة بالحق كقول الخوارج «لا حكم الا لله»، فإنّ أصله كلمة حق، فقال تعالى حكاية عن يوسفعليه السلام لصاحبي سجنه ﴿ما تعبدون من دونه إلّا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم الا لله...﴾[1] وعن يعقوبعليه السلام لبنيه ﴿وادخلوا من أبواب متفرقة وما اغنى عنكم من الله من شيء إنّ الحكم إلّا لله...﴾[2] وإرشاداً لنبيهصلى الله عليه وآله إلى جواب المشركين ﴿...ما عندي ما تستعجلون به ان الحكم الا لله...﴾[3].

فإنّ لفظهم ذاك اللفظ مع تبديل حرف نفي بنفي، إلّا أنّ المعنى من المعنى بمراحل، فإنّ المراد من الآيات من سابقها ولاحقها معلوم، ففي الأوّل أنّ الحكم في العبادة ليس لغير الله، وفي الثاني أنّ القضاء والقدر ليس إلّا بيده تعالى وفي الثالث أنّ الوقت الذي ينزل فيه العذاب ليس تعيينه لغير الله.

---

(١) يوسف: ٤٠.

(٢) يوسف: ٦٧.

(٣) الأنعام: ٥٧.

والخوارج أرادوا بكلامهم أنه لا يجوز أن يحكم غير الله في مقتضى آيات القرآن بأنه هل يجب أن يكون المتصدي لأمر الخلافة عليّاً أم يجوز ان يكون معاوية.

فإن قلت: كان ذلك أمراً واضحاً، فقوله تعالى ﴿...هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون...﴾[١] وقوله جل وعلا ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً...﴾[٢] يوجبان تعين عليّ عليه السلام.

قلت: الأمر كذلك، إلّا أنّ المبنى أدّى إلى ذلك، فلازم جواز تصدي الثلاثة كان وجوب تصدي معاوية حيث إنّه كان ولي عثمان وعثمان مدبر عمر وعمر منصوب أبي بكر.

هذا، وفي (ملل الشهرستاني): اعلم أنّ أوّل شبهة وقعت في الخليقة شبهة إبليس، ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص ـ إلى أن قال في بيان أوّل شبهة وقعت في الملة الاسلامية ـ وإن خفي علينا ذلك في الأُمم السالفة لتمادي الزمان فلم يخف أنّ شبهات الملة الاسلامية نشأت كلها من شبهات منافقي زمن النبيّ صلى الله عليه وآله، إذ لم يرضوا بحكمه فيما يأمر وينهى وشرعوا فيما لا مسرح للفكر فيه ولا مسرى، وسألوا عما منعوا من الخوض فيه والسؤال عنه، وجادلوا بالباطل فيما لا يجوز الجدال فيه اعتبر حديث ذي الخويصرة التميمي إذ قال: اعدل يا محمّد فإنّك لم تعدل. حتى قال صلى الله عليه وآله: إن لم أعدل فمن يعدل.

إلى أن قال: وأما الاختلافات الواقعة في حال مرض النبيّ صلى الله عليه وآله وبعد وفاته بين الصحابة فهي اختلافات اجتهادية كما قيل ـ إلى أن قال ـ فأول تنازع

---

(١) الزمر: ٩.

(٢) السجدة: ١٨.

في مرضه صلى الله عليه وآله فيما رواه محمّد بن إسماعيل البخاري بأسناده عن عبد الله بن العباس قال: لما اشتد بالنبي مرضه الذي مات فيه قال: إيتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي. فقال عمر: إنّ رسول الله قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله. وكثر اللغط فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع. قال ابن عباس: الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله.

إلى أن قال: الخلاف الثاني في مرضه قال النبيّ صلى الله عليه وآله: جهزوا جيش أُسامة لعن الله من تخلف عنها. فقال قوم: يجب علينا امتثال أمره. وأُسامة قد برز من المدينة، وقال قوم قد اشتد مرض النبي فلا تسع قلوبنا مفارقته والحال هذه فنصبر حتى نبصر أي شيء يكون من أمره[١].

قال الشهرستاني: وإنّما أوردت هذين التنازعين لأنّ المخالفين ربما عدوا ذلك من المخالفات المؤثرة في أمر الدين، وهو كذلك وإن كان الغرض كله اقامة مراسم الشرع في حال تزلزل القلوب[٢].

قلت: هل كان الأول والثاني وصاحبهما أبو عبيدة أحرق قلباً على الدين من أمير المؤمنين عليه السلام. ونعم ما قيل بالفارسية:

ز مادر مهربان‌تر دايه خاتون

هب ذلك، هل كانوا أحوط على الدين من النبيّ صلى الله عليه وآله؟ وهل كانوا أعرف من الله تعالى؟ وهل كان قوله تعالى: ﴿...الله أعلم حيث يجعل رسالته...﴾[٣] غير صحيح وجزافاً.

ولعمر الله لم يكن غرضهم إلّا أمر دنياهم واستحكام أمر رياستهم

---

(١) الملل للشهرستاني: ٢٣.

(٢) الملل للشهرستاني: ٢٩.

(٣) الأنعام: ١٢٤.

﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنّما نحن مصلحون* ألا إنّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾[١].

وأجابت سيدة نساء العالمين ادعاءهم بأنهم فعلوا ما فعلوا لئلا تكون فتنة: زعموا خوف الفتنة ﴿... ألا في الفتنة سقطوا وإنّ جهنم لمحيطة بالكافرين﴾[٢].

ثم إنّ الشهرستاني لم يستقص جميع شبهاتهم واعتراضاتهم على النبيّ صلى الله عليه وآله، ومنها اعتراضهم في تأمير زيد بن أُسامة مولاه عليهم أولاً، ثم تأمير ابنه أُسامة عليهم ثانياً، ففي (طبقات كاتب الواقدي): لما كان يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة (١١) أمر النبيّ صلى الله عليه وآله بالتهيؤ لغزو الروم، فلما كان من الغد دعا أُسامة بن زيد فقال: سر إلى موضع مقتل أبيك فلما كان يوم الأربعاء بدئ بالنبيّ صلى الله عليه وآله فحم وصدع، فلما أصبح يوم الخميس عقد لأُسامة بيده لواء فخرج معقوداً بلوائه فدفعه إلى بريدة بن الخصيب وعسكر بالجرف، فلم يبق من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار الا انتدب في تلك فيهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد، فتكلم قوم وقالوا: استعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين. فغضب النبيّ صلى الله عليه وآله غضباً شديداً فخرج وقد عصب على رأسه عصابة وعليه قطيفة، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أُسامة، ولئن طعنتم في إمارتي أُسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله، وايم الله إن كان للإمارة

---

(١) البقرة: ١١ ـ ١٢.

(٢) التوبة: ٤٩.

خليقاً وإنّ بنه من بعد لخليق للإمارة[١].

**«فأما أولياء الله فضياؤهم فيها اليقن»** بحيث إنّ الشبهة باطل شبيه بالحق تكون كالظلمة، فأولياء الله لهم ضياء من اليقين يبصرون به الحق والباطل ويميزون بينهما فيأخذون بالحق ويتركون الباطل.

**«ودليلهم سمت الهدى»** في (صفين نصر): قال أبو نوح: كنت في خيل عليّ عليه السلام وهو واقف بين جماعة من همدان وحمير وغيرهم من أفنان قحطان إذا أنا برجل من أهل الشام يقول: من دل على الحميري؟ فقلنا: من تريد؟ قال: الكلاعي أبا نوح. قلت: قد وجدته فمن أنت؟ قال: أنا ذو الكلاع سر إلي. فقلت: معاذ الله أن أسير إليك إلّا في كتيبة. قال: فسر فلك ذمة الله وذمة رسوله وذمة ذي الكلاع حتى ترع إلى خيلك فإنّما أُريد أن اسألكم عن أمر تمارينا فيه في حديث حدثناه عمرو بن العاص في إمارة عمر. قال أبو نوح: وما هو؟ قال: ذو الكلاع حدّثنا أن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «يلتقي أهل الشام وأهل الحق وفي إحدى الكتيبتين الحق وإمام الهدى ومعه عمار بن ياسر» قال أبو نوح: والله إنّه لفينا. قال: أجاد هو في قتالنا؟ قال أبو نوح: نعم ورب الكعبة لهو أشدّ على قتالكم مني، ولوددت أنكم خلق واحد فذبحته وبدأت بك قبلهم وأنت ابن عمي -إلى أن قال- فسار أبو نوح معه حتى أتى عمرو بن العاص وهو عند معاوية وحوله الناس، فقال ذو الكلاع لعمرو بن العاص: هل لك في رجل ناصح لبيب شفيق يخبرك عن عمار لا يكذبك. قال: من هو؟ قال: ابن عمي هذا وهو من أهل الكوفة. فقال عمرو: إنّي لأرى عليك سيماء أبي تراب. قال أبو نوح: علي سيماء محمّد صلى الله عليه وآله وأصحابه وعليك سيماء أبي جهل وسيماء فرعون...[٢].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢: ١٣٦ طبع ليدن.

(٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٣٣٢.

**«وأما أعداء الله فدعاؤهم فيها الضلال ودليلهم العمى»** في (صفين نصر بن مزاحم): قال عمرو بن العاص لعمار بن ياسر: علام تقاتلنا، أولسنا نعبد إلهاً واحداً، ونصلّي قبلتكم وندعو دعوتكم ونقرأ كتابكم ونؤمن برسولكم؟ قال عمار: الحمد لله الذي أخرجها من فيك، إنّها القبلة والدين وعبادة الرحمن والكتاب، لي ولأصحابي دونك ودون أصحابك. سأُخبرك على ما قاتلتك وأصحابك. أمرني النبيّ صلى الله عليه وآله أن أُقاتل الناكثين وقد فعلت، وأمرني أن أُقاتل القاسطين وأنتم هم، وأما المارقين فما أدري أُدركهم أم لا، ألم تعلم أيّها الأبتر ألست تعلم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» وأنا مولى الله ورسوله وعلي بعده وليس لك مولى. قال له عمرو: ولم تشتمني ولست أشتمك. قال عمار: بم تشتمني أتستطيع أن تقول إنّي عصيت الله ورسوله يوماً. قال: إنّ فيك لمسبات غير ذلك. فقال: ان الكريم من أكرمه الله، كنت وضيعاً فرفعني ومملوكاً فأعتقني وضعيفاً فقواني وفقيراً فأغناني. قال عمرو: فما ترى في قتل عثمان؟ قال: فتح لكم باب كل سوء. قال عمرو: فعليّ قتله. قال عمار: بل الله رب علي قتله وعلي معه. قال عمرو: أكنت فيمن قتله؟ قال: كنت مع من قتله وأنا اليوم أُقاتل معهم. قال عمرو: فلم قتلتموه؟ قال عمار: أراد أن يُغيّر ديننا فقتلناه. قال عمرو: ألا تسمعون قد اعترف بقتل عثمان. قال عمار: وقد قال قبلك فرعون لقومه «ألا تسمعون»[1].

وروى (صفين نصر أيضاً) عن السدي عن يعقوب بن الأوسط قال: احتج رجلان بصفين في سلب عمار وفي قتله، فأتيا عبدالله بن عمرو بن العاص فقال لهما: ويحكما اخرجا عني فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال «مالهم ولعمار

---

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٣٤٢.

يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار قاتله وسالبه في النار» قال السدي: فبلغني أنّ معاوية قال: إنّما قتله من أخرجه ـ يخدع بذلك طغام أهل الشام[١].

«فما ينجو من الموت من خافه» في (الكافي)[٢]: عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ مَلَكاً كان له عند الله منزلة عظيمة، فتعتب عليه فأهبطه إلى الأرض فأتى إدريس عليه السلام فقال له: ان لك من الله منزلة فاشفع لي عنده فصلى ثلاث ليالي لا يفتر وصام أيامها لا يفطر، ثم طلب إلى الله تعالى في السحر في الملك. فقال له الملك: قد أُعطيت سؤلك وقد اطلق لي جناح وأنا أُحب أن أُكافيك فاطلب مني حاجة. فقال: تريني ملك الموت لعلي آنس به فإنّه ليس يهنئني مع ذكره شيء. فبسط جناحه ثم قال: اركب فصعد به يطلب ملك الموت في السماء الدنيا فقيل له: أصعد. فاستقبله بين السماء الرابعة والخامسة، فقال الملك لملك الموت: مالي أراك قاطباً؟ قال: العجب أنّي تحت ظل العرش حيث أُمرت أن أقبض روح آدمي بين السماء الرابعة والخامسة. فسمع إدريس صوته فامتعض فخرّ من جناح الملك فقبض روحه مكانه، قال عزّ وجلّ ﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾[٣].

«ولا يعطي البقاء من أحبه» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: جاء جبرئيل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: عش ما شئت فإنّك ميت، واحبب من شئت فإنّك مفارقه، واعمل ما شئت فإنّك لاقيه[٤].

---

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٣٤٢.

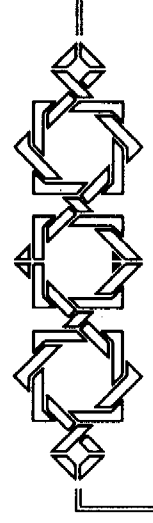
(٢) الكافي ٣: ٢٥٧ ح ٢٦.

(٣) مريم: ٥٧.

(٤) الكافي للكليني ٣: ٢٥٥ الرواية ١٧، وأيضاً من لا يحضره الفقيه ١: ٤٧١ الرواية ١٣٦٠.

# الفصل الرابع والخمسون

# في العقل



## ١
## الحكمة (٢٣٥)

وقيل له: صف لنا العاقل. فقال عليه السلام:

هُوَ الَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ مواضِعَهُ.

فقيل: فصف لنا الجاهل. فقال عليه السلام: قَدْ فعلتُ.

قال الرضي: يعني ان الجاهل هو الذي لا يضع الشيء مواضعه، فكان ترك صفته صفة له إذ كان بخلاف وصف العاقل.

«**وقيل له عليه السلام صف لنا العاقل**» في (مطالب السؤول) قال عليه السلام: «العقل عقلان: عقل الطبع وعقل التجربة، وكلاهما يؤدّي إلى المنفعة، والموثوق به صاحب العقل والدين، ومن فاته العقل والمروة فرأس ماله المعصية، وصديق كلّ امرئٍ عقله وعدوّه جهله، وليس العاقل من يعرف الخير من الشر ولكن العاقل من يعرف خير الشرّين، ومجالسة العقلاء تزيد في الشرف، والعقل الكامل قاهر للطبع السوء. وعلى العاقل أن يحصي على نفسه مساوئها

في الدين والرأي والأخلاق والأدب، فيجمع ذلك في صدره أو في كتاب ويعمل على إزالتها.

(وفيه): وقال عليه السلام: «الإنسان عقل وصورة، فمن أخطأه العقل ولزمته الصورة لم يكن كاملاً وكان بمنزلة من لا روح له، ومن طلب العقل المتعارف فليعرف صورة الاصول والفضول، فإن كثيراً من الناس يطلبون الفضول ويضيعون الأصول، فمن أحرز الأصل اكتفى به عن الفضل»[1].

وفي (تحف العقول): قال راهب للنبي صلى الله عليه وآله: أخبرني عن العقل ما هو؟ وكيف هو؟ وما يتشعب منه؟ فقال صلى الله عليه وآله: «العقل عقالٌ من الجهل، والنفس مثل أخبث الدّوابّ، فإن لم تعقل حارت [حرنت ظ]، وإنّ الله تعالى خلق العقل فقال له: أقبل؛ فأقبل، وقال له: أدبر؛ فأدبر، فقال تعالى: وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً أعظم منك ولا أطوع منك، بك أُبدئُ وبك أُعيد، لك الثواب وعليك العقاب، فتشعب من العقل الحلم، ومن الحلم العلم، ومن العلم الرشد، ومن الرشد العفاف، ومن العفاف الصيانة، ومن الصيانة الحياء، ومن الحياء الرزانة، ومن الرزانة المداومة على الخير، ومن المداومة على الخير كراهيّة الشرّ، ومن كراهية الشرّ طاعة الناصح، فهذه عشرة أصناف من أنواع الخير، ولكلّ واحد من هذه العشرة الأصناف عشرة أنواع...»[2].

«فقال عليه السلام: هو الذي يضع الشيء مواضعه» في (شعراء ابن قتيبة): رأى دريد بن الصمة الخنساء تهنأ الابل فقال:

ما ان رأيتُ ولا سَمِعْتُ بِهِ ... كاليومِ هانىء أنيق جُرْبِ

---

(١) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول صلى الله عليه وآله: ٤٩، ونقله عنه المجلسي في البحار ٧٨: ٦ ـ ٧.

(٢) تحف العقول: ١٢ ـ ١٣.

مُـــتَبَذِّلاً تَـبْدُو مَـحاسِنُه  يَضَع الهَناءَ مَواضِعَ النُّقُب[١]

«فقيل: فصف لنا الجاهل. فقال عليه السلام: قد فعلت» قيل لرجل: ما السَّخاء؟ قال: جهد مقل. قيل له: فما البخل؟ قال: أُفٍّ ـ وحوّل وجهه. فقيل له: أجب. فقال: أجبت.

وفي (كنايات الجرجاني): تقول العرب في الكناية عن الجاهل: «لا يدري أيَّ طرفيه أطول»[٢].

«يعني أنّ الجاهل هو الذي لا يضع الشيء مواضعه» قالوا: صعد ثابت بن قطنة منبر سجستان فأرتج عليه، فلما نزل قال:

فان لم أكن فيهم خطيباً فإنّني  بسيفي إذا جَدَّ الوَغى لَخَطيبُ

فقيل له: لو كنتها فوق المنبر لكنت أخطب الناس[٣].

## ٢
## الحكمة (٤٥٠)

وقال عليه السلام:

**مَا مَزَحَ امرؤٌ مَزْحَةً إلّا مَجَّ مِنْ عَقْلِهِ مَجَّةً.**

أقول: قال ابن أبي الحديد قيل: إنّما سمّي المزاح مزاحاً لأنّه أُزيح عن الحق[٤].

قلت: لا ريب في أن «مزاح» فعال من مزح، لا مفعل من زاح[٥] حتى يحتمل ما قال، إلّا أنّ الأصل في كلامه خبر روي عن فاروقهم.

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ١٢٢، كذا ورد في ديوان دريد بن الصمّة: ٣٤.

(٢) الكنايات للجرجاني: ١١٣.

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٢٧٥ وفيه: «فإلّا أكن بدلا من: «فإن لم أكن».

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ١٠٠.

(٥) يطبع هذا الهامش من ورقة الهوامش المرقمة (٢) ورقم الهامش فيها (٤).

وقوله عليه السلام «إلّا مجَّ من عقله مجّة» استعارة من مجّ الشراب من فيه: إذا رمى به. قال بعضهم: المزاح يجلب الشرّ صغيره والحرب كبيره، ولو كان المزاح فحلاً لم ينتج إلّا شرّاً.

وفي (أخبار حكماء القفطي): عبث ابن حمدون النديم بابن ماسويه بحضرة المتوكّل، فقال له ابن ماسويه: لو كان ما فيك من الجهل عقلاً ثم قسّم على مئة خنفساء لكانت كلّ واحدة منهن أعقل من ارسطو طاليس.

إنّما السالم من ألجم فاه بلجام

ربما استفتحت بالمزح مغاليق الحمام

* * *

قد صار في الناس جداً ما مزحت به     كم مازح صار بين الناس مذموما[1]

## ٣
## الحكمة (٤٠)

وقال عليه السلام:

لِسانُ العاقِلِ وراءَ قَلبِهِ، وقَلْبُ الأَحمقِ وَرَاءِ لِسَانِهِ.

قال الرضي: وهذا مِنْ المعانِي العَجِيبة الشّريفةِ، والمُرَادُ بِهِ أنَّ العاقِلَ لا يُطلِقُ لِسانهُ إلّا بعد مُشاورة الرَّويَّة ومُؤَامَرَةِ الفِكْرة، والأحمقُ تَسبقُ حَذَفاتُ لسانِهِ وَفَلَتَتُ كَلامِهِ مُراجَعةَ فِكْرِهِ وَمماخَضة رَأْيِهِ، فكأَنَّ لِسانَ العاقِلِ تابعٌ لِقَلبِهِ، وكأَنَّ قَلْبَ الأحمَقِ تابعٌ للسانه. وقد روِيَ عنه عليه السلام هَذَا المعنى بلفظٍ آخر، وهو قوله:

---

(١) أخبار العلماء والحكماء للقفطي: ٢٤٩، وابن ماسويه هو يوحنا كان نصرانياً سريانياً، ولّاه الرشيد ترجمة الكتب الطبعة القديمة التي وجدها بأنقرا وعمّورية، كان فاضلاً متدماً عند الملوك، خدّم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل (أخبار العلماء والحكماء: القفطي في ترجمة يومنا ما سوية: ٢٤٨.

قَلبُ الاحمق فِي فِيهِ، ولِسانُ العاقِلِ فِي قلبِهِ. ومعناهما واحد.

أقول: ومرّ في فصل الخوارج رواية أُخرى عنه عليه السلام في نظيره، وهو: «وإنّ لسان المؤمن من وراء قلبه، وإنّ قلب المنافق من وراء لسانه»[١].

وقال ابن أبي الحديد ثمّة مراده عليه السلام بالمؤمن العاقل وبالمنافق الأحمق[٢]. وقلنا ثمّة بل هما معنيان، وأغلب المنافقين في غاية الفطانة، وإنّما قال عليه السلام ثمة: «إنّ لسان المؤمن من وراء قلبه» يعني في أمر دينه، بدليل قوله عليه السلام بعد: «لأنّ المؤمن إذا أراد أن يتكلّم بكلام تدبّره في نفسه فإن كان خيراً أبداه وإن كان شرّاً واراه».

وقال عليه السلام: «وان قلب المنافق من وراء لسانه» يعني في عدم مبالاته بالدّين حتى يتجنّب من كذب أو غيبة بشهادة قوله عليه السلام بعد: «وان المنافق يتكلّم بما أتى على لسانه لا يدري ماذا له وماذا عليه».

«**لسان العاقل وراء قلبه**» قالت الحكماء: لسان المرء من خدم الفؤاد[٣].

| | |
|---|---|
| إذا قلت قدّر أنّ قولك عرضة | لبادرة أو حجّة لمخاصم |
| وإنّ امرأً لم يخش قبل كلامه | الجواب فينهى نفسه غير حازم |

وفي (العقد): دخل صعصعة بن صوحان على معاوية وابن العاص جالس معه على سريره، فقال له: وسّع له على تُرابيّة فيه. فقال صعصعة: إنّي والله لتُرابيّ، منه خلقت، وإليه أعود، ومنه أُبعث، وإنّك لمارجٌ من مارج من نار. فقال له معاوية: إنّما أنت هاتف بلسانك لا تنظر في أود الكلام واستقامته، فإنْ كنت تنظر في ذلك فأخبرني عن أفضل المال. فقال: والله إنّي لأدع الكلام حتى

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٢٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٢٩ بتصرف.

(٣) ورد في أدب الدنيا والدين للماوردي: ٢٧٠ بلفظ: «اللسان وزير الإنسان».

يختمر في صدري ثم أهبّ ولا أهتف به حتى أقيم أوده وأُجيز متنه، وإنّ أفضل المال لبرة سمراء في بريّة غبراء، أو نعجة صفراء في نبعة خضراء، أو عين فوّارة في أرض خوّارة. فقال معاوية: لله أنت! فأين الذهب والفضة؟ قال: حجران يصطكّان، إن أقبلت عليهما نفدا وإن تركتهما لم يزيدا[١].

«وقلب الأحمق وراء لسانه» في بيان الجاحظ، كان ابن ضحيان الازدي يقرأ ﴿قل يا أيها الكافرين﴾[٢] فقيل له في ذلك، فقال: قد عرفت القراءة في ذلك ولكنّي لا أجِلُّ أمر الكفّار[٣].

وفي ابن أبي الحديد: أرسل ابن لعجل بن لجيم فرساً له في حلبة فجاء سابقاً، فقيل له: سمّه باسم يعرف به. فقام ففقأ عينه وقال: سميته أعور. فقال شاعر يهجوه:

رمتني بنو عجل بداء أبيهم
وأيُّ عباد الله أنوك من عجل
أليس أبوهم عار عين جواده
فأضحت به الأمثال تُضرب بالجهل[٤]

وكتب مسلمة بن عبد الملك إلى يزيد بن المهلب لمّا خرج عليهم: إنّك لست بصاحب هذا الأمر، ان صاحبه مغمور موتور، وأنت مشهور غير موتور. فقال له رجل من الأزد: قدِّم ابنك مَخلَداً حتى يقتل فتصير موتوراً.

قال: ومدح رجل من الأزد المهلب فقال:

نعم أمير الرفقة المهلّبَ أبيض وضّاح كتيس الحُلَّبُ

---

(١) العقد الريد ٤: ٣٣٦.

(٢) الكافرون: ١ .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ ٤: ٢٠ .

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١٦١ .

فقال له حسبك[١].

قال: وخرج كلاب بن صعصعة مع اخوته، فاشترى اخوته خيلاً وجاء كلاب بعجل يقوده، فقيل له: ماهذا؟ قال: فرس اشتريته. قالوا: يا مائق! هذه بقرة، أما ترى قرنيها، فرجع إلى منزله فقطع قرنيها ثم قادها فقال: أعددتها فرساً كما تريدون، فأولاده يدعون بني فارس البقرة[٢].

وقال: وشرد بعير من هبنقة، فجعل ينادي من أتى به له بعيران. قيل له: تبذل بعيرين في بعير. قال: لحلاوة الوجدان[٣].

وقال: وسرق من أعرابي حمار فحمد الله على أنّه لم يكن عليه[٤].

وقال: وقال المأمون يوماً لثمامة: ما جهد البلاء؟ قال: عالم يجري عليه حكم جاهل، حبسني الرشيد عند مسرور الكبير فسمعته يوماً يقرأ: ﴿ويلٌ يومئذٍ للمكذَّبين﴾[٥] بفتح الذال. قلت له: المكذبين الأنبياء قل المكذبين بكسر الذال. فقال لي: يقال لي عنك إنّك قدريٌّ فلا نجوتُ إن نجوتَ منّي الليلة، فعاينت منه تلك الليلة الموت من شدّة ما عذّبني[٦].

وقال: ودخل كعب البقر الهاشمي على محمد بن عبدالله بن طاهر يعزّيه في أخيه، فقال له: أعظم الله مصيبة الأمير. فقال: أما فيك فقد فعل.

وقال: وقال أبو كعب القاصّ في قصصه: إن النبي ﷺ قال في كبد حمزة: ما فعلتم فادعوا الله أن يطعمنا من كبد حمزة.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١٦٣ ـ ١٦٤، بتصرف.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١٦٥ بتصرف.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٦٦.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المرسلات: ١٥، والمطفّفين: ١٠.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١٦٤ بتصرف.

وقال: وقال أيضاً مرة اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا وكذا. فقيل له: ان يوسف لم يأكله الذئب. فقال: إنّ هذا اسم الذئب الذي لم يأكله.

وقال: وطار لبكار بن عبد الملك بازي فقال لصاحب الشرطة: أغلق أبواب دمشق لئلا يخرج البازي.

وقال: ووقف معاوية بن مروان على باب طحان وحماره يدور بالرحى وفي عنقه جُلْجُل، فقال للطحان: لِمَ جعلت هذا في عنقه؟ فقال: إذا لم أسمع الصوت علمت أنّه قد نام فصحت به، فقال: أرأيته إن قام وحرّك رأسه ما علمك به أنّه قائم؟ قال: وأين لحماري بمثل عقل الأمير[١].

قلت: ما ذكره أمثلة لأعمال الحمقاء فعلاً وقولاً لا شواهد لكلامه عليه السلام.

«وقد روى عنه عليه السلام هذا المعنى بلفظ آخر، وهو قوله: قلب الأحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه» في (بلاغات نساء البغدادي) قال المدائني: قالت خالدة بنت هاشم ابن عبد مناف لأخ لها ـ وقد سمعته تجهّم[٢] صديقاً له ـ أي أخي! لا تطلع من الكلام إلّا ما قد روّأت[٣] فيه قبل ذلك ومزجته بالحلم وداويته بالرفق، فإنّ ذلك أشبه بك. فسمعها أبوها فقام إليها فاعتنقها وقال: واهاً لك يا قبّة الديباج. فكانت تلقّب بذلك[٤].

«ومعناهما واحد» هذا الكلام زائد بعد قوله أولاً «وقد روى عنه عليه السلام هذا المعنى بلفظ آخر».

---

(١) شرح ابن أبي الحديد: ١٦١ ـ ١٦٢.

(٢) أي: استقبله بوجه كريه.

(٣) من روأ في الأمر تروئة، انظر فيه وتعقّبه ولم يعجل بجواب.

(٤) بلاغات النساء: ١٩٩ ـ ٢٠٠.

# ٤
# الحكمة (٣٠١)

وقال عليه السلام:

**رَسُولُكَ تَرْجُمَانُ عَقلكَ وكِتَابُكَ أَبْلَغُ مَا يَنْطِقُ عَنْكَ.**

أقول: في (الطبري) أراد معن بن زائدة أن يوفد إلى المنصور قوماً يسلّون سخيمته ويستعطفون قلبه عليه، وقال: قد أنفقت عمري في طاعته واتعبت نفسي وأفنيت رجالي في حرب اليمن ثم يسخط عليّ أن أنفقت المال في طاعته، فانتخب جماعة من عشيرته من أفناء ربيعة، فكان فيمن اختار مجاعة ابن الأزهر، فجعل يدعو أُولئك الجماعة واحداً واحداً ويقول: ماذا أنت قائل للخليفة إذا وجّهتك؟ فيقول: أقول وأقول حتى جاءه مجاعة فقال: تسألني عن مخاطبة رجل بالعراق وأنا باليمن أقصد لحاجتك حتى أن تأتي لها كما يمكن وينبغي. فقال: أنت صاحبي. ثم التفت إلى عبد الرحمن بن عتيق المزني فقال له: شدّ على عضد ابن عمّك وقدِّمه أمامك فإن سها عن شيء فتلافه.

واختار من أصحابه ثمانية نفر معهما حتّى تمّوا عشرة وودّعهم حتى مضوا وصاروا إلى المنصور، فابتدأ مجاعة بحمد الله تعالى والثناء عليه حتى ظنّ القوم أنّه إنّما قصد لذلك، ثم كرّ على ذكر النبي صلى الله عليه وآله وكيف اختاره الله من بطون العرب ونشر من فضله ـ حتى تعجّب القوم ـ ثم كرّ على ذكر المنصور وما شُرِّف به وما قُلّد، ثم كرّ على حاجته في ذكر صاحبه، فلما انتهى من كلامه قال له المنصور: أمّا ما وصفت من حمد الله تعالى فالله أجلّ وأكبر من أن تبلغه الصفات، وأمّا ما ذكرت من النبي صلى الله عليه وآله فقد فضّله الله بأكثر ممّا قلت، وأمّا ما وصفت به الخليفة فإنّه فضّله الله تعالى بذلك وهو معينه على طاعته، وأمّا ما ذكرت من صاحبك فكذبت لؤمت أخرج فلا يقبل ما ذكرت. قال: صدق

الخليفة ووالله ما كذبت في صاحبي. فأخرجوا فلما صاروا إلى آخر الايوان أمر بردّه مع أصحابه فقال: ما ذكرت، فكرّر عليه الكلام حتى كأنّه يقرؤه في صحيفة. فقال له: مثل القول الأول، فأُخرجوا حتى برزوا جميعاً وأمر بهم فوقفوا ثم التفت إلى من حضر من مضر فقال: هل تعرفون فيكم مثل هذا؟ والله لقد تكلّم حتى حسدته وما منعني أن أتمّ على ردّه إلّا أن يقال: إنّه تعصب عليه لأنه ربعي، وما رأيت كاليوم رجلاً أربط جأشاً ولا أظهر بياناً. ردّه يا غلام، فلمّا صار بين يديه أعاد السلام وأعاد أصحابه، فقال له: أُقصد لحاجتك وحاجة صاحبك. قال: أيها الخليفة! معن بن زائدة عبدك وسيفك وسهمك، رميت به عدوّك فضرب وطعن ورمى حتى سهُل ما حزن وذلّ ما صعب واستوى ما كان معوجّاً من اليمن، فأصبحوا من خول الخليفة، فإن كان في نفس الخليفة هنة من ساعٍ أو واشٍ أو حاسدٍ فالخليفة أولى بالتفضّل على عبده ومن أفنى عمره في طاعته. فقبل وفادتهم وقبل العذر من معن وأمر بصرفهم إليه، فلمّا صاروا إلى معن وقرأ الكتاب بالرضا؛ قبّل بين عينيه وشكر أصحابه وخلع عليهم على أقدارهم[1].

وقالوا: أرسل عبد الملك إلى الحجّاج رسولاً فدخل عليه في ساعة مات صديق له فقال الحجاج: ليت إنساناً يعزّيني بأبيات. فقال الرسول: أقول؟ قال: قل. فقال: كلّ خليل يفارق خليله يموت أو يصلب أو يقع من فوق البيت أو يقع البيت عليه أو يقع في بئر أو يكون شيئاً لا نعرفه.

فقال الحجّاج: لقد سليتني عن مصيبتي بأعظم منها في الخليفة إذ وجه رسولاً مثلك.

«وكتابك أبلغ ما ينطق عنك» في (المعجم) قدم طاهر بن الحسين الكوفة

---

(١) تاريخ الملوك والأُمم للطبري ٦: ٣١٠.

والعباس بن محمد بن موسى عليها، فوجّه العباس كاتبه إليه، فلمّا دخل على طاهر قال: أخيك أبي موسى يقرأ عليك السلام. قال: وما أنت منه؟ قال: كاتبه الذي يطعمه الخبز. فدعا طاهر بكاتبه وقال له: اكتب وأنت قائم بصرف العباس عن الكوفة إذ لم يتخذ كاتباً يحسن الاداء عنه[1].

وفي (ابن أبي الحديد) قال الشاعر:

تخيّر إذا ما كنت في الأمر مرسلاً فمبلغ آراء الرجال رسولها
وروِّ وفكِّر في الكتاب فإنّما بأطراف أقلام الرجال عقولها[2]

هذا، وفي (الجهشياري): كتب كاتب مصعب «من المُصْعَب» فقال مُصْعب: ما هاتان الزائدتان؟ ـ يعني الألف واللام[3].

## ٥
## الحكمة (٤٠٧)

وقال عليه السلام:

مَا ٱسْتَوْدَعَ ٱللهُ امْرَأً عَقْلاً إلَّا اسْتَنْقَذَهُ بِهِ يَوْماً ما!

أقول: هكذا في الطبعة (المصرية)[4]، ولكن في ابن ميثم[5] والخطية[6] «إلّا ليستنقذه به يوماً ما» ومثله (ابن أبي الحديد) لكنه قال: وروي «استنقذه به يوماً ما»[7].

---

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموي ١: ٨٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٠٧.

(٣) تاريخ الوزراء للجهشياري: ٤٦.

(٤) انظر الطبعة المصرية: ٧٥٢ رقم ٣٩٢.

(٥) انظر ابن ميثم النسخة المنقحة فالنص مماثل لمّا ورد في الطبعة المصرية ٥: ٤٤١ رقم ٣٨٣.

(٦) النسخة الخطية (مرعشي): ٣٢٥.

(٧) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٤٠.

وكيف كان فمصداق ما قاله عليه السلام امرأة فاجرة استودعها الله تعالى عقلاً استنقذها به من هلكة عملها، ففي (روضة الكافي) عن الصادق عليه السلام: كان عابد في بني اسرائيل لم يقارف شيئاً من أمر الدنيا، فنخر ابليس نخرة، فاجتمع إليه جنوده، فقال: من لي بفلان، فقال بعضهم أنا، فقال من أين تأتيه؟ قال: من ناحية النساء، قال: لست له. فقال له آخر: فأنا، فقال فمن أين تأتيه، قال من ناحية الشراب واللّذّات. قال: لست له، ليس هذا بهذا. قال آخر: فأنا له، قال: من أين تأتيه؟ قال من ناحية البر قال: أنت صاحبه. فانطلق إلى موضع الرجل فأقام يصلّي، وكان الرجل ينام ويصلّي والشيطان يصلّي ولا ينام، والرجل يستريح والشيطان لا يستريح، فتحوّل إليه الرجل وقد تقاصرت إليه نفسه فقال: يا عبدالله! بأيّ شيء قويت على ما رأيت من الصلاة، فلم يجبه ثم أعاد عليه فلم يجبه ثم أعاد فقال: يا عبد الله! إنّي أذنبت ذنباً وأنا تائب منه، فإذا ذكرت الذنب قويت على الصلاة. قال بصّرني ذنبك حتى أعمل وأتوب، فإذا فعلته قويت على الصلاة. قال: أُدخل المدينة فسل عن فلانة البغية فأعطها درهمين ونل منها. قال: ومن أين لي درهمان ما أدري ما الدرهمان؟ فتناول الشيطان من تحت قدميه درهمين فناوله.

فقام فدخل المدينة بجلابيبه يسأل عن منزل فلانة البغية، فأرشدوه وظنّوا أنّه جاء يعظها، فجاء إليها ورمى بالدرهمين إليها وقال قومي فقامت ودخل منزلها وقالت أُدخل... فقالت: إنّك جئتني في هيئة ليس يؤتى مثلي في مثلها، فأخبرني بخبرك، فأخبرها فقالت: يا عبد الله! إنّ ترك الذنب أهون من طلب التوبة وليس كلّ من طلب التوبة وجدها، وإنما ينبغي أن يكون هذا شيطاناً مثل لك، فانصرف فإنّك لا ترى شيئاً. فانصرفَ وماتت المرأة من ليلتها، فأصبحت فاذا على بابها مكتوب: «إحضروا فلانة فإنّها من أهل الجنّة»

فارتاب الناس فمكثوا ثلاثاً ارتياباً في أمرها، فأوحى الله تعالى إلى نبيّ من الأنبياء لا أعلمه إلّا موسى أنِ ائت فلانة فصلّ عليها وأُمر الناس أن يصلّوا عليها فإنّي غفرت لها وأوجبت لها الجنّة بتثبيطها عبدي فلاناً عن معصيتي[1].

وفي (كامل الجزري): استوزر عبد المؤمن صاحب المغرب في سنة (٥٤٥) ابا جعفر بن أبي أحمد الأندلسي ـ وكان مأسوراً عنده ـ فوُصف له بالعقل وجودة الكتابة، فأخرجه من الحبس واستوزره وهو أول وزير كان للموحدين[2].

## ٦
## الحكمة (٤٢١)

وقال عليه السلام:

كَفَاكَ مِنْ عَقْلِكَ مَا اَوضَحَ لَكَ سبيل غَيِّك مِنْ رُشْدِكَ.

أقول: العنوان ليس في (الطبعة المصرية الأولى)، وإنّما موجود في الطبعة الثانية بين قوسين[3] علامة في أخذه عن (ابن أبي الحديد)[4]، والحق ثبوته، لتصديق (ابن ميثم)[5] الذي نسخته بخط مصنفه والنسخة الخطية له.

ثم المراد أنّ ذلك المقدار من العقل يكفي في تنجّز التكليف وفي المسؤولية، كما أن ما أتى به النبي صلى الله عليه وآله عن الله تعالى يكفي في إتمام الحجّة قال تعالى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبيّن الرُّشد من الغيّ﴾[6]. وفي الخبر: انما

---

(١) روضة الكافي للكليني ٢: ٣٥٣.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري ١١: ١٥٢.

(٣) الطبعة المصرية التي لدى المحقق، ورد العوان دون قوسين ـ انظر: ٧٥٥ رقم (٤٠٧).

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٦٥.

(٥) شرح ابن ميثم ٥: ٤٤٦.

(٦) البقرة: ٢٥٦.

يداق الله العباد في القيامة على قدر عقولهم[١].

وفي (الكافي) عن الباقر عليه السلام: لمّا خلق الله تعالى العقل استنطقه ثم قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثمّ قال: وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحبّ إليّ منك، ولا أكملتك إلّا في من أُحبّ، أما إنّي إيّاك آمر وإيّاك أنهى، وإيّاك أُعاقب وإيّاك أُثيب[٢].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: ما قسم الله تعالى للعباد شيئاً أفضل من العقل، فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل، وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل، ولا بعث الله نبيّاً حتى يستكمل له العقل ويكون عقله أفضل من عقول جميع أُمّته -إلى أن قال- ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل، والعقلاء هم أولو الألباب الذين قال تعالى: ﴿...وما يذّكّر إلّا أولو الألباب﴾[٣].

وعنه صلى الله عليه وآله: إذا رأيتم الرجل كثير الصلاة كثير الصيام فلا تباهوا به حتى تنظروا كيف عقله[٤].

وفي الديوان المنسوب إليه عليه السلام:

| | |
|---|---|
| وأفضلُ قِسم الله للمرء عَقله | فَلَيسَ مِنَ الخَيراتِ شيءٌ يُقارِبُه |
| إذا أكمل الرحمن للمرءِ عقله | فقد كمُلت أخلاقه ومآربه |
| يعيش الفتى في الناس بالعقل إنّه | على العقل يجري علمه وتجاربه |

(١) أورده البرقي في المحاسن: ١٤٩، عن الحسن بن علي بن يقطين عن محمّد بن سنان عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام بلفظ: إنّما يداق الله العباد في حساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا.

(٢) الكافي للكليني ١: ١٠ ح ١.

(٣) ذكره البرقي في المحاسن: ١٤٨ بلفظ: «ما تم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل، فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل، وافطار العاقل أفضل من صوم الجاهل...»، وذكره القمي في سفينة البحار ٢: ٢١٤، وذكره الزبيدي في إتحاف السادة ٨: ٤٩٠ والآية ٢٦٩ من سورة البقرة.

(٤) الكافي للكليني ١ الحديث (٢٨) أخرجه عن أحمد بن محمّد.

يزين الفتى في الناس صحّة عقله وإن كان محظوراً عليه مكاسبه
يشين الفتى في الناس قلّة عقله وإن كرمت أعراقه ومناصبه
ومن كان غلّاباً بعقلٍ ونجدةٍ فذو الجدِّ في أمر المعيشة غالبه[١]

# ٧
## الحكمة (٤٢٤)

وقال عليه السلام:
الحِلْمُ غِطَاءٌ سَاتِرٌ، والعَقْلُ حُسَامٌ قاطِعٌ، فاستُرْ خَلَلَ خُـلُقِكَ بِـحِلْمِكَ، وقاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ.

أقول: رواه (الكافي) مع تغيير وزيادة، روى في (١٣) من أخبار كتاب عقله وجهله عنه عليه السلام: العقل غطاء ستير[٢]، والفضل جمال ظاهر، فاستر خلل خلقك بفضلك، وقاتل هواك بعقلك، تسلم لك المودة وتظهر لك المحبة[٣].

«الحلم غطاء ساتر» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: كظم الغيظ عن العدو في دولاتهم تقية حزم[٤] لمن أخذ به وتحرّز من التعرّض للبلاء في الدنيا[٥].

«والعقل حسام» أي: سيف.

«قاطع» في (الكافي) عن الكاظم عليه السلام: إن العاقل لا يحدّث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يعدُ ما لا يقدر عليه، ولا يرجو ما يعنّف

(١) ديوان أمير المؤمنين! جمع محمّد جواد النجفي: ١٢.
(٢) الستير: الغطاء، وكل ما يُستتر به، والستير: فعِيل بمعنى فاعل أي: ساتر.
(٣) الكافي للكليني ١: ٢٠ ح ١٣.
(٤) الحزم ضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة.
(٥) الكافي للكليني ٢: ١٠٩ ح ٤.

برجائه[١]، ولا يقدم على ما يخاف فوته بالعجز عنه[٢].

«فاستر خلل خُلُقِكَ بحلمك» قد عرفت أن (الكافي) رواه «بفضلك» بدل «بحلمك»، وكل منهما صحيح، فكل من الحلم والفضل ـ أي الأفضال ـ يستر كل خلل في الخلق، إلّا أنّ الحلم يمنع عن ظهوره والافضال عن تأثيره.

«وقاتل هواك بعقلك» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: اعرفوا العقل وجنده والجهل وجنده تهتدوا ـ إلى أن قال ـ وجعل للعقل خمسة وسبعون جنداً وللجهل مثله، فكان ممّا أُعطي العقل: الخير وهو وزيره، وجعل ضده الشر وهو وزير الجهل، والايمان وضده الكفر، والتصديق وضده الجحود، والرجاء وضده القنوط، والعدل وضده الجور ـ إلى أن قال ـ ولا تجتمع هذه الخصال كلّها من أجناد العقل إلّا في نبيّ أو وصيّ نبي أو مؤمن قد امتحن الله قلبه للايمان، واما باقي موالينا فلا يخلون من أن يكون فيهم بعض هذه....

## ٨
## في الكتاب (٣)

من عناوين فصل الموت:

شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى وسلم من علائق الدنيا.

وفي أخلاق الوزيرين قال الشاعر:

كم من أسير في يدي شهواته ظفر الهوى منه بحزم ضائع

وقال أعرابي:

لم أر كالعقل صديقاً معقوقاً، ولا كالهوى عدواً معشوقاً، ومن وفّقه الله للخير

---

(١) أي العاقل لا يرجو فوق ما يستحقه.

(٢) الكافي للكليني ١: ٢٠ ـ ٢٣ ح ١٤.

جعل هواه مقموعاً ورأيه مرفوعاً[١].

ولبعض العرب؛ ويقال هو عامر بن الظرب: الرأي نائم والهوى يقظان فأرقدوا الهوى بفظاظة، وأيقظوا الرأي بلطافة[٢].

ومرّ في فصل الجمل قوله عليه السلام: «كم من عالمٍ قتله جهله ومعه علمه لا ينفعه». والمراد من العلم فيه؛ العلم المستفاد من العقل، ومن الجهل؛ ملكات الصفات السيئة.

ويأتي في ٥ / ٥٦ قوله عليه السلام: «لا غنى كالعقل ولا فقر كالجهل»[٣].

---

(١) أخلاق الوزيرين للتوحيدي: ١٨.

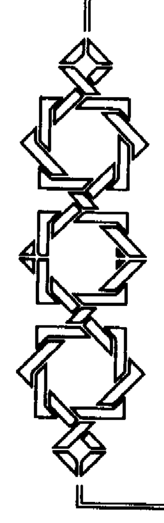
(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٣٧.

(٣) شرح الحكمة (٤٥) في الفصل (٥٦) من هذا المجلّد.



# الفصل الخامس والخمسون

## كلامه عليه السلام في القلوب





## ١
## الحكمة (٩١)

وقال عليه السلام:

إِنَّ هذِهِ القُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الأَبْدَانَ، فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الحِكْمَةِ.

أقول: وكرره في ١٩٧ / ٣ أيضاً غفلة، ورواه مرفوعاً حفص بن البحتري عنه عليه السلام هكذا: «روّحوا أنفسكم ببديع الحكمة، فإنّها تكلّ كما تكل الأبدان».

ورواه الحموي في أدبائه هكذا: «أَجِمُّوا هذه القلوب والتمسوا لها طرائف الحكمة، فإنّها تَمَلُّ كما تَمَلُّ الأبدان»[١].

ثم ان في (النهج) كليهما بلفظ «الحكمة» ونقل الطبعة (المصرية)[٢] الأول بلفظ «الحكم» تصحيف، وفي نسخة غير مصحّحة من (ابن ميثم)[٣]

---

(١) معجم الأدباء الحموي ١: ٩٤.

(٢) شرح محمد عبده: ٦٧٦.

(٣) في شرح ابن ميثم، ورد بلفظ «الحِكَم» في نسخة صححها عدّة من الأفاضل ٥: ٢٨٦.

ليس الثاني، وكأنّه سقط من النسخة، كما أن في (النسخة الخطية)[١] ليس في الثاني لفظ «هذه» ولكنه موجود في (ابن أبي الحديد)[٢].

وكيف كان ففي (كامل المبرد) قال أنوشروان: القلوب تحتاج إلى أقواتها من الحكمة كاحتياج الأبدان إلى أقواتها من الغذاء[٣].

(وفيه): قال اردشير: إنّ للآذان مجّة وللقلوب مَللاً ففرّقوا بين الحكمتين يَكُن ذلك استجماماً[٤].

وقال الحسن: جاذبوا هذه القلوب فإنّها سريعة الدثور[٥].

وفي (المروج): قال أبو العتاهية: بعث إليّ المأمون فصرت إليه فألفيته مطرقاً متفكّراً مغموماً، فأحجمت، فأطرق ملياً ثم رفع رأسه فقال: شأن الناس حبّ الاستطراف. قلت: أجل ولي في هذا بيت شعر وهو:

لا يصلح النفس إذ كانت مطرفة ... إلّا التنقّل من حال إلى حال[٦]

وفي (الأغاني): قيل لبشّار: إنّك لتجيء بالشيء الهجين المتفاوت بينما تقول شعراً وتخلع به القلوب مثل قولك:

إذا ما غَضبنا غضبةً مضريةً ... هتكنا حجاب الشمس أو تُمطِر الدمَا

إذا ما أعرنا سيداً من قبيلةٍ ... ذُرى منبرٍ صلّى علينا وسلّما

تقول:

ربابةُ ربّةُ البيت ... تصبُ الخلَّ في الزيت

---

(١) سقط هذا النصّ من النسخة المحفوظة التي لدى المحقق وهي نسخة آية اللّه المرعشي.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٤٦.

(٣) الكامل للمبرد ٢: ٣.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد ٢: ٢٣٨ وهو اردشير بن بابك.

(٥) هو الحسن البصري، العقد الفريد ٢: ٢٣٨.

(٦) مروج الذهب ٣: ٤٢٩.

لها عشر دجاجاتٍ  وديكٌ حسن الصوت

فقال: لكل موضع، فالقول الأول جدٌّ، وهذا قلته في ربابة جاريتي وأنا لا آكل البيض من السوق، وربابة لها عشر دجاجات وديك فهي تجمع لي البيض فهذا عندي من قولي أحسن من:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلٍ  بسقط اللوى بين الدخول فحومل[1]

في (عيون الأخبار): قيل لعطاء بن مصعب: كيف غلبت على البرامكة وعندهم من هو آدب منك؟ قال: ليس للقرباء ظرافة الغرباء، كنت بعيد الدار، غريب الاسم عظيم الكبر صغير الجرم، كثير الالتواء شحيحاً بالاملاء، فقرّبني إليهم تباعدي منهم، ورغّبهم فيَّ رغبتي عنهم[2].

وفي (الأغاني): لمّا قال علي بن أُميّة:

يا ريح ما تصنعين بالدمن؟  كم لك من محو منظر حسن

كثر الناس إنشاده وغنّاه عمرو الغزال، فقال أبو موسى الأعمى:

يا رب خُذني وخذ علياً وخذ  يا ريح ما تصنعين بالدِّمن

عجِّل إلى النّار بالثلاثة  والرابع عمرو الغزال في قرن

ثم ندم وقال هؤلاء أهل بيت وهم إخوتي ولا أحب أن أنشب بيني وبينهم شرّاً، فأتى أُمية فقال: قد أذنبت فيما بيني وبينكم ذنباً وقد جئتك مستجيراً بك من فتيانك. فدعا بعليّ بن أُميّة فقال: يا هذا! عمك أبو موسى قد أتاك معتذراً من الشعر الذي قاله. قال: وما هو؟ فأنشده فقال له: قد ضجرنا نحن والله منه كما ضجرت أنت وأكثر، وأنت آمن من أن يكون منّا جواب[3].

---

(١) الأغاني ٣: ١٦٣.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ١٢٨.

(٣) الأغاني ٢٣: ١٣٤ ـ ١٣٥.

وفي (تاريخ بغداد): قال روح بن عبادة: كنّا عند شعبة فضجر من الحديث، فرمى بطرفه فرأى أبا زيد سعيد بن أوس في أخريات الناس، فقال: يا أبا زيد!

استعجمت دارُ ميٍّ ما تُكلِّمنا والدار لو كلَّمتنا ذاتُ أخبار

إليّ يا أبا زيد! فجعلا يتناشدان الأشعار[1].

## ٢
## الحكمة (١٩٣)

وقال عليه السلام:

إنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وإقْبَالاً وَاَدْبَاراً[2]، فإنَّ القَلْبَ إذَا أُكْرِهَ عَمِيَ.

أقول: روى المبرد ذيله: «القلب إذا أكره عمي» في كتاب كامله[3].

ثم إنّ الشهوة والإقبال إحدى القوى المحركة للإنسان على الأعمال، ولولا من الله تعالى به على عباده لاختل نظام العالم وفسد كثير من الأمور. مثلاً: إذا لم يكن بين الزوجين تقارب القلوب؛ من يلتام بينهما كما قد يتفق؟ ولذا قال تعالى منّاً على عباده: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[4].

وقصة إقبال ابن الملك المهمل على كسب الأدب بعد افتتانه بابنة الوزير وشرط الوزير عليه في إجابته في ابنته بدستور الملك تحصيل الأدب وشروعه به لذلك معروفة.

ولولا عاطفة جعلها تعالى في الأمّهات من الإنسان والوحش والطير؛

---

(١) تاريخ بغداد ٩: ٧٨.

(٢) في ابن أبي الحديد ١٩: ١١ هنا إضافة «فأْتوها من قبل شهوتها وإقبالها».

(٣) الكامل في الأدب للمبرّد ٢: ٢، ١١.

(٤) الروم: ٢١.

من يربّي أولادهن؟ وكذلك لولا عشق كلّ إنسان إلى صناعة وعمل من أعمال الدنيا عاليها وسافلها؛ لبقي كثير منها معطلاً.

## ٣
## الحكمة (٥٠)

وقال عليه السلام:

**قلوب الرجال وحشيَّةٌ، فَمَنْ تألَّفَهَا أَقْبَلَتْ عليها[1].**

أقول: في (كامل ابن الأثير) في حروب عبد المؤمن المغربي مع عرب كانت هناك في سنة (٥٤٨): ثم جهّز عبد المؤمن من الموحّدين ما يزيد على ثلاثين ألف فارس ـ وكان العرب أضعافهم ـ فاستجرّهم الموحدون وتبعهم العرب إلى أن وصلوا إلى أرض شطيف، فحمل عليهم عسكر عبد المؤمن والعرب على غير أهبة، والتقى الجمعان واقتتلوا أشد قتال، فانجلت المعركة عن انهزام العرب ونصرة الموحّدين، وترك العرب جميع ما لهم من أهل وولد وأثاث ونَعَمْ، فأخذ الموحّدون جميع ذلك، فقسّم عبد المؤمن جميع الأموال على عسكره وترك النساء والأولاد تحت الاحتياط، ووكلّ بهم من الخدم الخصيان من يخدمهم ويقوم بحوائجهم وأمر بصيانتهم، فلما وصلوا معه إلى مراكش أنزلهم في المساكن الفسيحة وأجرى لهم النفقات الواسعة، وأمر ابنه محمداً أن يكاتب أمراء العرب ويعلمهم أن نساءهم وأولادهم تحت الحفظ والصيانة وأنّه قد بذل لهم الأمان والكرامة. فلما وصل الكتاب إلى العرب سارعوا إلى المسير إلى مراكش، فأعطاهم عبد المؤمن نساءهم وأموالهم وأحسن إليهم وأعطاهم أموالاً جزيلة، فاسترقّ قلوبهم بذلك وأقاموا عنده وكان بهم حفياً، واستعان بهم على ولاية ابنه محمد للعهد

---

(١) في شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١٧٨، وصبحي الصالح: «عليه» بدلاً من «عليها» وهو أوفق. .

على ما سنذكره في سنة (٥٥١)[1].

وقال ابن أبي الحديد: من لان آستمال، ومن قسا نفّر، وما آستُعبِدَ الإنسان بمثل الإحسان إليه. وقال الشاعر:

وإنّي لوَحْشِيٌّ إذا مازَجَرتَني ... وإنّـــي إذا ألّـــفتني لألوفُ

وأمّا قول عُمارة بن عقيل:

تـبجّنتم سُـخْطي فكـدّر بـحثُكم ... نَخيلةَ نفس كان صفواً ضميرُها

ولم يُلبث التخشينُ نفساً كـريمة ... على قـومِها ان يستمرَّ مـريرُها

ومـا النُّـفسُ إلّا نـطفةٌ بـقرارةٍ ... إذا لم تُكدَّر كـان صـفواً غَـديرُها

فيكاد يخالف قوله عليه السلام، لأنّه عليه السلام جعل أصل طبيعة القلوب التـوحّش وإنّما تستمال لأمر من خارج وهو التألّف والإحسان، وعـمارة جـعل أصـل طبيعة النفس الصفو والسلامة وإنّما تتكدّر لأمر خارج[2].

قلت: ما قاله (ابن أبي الحديد) مـن مـخالفة شـعر عـمارة لكـلامه عليه السلام خلاف الصواب، فإنّ شعر عُمارة في مقام، وكلام أمير المؤمنين فـي مـقام آخر، فأمير المؤمنين يقول: القلوب متوحّشة ممّن لا تعرفه ولا يوصل نفعاً إليها، ومن تألّفها بالمعروف وبذل المال أو حسن الفعال والمقال؛ أقبلت عليه. وأمّا عُمارة فيقول: السخط يحتاج إلى سبب والأُصل في النفوس عدم السخط والعداوة. وكلاهما صحيحان، فكلّ شيء يحتاج إلى سبب، فالمودّة تحتاج إلى سبب كما أنّ العداوة تحتاج إلى سبب، وشعره الأول تضمّن المعنيين.

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري ١١: ١٨٥ ـ ١٨٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١٨٠.

## ٤
## الحكمة (٤٠٩)

وقال عليه السلام:

**القَلْبُ مُصْحَفُ الْبَصَرِ.**

أقول: قال ابن أبي الحديد: معنى كلامه عليه السلام هذا مثل قول الشاعر:

تخبّرني العينان ما القلب كاتمٌ    وما جنّ بالبغضاء والنظر الشّزرِ

أي: كما أن الانسان إذا نظر في المصحف قرأ ما فيه؛ كذلك إذا أبصر الانسان صاحبه فإنّه يرى قلبه بوساطة رؤية وجهه، ثم يعلم ما في قلبه من ودٍّ وبغض وغيرهما، كما يعلم برؤية الخط الذي في المصحف ما يدلّ الخطُّ عليه، وقال الشاعر:

إنّ العيون لتُبدي في تقلُّبها    ما في الضّمائر من ودٍّ ومن حنقِ[1]

وقال ابن ميثم: أراد عليه السلام بالقلب النفس أو الذهن، واستعار له لفظ المصحف باعتبار أنّ كلّ تصوّر في الذهن أُريد التعبير عنه، فلابدّ أن يتصوّر حروف العبارة عنه في لوح الخيال، والحس البصري يشاهدها من هناك ويقرأها، فالقلب إذن كالمصحف الذي يشاهدون فيه الحروف والألفاظ ويقرأونه بالبصر، فلذلك أضافه إلى البصر[2].

وقال بعض المحشّين: أي: إن ما يتناوله البصر يحفظ في القلب كأنّه يكتب فيه.

قلت: والأظهر كون مراده عليه السلام أنّ البصر لا يبصر إلّا بعد توجّه القلب، فالإنسان قد ينظر إلى شيء إلّا أن قلبه متوجّه إلى غيره، فلا ينطبع شبحه في

---

(١) شرح ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢٠: ٤٦.

(٢) شرح ابن ميثم، شرح نهج البلاغة ٥: ٤٤١.

النفس كما يكون مع توجّه القلب، وحينئذٍ فكما يحتاج الانسان غالباً لقراءته إلى مصحف كذلك تحتاج العين في إبصارها إلى القلب.

هذا، وفي خطبته عليه السلام الموسومة بالوسيلة: «أيها الناس إنّ للقلوب شواهد تُجري الأنفسَ عن مدرجة أهل التفريط. فطنة الفهم للمواعظ ممّا يدعو النفس إلى الحذر من الخطأ، وللنفوس خواطر للهوى، والعقول تزجر وتنهى، وفي التجارب علم مستأنف»[١].

ومرّ في فصل العبادات قوله عليه السلام: إنّ للقلوب اقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فاحملها على النوافل، وإذا أدبرت فاقتصر بها على الفرائض.

## ٥
## الحكمة (٣٨٨)

وقال عليه السلام:

أَلا وَإنَّ مِنَ البَلاءِ الفاقَةَ، وأَشدُّ مِنَ الفَاقَةِ مَرَضُ البَدَنِ، وأشدُّ من مَرَضِ البَدَنِ مَرضُ القَلْبِ، ألاَ وَإنَّ مِنَ النِّعَمِ سَعَةَ المَالِ، وَاَفضَلُ مِنْ سَعَةِ المالِ صِحَّةُ البَدَن، وأفضَلُ مِنْ صِحَّةِ البَدَنِ تَقْوَى القَلْبِ.

أقول: ورواه تحف عقول ابن أبي شعبة الحلبي[٢].

«ألا وإنّ من البلاء الفاقة» عن النبي صلى الله عليه وآله: كادت الفاقة أن تكون كفراً[٣].

وعن بزرجمهر: ان كان شيء مثل الموت فالفقر، بل قيل شرّ من الموت ما يتمنى الموت له[٤].

---

(١) تحف العقول: ٩٦. ط مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم.

(٢) تحف العقول: ١٤٠.

(٣) في كنز العمال للمتقي الهندي ٦: ٤٩٢ ح ٦٦٨٢ بلفظ: «كاد الفقر أن يكون كفراً» كما أورده السيوطي في الدر المنثور ٦: ٤٢.

(٤) أدب الدنيا والدين للماوردي: ٢١٤.

«وأشد من الفاقة مرض البدن» في (كامل المبرد): قيل لخريم المرّي: ما النعمة؟ قال: الأمن؛ فليس لخائف عيش، والغنى؛ فليس لفقير عيش، والصحة؛ فليس لسقيم عيش. قيل: ثم ماذا؟ قال: لا مزيد بعد هذا[١].

وفي (الطبري): وفي سنة (٢٨٧) إنصرف أبو أحمد بن المتوكل من الجبل إلى العراق وقد اشتدّ به وجع النقرس حتى لم يقدر على الركوب، فاتّخذ له سرير عليه قبّة، فكان يقعد عليه ومعه خادم يبرد رجله بالأشياء الباردة حتى بلغ من أمره أنّه كان يضع عليها الثلج، ثم صارت علّة رجله داء الفيل وكان يحمل سريره أربعون حمّالاً يتناوب عليه عشرون عشرون، وربّما اشتدّ به أحياناً فيأمرهم أن يضعوه.

فذكر أنّه قال يوماً للّذين يحملونه: قد ضجرت بحملي، بودّي أنّي أكون كواحد منكم أحمل على رأسي وأنا آكل في عافية. وقال في مرضه هذا: اطبق دفتري على مائة ألف مرتزق ما أصبح فيهم أسوأ حالاً منّي[٢].

قلت: وأبو أحمد هذا كان الخليفة بالمعنى وأخوه المعتمد الخليفة بالاسم.

«وأشد من مرض البدن مرض القلب» مراده عليه السلام بالقلب؛ القلب الباطني لقوله بعد: «وأفضل من صحّة البدن تقوى القلب».

وأيضاً القلب الظاهري وهو القلب الصنوبري محسوب من البدن، ومرضه مرض البدن، وأمّا القلب الحقيقي فمرضه التخلّق بالأخلاق الفاسدة المهلكة.

وإنّما كان مرضه أشد من مرض البدن لأنّ غاية أثر مرض البدن سلب

(١) الكامل في الأدب للمبرّد ٥١٤ ط الحلبي بمصر.

(٢) تاريخ الطبري ٨: ١٥٦.

الحياة الدنيوية، فإن كان سعيداً لا يضرّه الموت، وما عند الله خيرٌ للأبرار، وأمّا إن كان قلبه الحقيقي مريضاً؛ يقول صاحبه: ياليتني كنت تراباً.

وقد وصف تعالى تلك القلوب بقوله جل وعلا: ﴿فإنّها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾[١] وبقوله تعالى: ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها -إلى- أُولئك كالأنعام بل هم أضل أُولئك هم الغافلون﴾[٢].

«ألا وإنّ من النعم سعة المال» عن بزرجمهر: إن كان شيء مثل الحياة فالغنى[٣].

«وأفضل من سعة المال صحة البدن» عن بزرجمهر ان كان شيء فوق الحياة فالصحة. وقالوا: خير من الحياة مالاتطيب الحياة إلّا به[٤].

وفي (البيان): خرج الحجّاج ذات يوم فأصحر وحضر غداؤه، فقال: اطلبوا من يتغذّى معي، فطلبوا فإذا أعرابي في شملة، فأُتي به فقال: السلام عليكم: هلمّ أيّها الأعرابي. قال: دعاني من هو أكرم منك فأجبته. قال: ومن هو. قال: دعاني الله ربّي إلى الصّوم فأنا صائم. قال: وصوم في مثل هذا اليوم الحار! قال: صمت ليوم هو أحرُّ منه. قال: فافطر اليوم وصمْ غداً. قال: ويضمن لي الأمير أني أعيش إلى غد؟ قال: ليس ذلك إليه. قال: فكيف يسألني عاجلاً بآجل ليس إليه. قال: إنّه طعام طيّب. قال: ما طيَّبَهُ خبّازك ولا طبّاخُك. قال: فمن طيبه؟ قال: العافية. قال الحجّاج: تالله ما رأيت كاليوم! أخرجوه[٥].

«وأفضل من صحة البدن تقوى القلب» قال تعالى: ﴿يا أيّها الناس إنّا

(١) الحج: ٤٦.

(٢) الأعراف: ١٧٩.

(٣) أدب الدنيا والدين للماوردي: ٢١٤.

(٤) أدب الدنيا والدين للماوردي: ٢١٤.

(٥) البيان والتبيين للجاحظ ٤: ٩٨ ـ ٩٩.

خلقناكم من ذكر وأُنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبير﴾[1].

﴿ومن يعظّم شعائر الله فانّها من تقوى القلوب﴾[2].

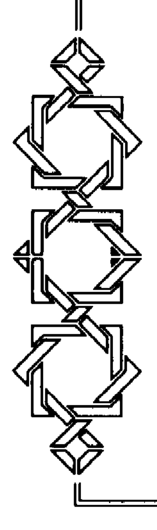
هذا، ومرّ في فصل «نقص الناس» قوله عليه السلام: لقد علق بنياط هذا الانسان بضعة هي أعجب ما فيه، وذلك القلب» ـ إلى آخر ما مر.

(۱) الحجرات: ۱۳ .

(۲) الحج: ۳۲.

# الفصل السادس والخمسون

## فيما ذكره عليه السلام من الحقائق





مرّ في الفصل (٤٢) في العنوان (٧) منه قوله عليه السلام: «كم من صائم ليس له من صيامه إلّا الجوع والظمأ...».

وفي (٢٨) منه قوله عليه السلام: «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك...».

وفي (٢٩) منه قوله عليه السلام: «ما خير بخير بعده النار...».

## ١
## الخطبة (١٨٥)

(منها): يَدّعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو ٱللهَ، كَذَبَ وَٱلْعَظِيمِ! مَا بَالُهُ لَا يَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ، فَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ إِلَّا رَجَاءَ ٱللهِ فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ، وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ إِلَّا خَوْفَ ٱللهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ. يَرْجُو ٱللهَ فِي ٱلْكَبِيرِ وَيَرْجُو ٱلْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ، فَيُعْطِي ٱلْعَبْدَ مَا لَا يُعْطِي الرَّبَّ، فَمَا بَالُ ٱللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُقَصَّرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ بِهِ لِعِبَادِهِ! أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِباً أَوْ تَكُونَ لَا تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعاً؟ وَكَذَلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْداً مِنْ عَبِيدِهِ أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لَا يُعْطِي رَبَّهُ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ

ٱلْعِبَادِ نَقْداً وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِ ضِمَاراً وَوَعْداً، وَكَذَلِكَ مَنْ عَظُمَتِ ٱلدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ؛ آثَرَهَا عَلَى ٱللهِ فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا وَصَارَ عَبْداً لَهَا.

**«يدّعي بزعمه أنّه يرجو الله، كذب والعظيم»** أي: قسماً بالربّ العظيم.

**«ما باله لا يتبيّن رجاؤه في عمله، فكل من رجا عُرف رجاؤه في عمله إلّا رجاءَ الله فإنّه مدخول»** قيل للصادق عليه السلام: إنّ قوماً من مواليك يلمون بالمعاصي ويقولون: نرجو. فقال عليه السلام: كذبوا، ليسوا لنا بموالٍ، أُولئك قوم ترجحت بهم الأماني، من رجا شيئاً عمل له، ومن خاف شيئاً هرب منه[١].

وقال الصادق عليه السلام أيضاً: ما أحب الله تعالى من عصاه ـ ثم تمثّل:

| | |
|---|---|
| تعصي الإله وأنت تظهر حبّهُ | هذا محال في الفعال بديع |
| لو كان حبك صادقاً لأطعته | انّ المحبَّ لمن يحبُّ مطيع[٢] |

وفي الخبر: يقول الله تعالى كذب من زعم انّه يحبني، فاذا جاء الليل نام إلى الصبح، أليس كلّ حبيب يحبّ خلوة حبيبه[٣].

وفي (الفقيه): شكا رجل إلى الصادق عليه السلام الحاجة فقال له: أتصلّي بالليل. قال نعم ـ فالتفت عليه السلام إلى أصحابه وقال: كذب من زعم انّه يصلّي

---

(١) أورده «الحراني» في تحف العقول: ٢٦٩ بهذا اللفظ: قيل له عليه السلام قوم يعملون بالمعاصي ويقولون: نرجوا فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت. فقال عليه السلام: هؤلاء قوم يترجحون في الأحاديث كذبوا ليس يرجون، ان خارجاً شيئاً طلبه، و؟؟ فإن من شيء هرب منه.

(٢) ذكره المجلسي في البحار ٤٧: ٢٤ بلفظ: هذا لعمرك في الفعال.

(٣) ورد الحديث بهذا اللفظ: كذب من زعم أنه ؟؟ فإذا جنّه الليل نام عين، اليس كل محبٌ يحب خلوة حبيبه؟ ها أنا ذايا ابن عمران مطّلع على أحيائي، فإذا جنّهم الليل حوّلت أبصارهم في قلوبهم، ومثلت عقوبتي بين أعينهم، يخاطبوني عن المشاهدة، ويكلموني عن الحضور. انظر بحار الأنوار ١٣: ٣٢٩ بتصرف.

بالليل ويجوع بالنهار[١].

وفي (تاريخ بغداد): في (سمنون الصولي الذي صحب سري السقطي) قال سمنون:

فليس لي في سواك حظ　　　فكيفما شئت فامتحنّي

فحصر بوله في ساعته، فسمّى نفسه سمنون الكذّاب[٢].

وفي (عيون القتيبي) قال الحسن ـ أي البصري ـ: إنّ دين الله ليس بالتحلّي ولا بالتمنّي، ولكنه ما وقر في القلوب وصدّقته الأعمال[٣].

وقال محمود الوراق:

يا ناظراً يرنو بعيني راقد　　　مشاهداً للأمر غير مشاهد

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي　　　درك الجنان بها وفوز العابد

ونسيت أنّ الله أخرج آدماً　　　منها إلى الدُّنيا بذنبٍ واحد[٤]

وأخذ مضمونه البهائي فقال بالفارسية:

جد تو آدم بهشتش جای بود　　　قدسیان کردند بهر او سجود

یک کنه ناکرده گفتندش تمام　　　مذنبی مذنب برو بیرون خرام

تو طمع داری که با چندان گناه　　　داخل جنت شوی ای رو سیاه[٥]

**«وكل خوف محقّق إلّا خوف الله فإنّه معلول»** ولو كان خوفه محققاً لكان كما قال الصادق عليه السلام: المؤمن بين مخافتين: ذنب قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وعمر قد بقي لا يدري ممّا يكتسب فيه من المهالك، فهو لا يصبح إلّا خائفاً

---

(١) الفقيه من لا يحضر الفقيه ١: ٣٠٠ ح ١٣٧٤ بتصرف.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب ٩: ٢٣٥.

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٣٤٤.

(٤) ابن قتيبة، العيون ٢: ٣٤٤.

(٥) البهائي، الكشكول ١: ٥٨. طبع في ايران، ذكره الجزائري في الأنوار النعمانية ١: ٢٣.

ولا يصلحه إلّا الخوف[١].

وكما قال الحسين عليه السلام لمّا كتب إليه ـ بعد خروجه من مكة ـ عمرو بن سعيد عاملها بطلب عبدالله بن جعفر: إنّ لك الأمان عندي: «خير الأمان أمان الله، ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافة في الدّنيا توجب لنا أمانه يوم القيامة»[٢].

**«يرجو الله في الكبير ويرجو العباد في الصغير، فيعطي العبد ما لا يعطي الرب»** قالت رابعة العدوية:

لك ألف معبود مطاع أمره      دون الإله وتدّعي التوحيدا[٣]

وقال زياد الأعجم:

وتشكر يشكر من ضامها      ويشكر الله لا تشكر[٤]

وفي الجمهرة يشكر بطن من بكر بن وائل[٥].

**«فما بال الله جل ثناؤه يقصر به عمّا يصنع لعباده»** هكذا في (الطبعة المصرية)[٦] والصواب: (بعباده) كما في (ابن أبي الحديد[٧]

---

(١) أورده المجلسي عن طريقين: عن الصادق عليه السلام في البحار ٧: ٣٦٥، وعن الكاظم عليه السلام في البحار ٧٨: ٢٦٢. والبحار ٢: ٧١..

(٢) ذكر المجلسي « الحادثة ـ في البحار ٤٤: ٣٦٦ بشكل آخر، قال: وكتب إليه عمرو بن سعيد كتاباً يمنّيه فيه الصلة، ويؤمنه على نفسه، وأنفذه مع يحيى بن سعيد، فلحقه يحيى وعبدالله بن جعفر بعد نفوذ ابنيه، ودفعا إليه الكتاب وجهوا به في الرجوع، فقال: «إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام وأمرني بما أنا ماضٍ له» فقالوا له: ما تلك الرؤيا؟....

(٣) ترجم لها ابن الجوزي في صفوة الصفوة ٤: ٢٣.

(٤) هو زياد بن سلمى، ترجم له ياقوت الحموي في معجم الأدباء ١١: ١٦٥.

(٥) جمهرة أنساب العرب، ابن محمد الأندلسي: ٣٠٨.

(٦) انظر النسخة المصرية بشرح محمّد عبده: ٣٤٢.

(٧) ورد في شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد بتحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم لفظ (العبادة) خلافاً لمّا ذكره المؤلف الذي اعتمد النسخة غير المحققة من شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٢٦.

وابن ميثم[١] والخطية)[٢].

في (المروج): دخل معن بن زائدة على الرشيد ـ وكان قد وجد عليه ـ فمشى فقارب الخطو، فقال له الرشيد: كبرت يا معن. قال: في طاعتك. قال: وإنّ فيك على ذلك لبقية. قال: لأوليائك. قال: وإنك لجلد. قال: على أعدائك. فرضي عنه وولّاه[٣].

قال: وعرض كلامه هذا على عبد الرحمن بن زيد زاهد أهل البصرة، فقال ويح هذا! ما ترك لربه شيئاً.

وفي (سير ملوك الأعاجم): ان شيرويه بن أبرويز بينا هو في منتزهاته بأرض العراق وكان لا يسايره أحد وأهل المراتب العالية خلف ظهره على مراتبهم، فإن التفت يميناً دنا منه صاحب الجيش، وإن التفت شمالاً دنا منه الموبذان فيأمره باحضار من أراد مسايرته، فالتفت يميناً فدنا منه صاحب الجيش فقال أين شدّاد بن خزيمة، فأحضر فسايره فقال له: أفكرت في حديث حدّثنا به عن أردشير بن بابك حين واقع ملك الخزر حدّثني به إن كنت تحفظه ـ وكان شدّاد قد سمع هذا الحديث في مكيدة أوقعها أردشير بملك الخزر ـ فاستعجم عليه وأوهمه أنّه لا يعرفه، فحدّثه شيرويه بالحديث، فأصغى إليه الرجل بجوارحه كلّها ـ وكان مسيره على شاطئ نهر، فترك الرجل لاقباله على شيرويه النظر إلى موطىء حافر دابته، فزلّت احدى قوائمها فوقع في الماء، فابتدر حاشية الملك فأخرجوه فنزل شيرويه ودعا بثياب من خاصّ كسوته فأُلقيت عليه وقال له: غفلت عن موضع حافر دابتك، فقال: على قدر

---

(١) أورده شرح ابن ميثم بلفظ (العبادة) بخلاف ما ذكره العلّامة التستري في النسخة المنقحة التي اعتمد عليها في التحقيق. ولربّما اعتمد العلّامة على نسخة غير منقحة. أُنظر شرح ابن ميثم ٣: ٢٧٨.

(٢) ورد في النسخة الخطية لفظ «بعباده»، كما ذكر المؤلف انظر نسخة مكتبة المرعشي: ١٣٦.

(٣) مروج الذهب ٣: ٣٤٩.

النعم تكون المحن، وان الله تعالى قد أنعم عليّ بنعمتين عظيمتين: إقبال الملك عليّ من بين هذا السواد الأعظم، وفائدة تدبير الحرب التي حدث بها عن أردشير، فلما اجتمعت نعمتان جليلتان قابلتهما هذه المحنة، ولولا اساورة الملك لكنت بمعرض هلكة، وعلى ذلك لو كنت غرقت لكان أبقى لي الملك ذكراً مخلّداً، فسرَّ شيرويه بذلك وقال له: ما ظننتك بهذا المقدار الذي أنت فيه، فحشا فاه جوهراً واستبطنه حتى غلب على أكثر أمره[١].

ونقل نظير هذه القصة عن رجل مع معاوية، وعن شخص مع السفاح[٢].

**«أتخاف أن تكون في رجائك له كاذباً»** وقد قالوا:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إنّ السفينة لا تجري على اليبس[٣]

**«أو تكون لا تراه للرجاء موضعاً»** وقد قال تعالى لموسى عليه السلام: مادمت لا ترى زوال ملكي فلا ترج أحداً غيري[٤].

**«وكذلك إن هو خاف عبداً من عبيده أعطاه من خوفه ما لا يعطي ربّه»** وقال عليه السلام لرجل: كيف أنتم؟ فقال: نرجو ونخاف. فقال عليه السلام: من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف شيئاً هرب منه، ما أدري ما خوف رجل عرضت له شهوة فلم يدعها لمّا خاف منه، وما أدري ما رجاء رجل نزل به بلاء فلم يصبر عليه لمّا يرجو[٥].

---

(١) ذكره البيهقي في المحاسن والمساوئ ٢: ١٢٤ ونسب الحكاية إلى (أنوشروان) بخلاف ما ذكره المؤلف.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي ٤: ٢١٢.

(٤) الخصال للصدوق ١: ١٠٣ ونقله عنه المجلسي في بحار الأنوار ١٣: ٣٤٤، ونسب الكليني المقطع الأوّل منه إلى الصادق عليه السلام انظر الكافي ٢: ٦٨ ح ٦.

(٥) بحار الأنوار للمجلسي ٧٨: ٥١.

**«فجعل خوفه من العباد نقداً وخوفه من خالقهم ضماراً ووعداً»** قال الجوهري: «الضمار» ما لا يرجى من الدين، و «الوعد» ما لا تكون منه على ثقة قال:

حمدنَ مزارَهُ فأصبنَ مِنْهُ     عطاءً لم يكن عدةً ضمارا[1]

قالوا: إنّ أعرابياً قال لابن الزبير: أعطني أُقاتل عنك أهل الشام. قال: قاتل، فإن أغنيت أعطيناك، قال: أراك تجعل روحي نقداً ودراهمك وعداً.

وفي (الطبري): ان عبد الملك لمّا بعث خالداً الأسيدي إلى البصرة أيام ابن الزبير وكان قيس بن الهيثم السلمي من الزبيرية يستأجر الرجال يقاتلون معه، فتقاضى منه رجل أجرته فقال: غداً أعطيكها ـ وكان قيس يعلم في عنق فرسه جلاجل فقال بعضهم:

لبئس ما حكمت يا جلاجل     النقد دين والطعان عاجل

وأنت بالباب سمير آجل[2]

**«وكذلك من عظمت الدّنيا في عينه وكبر موقعها في قلبه»** هكذا في (الطبعة المصرية)[3] والصواب: (من قلبه) كما في (ابن أبي الحديد[4] وابن ميثم[5] والخطية)[6].

**«آثرها»** أي: اختارها.

**«على الله فانقطع إليها وصار عبداً لها»** ﴿فأمّا من طغى * وآثر الحياة الدُّنيا

---

(١) الصحاح للجوهري ٢: ٧٢٢ مادة (ضمر) وبيت الشعر إلى الداعي.

(٢) تاريخ المملوك والامم للطبري ٥: ٣.

(٣) نسخة الطبعة المصرية بشرح محمّد عبده: ٣٤٣.

(٤) شرح ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٩: ٢٢٦.

(٥) أورد ابن ميثم بلفظ «في قلبه» ٣: ٢٧٩.

(٦) انظر النسخة الخطية: ١٢٦.

* فإنّ الجحيم هي المأوى﴾[١].

## ٢
## الحكمة (٤١٧)

وقالَ عليه السلام لقائلٍ قالَ بحضرَتهِ «أستغفرُ الله»:

**ثَكِلَتْكَ أُمُّك! أَتَدْرِي مَا الاسْتِغْفَارُ؟! الاسْتِغْفَارُ دَرَجَةُ ٱلْعِلِّيِّينَ، وَهُوَ ٱسْمٌ وَاقِعٌ عَلَى سِتَّةِ مَعَانٍ: أَوَّلُهَا النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى، وَالثَّانِي ٱلْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ ٱلْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَداً، وَالثَّالِثُ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى ٱلْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى ٱللهَ أَمْلَسَ لَيسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ، وَالرَّابِعُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَّعْتَهَا فَتُؤَدِّيَ حَقَّهَا، والخامِسُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى اللَّحْمِ ٱلَّذِي نَبَتَ عَلَى السُّحْتِ فَتُذِيبَهُ بِالأَحْزَانِ حَتَّى تُلْصِقَ ٱلْجِلْدَ بِالْعَظْمِ وَيَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ، السَّادِسُ أَنْ تُذِيقَ ٱلْجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَةِ كما أَذَقْتَهُ حَلاَوَةَ المَعْصِيَةِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ ٱللهَ.**

أقول: رواه تحف عقول ابن أبي شعبة الحلبي هكذا: قال كميل بن زياد قلت لأمير المؤمنين عليه السلام: العبد يصيب الذنب فيستغفر الله فما حدُّ الاستغفار؟ قال: التوبة. قلت: بس. قال: لا. قلت: فكيف. قال: إنّ العبد إذا أصاب ذنباً يقول «أستغفر الله» بالتحريك. قلت: وما التحريك؟ قال: الشفتان واللسان، يريد أن يتبع ذلك بالحقيقة. قلت: وما الحقيقة؟ قال: تصديق في القلب وإضمار أن لا يعود إلى الذنب الّذي استغفر منه. قال كميل: فاذا فعلت ذلك فأنا من المستغفرين؟ قال: لا. قال: فكيف ذلك؟ قال: لأنّك لم تبلغ الأصل بعد. قال: فأصل الاستغفار ما هو؟ قال: الرجوع من الذنب الذي استغفرت منه، وهي أول درجة العابدين، والاستغفار اسم واقع لمعان ست: أوّلها الندم على ما مضى،

(١) النازعات: ٣٧ ـ ٣٩.

والثاني العزم على ترك العود أبداً، والثالث أن تؤدي حقوق المخلوقين التي بينك وبينهم، والرابع أن تؤدي حق الله في كلّ فرض، والخامس أن تذيب اللحم الذي نبت على السحت والحرام حتى يرجع الجلد إلى عظمه ثم ينشأ في ما بينهما لحمٌ جديداً، والسادس ان تذيق البدن ألم الطاعات كما أذقته لذّات المعاصي[1].

وعن (مناقب ابن الجوزي): قال أمير المؤمنين عليه السلام: التوبة على أربعة دعائم: ندم بالقلب، واستغفار باللسان، وعمل بالجوارح، وعزم على أن لا يعود[2].

وعنه وقال عليه السلام في وصف التائبين: غرسوا أشجار ذنوبهم نصب عيونهم في قلوبهم وسقوه بمياه الندم، فأثمرت لهم السلامة وأعقبتهم الرضا والكرامة[3].

«وقال عليه السلام لقائل قال بحضرته: أستغفر الله» قلت: القائل كان رجل آخر غير كميل كما يشهد له تعبير خبره.

«ثكلتك أمّك! أتدري ما الاستغفار»؟ في (تاريخ بغداد): قال أبو الحسن البصري: كنت في مجلس ابن عطا فبكى رجل فقال: ما هذا البكاء لا منفذ له ههنا، أما سمعت قول الشاعر:

قال لي حين رمته ... كل ذا قد علمته
لو بكى طول دهره ... بدم ما رحمته[4]

---

(١) تحف العقول للبحراني: ١٣٤، وبلفظ آخر في البحار ٧٨: ٦٨ ح ١٥.

(٢) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ١٤٦، والبحار ٧٨: ٨١.

(٣) البحار ٧٨: ٧٢.

(٤) لم نعثر عليه في تاريخ بغداد لا في فهرس القوافي ولا في فهرس الأعلام.

**«الاستغفار درجة العلّيين»** هكذا في (الطبعة المصرية)[١]، والصواب: (إنّ الاستغفار درجة العليين) كما في (ابن ميثم[٢] والخطية[٣] وكذا ابن أبي الحديد)[٤].

**«وهو اسم واقع على ستة معان»** أي: له شروط ستة: **«أوّلها الندم على ما مضى»** في (تاريخ بغداد) قال محمد بن علي الكتاني: لولا ان ذكره علي فرض ما ذكرته إجلالاً له، مثلي يذكره ولم يغسل فمه بألف توبة متقبلة[٥].

وقيل: من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئاً بالله وهو لا يعلم، قال:

أقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزنا عنه فإنّ جحود الذنب ذنبان

**«والثاني العزم على ترك العود إليه أبداً»** في (الحلية) قال حذيفة: يحسب للرجل من الكذب أن يقول «استغفر الله» ثم يعود[٦].

وعن الربيع بن خثيم لا تقل: «أستغفر الله وأتوب إليه» فيكون ذنباً وكذباً إن لم تفعل، ولكن قل: «اللّهم اغفر لي وتب علي»[٧].

**«والثالث أن يؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم»** روي أنّ شيخاً من النخع قال للباقر عليه السلام: لم أزل والياً منذ زمن الحجّاج إلى يومي هذا فهل لي من توبة؟ فسكت عنه، ثم أعاد، فقال عليه السلام: لا، حتى تؤدّيَ إلى كلّ ذي حق حقّه[٨].

**«حتى تلقى الله أملس»** في (الصحاح): الملاسة ضد الخشونة، وفي المثل:

---

(١) انظر شرح محمّد عبده: ٧٥٤ رقم (٤٠٣).

(٢) شرح ابن ميثم ٥: ٤٤٤.

(٣) انظر النسخة الخطية: ١٣٦.

(٤) شرح ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢: ٥٦.

(٥) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٣: ٧٥.

(٦) حلية الأولياء لأبي نعيم الاصفهاني ١: ٣٨١.

(٧) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٣٩ بتصرف.

(٨) الأصول من الكافي للكليني ٢: ٣٣١ ح٣.

هان على الأملس ما لاقي الدبر[١].

«ليس عليك تبعة» ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلّا من أتى الله بقلبٍ سليم﴾[٢] ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أُولئك لهم الأمن﴾[٣].

«والرابع أن تعمد» أي: تقصد.

«إلى كلّ فريضة عليك ضيَّعتها فتؤدّي حقّها» فكلّ صلاة لم يصلّها أو صلّاها باطلة يأتي بقضائها وفي بعضها يأتي بقضائها وكفارتها.

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام في رجل نام عن العتمة فلم يقم إلا بعد انتصاف الليل. قال: يصلّيها ويصبح صائماً[٤].

وروى (التهذيبان) عن حريز عمّن أخبره عن الصادق عليه السلام: إذا انكسف القمر فاستيقظ الرجل فكسل أن يصلّي فليغتسل من غد وليقض الصلاة، وإن لم يستيقظ ولم يعلم بانكساف القمر فليس عليه إلّا القضاء بغير غسل، وحمل على انكسافه بتمامه.

ومن أفطر يوماً من شهر رمضان بغير عذر فعليه القضاء والكفارة صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستّين مسكيناً[٥].

«والخامس أن تعمد» بالكسر أي تقصد.

«إلى اللحم الذي نبت على السحت» بالضم والفتح أي: الحرام.

«فتذيبه» كذوب الحديد في النار.

«حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد» من غير السحت.

---

(١) الصحاح للجوهري مادة (ملس) ٢: ٩٨٠.

(٢) الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩.

(٣) الأنعام: ٨٢.

(٤) الكافي للكليني ٣: ٣٩٥ ح ١١.

(٥) التهذيب للطوسي ٣: ١٥٧ ح٣٣٧ والاستبصار ١: ٤٥٣ ح ٤.

في (الحلية): قال حذيفة: قال النبي ﷺ: ليس لحم ينبت من سحت فيدخل الجنّة[١].

وعن بعضهم: حلقت امرأة رأسها وكانت من أحسن الناس شعراً، فسئلت عن ذلك فقالت: أردت أن أغلق باب البيت، فلمحني رجل ورأسي مكشوف فما كنت لأدع على رأسي شعراً رآه من ليس بمحرم[٢].

«والسادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية» في (تاريخ بغداد): كان سعيد بن وهب البصري شاعراً خليعاً ماجناً، أكثر القول في الغزل والخمر، ثم تاب ونسك وحج راجلاً فبلغ منه وجهد فقال لنفسه:

قدميَّ اعتَوِرا رمل الكثيب ... واطرقا الآجن من ماء القليب

ربّ يوم رُحتما فيه على ... زهرة الدنيا وفي وادٍ خصيب

وسماع حسن من حسن ... صخب المزهر كالضبي الربيب

فاحسبا ذاك بهذا واصبرا ... وخذا من كلّ فنٍّ بنصيب

إنّما أمشي لأنّي مذنب ... فلعل الله يعفو عن ذنوبي[٣]

وفي (المعجم): نقض ابن عبد ربه صاحب (العقد الفريد) كلّ قطعة قالها في الصب والغزل بقطعة في المواعظ والزهد سمّاها الممحّصات[٤].

هذا، وقيل وقفت امرأة تنظر إلى رجل قبيح الصورة، فقيل لها في ذلك فقالت: أذنبت عيني بنظرها إلى أمرد جميل الصورة، فأحببت أن أُعاقبها

---

(١) خطب حذيفة في المدائن وذكر حديث رسول الله ﷺ: «أنّه ليس لحم ينبت من سحت فيدخل الجنّة» وقد أخرجه أحمد في مسنده عن كعب بن عجرة: أنّه لا يدخل الجنة لحم ينبت من سحت النار: أورده في مكانين ٣: ٣٢١، و ٣: ٣٩٩ من حلية الأولياء لأبي نعيم الإصفهاني.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٢٣٤ بتصرّف.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٩: ٧٤.

(٤) معجم الادباء لياقوت الحموي ٤: ٢٢٣.

بالنظر إلى هذه الصورة القبيحة.

«فعند ذلك تقول: أستغفر الله» روى (أمالي الصدوق) في مجلسه (٥٣) عن أبي حمزة الثمالي عن السجاد عليه السلام قال: كان في بني اسرائيل رجل ينبش القبور، فاعتلّ جار له فخاف الموت، فبعث إلى النبّاش فقال: كيف كان جواري لك؟ قال: أحسن جوار. قال: فإنّ لي إليك حاجة. قال: قضيت حاجتك. قال: فأخرج إليه كفنين فقال: أحبُّ أن تأخذ أحبهما إليك وإذا دفنت فلا تنبشني، فامتنع النباش من ذلك وأبى أن يأخذه، فقال له الرجل: أحبّ أن تأخذه، فلم يزل به حتى أخذ أحبّهما إليه ومات الرجل، فلما دفن قال النباش: هذا قد دفن فما علمه بأني تركت كفنه أو أخذته، لآخذنّه. فأتى قبره فنبشه فسمع صائحاً يصيح به لا تفعل، ففزع النبّاش من ذلك فتركه وترك ما كان عليه وقال لولده: أيُّ أبٍ كنت لكم؟ قالوا: نعم الأب كنت لنا. قال: فإنّ لي إليكم حاجة. قالوا: قل ما شئت فإنّا سنصير إليه ان شاء الله. قال: أحبّ إذا أنا متّ أن تأخذوني فتحرقوني بالنار فإذا صرت رماداً فدقّوني ثم تعمدوا بي ريحاً عاصفاً فذروا نصفي في البر ونصفي في البحر. قالوا: نفعل. فلما مات فعل به ولده ما أوصاهم به، فلما ذرّوه قال الله جل جلاله للبر: إجمع ما فيك، وقال للبحر: إجمع ما فيك، فإذا الرجل قائم بين يدي الله جل جلاله، فقال الله عزوجل له: ما حملك على ما أوصيت به ولدك أن يفعلوه بك؟ قال: حملني على ذلك ـ وعزّتك ـ خوفك. فقال الله جل جلاله: فإنّي سأرضي خصومك، وقد أمنت خوفك وغفرت لك[1].

هذا، وروى (أمالي ابن الشيخ) في جزئه الثالث عشر عن أمير

---

(١) أمالي الصدوق: ٣٢٧.

المؤمنين عليه السلام قال: تعطّروا بالاستغفار لا تفضحنكم روائح الذنوب[١].

## ٣
## الحكمة (٤٥٢)

وقال عليه السلام:

**الغِنَى والفَقْرُ بَعْدَ العَرْضِ عَلَى اللهِ[٢].**

أقـول: عن النبي صلى الله عليه وآله قالت أُمُّ سليمان بن داود له: يا بنيّ! إيّاك وكثرة النيام بالليل، فإنّها تدع الرجل فقيراً يوم القيامة[٣].

وفي رجال الكشي عن الصادق عليه السلام: أرسل عثمان إلى أبي ذر موليين له ومعهما مائتا دينار وقال لهما: قولا له: عثمان يقرؤك السلام ويقول لك: هذه مائتا دينار فاستعن بهما على مانابك[٤]، فقال لهما أبو ذر: هل أعطى أحداً من المسلمين مثل ما أعطاني؟ قالا: لا. قال: فإنّما أنا رجل من المسلمين فيسعني ما يسعهم. قالا: إنّه يقول: هذا من صلب مالي، والله الذي لا إله إلّا هو ما خالطهما حرام. فقال لهما: لا حاجة لي فيها، وقد أصبحت يومي هذا وأنا من أغنى الناس. فقالا له: مانرى في بيتك قليلاً ولا كثيراً. فقال: بلى، تحت هذا الآكاف الذي ترون رغيفا شعير قد أتى عليهما أيام، فما أصنع بهذه الدنانير، لا والله حتى يعلم أنّي لا أقدر على قليل ولا كثير وقد أصبحت غنياً بولاية علي بن أبي طالب وعترته الهادين المهديين، الراضين المرضيين الذين يهدون بالحق وبه يعدلون، كذلك سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول، وإنّه لقبيح بالشيخ أن يكون

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ٢٧ ـ ٢٨ أخرجه عن علي بن زرين.

(٢) سقط منه «تعالى» كما في شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ١٥٢.

(٣) أخرجه ابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة، كتاب ما جاء في قيام الليل، رقم (١٣٣٢) قال في الزوائد: هذا أسناد فيه سنيد بن داود وشيخه يوسف بن محمّد ضعيفان وذكره الهندي في كنز العمّال ٧: ٧٨٢ ح ٢١٣٨٩.

(٤) نابك: أصابك.

كذّاباً. ثم قال لهما: فردّاها عليه وأعلماه أنّه لا حاجة لي فيها ولا فيما عنده حتى ألقى الله ربّي فيكون هو الحاكم بيني وبينه[١].

وروى (الكافي): ان رجلاً من أصحاب أبي عبدالله عليه السلام كان يدخل عليه فغبر زماناً[٢] لا يحجّ، فدخل عليه بعض معارفه فقال عليه السلام: كيف فلان؟ ما فعل؟ قال: فجعل يضجع[٣] الكلام ـ يظن انّه عليه السلام يعني الميسرة والدنيا ـ فقال عليه السلام له: كيف دينه؟ فقال: كما تحبُّ. فقال عليه السلام: هو والله الغني[٤].

وروى أن بلالاً أقبل من جهة الحلبة، فسأله رجل: من سبق؟ قال: المقرّبون. قال: أسألك عن الخيل. قال: وأُجيبك عن الخير[٥].

## ٤
## الحكمة (٣٤)

وقال عليه السلام:

أَشْرَفُ الغِنَى تَرْكُ المُنَى .

**أقول:** نقله المصنف جزء عنوانه ٢١١ / ٣ / فذكره هنا تكرار، ووجهه ما قاله في الديباجة من الاعتذار[٦].

وكيف كان فوجه ما قاله عليه السلام ان من ترك المنى استغنى عن كثير من علائق الدنيا فيكون غناه أشرف غنى.

---

(١) رجال الكشي: ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) غبر غبوراً: مكث وفي بعض النسخ (فصبر زمانا).

(٣) يضجع الكلام: أي يقصر فيه.

(٤) الكافي ٢: ٢١٦ ح ٤.

(٥) لم نعثر عليه في ترجمة بلال بن رباح انظر الاصابة ١: ١٧٠ وطبقات ابن سعد ٣: ٢٣٢ وحلية الأولياء ١: ١٤٧.

(٦) في الكلمة التي أولها: الجود حارس الأعراض.

## ٥
## الحكمة (٥٤)

وقال عليه السلام:

**لا غِنَى كالعَقْلِ، ولا فَقْرَ كالجَهْلِ، ولا ميرَاثَ كالأدبِ، ولا ظَهِيرَ كالمُشاوَرَةِ.**

**«لا غنى كالعقل»** قال ابن أبي الحديد: في (كامل المبرد) قال أبو عبدالله عليه السلام: خمس من لم تكن فيه؛ لم يكن فيه كثير مستمتع: العقل، والدين، والأدب، والحياء، وحسن الخلق[١].

وقال أيضاً: لم يُقسم بين الناس شيء أقل من خمس: اليقين والقناعة والصبر والشكر والخامسة التي يكمل بها هذا كلّه العقل[٢].

وقال أيضاً: قال النبي صلى الله عليه وآله: ان الله ليبغض الضعيف الذي لا زبر له والزبر العقل[٣].

وقال: قال النبي صلى الله عليه وآله: ما قسم الله للعباد أفضل من العقل، فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل، وفطر العاقل أفضل من صوم الجاهل، وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل، وما بعث الله رسولاً حتى يستكمل فيه العقل حتى يكون عقله أفضل من عقول جميع أمّته، وما يضمره في نفسه أفضل من

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١٨٥، وأورده المجلسي في بحار الأنوار ١: ٨٣، ولم نعثر عليه في الكامل، لا في الطبعة البيروتية ولا في الطبعة المصرية القديمة ولا الحديثة، وأيضاً تمت مراجعة فهارس الكامل التي نظمها سيد كيلاني في الطبعة المصرية للناشر (البابي) ولربّما كان النصّ موجوداً في الكتاب أيم ابن أبي الحديد فسقط مثله مثل الكثير من النصوص التي سقطت أما سهواً أو عمداً. وقد نقل العلّامة التستري النصّ من ابن أبي الحديد.

(٢) أورده المجلس عن أبي الوليد عن ابن مطان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لم يقسم بين العباد أقل من خمس: اليقين والقنوع والصبر والشكر، والذي يكمل به هذا كله العقل، بحار الأنوار ١: ٨٧ وذكره ابن أبي الحديد في شرحه ١٨: ١٨٥.

(٣) معاني الأخبار للصدوق ٢: ٣٤٤ ح ١، وذكره ابن أبي الحديد ١٨: ١٨٥.

اجتهاد جميع المجتهدين، وما أدّى العبد فرائض الله تعالى حتى عقل عنه، ولا يبلغ جميع العابدين في عباداتهم ما يبلغه العاقل، والعقلاء هم أولو الألباب الذين قال تعالى عنهم ﴿وما يَذَّكَّرُ إلّا أولوا الألباب﴾[1].

وقال رجل من أصحاب أبي عبدالله عليه السلام ـ وقد سمعه يقول بل يروى مرفوعاً (إذا بلغكم عن رجل حسن حال فانظروا في حسن عقله فإنّما يجازى بعقله) ـ يا ابن رسول الله إنّ لي جاراً كثير الصدقة كثير الصلاة كثير الحجّ. فقال: كيف عقله؟ فقال: ليس له عقل. فقال: لا يرتفع بذاك منه[2].

وقال: ما بعث الله نبيّاً إلّا عاقلاً، وبعض النبيين أرجح من بعض، وما استخلف داود سليمان حتى اختبر عقله وهو ابن ثلاث عشرة سنة، فمكث في ملكه ثلاثين سنة[3].

وقال: صديق كل امرئٍ عقله، وعدوّه جهله[4].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: إنّا معاشر الأنبياء نكلّم الناس على قدر عقولهم[5].

وسئل ما العقل؟ فقال: ما عبد به الرحمن، واكتسب به الجنان[6].

وقال: سئل الحسن بن علي عليهما السلام عن العقل فقال: التجرّع للغصة،

---

(١) مرّ ذكره في الصفحة ١٣، وذكره ابن أبي الحديد ١٨: ١٨٥ ـ ١٨٦ والآية ٢٦٩ من سورة البقرة.

(٢) أخرجه الكليني عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن أبي عبدالله، الكافي ١: ٢٤ ح ١٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١٨٦.

(٤) أخرجه الكليني عن محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن الحسن بن الجهم قال: سمعت الإمام الرضا عليه السلام يقول: ... إلى آخر الحديث. الكافي ١: ١١ ح ٤ وذكره ابن أبي الحديد في شرحه ١٨: ١٨٦.

(٥) أورده الحراني في تحف العقول بهذا اللفظ: إنّا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم...: ٢٦. وأورده العقيلي في الضعفاء بلفظ «أمرنا أن نكلّم» ١: ٨٥ وفي: ١٠٦ بدون هذا اللفظ.

(٦) أخرجه الكليني عن أحمد بن إدريس عن محمّد بن عيد الجبار عن بعض الأصحاب رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام ١: ١١ ح ٣. وذكره ابن أبي الحديد بسنده عن أبي العباس المبرد ١٨: ١٨٦.

ومداهنة الأعداء[١].

وقال عليه السلام: العاقل لا يحدّث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يثق بمن يخاف غدره، ولا يرجو من لا يوثق برجائه[٢].

وقال: قال المبرد: روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان موسى عليه السلام يدني رجلاً لطول سجوده وطول صمته، فلا يكاد يذهب إلى موضع إلّا هو معه، فبينا هو يوماً من الإمام إذ مرّ على أرض معشبة تهتزّ، فتأوّه الرجل، فقال له موسى عليه السلام: على ماذا تأوهت؟ قال: تمنيت أن يكون لربي حمار أرعاه هنا. فأكبّ موسى عليه السلام طويلاً ببصره إلى الأرض اغتماماً بما سمع منه، فانحطّ عليه الوحي: ما الذي أنكرت من مقالة عبدي، إنّما آخذ عبادي على قدر ما آتيتهم[٣].

قال: وروى عن علي عليه السلام: هبط جبرئيل على آدم عليه السلام بثلاث ليختار واحدة ويدع اثنتين، وهي العقل والحياء والدين، فاختار العقل فقال جبرئيل: للحياء والدين انصرفا، فقالا: إنّا أُمرنا أن نكون مع العقل حيث كان. فقال: فشأنكما، ففاز بالثلاث[٤].

قلت: وفي السير: أتى نصيب الشاعر عبد الملك، فأنشده فاستحسن شعره ووصله ثم دعا بالطعام فأكل معه، فقال له: هل لك في المنادمة؟ فقال له: تأمّلني. قال: قد أراك. قال: جلدي أسود وخلقي مشوّه ووجهي قبيح ولست في منصب، وإنّما بلغ بي مجالستك ومؤاكتك عقلي، وأنا أكره أن أدخل عليه

---

(١) بحار الأنوار ١: ١٣٠، بحار الأنوار ٧٥: ٣٩٤ وعن أمير المؤمنين مثله وزاده مداراة الأصدقاء، وذكره ابن أبي الحديد في شرحه ١٨: ١٨٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١٨٧ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١٨٧ .

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١٨٧، وذكره الصدوق في المواعظ: ١٢٥ ح١.

ما ينقصه، فأعجبه كلامه فأعفاه[١].

«ولا فقر كالجهل» قال شاعر:

ولم أر مثل الجهل أدنى إلى الردى ... ولا مثل بغض الناس غمض صاحبه

أيضاً:

تعلم فليس المرء يولد عالماً ... وليس أخو علم كمن هو جاهل

وإنّ كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا التَفَّتْ عليه المحافل[٢]

وفي (عيون ابن قتيبة): خرج الوليد بن يزيد حاجّاً ومعه عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر، فكانا ببعض الطريق يلعبان بالشطرنج، فاستأذن عليه رجل من ثقيف، فأذن له وستر الشطرنج بمنديل، فلمّا دخل سلّم فسأله حاجته فقال له الوليد: أقرأت القرآن. قال: لا. قال: أفتعرف الفقه. قال: لا. قال: أفرويت من الشعر شيئاً؟ قال: لا. قال: أفعلمت من أيام العرب شيئاً؟ قال: لا. فكشف الوليد المنديل وقال لعبد الله ما معنا أحد[٣].

وفي السير: لمّا قدم عبد الملك الكوفة بعد قتل مصعب؛ جلس لعرض أحياء العرب، فقام إليه معبد الجدلي ـ وكان قصيراً دميماً ـ فتقدّمه إليه رجل حسن الهيئة، فنظر إليه عبد الملك وقال: من أنت؟ فسكت ولم يقل شيئاً ـ قال معبد وكان منّا ـ فقلت من خلفه: نحن من جديلة، فأقبل على الرجل وتركني وقال له: من أيّكم ذو الأصبع. قال الرجل: لا أدري. قلت: كان عدوانياً، فأقبل على الرجل وتركني وقال له: لِمَ سمّي ذو الاصبع. قال: لا أدري. قلت: نهشته حيّة في اصبعه فيبست فأقبل على الرجل وتركني. فقال: وبِمَ كان يسمّى قبل

(١) ذكره المبرد الحكاية في (الفاضل): ٣١٧ ونسب الحكاية إلى عبدالله بن جعفر وليس عبدالملك بن مروان.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٣١.

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ١٢٠ ـ ١٢١ بتصرف.

ذلك؟ قال: لا أدري. قلت: كان يسمّى حرثان. فأقبل على الرجل وتركني وقال له: من أيِّ عدوان كان؟ فقلت من خلفه: من بني ناج الذين يقول فيهم الشاعر:

وأمّا بنو ناج فلا تذكرنّهم ولا تُتبِعنْ عينيك ما كان هالكا
إذا قلت معروفاً لأُصلِحَ بينهم يقول وهيبٌ لا أُسَلِّمُ ذلكا
فأضحى كظهر الفحل جُبَّ سنامه يَدِبُّ إلى الأعداء أحدب باركا

فأقبل على الرجل وتركني فقال له: أنشدني قوله «عذير الحي من عدوان» قال: لا أدري. قلت: إن شئت أنشدتك. قال: أُدنُ منّي فإنّي أراك بقومك عالماً، فأنشدته أبياته فقال للرجل: كم عطاؤك؟ قال: ألفان. وقال لي: كم عطاؤك؟ قلت: خمسمائة. فأقبل على كاتبه وقال: إجعل الألفين لهذا والخمسمائة لهذا، فانصرفت بها[1].

«ولا ميراث كالأدب» في أدب كاتب الصولي: قال فضل البريدي: كان ولد محمد بن نصر بن بسّام يقرأون عليّ الشعر، وكذلك أولاد عبدالله بن إسحاق بن إبراهيم وكانوا أُدباء، وكان محمد بن نصر وعبدالله بن إسحاق منفردين، فجلسا يوماً في مجلس فيه أولادهما ومُدّت ستارة لم يسمع الناس بأحذق في الغناء ممّن خلفها، وفي المجلس ما يكون مثله في مجالس الخلفاء وأزيد، فغنت صاحبة الستارة شعراً لجرير:

ألا حيّ الديار بسعد[2] إنّي أحبُّ لحبِّ فاطمة الديارا

فقال عبدالله لمحمد: لولا جهل الأعراب ما معنى السعد هاهنا.

فقال محمد: لا تغفل؛ فإنّه يقوِّي معدهم ويصلح أسنانهم.

قال فضل البريدي: فقال لي علي بن محمد: يا أُستاذ! إصفع أيّاً شئت

---

(١) الأغاني للأصفهاني ٣: ٩١ ـ ٩٢ وذكره شرح ابن أبي الحديد مع فارق في شرح نهج البلاغة ١٨: ٩٥.

(٢) سعد: بالضم موضع بنجد.

منهما واجعله أبي[١].

وفي (بيان الجاحظ): لحن الوليد بن عبد الملك على المنبر، فقال الكروس: لا والله ان رأيته على هذه الأعواد قط فأمكنني أن أملأ عينيّ منه، من كثرته في عيني وجلالته، فإذا لحن هذا اللحن الفاحش صار عندي كبعض أعوانه ـ قال عبدالملك: أضرّ بالوليد حبّنا له فلم نوجهه إلى البادية[٢].

ومن الأُدباء في عصر السفّاح: خالد بن صفوان الذي نقل (مروج المسعودي) عنه مباحثة بين رجل وامرأة وأن المرأة تقول للرجل: من أي قبيلة أنت؟ فيقول الرجل: من القبيلة الفلانية. فتقول المرأة هذه القبيلة: قال الشاعر فيها: ـ وتذكر أبيات هجو ـ ويقول الرجل بل من قبيلة أُخرى، فتفعل كذلك في كلّ قبيلة سمّاها حتى قبيلة هاشم، فقال السفّاح لخالد: إن كنت تقوّلت هذا الخبر ونظمت فيمن ذكرت هذه الأُشعار، فأنت سيّد الكاذبين، وان كان الخبر حقّاً فتلك المرأة من أحضر الناس جواباً وأبصرهم بمثالب الناس[٣].

وكان الجاحظ يتعجّب من قول خالد في وصف أهل اليمن أنّهم بين حائك برد، ودابغ جلد، ملكتهم امرأة، وأغرقتهم فأرة، ودلّ عليهم هدهد[٤].

ومن الأُدباء في عصر المتوكل: أبو العيناء، كان آية عجيبة في ذلك[٥].

وقال ابن أبي الحديد: في حكم الفرس عن بزرجمهر: ما ورّثت الآباء أبناءها شيئاً أفضل من الأدب، لأنّها إذا ورّثتها الأدب اكتسبت بالأدب المال،

---

(١) الصولي، أدب الكتاب: ١٧١.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ٢: ٢٠٥.

(٣) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٢٧١.

(٤) ذكره شرح ابن أبي الحديد ونسبه إلى خالد بن صفوان ١: ٢٩٧.

(٥) هو أبو عبدالله محمد بن القاسم صاحب النوادر والشعر والأدب، أصله من اليمامة ومولده الأهواز ومنشؤه البصرة (وفيات الاعيان لابن خلكان ٤: ٣٤٣).

وإذا ورّثتها المال بلا أدب أتلفتها بالجهل وقعدت صفراً من المال والأدب[١].

وقال بعض الحكماء: من أدب ولده صغيراً سُرَّ به كبيراً[٢].

وثلاثة لا غربة معهن، مجانبة الريب، وحسن الأدب، وكفّ الأذى[٣].

وعليكم بالأدب، فانّه صاحب في السفر، ومؤنس في الوحدة، وجمال في المحفل، وسبب إلى طلب الحاجة[٤].

وقال بزرجمهر: من كثر أدبه كثر شرفه وان كان قبل وضيعاً، وبعد صيته وإن كان خاملاً، وساد وإن كان غريباً، وكثرت الحاجة إليه وإن كان مقلّاً[٥].

وقال بعض الملوك لبعض وزرائه: ما خير ما يرزقه العبد؟ قال: عقل يعيش به. قال: فان عدمه؟ قال: أدب يتحلّى به. قال: فان عدمه؟ قال: مال يستتر به. قال: فان عدمه؟ قال: صاعقة تحرقه فتريح منه العباد والبلاد[٦].

«**ولا ظهير كالمشاورة**» قال أعرابي: ما غبنت حتى يغبن قومي. قيل له: كيف ذلك؟ قال: لأني لا أفعل شيئاً حتى أشاورهم[٧].

وقال بشّار:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ... بحزم نصيح أو نصاحة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ... فريش الخوافي تابع للقوادم[٨]

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١٨٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) معجم الأدباء لياقوت الحموي ١: ٧٤، وأيضاً ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٨: ١٨٨.

(٥) معجم الأدباء لياقوت الحموي ١: ٧٤، وأيضاً ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٨: ١٨٨.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١٨٨.

(٧) ذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار ١: ٣٢، وذكره ابن عبد ربه بلفظ مشابه في العقد الفريد ٢: ٤١٣.

(٨) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٨٣ وعجز البيت الثاني فيه فإن الخوافي عُدَّة للقوادم فيّ الشعر والشعراء: ٨٤ باللفظ

وعن الأصمعي قلت لبشّار: رأيت رجال الرأي يعجبون من أبياتك في المشورة. فقال: أوما علمت أنّ المشاور بين احدى الحسنيين: صواب يفوز بثمرته، أو خطأ يشارك في مكروهه. فقلت له: أنت والله في هذا الكلام أشعر منك في شعرك[1].

وفي (المبهج): ثمرة رأي الأديب المشير أحلى من الأرى[2] المشور[3].

## ٦
## الخطبة (١٠١)

(ومنها):

الْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلاً أَلَّا يَعْرِفَ قَدْرَهُ، وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ ٱلرِّجَالِ إِلَى ٱللهِ لَعَبْداً وَكَلَهُ ٱللهُ تَعَالَى إِلَى نَفْسِهِ جَائِراً عَنْ قَصْدِ ٱلسَّبِيلِ سَائِراً بِغَيْرِ دَلِيلٍ، إِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ ٱلدُّنْيَا عَمِلَ وَإِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ ٱلْآخِرَةِ كَسِلَ، كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ، وَكَأَنَّ مَا وَنَى فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ.

«ومنها» هكذا في الطبعة (المصرية)[4]، والصواب: (منها) كما في ابن أبي

---

الآتي وذكره ابن قتيبة:

| | |
|---|---|
| إذا بلغ الرأي النصيحة فاستعن | برأي نصيح أو نصيحة حازم |
| ولا تحسب الشورى عليك غضاضة | فإن الخوافي راد فات القوادم |

(١) ذكره الجرجاني في الكنايات: ٦٠ بهذا اللفظ:

قال الأصمعي: قلت لبشار ما احسن ابياتك يا أبا معاذ يريدها فقال: أوما علمت ان المشاورة بين إحدى الحسنيين، صواب يفوز بثمرته أو خطأ يشارك في مكروهه، فقلت له هذا والله أحسن من الشعر.

(٢) الأرْيَ: العسل.

(٣) ذكره ابن أبي الحديد في شرحه ١٨: ٣٨٣ بقوله: ومن ألفاظهم البديعة. ولم يشر إلى قائله، ولم نعثر على كتاب المبهج.

(٤) في النسخة المصرية المنقحة ٢٤٨: (منها).

الحديد[١] وابن ميثم[٢] والخطية[٣]، ولأنه لا وجه للعطف.

«العالم من عرف قدره، وكفى بالمرء جهلاً ألّا يعرف قدره» في (الكافي) عنه عليه السلام: ليس بعاقل من انزعج من قول الزور فيه، ولا بحكيم من رضي بثناء الجاهل عليه[٤].

«وان من أبغض الرجال إلى الله» ليست كلمة «إلى الله» في الطبعة (المصرية) مع انّها موجودة في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) والخطية[٥].

«لعبداً وكله الله إلى نفسه جائراً عن قصد السبيل» أي: مائلاً عن عدل الطريق.

«سائراً بغير دليل» ولابد في مثله أن يضلّ ولا يصل إلى مقصد.

وروى (بدع الكافي) عنه عليه السلام: إنّ من أبغض الخلق إلى الله تعالى لرجلين: رجلاً وكله الله تعالى إلى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل مشعوف بكلام بدعة قد لهج بالصوم والصلاة، فهو فتنة لمن افتتن به ضالٌ عن هدى من كان قبله مضلٌ لمن اقتدى به في حياته وبعد موته، حمّال خطايا غيره، رهن بخطيئته[٦].

«إن دُعي إلى حرث الدّنيا عمل، وإن دُعي إلى حرث الآخرة كَسِل، كأنّ ما عمل له واجب عليه، وكأنّ ما ونى» أي: ضعف وفتر.

«فيه ساقط عنه».

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٠٧.

(٢) شرح ابن ميثم ٣: ١٨.

(٣) النسخة الخطية (المرعشي): ٨٥.

(٤) الكافي للكليني ١: ٥١ ح ١٤، أخرجه عن أبي عائشة البصري مرفوعاً.

(٥) النسخة المصرية المصححة تتضمن لفظ «إلى الله» خلافاً لمّا ذكر والمتعلق بالنسخة القديمة.

(٦) الأُصول الكافي للكليني ١: ٥٥ ح٦ أخرجه عن مسعدة بن صدقة.

روى (الكافي) عنه عليه السلام قال: أيُّها الناس! إعلموا أنّ كمال الدين طلب العلم والعمل به، ألا وإنّ طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال، إنّ المال مقسوم مضمون لكم، قد قسّمه عادل بينكم وضمنه وسَيَفِي لكم، والعلم مخزون عند أهله وقد أُمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه[1].

وقد نظم البهائي «ره» مضمون قوله عليه السلام (ان دعي إلى حرث الدّنيا عمل وان دعي إلى حرث الآخرة كسل) بالفارسية، فقال مشيراً إلى الحرثين:

در ره آن تيز هوش و زيركى / در ره اين كند فهم و احمقى
در ره آن ميدوى از جان و دل / در ره اين ميروى چون خر به گل[2]

## ٧
## الحكمة (١١٣)

وقال عليه السلام:

لا مَالَ أَعْوَدُ مِنَ الْعَقْلِ، وَلَا وَحْدَةَ أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ، ولا عَقْلَ كالتَّدْبِيرِ، ولا كَرَمَ كالتَّقْوَى، ولا قَرِينَ كَحُسْنِ الْخُلْقِ، ولا مِيرَاثَ كالأَدَبِ، ولا قائِدَ كالتَّوفِيقِ، ولا تِجارَةَ كالْعَمَلِ الصَّالِحِ، ولا رِبْحَ كالثَّوَابِ، ولا وَرَعَ كالوُقُوفِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ، ولا زُهْدَ كالزُّهْدِ في الحَرَامِ، ولا عِلْمَ كالتَّفَكُّرِ، ولا عِبَادَةَ كأدَاءِ الْفَرائِضِ، ولا إيمانَ كالحَياءِ والصَّبْرِ، ولا حَسَبَ كالتَّواضُعِ، ولا شَرَفَ كالْعِلْمِ، ولا مُظاهَرَةَ أَوْثَقُ مِنَ المُشاوَرَةِ.

أقول: هو جزء خطبة الوسيلة التي خطب عليه السلام بها لسبعة أيام من وفاة النبي صلى الله عليه وآله كما رواه (روضة الكافي) عن الباقر عليه السلام، لكن فيه: أيها الناس!

---

(١) من الكافي للكليني ١: ٣٠ ـ ٣١ ح ٤، أخرجه عن أبي اسحاق السبيعي عمّن حدّثه.

(٢) ورد في (الكليات) باختلاف طفيف، راجع كليات الشيخ البهائي: ١٧.

إنّه لا مال أعود من العقل، ولا فقر أشدّ من الجهل، ولا واعظ أبلغ من النصح، ولا عقل كالتدبُّر، ولا علم كالتفكُّر، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة، ولا وحشة أشدُّ من العجب، ولا ورع كالكفّ عن المحارم، ولا حلم كالصبر والصمت[١].

**«لا مال أعود من العقل»** في (كنز الكراجكي) قال أمير المؤمنين عليه السلام: العقل ولادة، والعلم إفادة، ومجالسة العلماء زيادة[٢].

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ليس بين الإيمان والكفر إلّا قلّة العقل[٣].

قيل: وكيف ذاك؟ قال: ان العبد يرفع رغبته إلى مخلوق، فلو أخلص نيّته لله لأتاه الذي يريد في أسرع من ذلك[٤].

وفي (عيون القتيبي): لو صور العقل لاظلمت معه الشمس[٥].

**«ولا وحدة أوحش من العجب»** في (عقاب الأعمال) عن أبي جعفر عليه السلام: انّ الله تعالى فوّض الأمر إلى ملك من الملائكة فخلق سبع سماواتٍ وسبع أرضين وأشياء فلما رأى الأشياء قد انقادت له قال: مَن مِثلي؟ فأرسل الله تعالى نويرةً من نارٍ مثل أُنملةٍ، فاستقبلها بجميع ما خلق حتى وصلت إليه لمّا أن دخله العجب[٦].

وفي (تفسير القمي): لمّا كلّم الله تعالى موسى عليه السلام وأنزل عليه الألواح رجع إلى بني اسرائيل، فصعد المنبر فأخبرهم أنّ الله كلّمه وأنزل عليه التوراة

---

(١) الروضة من الكافي للكليني ٨: ١٨ ح ٤.

(٢) كنز الفوائد للكراجكي ١: ٥٦.

(٣) يعني ان قليل العقل متوسط بين المؤمن والكافر؛ فليس مؤمناً حقيقياً كاملاً لمّا فيه من قصور العقل.

(٤) الكافي للكليني ١: ٢٨ ح ٣٣ اسنده إلى محمد بن خالد، عن أبيه، عن بعض الأصحاب عن الامام الصادق عليه السلام.

(٥) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٢٨٠ نقلاً عن أعرابي.

(٦) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال للصدوق: ٥٧١.

ثم قال في نفسه: ما خلق الله خلقاً أعلم منّي فأوحى الله تعالى إلى جبرئيل أدرك موسى فقد هلك، وأعلمه أنّ عند ملتقى البحرين عند الصخرة الكبيرة رجلاً أعلم منك فصر إليه وتعلّم من علمه، فنزل جبرئيل على موسى عليه السلام وأخبره بذلك...[1].

**«ولا عقل كالتدبير»** قد عرفت أن (روضة الكافي) رواه «ولا عقل كالتدبّر» وكلاهما صحيح في نفسه[2].

وفي الخبر: ينبغي للعاقل أن لا يُرى إلّا في إحدى ثلاث تزود لمعاد، أو مرمّة لمعاش، أو لذّة في غير محرم، وينبغي للعاقل أن يكون عارفاً بزمانه، حافظاً للسانه، مقبلاً على شأنه[3].

وعن الباقر عليه السلام: الكمال كل الكمال؛ التفقّه في الدين، والصبر على النّائبة، وتقدير المعيشة[4].

**«ولا كرم كالتقوى»**:

إذا أنت لم تلبس لباساً من التقى تقلّبتَ عُرياناً وإن كنت كاسيا

**«ولا قرين كحسن الخلق»** عن النبي صلى الله عليه وآله: أنا زعيم بيتٍ في ربض الجنّة وبيت في وسط الجنّة وبيت في أعلى الجنّة لمن ترك المراء وان كان محقّاً، ولمن ترك الكَذِبَ وإن كان هازلاً، ولمن حَسَّنَ خُلُقَهُ[5].

---

(١) تفسير القمي ٢: ٣٧.

(٢) الروضة من الكافي للكليني ٨: ١٨ ح ٤.

(٣) أورده المجلسي في بحار الأنوار ٧٧: ٤٩ عن الإمام الرضا عليه السلام بلفظ: لا ينبغي للعاقل أن يكون ضاعناً الّا في ثلاث: حرمة لمعاش وتزود لمعاد، أو لذّة في غير محرم.

(٤) الأصول من الكافي للكليني ١: ٣٢ ح ٤ وأخرجه عن محمّد بن إسماعيل نقله المجلسي في بحار الأنوار ٧٨: ١٧٢.

(٥) أخرجه أبو داود عن محمّد بن عثمان في (سننه) بلفظ «أنازعيم ببيت في ربض» سنن أبي داود ٤: ٢٥٣ ح ٤٨٠٠. كذا أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب عن معاذ بن جبل بلفظ «ببيت» أيضاً وبدلاً من «هازلاً» ذكر «مازحاً»

وفي (تاريخ بغداد): كان الفضل بن يحيى عبساً بسراً وكان سخياً كريماً، وكان أخوه جعفر طلقاً بشراً وكان بخيلاً لا عطاء له، وكان الناس إلى لقاء جعفر أميل منهم إلى لقاء الفضل[1].

قلت: فكان الفضل كمن قيل فيه بالفارسية «من عطايش را بلقايش بخشيدم».

«ولا ميراث كالأدب» قال الشعبي: حلي الرجال العربية وحلي النساء الشحم.

وقال سعيد بن سلم: دخلت على الرشيد فبهرني هيبة وجمالاً، فلما لحن خفّ في عيني[2].

وقال أبو عمرو الشيباني: تكلّم المنصور في مجلس فيه أعرابي فلحن، فصرَّ الأعرابي أُذنيه، فلحن مرّة أُخرى أعظم من الأُولى فقال الأعرابي: أُفٍّ لهذا ما هذا؟! ثم تكلّم فلحن الثالثة فقال الأعرابي: أشهد لقد وليت هذا الأمر بقضاء وقدر[3].

وعن الضحّاك السَّكسكي قال: كنّا مع سليمان بن عبد الملك بدابق إذ قام إليه السحّاح الأزدي الموصلي فقال: إنّ أبينا هلك وترك مال كثير، فوثب أخانا على مال أبانا فأخذه. فقال سليمان: فلا رحم الله أباك، ولا نيح عظام أخيك، ولا بارك لك في ما ورثت. أخرِجُوا هذا اللَّحَّانَ عنّي، فأخذ بيده بعض الشاكرية فقال: قم فقد آذيت أمير المؤمنين ـ بالضم ـ فقال سليمان: وهذا

---

انظر المنذري: الترغيب والترهيب ١: ١٣.

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٢: ٣٣٤.

(٢) معجم الأُدباء لياقوت الحموي ١: ٨٣ ونسبه ابن قتيبة في عيون الأخبار ٤: ٣٠ إلى ابن شبرمة.

(٣) معم الأُدباء لياقوت الحموي ١: ٨٤.

العاض بظر أمّه؛ إسحبوا برجله[١].

وأخذ عبد الملك رجلاً كان يرى رأي الخوارج فقال له ألست القائل:

ومنّا سويد والبطين وقعنب ومنّا أمير المؤمنين شبيب

فقال: إنّما قلت: «أمير المؤمنين» أي: يا أمير المؤمنين، فأمر بتخلية سبيله[٢].

وقال رجل للحسن: ما تقول في من ترك أبيه وأخيه؟ فقال الحسن: ترك أباه وأخاه. فقال الرجل: فما لأباه وأخاه. قال الحسن: إنّما هو «فما لأبيه وأخيه». فقال الرجل: ما أشد خلافك عليّ. قال: أنت أشد خلافاً عليّ، أدعوك إلى الصواب وتدعوني إلى الخطأ[٣].

وعن ابن المبارك: تعلّموا العلم شهراً والأدب شهرين[٤].

وقال رجل لبنيه: أصلِحوا من ألسنتكم، فإنّ الرجل تنوبه النائبة يحتاج أن يتجمّل فيها فيستعير من أخيه دابّة ومن صديقه ثوباً ولا يجد من يعيره لساناً[٥].

«ولا قائد كالتوفيق» من الله تعالى.

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ان الله تعالى إذا أراد بعبدٍ خيراً نكت في قلبه نكتة من نور فأضاء لها سمعه وقلبه ـ ثم تلا هذه الآية ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً

(١) المصدر نفسه.

(٢) معجم الأُدباء لياقوت الحموي ١: ٨٨، وذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار ٢: ١٥٥.

(٣) معجم الأُدباء لياقوت الحموي ١: ٨٧.

(٤) المصدر نفسه ١: ٨٩.

(٥) المصدر نفسه.

كأنّما يَصَّعَّد في السماء﴾[١].

«ولا تجارة كالعمل الصالح» في أرباحها والأمن من الخسران فيها.

﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبّة أنبتت سبع سنابل في كلّ سنبلة مائة حبّة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾[٢].

«ولا ربح كالثواب» في الخبر: ينادي ملك كلّ يوم: يا صاحب الخير أتمّ وأبشر[٣].

«ولا ورع كالوقوف عند الشبهة» لئلّا يقع في الحرام فيهلك.

«ولا زهد كالزّهد في الحرام» وأمّا الزهد في المباح فليس بذاك، قال تعالى: ﴿قل من حرّم زينة الله الّتي أخرج لعباده والطيّبات من الرزق﴾[٤].

«ولا علم كالتفكر» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: أفضل العبادة إدمان التفكُّر في الله وفي قدرته[٥].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: التفكّر يدعو إلى البر والعمل به، نبِّهْ بالتفكُّر قلبك وجافِ عن الناس جنبك واتّقِ الله ربّك[٦].

وفي الخبر: التفكر مرآتك تريك سيئاتك وحسناتك[٧].

«ولا عبادة كأداء الفرائض» في الخبر أعبد الناس من أقام الفرائض[٨].

«ولا ايمان كالحياء والصبر» أما الحياء ففي الكافي عن الصادق عليه السلام:

---

(١) الكافي للكليني ١: ٣٤٣ ح ٣٠ والآية ١٢٥ من سورة الأنعام.

(٢) البقرة: ٢٦١.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي ٥٨: ١٤٣ مروياً عن أبي جعفر الباقر عليه السلام.

(٤) الأعراف: ٣٢.

(٥) الكافي ٢: ٥٤ ح ٢.

(٦) هما حديثان للإمام عليّ عليه السلام بلفظ (التفكير يدعو) و (جاف عن الليل)، الكافي ٢: ٥٤ ـ ٥٥ ح ١ و ٢.

(٧) بحار الأنوار للمجلسي ٧١: ٣٢٥ الرواية ١٩.

(٨) أخرجه الصدوق في معاني الأخبار عن أبي حمزة الثمالي عن رسول الله صلى الله عليه وآله ٢: ١٩٥ ح ١.

الحياء والايمان مقرونان في قرن، فاذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه[١].

وعنه عليه السلام: لا إيمان لمن لا حياء له. وأمّا الصبر فهو من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد.

«ولا حسب كالتواضع» يقال: إسمان متضادّان بمعنى واحد التواضع والشرف. وعن الصادق عليه السلام: وقع بين سلمان الفارسي ورجل خصومة، فقال الرجل لسلمان: من أنت؟ فقال: سلمان، أمّا أوّلي وأوّلك فنطفة قذرة، وأما آخري وآخرك فجيفة منتنة، فإذا كان يوم القيامة ووضعت الموازين فمن ثقل ميزانه فهو الكريم ومن خف ميزانه فهو اللئيم.

«ولا شرف كالعلم» قال الباقر عليه السلام: عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد.

وأيّ شرف أعلى من شرف العلم وقد جعل الله تعالى صاحب العلم رديف نفسه وملائكته، قال تعالى: ﴿شهد الله أنّه لا إلّه إلّا هو والملائكة وأولوا العلم﴾[٢].

«ولا مظاهرة أوثق من المشاورة» قال حكيم: إذا شاورت عاقلاً صار عقله لك. وقد قيل: نصف عقلك مع أخيك فاستشره.

وفي الصديق والصداقة للتوحيدي قال حكيم: إذا استشارك عدوّك فامحضه النصيحة، فإنّه إن عمل برأيك وانتفع ندم على تفريطه في مناوأتك وأفضت عداوته إلى المودة، وإن خالفك واستضرّ عرف قدر أمانتك بنصحه وبلغت مناك في مكروهه[٣].

---

(١) الكافي للكليني ٢: ١٠٦ ح ٤.

(٢) آل عمران: ١٨.

(٣) لم نعثر على النصّ في الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي (طبع مصر).

## ٨
## الحكمة (٢٥٩)

وقال عليه السلام:

**الْوَفاءُ لِأَهلِ الغَدْرِ غَدْرٌ عِنْدَ اللهِ، والغَدْرُ لأهلِ الغَدْرِ وفاءٌ عندَ اللهِ.**

في (الطبري): كان مالك بن أبي السمح المغني وعمرو الوادي مع الوليد بن يزيد لمّا حصر، فلما تفرّق أصحابه عنه قال مالك لعمرو: إذهب بنا. فقال عمرو: ليس هذا من الوفاء ونحن لا يعرض لنا لأنّا لسنا ممّن يقاتل. فقال له مالك: ويلك والله لئن ظفروا بنا لا يقتل أحد قبلي وقبلك فيوضع رأسه مع رأسينا ويقال للناس انظروا من كان معه في هذه الحال، فلا يعيبونه بشيء أشد من هذا، فهربا وقتل وكان قتله سنة (١٢٦).

وفيه ـ بعد ذكر شفاعة عبدالله بن عمر للمختار عند عاملي ابن الزبير على الكوفة لمّا حبساه ـ دعواه فحلّفاه بالله الذي لا إلّه إلّا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم لا يبغيهما غائلة ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان، فان هو فعل فعليه ألف بدنة ينحرها عند رتاج الكعبة، ومماليكه كلّهم ذكرهم وأُنثاهم احرار، فحلف لهما بذلك ثم خرج فقال: قاتلهم الله ما أحمقهم حين يرون أنّي أفي لهم بأيمانهم هذه، أمّا حلفي لهم بالله فانه ينبغي لي إذا حلفت على يمين فرأيت ما هو خير منها أن أدع ما حلفت عليه وآتي الذي هو خير وأكفر يميني، وخروجي عليهم خير من كفّي عنهم...[1].

(١) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٥: ٥٥٦.

## ٩
## الخطبة (٣٢٧)

وقال عليه السلام:

**ما ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ الإثمُ بِهِ، والغالبُ بالشَّرِّ مَغْلُوبٌ.**

أقول: في (اللهوف على قتلى الطفوف): أقبل ابن زياد على زينب فقال: الحمد لله الذي فضحكم وأكذب أحدوثتكم. فقالت: إنّما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا. فقال: كيف رأيت صنع الله بأخيك وبأهل بيتك؟ فقالت: ما رأيت إلّا جميلاً، هؤلاء قوم كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتُحاجُّ وتُخاصَمَ، فانظر لمن الفلج يومئذٍ[1].

و(فيه) أيضاً في شرح ورود أهل بيت الحسين عليه السلام على يزيد: فقامت زينب وقالت: أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نُساق كما تُساق الأُسارى، أنّ بنا هواناً على الله وبك عليه كرامة؟! فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلان مسروراً حين رأيت لك الدنيا مستوسقة والأُمور متّسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا ـ إلى أن قالت ـ فكِدْ كيدك واسع سعيك، فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا ولا تدرك أمدنا ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلّا فند وأيّامك إلّا عدد وجمعك إلّا بدد، ويوم يناد المناد ألا لعنة الله على الظالمين[2].

هذا وقال ابن أبي الحديد: بعد العنوان «ونظير قوله عليه السلام هذا قوله: من قصّر في الخصومة ظُلِمَ ومن بالغ فيها أثِمَ»[3].

---

(١) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ١٤٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٦٤ ـ ١٦٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٣٩.

قلت: أين ذاك الكلام من هذا الكلام، فان كلّاً منهما في مقام، فإنّ المقصود من ذاك أنّ الخصومة أمر يعسر معه القيام على الجادة الوسطى حتى لا يكون ظالماً ولا مظلوماً، وأمّا هذا فالمراد به أنّ الظافر على صاحبه بالشر والغالب عليه بالإثم مغلوب ومنكوب في الحقيقة وان كان في الظاهر غالباً وظافراً.

وإنّما نظير قوله عليه السلام هذا قول ابنه الصادق عليه السلام حين دخل عليه رجلان مدارأة بينهما في خصومة، فلما أن سمع كلامهما قال: «ما ظفر أحد بخير من ظفر بظلم، أما إنّ المظلوم يأخذ من دين الظالم أكثر ممّا يأخذ الظالم من مال المظلوم، من يفعل الشر بالناس فلا ينكر الشر إذا فُعل به، إنّما يحصد ابن آدم ما يزرع، وليس يحصد أحد من المرّ حلواً ومن الحلو مرّاً» فاصطلح الرجلان[1].

## ١٠
## الحكمة (٤٢٨)

وقال عليه السلام في بعض الاعياد:

إنما هُوَ عِيدٌ لِمَنْ قَبِلَ الله صِيَامَهُ وشَكَرَ قِيَامَهُ، وكُلُّ يَوْمٍ لَا يُعْصَى اللّهُ فِيهِ فَهُوَ عِيدٌ.

**«في بعض الأعياد»** أي: الفطر بقرينة ذكر الصيام والقيام فيه.

**«إنّما هو عيد لمن قبل الله صيامه»** وقبول الصيام بالكفّ عن جميع المحرّمات لا خصوص المفطرات، وإنّما الكفُّ عنها يوجب سقوط القضاء والكفارة دون القبول.

ففي الخبر: ليس الصيام من الطعام والشراب وحده، إذا صمت فليصم

(١) بحار الأنوار للمجلسي ٧٥: ٣٢٨.

سمعك وبصرك وباقي جوارحك حتى شعرك[1].

هذا، وقال الصابي في بعض أُمراء عصره في شهر رمضان[2]:

| | |
|---|---|
| يا ذا الذي صام عن الطعم | ليتك قد صُمت عن الظُّلم |
| هل ينفع الصوم امرءاً ظالماً | أحشاؤه ملأى من الإثم |

«**وشكر قيامه**» أي: قبل صلاته، ولا تقبل الصلاة إلّا بالإقبال فيها على الله؛ إنْ كلا فكل وإن جزءاً فجزء.

«**وكل يوم لا يُعصى اللهُ فيه فهو عيد**» قال عليه السلام: لا تأمن البيات وقد عملت السيئات[3].

وقال أيضاً: ولا تبدينَّ عن واضحة وقد عملت الأعمال الفاضحة[4].

وقالوا: ليس العيد لمن لبس الجديد؛ إنّما العيد لمن سلم من الوعيد، وليس العيد لمن ركب المطايا؛ إنّما العيد لمن ترك الخطايا، وليس العيد لمن حضر المصلّى؛ إنّما العيد لمن صام وصلّى.

وفي (الفقيه): نظر الحسن بن علي عليهما السلام إلى ناس في يوم فطر يلعبون ويضحكون، فقال عليه السلام لأصحابه: إنّ الله عزوجل خلق شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه بطاعته إلى رضوانه، فسبق فيه قوم ففازوا وتخلّف

---

(١) الكافي ٤: ٨٧ ح٣ وأورد أيضاً مسنداً إلى محمد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السلام: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك وشعرك وجلدك ـ وعدّد أشياء غير هذا ـ وقال: لا يكون يَوم صومك كيوم فطرك الكافي ٤: ٨٧ وذكره الفيض الكاشاني في المحجّة البيضاء ٢: ١٣١، كذا ذكره الأشعري في النوادر: ٢٢ ـ ٢٣.

(٢) هو أبوإسحاق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون بن حبّون الحرّاني الصابيء، صاحب الرسائل المشهورة والنظم البديع، كان كاتب الإنشاء ببغداد عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار بن معز الدولة ابن بويه الديلمي، ترجم له ياقوت الحموي في معجم الادباء ٢: ٢٠ والثعالبي في اليتيمة ٢: ٢٤٣ ـ ٣١٢، وابن خلّكان في وفيات الأعيان ١: ٥٢.

(٣) الكافي للكليني ٢: ٢٧٣ ح٢١.

(٤) بحار الأنوار للمجلسي ٧٣: ٣٣٤ ح علي بن اسباط.

آخرون فخابوا، فالعجب كلّ العجب من الضاحك اللاعب في اليوم الذي يُثاب فيه المحسنون ويخيب فيه المقصّرون، وأيم الله لو كشف الغطاء لشغل كلّ محسن بإحسانه ومسيء بإساءته[١].

وفي الخبر: إنّ الملائكة ينادون الناس في أول أوقات الصلاة ويقولون لهم: قوموا وأطفئوا بالصلاة في أوّل الوقت النيران التي أوقدتموها على ظهوركم[٢].

وكما أنّ من أصيب بمصيبة في يوم عيد ليس له فيه سرور كباقي الناس في العيد، حتى ورد عن الباقر عليه السلام: ما عيد للمسلمين أضحى ولا فطر إلّا ويجدّد لآل محمّد عليهم السلام فيه حزن: قيل: ولِمَ ذاك؟ قال: لأنّهم يرون حقّهم في يد غيرهم ـ كذلك من أُصيب بخطيئة فيه استحقت العقوبة به[٣].

وفي (عيون ابن قتيبة) قال زيد الحميري: قلت لثوبان الراهب: أخبرني عن لبس النصارى هذا السواد ما المعنى فيه؟ قال: هو أشبه بلبس أهل المصائب قلت: كلّكم معشر الرهبان أُصيب بمصيبة. قال: وأي مصيبة أعظم من مصيبة الذنوب. قال: فلا أذكر قوله ذاك إلّا أبكاني[٤].

هذا وقال الصابي يهنّئ عضد الدولة بعيد الفطر:

يا ماجداً يده بالجود مفطرة وفوه من كل هجر صائم أبدا
أسعد بصومك إذ قضّيتَ واجبه نسكاً ووفّيته من شهره العددا
واسحب بذا العيد أذيالاً مجدّدة واستقبل العيش في إفطاره رغدا[٥]

---

(١) من لا يحضره الفقيه للصدوق ١: ٣٢٤ ح٨٣. انتشارات إمام الهدى ـ قم.
(٢) التهذيب للطوسي ١: ٢٠٣ ومن لا يحضره الفقيه ١: ٦٧، وثواب الأعمال: ٢٠، والمحاسن: ٢٧، والوسائل ٢: ٨٨.
(٣) من لا يحضره الفقيه للصدوق ١: ٣٢٤ رواية ١٤٨٤.
(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٢٩٧ بتصرف.
(٥) يتيمة الدهر للثعلبي ٢: ٢٧٦.

وقال الصابي أيضاً في بعض الوزراء:

يصوم الوزير الدهر عن كلّ منكر     وليس لهذا الصوم عيد ولا فطر
ويفطر بالمعروف والجود والندى     وليس لهذا الفطر صوم ولا حظر[١]

## ١١
## الحكمة (٥٣)

وقال عليه السلام:

السَّخَاءُ ما كَانَ ابتِدَاءً، فأَمّا مَا كَانَ عَنْ مَسْأَلةٍ فحياءٌ وَتَذَمُّمٌ.

في (الكافي) عن الصادق عليه السلام قال: بعث أمير المؤمنين عليه السلام إلى رجل يرجو نوافله ولا يسأله بخمسة أوساق تمر. فقال له عليه السلام رجل: والله ما سألك فلان ولقد كان يجزيه من الخمسة أوساق وسق واحد. فقال أمير المؤمنين عليه السلام له: لا كثّر الله في المؤمنين ضربك، أُعطي أنا وتبخل أنت! إذا أنا لم أُعط الذي يرجوني إلّا من بعد المسألة فلم أعطه ثمن ما أخذت منه، وذلك لأني عرّضته أن يبذل لي وجهه الذي يعفّره في التراب لربي وربّه عند تعبّده له وطلب حوائجه إليه، فمن فعل هذا بأخيه المسلم وقد عرف أنّه موضع لصلته ومعروفه فلم يصدّق الله تعالى دعاءه له في قوله: «اللّهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات»، فإذا دعا لهم بالمغفرة فقد طلب لهم الجنة فما أنصف من فعل هذا بالقول ولم يحققه بالفعل[٢].

وقال الأحنف: إذا لم أصل مجتدي حتى ينتح جبينه عرقاً كما ينتح الحمِّيت فوالله ما وصلته ـ والحمّيت الزق الذي لا شعر فيه.

وفي (تاريخ بغداد): لمّا خرج عبدالله بن طاهر إلى المغرب كان معه

---

(١) يتيمة الدهر للثعلبي ٢: ٢٧٧.

(٢) الكافي للكليني ٤: ٢٢ ح١.

كاتبه أحمد بن نهيك، فلما نزل دمشق اهديت إلى أحمد هدايا كثيرة في طريقه وبدمشق وكان يثبت كلّ ما يُهدى إليه في قرطاس ويدفعه إلى خازن له، فلمّا نزل عبدالله بن طاهر دمشق أمر أحمد أن يعود عليه بعمل كان أمره أن يعمله، فأمر أحمد خازنه أن يخرج إليه قرطاساً فيه العمل الذي أمر بإخراجه ويضعه في المحراب بين يديه لئلّا ينساه وقت ركوبه في السحر، فغلط الخازن فأخرج إليه القرطاس الذي فيه ثبت ما أهدي إليه فوضعه في المحراب، فلما صلّى أحمد الفجر أخذ القرطاس ووضعه في خفّه، فلما دخل على عبدالله سأله عمّا أمره به، فأخرج الدرج من خفه فدفعه إليه، فقرأه عبدالله من أوله إلى آخره وتأمّله ثم أدرجه ودفعه إلى أحمد وقال له: ليس هذا الذي أردت. فلما نظر أحمد فيه أُسقط في يديه، فلمّا انصرف إلى مضربه وجّه إليه عبدالله يعلمه أنّي قد وقفت على ما في القرطاس فوجدته سبعين ألف دينار، واعلم أنّك لزمتك مؤونة عظيمة في خروجك ومعك زوّار وغيرهم، وأنّك تحتاج إلى برّهم وليس مقدار ما صار إليك يفيء بمؤونتك، وقد وجّهت إليك بمائة ألف دينار لتصرفها في الوجوه التي قلت[1].

## ١٢
## الحكمة (٥٦)

وقال عليه السلام:

الغِنَي فِي الغُرْبَةِ وَطَنٌ، وَالفَقْرُ فِي الوَطَنِ غُرْبَةٌ.

أقول: نظم معنى قوله عليه السلام «الغنى في الغربة وطن» بالفارسية من قال:

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٩: ٤٨٤ ـ ٤٨٥ وهو عبدالله بن طاهر بن الحسين بن مصعب، ولّاه المأمون الشام ثم ولّاه إمارة خراسان، فأقام بها حتى مات.

منعم بكوه و دشت و بيابان غريب نيست

هر جا كه رفت خيمه زد و بارگاه كرد[١]

ونظم معنى «والفقر في الوطن غربة» بالعربية مع تصرف فيه من قال:

فلو أنّي جُعلتُ أمير جيش لمّا قاتلت إلّا بالسّؤال

فإنّ النّاس ينهزمون منه وقد ثبتوا لأطراف العوالي[٢]

ونظم معنى الجملتين من قال:

ألم ترَ أنّ الفقر يُهجَرُ بيتُهُ وبيت الغنى يُهدَى له ويُزار[٣]

## ١٣
## الحكمة (٥٩)

وقال عليه السلام:

مَنْ حَذَّرَكَ كَمَنْ بَشَّرَكَ.

أقول: وجه كون المحذِّر كالمبشِّر أنَّ المبشِّرَ يبشِّر بوقوع محبوب ونجاةٍ والمحذِّر يحذِّر من الوقوع في المهالك.

وكما كان النبي صلى الله عليه وآله بشيراً بالثواب للمطيعين كان نذيراً بالعقاب للعاصين.

وفي (الكافي) قال محمد بن عذافر: قال أبو عبدالله عليه السلام لأبي: نبّئت أنّك تعامل أبا أيوب والربيع، فما حالك إذا نودي بك في أعوان الظلمة. قال: فوجم

---

(١) دهخدا، حكم وأمثال ٤: ١٧٤٦.

(٢) البيتان بعيدان عن فحوى النصّ، وهناك من نظم أبياتاً موافقة المعنى النصّ منها:

ان الدراهم في الوطن كلها تكو الرجال مهابة وجمالا

فهي اللسان لمن أراد فصاحة وهي السلاح لمن أراد قتالا

(الأبشيهي، المستطرف ٢: ٩٧).

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٢٤٢.

أبي فقال عليه السلام له: **إنّما** خوّفتك بما خوّفني الله تعالى به. قال: فلم يزل أبي مغموماً مكروباً حتى مات[١].

## ١٤
## الحكمة (٢٨١)

وقال عليه السلام:

**لَيْسَتِ الرَّوِيَّةُ مَعَ الإِبْصَارِ، فَقَدْ تَكْذِبُ العُيُونُ أَهْلَهَا ولا يَغُشُّ العَقْلُ مَنِ اسْتَنْصَحَهُ.**

«ليست الرؤية مع الابصار» هكذا في (ابن أبي الحديد[٢] وابن ميثم)[٣] ونسختهما الصحيحة لا سيما الثاني الذي نسخته بخط مصنفه، وامّا ما في الطبعة المصرية «ليست الرؤية كالمعاينة مع الابصار» فالظاهر أن «كالمعاينة» كان حاشية لبيان المعنى فخلط بالمتن كما هو كثير في الطبعة المصرية.

وحينئذ فالمعنى ليست الرؤية الحقيقية برؤية البصر بل برؤية العقل والنظر، وحينئذ «فالأبصار» بالفتح جمع البصر بمعنى العيون.

«فقد تكذب العيون أهلها» كذب العين كناية فصيحة عن عدم كون ما رأته العين بالظاهر موجوداً في الواقع، قال الشاعر:

كذبتك عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا[٤]

والشاهد لوقوع الكذب من العين أحياناً أنّها ترى الكبير من بعيد صغيراً وقد ترى الصغير كبيراً، وترى القمر كبيراً، وترى القمر تحت السحاب

(١) الكافي للكليني ٥: ١٠٥ ح ١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٧٣.

(٣) شرح ابن ميثم، أورده بلفظ «كالمعاينة» انظر ٥: ٣٨٦.

(٤) البيت للأخطل، لسان العرب ١: ٢٢٢.

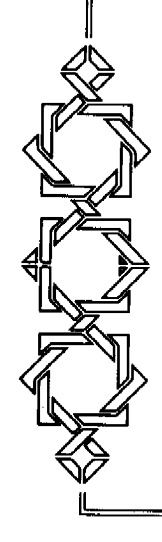
المتحرّك سائراً وانما السير للسحاب، وترى عند الوقوف على نهر جار الساحل جارياً والجري للنهر.

**«ولا يغش العقل من استنصحه»** بخلاف باقي المستنصحين، فقد يغشون ولا يبيّنون لك الرأي الصحيح، وحينئذ فالرؤية الحقيقية إنّما هي لرؤية العقل الذي لا يكذب أصلاً.



# الفصل السابع والخمسون

## في الفقر



## ١
## الحكمة (١٦٣)

وقال عليه السلام:

الفَقْرُ المَوْتُ الأَكْبَرُ.

أقول: هو من حديث الأربعمائة الذي رواه الخصال عن أبيه عن سعد عن اليقطيني عن القاسم بن يحيى عن جدّه الحسن بن راشد عن أبي بصير ومحمد ابن مسلم عن الصادق عليه السلام عن آبائه عنه عليهم السلام تحت عنوان (علّم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه في مجلس واحد أربعمائة باب ممّا يصلح للمسلم في دينه ودنياه)[1].

وفي (المعاني) قال الحرث الأعور لأمير المؤمنين عليه السلام: ما الفقر؟ قال: الحرص والشره[2].

---

(١) الخصال للصدوق ٢: ٦٢٠.

(٢) معاني الأخبار للصدوق: ٢، أخرجه الأصبغ بن نباتة عن الحارث بن الأعور قال: كان فيما سأل عنه علي بن أبي

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: قيل له قولهم الفقر الموت الأحمر هو من الدينار والدرهم؟ قال: لا، ولكن من الدين[١].

وروي عن لقمان، قال لقمان لابنه: حملت الجندل والحديد وكلّ حمل ثقيل فلم أحمل شيئاً أثقل من جار السوء، وذقت المرارات فلم أذق شيئاً أمرّ من الفقر[٢].

قلت: وأصل الفقير في اللغة من كسر فقار ظهره.

## ٢
## الحكمة (٣١٩)

وقال عليه السلام لابنه محمّد بن الحنفية:

**يَا بُنَيَّ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الفَقْرَ، فاستَعِذْ باللهِ مِنْهُ، فَإِنَّ الفَقْرَ مَنْقَصَةٌ لِلدِّينِ، مَدْهَشَةٌ لِلعَقْلِ، دَاعِيَةٌ لِلْمَقْتِ.**

قول المصنف «وقال عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية» هو أكبر أولاده بعد الحسنين عليهما السلام اشتهر بالنسبة إلى أُمّه خولة الحنفية. قال المدائني: إنّ زبيداً سبتها من بني حنيفة، ثم ارتدّت زبيد مع عمرو بن معد يكرب باليمن، فبعث النبي صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام فأصابها فصارت في سهمه وقال النبي صلى الله عليه وآله له: إن ولدتْ منك غلاماً فسمّه باسمي وكنّه بكنيتي[٣]. قال ابن قتيبة: مات بالطائف هارباً من ابن الزبير[٤].

وقال عليه السلام له أيضاً على ما روى الخصال في باب الثلاثة: إيّاك والعجب

---

طالب عليه السلام ابنه الحسن عليه السلام إن قال: ما الفقر قال: الحرص والشره.

(١) الكافي للكليني ٢: ٢٦٦ ح ٢.

(٢) ذكره المجلسي عن الصادق عليه السلام ١٣: ٤٢١.

(٣) شرح ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١٩: ٢٤٤.

(٤) المسعودي، مروج الذهب ٣: ١٢٣.

وسوء الخلق وقلّة الصبر، فانّه لا يستقيم لك على هذه الخصال الثلاث صاحب ولا يزال لك عليها من الناس مجانب، وألزِمْ نفسك التودّد وصبّر على مؤونات الناس نفسك، وابذل لصديقك نفسك ومالك، ولعرفتك رفدك ومحضرك، وللعامة بشرك ومحبتك، ولعدوّك عدلك وإنصافك، واضنن بدينك وعرضك عن كلّ أحد[١].

قوله عليه السلام «يا بنيَّ إنّي أخاف عليك الفقر فاستعذ بالله منه» في دعاء أبي حمزة للسجّاد عليه السلام «أعوذ بك من الفقر والفاقة وكلّ بلية، والفواحش كلّها ما ظهر منها وما بطن»[٢].

«فان الفقر منقصة للدِّين» كون الفقر سبباً لنقص الدين أنّ الفقير يتواضع غالباً للغنيّ، ومن تواضع لغنيٍّ ذهب ثلثا دينه.

وعنهم عليهم السلام: كاد الفقر أن يكون كفراً[٣].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: نعم العون على التقوى المال[٤].

«مدهشة للعقل» قال شاعر:

إذا قلّ مال المرء قلّ حياؤه ... وضاقت عليه أرضه وسماؤه

وأصبح لا يدري وإن كان حازماً ... أقُدّامُه خيرٌ له أم وراؤه[٥]

«داعية للمقت» أي: انّه سبب لبغض الناس له، فقالوا: المفلس عند الناس أكذب من لمعان السراب ومن سحاب تموز، لا يُسأل عنه إن غاب ولا يسلَّمُ عليه إذا قدم، إن غاب شتموه وإن حضر طردوه، مصافحته تنقض الطهارة

---

(١) الخصال للصدوق ١: ١٤٧ ح١٧٨.

(٢) مفاتيح الجنان للقمي، دعاء أبي حمزة الثمالي: ٣٥٦.

(٣) أخرجه الصدوق عن هشام بن سالم عن الصادق عليه السلام الأمالي: ٢٤٣ ح٦.

(٤) تحف العقول: ٣٥.

(٥) المحاسن والمساوئ للبيهقي ١: ٢١٥.

وقراءته تقطع الصلاة.

وفي (تاريخ بغداد): سئل أبو محمد الجريري عن الفقر والغنى أيّهما أفضل؟ فقال: لو لم يكن من فضل الفقر إلّا ثلاث: إسقاط المطالبة، وقطع عن المعصية، وتقديم الدخول إلى الجنّة؛ لكفى. فقال أبو العباس بن عطا: يا سبحان الله! وأيّ فضل يكون أفضل ممّا أضافه الله تعالى إلى نفسه؟ وأيُّ شيء يكون أعجز من شيء تنافى الله تعالى عنه؟ فانّه تعالى أضاف الغنى إلى نفسه وتنافى عن الفقر واعتدّ على نبيه صلى الله عليه وآله فقال: ﴿ووجدك عائلاً فأغنى﴾[1] فإن احتجَّ محتَجٌّ بأنّه صلى الله عليه وآله عرض عليه مفاتيح الدنيا ولم يقبلها، فيقال له: تركها اختياراً والتارك لا يكون إلّا غنياً[2].

## ٣
## الحكمة (٣٤٦)

وقال عليه السلام:

**ماءُ وَجْهِكَ جَامِدٌ يُقْطِرُهُ السُّؤَالُ فانظُر عِنْدَ مَنْ تُقْطِرُهُ.**

أقول: هكذا في الطبعة (المصرية)[3]، ولكن في (ابن أبي الحديد[4] والخطية[5] بدل «ماء وجهك جامد» «وجهك ماء جامد» والصواب هنا ما في الطبعة المصرية لتصديق (ابن ميثم)[6] الذي نسخته بخط المصنف لمّا فيها.

---

(١) الضحى: ٨.

(٢) لم يرد ذلك في تاريخ بغداد في ترجمة أحمد بن محمّد (أبومحمّد الجريري) ٤: ٤٣٠ رقم (٢٣٣٣) كما أن الخطيب البغدادي لم يترجم لحياة عبدالله بن عطاء (أبي العباس بن عطاء).

(٣) الطبعة المصرية: ٧٣٧ رقم (٣٤٥).

(٤) نسخة التحقيق لشرح بن أبي الحديد بهذا اللفظ ماء وجهك جامدٌ ١٩: ٢٦١.

(٥) النسخة الخطية سقط النصّ منها (نسخة مكية المرعشي).

(٦) شرح ابن ميثم، شرح نهج البلاغة ٥: ٤١١.

وكيف كان فيجوز في «يقطر» و «تقطر» التخفيف مجرداً والتشديد، ففي الصحاح «قطر الماء وقطرته» يتعدّى ولا يتعدّى، وتقطير الشيء إسالته قطرة قطرة[١].

ولا يجوز أن يكونا بضم المضارعة من باب الافعال، فمعنى «اقطر» حان له أن يقطر، ولا مناسبة له هنا.

دخل محمد بن واسع على بعض الأُمراء فقال: أتيتك في حاجة فإن شئت قضيتها فكنّا كريمين، وإن شئت لم تقضها وكنّا لئيمين، أراد انّه إذا لم يقضها كان طالب الحاجة أيضاً لئيماً حيث طلب حاجته من غير أهلها[٢].

وقال الطائي:

أعـياش انّك لئـيم وإنّـني ... مذ صرت موضع مطلبي للئيم[٣]

وقال أبو العيناء لمن طلب إليه حاجة فلم يقضها: سألتك حاجة فرددت بأقبح من وجهك. وقال الطائي:

رددت رونـق وجـهي فـي صـحيفته
ردّ الصـقال بـهاء الصـارم الخـذم
ومـا أبـالي ـ وخـير القـول أصـدقه ـ
حقنت لي ماء وجهي أم حقنت دمي[٤]

وقال أبو الأسود:

وإنّ أحقّ الناس إن كنت مـادحاً[٥] ... بمدحِكَ مَنْ أعطاك والوجه وافر[٦]

---

(١) الصحاح للجوهري ٢: ٧٩٦ مادة (قطر).

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ١: ٢٦١.

(٣) أورده ابن عبد ربه بلفظ آخر فيه اختلاف قليل ١: ٢٦٢.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١٩: ٢٦١.

(٥) في ديوانه حامداً.

لآخر:

إذا أظمأتك أكفُّ الرجال كفتك القناعة شبعاً وريّا

فكن رجلاً رِجله في الثرى وهامة همّته في الثريّا

فإنّ إراقة ماء الحياة دون إراقة ماء المحيّا[٧]

وقال بشار في عمر بن العلاء:

دعاني إلى عُمَرَ جُوده وقول العشيرة بحر خضم

ولولا الذي زعموا لم أكن لأمدح ريحانة قبل شم[٨]

وفي (الكافي) عن الحارث الهمداني قال: سامرت أمير المؤمنين عليه السلام فقلت: عرضت لي حاجة. قال: رأيتني لها أهلاً؟ قلت: نعم. قال: جزاك الله عنّي خيراً، ثم قام إلى السراج فأغشاها وجلس ثم قال: انّما أغشيت السراج لئلا أرى ذلّ حاجتك في وجهك فتكلّم فإنّي سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: الحوائج أمانة من الله في صدور العباد، فمن كتمها كتبت له عبادة ومن أفشاها كان حقّاً على من سمعها أن يعينه[٩].

وعن الصادق عليه السلام قال: ما توسّل أحد إليّ بوسيلة ولا تذرّع بذريعة أقرب له إلى ما يريده منّي من رجل سلف إليه منّي يد أُتبعها أُختها وأحسنت ربّها - أي تربيتها - فإنّي رأيت منع الأواخر يقطع لسان شكر الأوائل، ولا سخت نفسي بردّ بكر الحوائج. وقد قال الشاعر:

وإذا بُليت ببذل وجهك سائلاً فابذله للمتكرّم المفضال

إنّ الجواد إذا حباك بموعد أعطاكه سلساً بغير مطال

(٦) ديوان أبي الأسود الدؤلي: ١٩٣.

(٧) شرح ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١٩: ٢٦١.

(٨) ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ١٧٧.

(٩) الكافي للكليني ٤: ٢٤ ح ٤.

وإذا السُّؤال مع النـوال وزنـته رجح السُّؤال وخفَّ كل نوال[١]

وعن الرضا عليه السلام: سأله رجل أن يعطيه ما يصل إلى بلده، فدخل وردّ الباب وأعطاه من أعلى الباب، فقيل له عليه السلام في ذلك، فقال: أما سمعت قول الأول:

متى آته يوماً لأطلب حاجة رجعت إلى أهلي ووجهي بمائه[٢]

هذا، وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ما من عبد يسأل من غير حاجة فيموت حتى يحوجه الله إليها ويثبت الله له بها النار[٣]

وعنه عليه السلام أيضاً: رحم الله عبداً عفَّ وتعفَّف وكفَّ عن المسألة، فإنّه يتعجّل الدنيّة في الدّنيا ولا يغني الناس عنه شيئاً. ثم تمثّل ببيت حاتم:

إذا ما عرفت اليأس ألفيته الغِنى إذا عرفته النفس والطمع الفقر[٤]

وعنه عليه السلام: جاءت فخذ من الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وآله فقالوا: لنا حاجة. قال: هاتوا. قالوا: إنّها عظيمة. فقال: هاتوها ما هي؟ قالوا: تضمن لنا على ربّك الجنّة. فنكس النبي صلى الله عليه وآله رأسه ثم نكت في الأرض ثم رفع رأسه فقال: أفعل ذلك بكم على أن لا تسألوا أحداً شيئاً. فكان الرجل منهم يكون في السفر فيسقط سوطه فيكره أن يقول لإنسان: ناولنيه فراراً من المسألة وينزل فيأخذه، ويكون على المائدة فيكون بعض الجلساء أقرب إلى الماء منه فلا يقول: ناولني، حتى يقوم فيشرب[٥].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: ان الله تعالى أحبّ شيئاً لنفسه وأبغضه لخلقه، أبغض

---

(١) الكافي للكليني ٤: ٢٥ ح ٥.

(٢) الكافي للكليني ٤: ٢٥ ح ٣.

(٣) الكافي للكليني ٤: ١٩ ح ٣.

(٤) الكافي للكليني ٤: ٢١ ح ٦.

(٥) أورده المجلسي في بحار الأنوار ٩٦: ١٥٧.

لخلقه المسألة وأحبّ لنفسه أن يَسأل، ولا يستحي أحدكم أن يسأل الله من فضله ولو شسع نعل[١].

وعن النبي صلى الله عليه وآله أيضاً: والذي نفسي بيده لأن يأخُذَ أحدُكم حَبْلاً ثم يدخل عرض هذا الوادي فيحتطب حتى لا يلتقي طرفاه ثم يدخل به إلى السوق فيبيعه بمدٍّ من تمر ويأخذ ثلثيه ويتصدّق بثلثه خير له من أن يسأل الناس؛ أعطوه أو حرموه[٢].

وعن الباقر عليه السلام: لو يعلم السائل ما في المسألة ما سأل أحد أحداً، ولو يعلم المعطي ما في العطية ما ردّ أحد أحداً[٣].

## ٤
## الحكمة (٤٢٧)

وقال عليه السلام:

**مَنْ شَكَا الحَاجَةَ إلَى مُؤمِنٍ فَكأَنَّما شَكَاها إلَى الله، ومَنْ شَكَاها إلَى كافرٍ فَكَأنَّما شَمَا الله.**

هكذا في (ابن أبي الحديد[٤] وابن ميثم)[٥] والخطية وما في الطبعة المصرية[٦] غلط.

أقول: في (روضة الكافي) عن الصادق عليه السلام قال لبعض شيعته: إذا نزلت بك نازلة فلا تشكها إلى أحد من أهل الخلاف، ولكن اذكرها لبعض إخوانك

(١) الكافي ٤: ٢٠ ح ٤.

(٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة بلفظ مشابه ١: ٢٥٧ باب الزكاة وذكره الهندي في كنز العمّال ٦: ٤٩٧ ح ١٦٧٠٠.

(٣) الكافي ٤: ٢٠ ح ٢.

(٤) شرح ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢٠: ٧٢.

(٥) شرح ابن ميثم ٥: ٤٤٩ وانظر النسخة الخطية: ٣٢٧.

(٦) راجع الطبعة المصرية: ٧٥٦ شرح محمّد عبده.

فانّك لن تعدم خصلة من أربع: إمّا كفاية بمال، أو معونة بجاه، أو دعوة فتستجاب، أو مشورة برأي[١].

هذا، وفي (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله قال الله تعالى: من مرض ثلاثاً فلم يشك إلى أحد من عوّاده أبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه، فإن عافيته عافيته ولا ذنب له، وإن قبضته قبضته إلى رحمتي[٢].

وفي خبر: إن قال حممت اليوم أو سهرت البارحة ليس بشكاة، إنّما الشكوى أن يقول: لقد ابتُلِيت بما لم يُبتَلَ به أحد، وأصبت ما لم يصب أحداً[٣].

(١) الروضة في الكافي للكليني ٨: ١٧٠ الرواية ١٩٢ عن الحسن بن راشد.

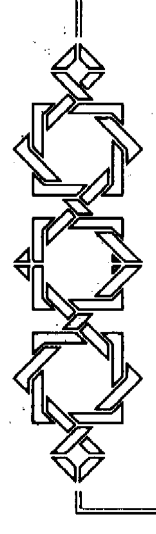
(٢) الكافي للكليني ٣: ١١٥ حديث ١ مسند عن جابر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام.

(٣) الكافي للكليني ٣: ١١٦، حديث ١ أسنده إلى جميل بن صالح عن أبي عبدالله عليه السلام.



# الفصل الثامن والخمسون

## كلامه عليه السلام في النساء





## ١
## الحكمة (١٢٤)

**وقال عليه السلام: غَيْرَةُ المَرْأَةِ كُفْرٌ، وَغَيْرَةُ الرَّجُلِ إيمَانٌ.**

أقول: «الغيرة» بالفتح صرح به ابن السّكّيت[1]، روى (الكافي) عنه عليه السلام قال: كتب الله الجهاد على الرجال والنساء، وجهاد المرأة أن تصبر على ما ترى من أذى زوجها وغيرته[2] -وفي خبر آخر -وجهاد المرأة حسن التبعل.

وروى (الطبري) عن ابن عباس قال: إنّ ليلى بنت الخطيم الخزرجية أقبلت إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو مولٍّ ظهره الشمس، فضربت على منكبه فقال: من هذه؟ قالت: أنا ابنة مباري الريح، جئتك أعرض عليك نفسي فتزوَّجني. قال: قد فعلت. فرجعت إلى قومها فقالت: قد تزوَّجني النبيّ. فقالوا: بئس ما صنعت، أنت امرأة غيرى والنبي صلى الله عليه وآله صاحب نساء، إستقيليه نفسك، فرجعت إلى

---

(١) اصلاح المنطق لابن السّكّيت: ٢٨٣، وذكره ابن سيده في الصحاح ٢: ٧٧٦.

(٢) الكافي للكليني ٥: ٩ ح١.

النبي صلى الله عليه وآله فقالت: أقلني. قال: قد أقلتك[١].

قلت: لو صح الخبر لدَلَّ على اختصاص النبي صلى الله عليه وآله بالإقالة بدل الطلاق.

وفي (ذيل الطبري): قال أبو معشر تزوّج النبي صلى الله عليه وآله مليكة بنت كعب الليثي وكانت تذكر بجمال بارع، فدخلت عليها عائشة فقالت: أما تستحين أن تنكحي قاتل أبيك. فاستعاذت من النبي صلى الله عليه وآله فطلقها، فجاء قومها إلى النبي فقالوا: إنّها صغيرة ولا رأي لها وخدعت فارتجعها، فأبى، وكان أبوها قد قتل يوم فتح مكّة قتله خالد بن الوليد بالخندمة.

و(فيه) أيضاً قال أبو أُسيد الساعدي: تزوّج النبي صلى الله عليه وآله أسماء ابنة النعمان الجونية وأرسلني فجئت بها فقالت حفصة لعائشة ـ أو عائشة لحفصة ـ إخضبيها أنت وأمشطها أنا، ففعلت ثم قالت إحداهما لها: إن النبيّ يعجبه من المرأة إذا أُدخلت عليه أن تقول: «أعوذ بالله منك»، فلما دخلت عليه وأُغلق الباب وأرخى الستر مدّ يده إليها فقالت: أعوذ بالله منك. فقال بكمه على وجهه فاستتر به وقال: عذت معاذاً ـ ثلاث مرّات ـ

قال أبو أسيد: ثم خرج النبي صلى الله عليه وآله عليّ وقال ألحقها بأهلها ومتّعها برازقيتين ـ يعني كرباسين ـ فكانت تقول: أُدعوني الشّقيّة، فلما طلعت بها على القوم تصايحوا وقالوا: إنّك لغيرُ مباركةٍ ما دهاك؟ فقالت: خدعت، فقيل لي كيت وكيت. فقال أهلها: لقد جعلتنا في العرب شهرة. فنادت أبا أسيد وقالت: قد كان ما كان فالذي أصنع ما هو؟ قال: أقيمي في بيتك فاحتجبي إلّا من ذي محرم ولا يطمع فيك طامع بعد النبي صلى الله عليه وآله، فإنّك من أُمّهات المؤمنين. فأقامت حتى توفّيت في خلافة عثمان. قال زهير بن معاوية ماتت كمداً[٢].

---

(١) تاريخ الامم والملوك للطبري ٢: ٤١٧.

(٢) تاريخ الامم والملوك للطبري ٨: ٨٩.

وفي (عيون ابن قتيبة) قالت عائشة: خطب النبي صلى الله عليه وآله امرأة من كلب، فبعثني أنظر إليها فقال لي: كيف رأيت؟ فقلت: ما رأيت طائلاً. فقال: لقد رأيت خالاً بخدّها أقشعر كلّ شعرة منك على حدها. فقالت: ما دونك ستر[1].

وروى (سنن أبي داود) عن أنس أنَّ النبي صلى الله عليه وآله كان عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أُمهات المؤمنين مع خادمها قصعة فيها طعام، فضربت بيدها فكسرت القصعة، فأخذ النبي صلى الله عليه وآله الكسرتين فضمّ إحداهما إلى الأُخرى فجعل يجمع فيها الطعام ويقول: غارت أُمّكم[2].

قلت: والمرسلة للطعام في قصعة كانت صفية بن حيّ بن أخطب والكاسرة لها عائشة كما صرّح به في خبر رواه بعد ـ وفي ذاك الخبر: أخذ عائشة أفكل فكسرت الإناء.

وفي (أُسْدِ الغابة) في عنوان خديجة، قالت عائشة: كان النبي صلى الله عليه وآله لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوماً فأدركتني الغيرة فقلت: هل كانت إلّا عجوزاً فقد أبدلك الله خيراً منها. فغضب حتى اهتزَّ مقدَّم شعره من الغضب، ثم قال: لا والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت بي إذ كفر الناس، وصدّقتني إذ كذّبني الناس، وواستني في مالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها أولاداً إذ حرمني أولاد النساء[3].

قلت: ومغزى كلامه صلى الله عليه وآله أنَّ أباها كان كافراً فيمن كفر ومكذّباً فيمن كذب حين اسلام خديجة، كما أنّها هي من نسائه اللاتي حرم الولد منهن، فكيف يدّعون لأبيها تقدم اسلامه.

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٤: ١٩ كذا أخبار النساء لابن قيم الجوزية: ٩.

(٢) سنن أبي داود ٣: ٢٩٧ ح٣٥٦٧.

(٣) أُسد الغابة لابن الأثير ٥: ٤٣٨.

وفي (تفسير القمّي) في قوله تعالى: ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي﴾[١] كان سبب نزولها أنّ امرأة من الأنصار أتت النبي صلى الله عليه وآله وقد تهيّأت وتزيّنت، فقالت: يا رسول الله هل لك فيّ حاجة فقد وهبت نفسي لك. فقالت لها عائشة: قبّحك الله ما أنهمك للرجال. فقال النبي صلى الله عليه وآله: مه يا عائشة فإنّها رغبت في رسول الله صلى الله عليه وآله إذ زهدتُنَّ فيه. ثم قال: رحمك الله ورحمكم يا معشر الأنصار، نصرني رجالكم ورغبت فيّ نساؤكم، إرجعي رحمك الله فإنّي أنتظر أمر الله فأنزل الله تعالى ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبيّ أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين﴾[٢] فلا تحلُّ الهبة إلّا لرسول الله[٣].

ثم من المضحك أنّ النووي في شرحه على صحيح مسلم قال ـ بعد ذكر رواية مسلم عن عائشة قالت: قال لي النبي صلى الله عليه وآله: إنّي لأعلم إذا كنت عنّي راضية وإذا كنت عليّ غضبى. قلت: ومن أين تعرف ذلك؟ قال: أمّا إذ كنت عني راضية تقولين: «لا وربّ محمّد» وإذ كنت غضبى تقولين: «لا وربّ إبراهيم». قلت: أجل والله لا أهجر إلّا اسمك.

مغاضبة عائشة للنبي صلى الله عليه وآله هي ممّا سبق من الغيرة التي عفي عنها للنساء في كثير من الأحكام كما سبق لعدم انفكاكهن منها، حتى قال مالك وغيره من علماء المدينة: يسقط عنها الحد إذا قذفت زوجها بالفاحشة على جهة الغيرة، قال واحتج بما روي ان النبي صلى الله عليه وآله قال: ما تدري الغيراء أعلى الوادي من أسفله. ولولا ذلك لكان على عائشة في ذلك من الحرج ما فيه، لأن الغضب على النبي صلى الله عليه وآله وهجره كبيرة عظيمة[٤].

---

(١) الأحزاب: ٥٠.

(٢) الأحزاب: ٥٠.

(٣) تفسير القمي ٢: ١٩٥.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ١٥: ٢٠٣.

فإنّ إخواننا إنّما عرفوا الحق بالأشخاص، فاعتقدوا بحسب مذهبهم المتناقض أنّ عائشة صدّيقة ابنة صدّيق.

فاشتروا بذلك قول الله جل وعلا: ﴿يا نساءَ النبي من يأتِ منكنّ بفاحشة مبيّنة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً﴾[١] وقوله تعالى فيها وفي صاحبتها: ﴿وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين﴾[٢].

وقوله عزّ اسمه تعريضاً بهما كما صرّح به (الزمخشري)[٣] ورواه (صحيح مسلم)[٤]: ﴿ضرب الله مثلاً للّذين كفروا آمرأت نوح وآمرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل آدخلا النّار مع الدّاخلين﴾[٥] بثمن قليل، فكان ضعف العذاب عليها لإتيانها بتلك الفواحش المبيّنة عليهم عسيراً، وتظاهرها هي وصاحبتها على نبيّه صلى الله عليه وآله نسياً منسياً، وأنّها مع خيانتها تلك الخيانات التي أثبتها التاريخ في الجمل وغير الجمل كان كونها تحت النبي صلى الله عليه وآله لا يغني عنها شيئاً.

كما أغمضوا عمّا شاهدوا من أبيها وصاحبه مع النبي صلى الله عليه وآله بالتخلّف عن جيش أُسامة الذي لعن المتخلف عنه ومنعه من الوصية ونسبة الهجر إليه، مع قوله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى* إن هو إلّا وحيٌ يوحى﴾[٦] ومع أهل بيته بإحراقهم لو لم يبايعوا مع قوله تعالى فيهم ﴿إنّما يريد الله ليذهب

---

(١) الأحزاب: ٣٠.

(٢) التحريم: ٤.

(٣) الكاشف للزمخشري ٤: ٥٧١.

(٤) صحيح مسلم ١٥: ٢٠٣.

(٥) التحريم: ١٠.

(٦) النجم: ٣ ـ ٤.

عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا﴾[(١)].

ولمّا قال بعضهم لأمير المؤمنين عليه السلام: إني أعتزلك لاعتزال سعد وابن عمر لك. قال عليه السلام له: إنّك تعرف الحقّ بالرجال والواجب أن تعرف الرجال بالحقّ[(٢)].

وكيف تكون غيرتهن عفواً وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام «غيرتهن كفر» وقال الباقر عليه السلام: غيرة النساء الحسد، والحسد أصل الكفر، إنّ النساء إذا غرن غضبن، وإذا غضبن كفرن إلّا المسلمات منهنّ[(٣)].

وقال الصادق عليه السلام: إن الله تعالى لم يجعل الغيرة للنساء، وإنّما تغار المنكرات منهن، فأمّا المؤمنات فلا، إنّما جعل الله الغيرة للرجال[(٤)].

فأمّا قول النبي صلى الله عليه وآله «الغيراء لا تدري أعلى الوادي من أسفله» فبيان حالهن لا دليل جواز عملهن.

وورد من طريقنا[(٥)] أيضاً هكذا: بينا كان النبي صلى الله عليه وآله قاعداً إذ جاءت امرأة عريانة حتى قامت بين يديه فقالت: إنّي قد فجرت فطهّرني، وجاء رجل يعدو في أثرها وألقى عليها ثوباً، فقال: ما هي منك؟ قال: صاحبتي خلوت بجاريتي فصنعت ما ترى. فقال: ضمّها إليك. ثم قال: ان الغيراء لا تبصر أعلى الوادي من أسفله[(٦)].

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) ذكره المفيد في أماليه: ٣ بلفظ: «فإنّك امرؤٌ ملبوس عليك، إنّ دين الله لا يعرف بالرجال بل بآية الحق، فأعرف الحق تعرف أهله.

(٣) الفروع من الكافي للكليني ٥: ٥٠٥، وذكره الطبرسي في مكارم الأخلاق: ١٢٤.

(٤) الفروع من الكافي للكليني ٥: ٥٠٥ ح ٢.

(٥) من حديث مطول أسنده الطبرسي إلى جابر ... لم يأت المؤلف على ذكره بالتفصيل أُنظر مكارم الأخلاق: ١٢٤.

(٦) الكافي للكليني ٥ : ٥٠٥ ح ٣، وفتح الباري في شرح صحيح البخاري ٩: ٣٢٥.

وكيف يعفى عنهنّ مع ترتب مفاسد كثيرة على غيرتهن، فقد روى الكافي أنّ عمر أُتي بجارية قد شهدوا عليها أنّها بغت ـ وكان من قصتها أنّها كانت يتيمة عند رجل وكان الرجل كثيراً ما يغيب عن أهله، فشبّت اليتيمة فتخوّفت المرأة أن يتزوجها زوجها، فدعت بنسوة حتى أمسكنها فأخذت عذرتها بأصبعها، فلما قدم زوجها من غيبته رمت المرأة اليتيمة بالفاحشة وأقامت البيّنة من جاراتها اللّاتي ساعدنها على ذلك، فرفع ذلك إلى عمر فلم يدر كيف يقضي فيها، ثم قال للرجل: إئت عليَّ بن أبي طالب وإذهب بنا إليه. فأتوه عليه السلام وقصوا عليه القصة، فقال عليه السلام لامرأة الرجل: ألك بيّنة أو برهان؟ قالت: هؤلاء جاراتي يشهدن عليها بما أقول، وأحضرتهن فأخرج علي عليه السلام سيفه من غمده فطرحه بين يديه وأمر بكلّ واحدة منهن فأُدخلت بيتاً، ثم دعا امرأة الرجل فأدارها بكل وجه فأبت أن تزول عن قولها، فردّها إلى البيت الذي كانت فيه ودعا إحدى الشهود وجثا على ركبتيه ثم قال: تعرفيني أنا علي بن أبي طالب وهذا سيفي وقد قالت امرأة الرجل ما قالت ورجعت إلى الحق وأعطيتها الأمان وإن لم تصدقيني لأمكّننَّ السيف منك. فالتفتت المرأة إلى عمر وقالت: الأمان على الصدق. فقال لها علي فاصدقي، فقالت لا والله إلّا أنّها رأت جمالاً وهيئة فخافت فساد زوجها فسقتها المسكر ودعتنا فأمسكناها فافتضّتها بأصبعها. فقال علي عليه السلام: الله أكبر أنا أوّل من فرق بين الشهود إلّا دانيال النبي عليه السلام، والزمهن حدَّ القاذف والزمهن جميعاً العقر وجعل عقرها أربعمائة درهم، وأمر بالمرأة أن تنفى من الرجل ويطلقها زوجها، وزوّجه عليه السلام الجارية وساق المهر عنه...[1].

وروى أيضاً أنّه كان على عهد أمير المؤمنين عليه السلام رجلان متؤاخيان

(١) الكافي للكليني ٧: ٤٢٥ ح ٩.

في الله عزوجل، فمات أحدهما وأوصى إلى الآخر في حفظ بنية كانت له، فحفظها الرجل وأنزلها منزلة ولده في اللطف والإكرام، ثم حضره سفر فخرج وأوصى امرأته في الصبية، فأطال السفر حتى إذا أدركت الصبيّة وكان لها جمال وكان الرجل يكتب في حفظها والتعاهد لها، فلما رأت ذلك امرأته خافت أن يقدم فيراها قد بلغت مبلغ النساء فيعجبه جمالها فيتزوجها، فعمدت إليها هي ونسوة معها قد كانت أعدَّتهن، فأمسكنّها لها ثم افترعتها بأصبعها، فلما قدم الرجل من سفره دعا الجارية، فأبت أن تجيبه استحياءً ممّا صارت إليه، فألحّ عليها في الدعاء، كلّ ذلك وهي تأبى أن تجيبه، فلما أكثر عليها قالت له امرأته: دعها فانّها تستحي أن تأتيك من ذنب أتته، ورمتها بالفجور، فاسترجع الرجل ثم قام إلى الجارية فوبّخها وقال لها: ويحك! أما علمت ما كنت أصنع بك من الألطاف، والله ما كنت أعُدُّكِ إلّا كبعض ولدي أو إخوتي وإن كنت لابنتي، فما دعاك إلى ما صنعت؟! فقالت له الجارية: أمّا إذ قيل لك ما قيل فوالله ما فعلت الذي رمتني به امرأتك ولقد كذبت عليّ، فإنّ القصة لكذا وكذا ووصفت له ما صنعت امرأته بها. فأخذ الرجل بيد امرأته ويد الجارية فمضى بهما حتى أجلسهما بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام وأخبره بالقصة كلّها وأقرّت المرأة بذلك، وكان الحسن عليه السلام بين يدي أبيه فقال له: إقض فيها. فقال الحسن عليه السلام: نعم على المرأة الحد لقذفها الجارية وعليها القيامة لافتراعها. فقال عليه السلام له: صدقت[1].

وفي (مناقب السروي) عن تميم بن خزام الأسدي قال: صبّت امرأة بياض البيض على فراش ضرّتها وقالت لزوجها: قد بات عندها رجل، ففتّش ثيابها فأصاب ذلك البيض، فقص ذلك على عمر فهمّ أن يعاقبها فقال أمير

(١) الكافي للكليني ٧: ٢٠٧ ح ١٢.

المؤمنين عليه السلام: إيتوني بماء حار قد أُغلي غلياناً شديداً، فلما أُتِيَ به أمرهم فصبّوا على الموضع فاشتوى ذلك الموضع، فرمى به إليها وقال: ﴿إنّه من كيدكن إنّ كيدكن عظيم﴾[1]. وقال عليه السلام لزوجها: أمسك عليك زوجك فإنّها حيلة تلك التي قذفتها، فضربها الحدَّ[2].

وفي (معجم أدباء الحموي) نقلاً عن كتاب شعراء ابن المعتزّ: كان الخليل منقطعاً إلى الليث بن رافع بن نصر بن سيّار، وكان الليث من أكتب أهل زمانه بارع الأدب بصيراً بالشعر والغريب والنحو، وكان كاتباً للبرامكة وكانوا معجبين به، فارتحل إليه الخليل وعاشره فوجده بحراً فأغناه، وأحبّ الخليل أن يهدي إليه هدية تشبهه، فاجتهد في تصنيف كتاب العين فصنّفه له وخصّه به دون الناس وحبّره وأهداه إليه، فوقع منه موقعاً عظيماً وسُرَّ به وعوّضه عنه مائة ألف درهم واعتذر إليه، وأقبل الليث ينظر فيه ليلاً ونهاراً لا يملُّ النظر فيه حتى حفظ نصفه وكانت ابنة عمّه تحته فاشترى عليها جارية نفيسة بمال جليل، فبلغها ذلك فغارت غيرة شديدة، فقالت والله لأغيظنّه ولا أُبقي غاية. فقالت: إن غظته في المال فذاك ما لا يبالي ولكني أراه مكبّاً ليله ونهاره على هذا الدفتر والله لأفجعنه به، فأخذت الكتاب وأضرمت ناراً وألقته فيها، وأقبل الليث إلى منزله ودخل إلى البيت الذي كان فيه الكتاب، فصاح بخدمه وسألهم عن الكتاب فقالوا: أخذته الحرة، فبادر إليها وقد علم من أين أُتي، فلما دخل عليها ضحك في وجهها وقال لها: ردّي الكتاب فقد وهبت لك الجارية وحرّمتها على نفسي، وكانت غضبى فأخذت بيده وأرته رماده، فسقط في يد الليث فكتب نصفه من حفظه وجمع على الباقي أدباء زمانه وقال

---

(١) يوسف: ٢٨.

(٢) المناقب للسروي ٢: ٣٦٧.

لهم: مثلوا عليه واجتهدوا، فعملوا هذا النصف الذي بأيدي الناس، فهو ليس من تصنيف الخليل ولا يشقّ غباره[1].

هذا، وفي السير: ضرب البعث على كوفي إلى آذربيجان، فاقتاد جارية وفرساً وكان مملكاً بابنة عمه، فكتب إليها ليغيرها:

ألا بلغوا أم البنين بأننا     غنينا وأغنتنا الغطارفة المرد
بعيد مناط المنكبين إذا جرى     وبيضاء كالتمثال زيّنها العقد
فهذا لأيّام العدو وهذه     لحاجة نفسي حين ينصرف الجند

فكبت إليه امرأته:

ألا فاقره منّي السلام وقل له     غنينا وأغنتنا غطارفة المرد
إذا شئت أغناني غلام مرجّل     ونازعته في ماء معتصر الورد
وان شاء منهم ناشئٌ مدّ كفّه     إلى عكنٍ ملساء أو كفلٍ نهد
فما كنتم تقضون حاجةً أهلكم     شهوداً قضيناها على النأي والبعد
فعجّل علينا بالسراح فإنّه     منانا ولا ندعو لك اللّه بالرد
فلا قفل الجند الذي أنت فيهم     وزادك رب الناس بعداً على بعد

فلما وردعليه الكتاب لم يزد ان ركب فرسه وأردف الجارية ولحق بها، فكان أوّل شيء قال لها: تالله هل كنت فاعلة. قالت: أنت أحقر من أن أعصي الله فيك، كيف ذقت طعم الغيرة، فوهب لها الجارية وانصرف إلى بعثه[2].

وفي المناقب عن غريب حديث أبي عبيد: جاءت امرأة إلى علي عليه السلام وقالت: ان زوجها يأتي جاريتها. فقال عليه السلام: ان كنت صادقة رجمناه وان كنت كاذبة جلدناك. فقالت: ردوني إلى أهلي غيري نقزة. قال أبو عبيد: تعني ان

---

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٧: ٤٥، عقلا عن طبقات الشعراء لعبدالله بن المعتز: ٩٧.

(٢) الابشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف ٢: ٤٨٧ ـ ٤٨٨.

جوفها يغلي من الغيظ والغيرة[١].

وفي (المروج): ذكر مصعب الزبيري أنّ أُمَّ سلمة بنت يعقوب المخزومي كانت بعد هشام بن عبد الملك عند السفاح، وكان حلف لها أن لا يتزوّج عليها ولا يتسرّى، وغلبت عليه غلبة شديدة حتى ما كان يقطع أمراً إلّا بمشورتها، حتى أفضت الخلافة إليه فوفى لها بما حلف لها، فلما كان ذات يوم خلا به خالد ابن صفوان فقال له: إني فكّرت في أمرك وسعة ملكك، وقد ملكت نفسك امرأة واحدة، فإن مرضت مرضت وان غابت غبت وحرمت نفسك التلذّذ باستطراف الجواري ومعرفة أخبار حالاتهن والتمتّع بما تشتهي منهنّ، فإنّ منهن الطويلة الغيداء ومنهن الفضة البيضاء، ومنهن العتيقة الأدماء والدقيقة السمراء والبربرية العجزاء، من مولدات المدينة تفتن بمحادثتها وتلذّ بخلوتها، وأين أنت من بنات الأحرار والنظر إلى ما عندهن وحسن الحديث منهن، ولو رأيت الطويلة البيضاء والسمراء اللعساء والصفراء العجزاء والمولّدات من البصريات والكوفيات، ذوات الألسن العذبة والقدود المهفهفة والأوساط المخصّرة والأصداغ المزرفنة، والعيون المكحلة والثدي المحقة، وحسن زيّهن وزينتهن وشكلهن؛ لرأيت شيئاً حسناً وجعل يجيد في الوصف ويجدّ في الاطناب بحلاوة لفظه وجودة صفته.

فلما فرغ قال له السفاح: ويحك يا خالد! ما صكّ مسامعي والله قطُّ كلامٌ أحسن من كلامك، فأعده علي فقد وقع منّي موقعاً، فأعاد عليه خالد أحسن ممّا ابتدأ، ثم انصرف وبقي السفاح مفكّراً فيما سمع من خالد، فدخلت عليه أُم سلمة فلما رأته متفكّراً قالت: إنّي لأنكرك، هل حدث أمر أو أتاك خبر؟ قال: لم يكن من ذلك شيء. قالت: فما قصّتك؟ فجعل يزوي عنها فلم تزل به حتى

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٢: ٣٨١.

أخبرها بمقالة خالد، فقالت: فما قلت لابن الفاعلة. قال: سبحان الله! ينصحني وتشتمينه، فخرجت من عنده مغضبة وأرسلت إلى خالد من البخارية ومعهم من الكافر كوبات، وأمرتهم أن لا يتركوا منه عضواً صحيحاً.

قال خالد: فانصرفت إلى منزلي وأنا على السرور بما رأيت من السفاح وإعجابه بما ألقيته إليه، ولم أشكّ أنّ صلته تأتيني، فلم ألبث حتى صار إليّ أُولئك البخارية وأنا قاعد على باب داري، فلما رأيتهم أيقنت بالجائزة واصلة، حتى وقفوا عليّ فسألوا عني فقلت: ها أنا ذا خالد، فسبق اليّ أحدهم بهراوة كانت معه، فلما أهوى بها اليّ وثبت الى منزلي وأغلقت الباب واستترت، ومكثت أيّاماً على تلك الحال لا أخرج من منزلي، ووقع في خلدي أنّي أوتيت من قبل أُمّ سلمة، وطلبني السفاح طلباً شديداً فلم أشعر ذات يوم إلّا بقوم هجموا عليّ وقالوا: أجب الخليفة. فأيقنت بالموت، فركبت وليس عليّ لحم ولا دم، فلما وصلت إلى الدار أومى اليّ بالجلوس. ونظرت فإذا خلف ظهري باب عليه ستور قد أُرخيت وحركة خلفها، فقال السفاح: لم أرك يا خالد منذ ثلاث. قلت: كنت عليلاً. قال: ويحك! إنّك وصفت لي في آخر دخلة من أمر الناس والجواري ما لم يخرق مسامعي قط كلام أحسن منه فأعده علي. قلت: نعم. أعلمتك أنّ العرب اشتقت اسم الضرّة من الضر، وان أحدهم ما تزوج من النساء أكثر من واحدة إلّا كان في جهد. فقال: ويحك لم يكن هذا في الحديث. قلت: بلى، وأخبرتك أنّ الثلاث من النساء كأثافي القدر يغلي عليهن. قال: برئت من قرابتي من النبي إن كنت سمعت هذا منك في حديثك. قلت: وأخبرتك أنّ الأربعة من النساء شرّ صيح بصاحبه يشنه ويهرمنه ويسقمنه. قال: ويلك ما سمعت هذا منك ولا من غيرك قبل هذا. قال خالد: بلى. قال: ويلك تكذّبني. قلت: وتريد أن تقتلني. قال: مر في حديثك. قلت: وأخبرتك ان أبكار الجواري

رجال ولكن لا خصي لهن.

قال خالد: وسمعت الضحك من وراء الستر ـ قلت: ونعم وأخبرتك أيضاً ان بني مخزوم ريحانة قريش وأنت عندك ريحانة من الرياحين وأنت تطمح بعينك إلى حرائر النساء وغيرهن من الاماء.

قال خالد: فقيل لي من وراء الستر صدقت يا عمّاه وبرّرت بهذا حديث الخليفة ولكنه بدل وغيّر ونطق عن لسانك بغيره. فقال لي السفاح: قاتلك الله وأخزاك وفعل بك وفعل، فتركته وخرجت وقد أيقنت بالحياة. قال: فما شعرت إلّا برسل أُم سلمة قد صاروا إليّ ومعهم عشرة آلاف درهم وتخت وبرذون وغلام[1].

وغيرة الرجل التي هي إيمان؛ غيرته على ميل امرأته إلى رجل أجنبي، وأمّا ميلها إلى زوج لها قبل بمعنى مدحها له بصفات ليست في الأخير فيغيّر زوجها فليس بايمان بل من الكفر، ففي السير كانت مع سعد بن أبي وقاص بالقادسية زوجة له كانت قبلُ تحت المثنى بن حارثة، فلما لم تر من سعد إقداماً مثل المثنى قالت: وامثنياه ولا مثنى للمسلمين اليوم. فلطمها سعد فقالت المرأة: أغيرة وجبناً. فذهبت مثلاً[2].

## ٢
## الحكمة (٢٣٨)

وقال عليه السلام:

**المَرأَةُ شَرٌّ كُلُّها، وَشَرُّ ما فِيها أَنَّهُ لابُدَّ مِنْها.**

«المرأة شرّ كلّها» قالوا: كتب بعض الحكماء على باب داره «لا يدخل داري

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٢٦٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٦٣.

شرّ» فقال بعض آخر منهم: من أين تدخل امرأتك[١]؟

وقالوا: تزوّج بعضهم امرأة نحيفة فقيل له في ذلك فقال: اخترت من الشرّ أقلّه[٢].

وقالوا: رأى بعض الحكماء امرأة غريقة قد احتملها السيل فقال: زادت الكدر كدراً، والشر بالشر يهلك[٣].

وفي (الملل): رأى ديوجانس امرأة تحملها الماء فقال: على هذا المعنى جرى المثل «دع الشر يغسله الشر»[٤].

ورأى نساء يتشاورن فقال: على هذا جرى المثل: «هوذا الثعبان يستقرض من الأفاعي سمّاً».

ورأى امرأة متزينة في ملعب فقال: هذه لم تخرج لترى ولكن لتُرى وقالوا: رأى بعضهم جارية تحمل ناراً فقال: نار على نار، والحامل شر من المحمول وقالوا: رأى حكيم جارية تتعلّم الكتابة، فقال: يسقى هذا السهم سمّاً ليرمي به يوماً ما[٥].

وقالوا: ونظر حكيم إلى امرأة مصلوبة على شجرة، فقال: ليت كلّ شجرة تحمل مثل هذه الثمرة[٦].

وقال بعضهم:

ان النساء شياطينٌ خلقن لنا نعوذ بالله من شرِّ الشياطين[٧]

(١) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٢٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٦٣ و ١٨: ١٩٨ ـ ١٩٩.

(٣) المصدر نفسه

(٤) الملل والنحل للشهرستاني ٢: ١٥٢، وشرح ابن أبي الحديد ١٨: ١٩٨.

(٥) الملل والنحل للشهرستاني ٢: ١٥٢، وشرح ابن أبي الحديد ٩: ١٦٣.

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ١٦٣ و ١٨: ١٩٨.

(٧) نسبوا هذا البيت إلى عمر بن الخطاب، قاله عند ما سمع امرأة تقول: ان النساء رياحين خلقن لكم وكلكم يشتهي

وقال بعضهم في قولهم «بعد الّتي واللّتيّا»: إن رجلاً تزوج امرأة قصيرة وامرأة طويلة، فلقي منهما شدّة، فطلّقهما وقال: بعد اللتيا ـ يعني القصيرة ـ والّتي ـ أي الطويلة ـ لا أتزوج أبداً[1].

وفي (شعراء ابن قتيبة): كان جران العود والرحال خدنين، فتزوج كلّ واحد منهما امرأتين، فلقيا منهما مكروهاً فقال الأول:

ألا لا تغرنَّ امرأً نوفليةٌ ... على الرأس بعدي أو ترائب وُضَّح

ولا فاحم يسقي الدهان كأنّه ... أساود يزهاها لعينك أبطح

وأذناب خيل علقت في عقيصة ... ترى قرطها من تحتها يتطوّح

جرت يوم جئنا بالركاب نزفّها ... عقاب وتشحاج من الطير متيح

فأمّا العقاب فهي منّا عقوبة ... وأمّا الغراب فالغريب المطوّح

هي الغول والسعلاة حلقي منهما ... مكدّح ما بين التراقي مجرّح

خذا نصف مالي واتركا لي نصفه ... وبِينا بذم فالتعزُّب أروح

وسمّي جران العود بقوله لامرأتيه:

خذا حذراً ياجارتيّ فإنّني ... رأيت جران العود قد كان يصلح

فخوفهما بسير قُدَّ من صدر جمل مسن، قال ويتمثل من شعره بقوله:

ولا تأمنوا مكر النساء وأمسكوا ... عرى المال عن أبنائهن الأصاغر

فإنّك لم ينذرك أمر تخافه ... إذا كنت منه خائفاً مثل خابر[2]

وفي القاموس هو عامر بن الحرث وقول الصحاح اسمه المستورد غلط.

---

شم الرياحين، راجع أدب الدنيا والدين للماوردي: ١٥٦ .

(١) مجمع الأمثال للميداني ١: ١٢٥ .

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٢٧٥ ـ ٢٧٧ .

وقال الثاني:

فلا بارك الرحمن في عود أهلها عشية زفّوها ولا فيك من بكر
ولا الزعفران حين مسّحنها به ولا الحلي منها حين نيط من النحر
ولا فرش طوهرن من كلّ جانب كأنّي أطوي فوقهن من الجمر
فياليت أنّ الذئب خلّل درعها وإن كان ذا ناب حديد وذا ظفر
وجاءوا بها قبل المحاق بليلة وكان محاقاً كلّه آخر الشهر
لقد أصبح الرحّال عنهن صادفاً إلى يوم يلقى الله في آخر العمر[١]

وفي (الاستيعاب): كانت عند الأعشى المازني امرأة يقال لها معاذة، فخرج يمير أهله من هجر، فهربت امرأته بعده ناشزة عليه، فعاذت برجل منهم يقال له مطرف، فجعلها خلف ظهره، فلما قدم الأعشى لم يجدها في بيته وأُخبر أنّها نشزت وعاذت بمطرف، فأتاه فقال له: يا ابن عم! عندك امرأتي فادفعها اليّ. فقال: ليست عندي ولو كانت عندي لم أدفعها إليك. وكان مطرف أعزّ منه، فخرج حتى أتى النبي صلى الله عليه وآله وأنشأ يقول:

يا سيّد الناس وديّان العرب أشكو إليك ذربة من الذرب[٢]
خرجت أبغيها الطعام في رجب فخلفتني بنزاع وهرب
أُخلفت العهد وألظت بالذنب وهنّ شر غالب لمن غلب[٣]

فقال النبي صلى الله عليه وآله «وهُنَّ شر غالب لمن غلب» وكتب إلى مطرف: إدفع إليه امرأته، فلما قرأ الكتاب قال لمعاذة: هذا كتاب النبي فيك وأنا دافعك إليه. فقالت: خذ لي العهد أن لا يعاقبني فيما صنعت، فأنشأ يقول:

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ١٧٠.

(٢) الذرب: حدّة اللسان.

(٣) حياة الحيوان للدميري ١: ٥١٢.

لعمرك ما حُبّي معاذة بالذي يُغيِّره الواشي ولا قِدَمُ العهد
ولا سوء ما جاءت به إذ أزلّها غواة رجال إذ ينادونها بعدي[(١)]

وفي (الملل): قيل للاسكندر: إنّ روشنك امرأتك بنت دارا الملك وهي من أجمل النساء فلو قربتها إلى نفسك. قال: أكره أن يقال: غلب الاسكندر دارا، وغلبت روشنك الاسكندر[(٢)].

وقالوا: كان أحمد بن يوسف كاتب المأمون إذا دخل عليه حيّاه بتحية أبرويز الملك: «عشت الدهر، ونلت المنى، وحُبيت طاعة النساء»[(٣)].

وفي (الكافي) عن أمير المؤمنين عليه السلام: إتّقوا من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر، وإن أمرنكم بالمعروف فخالفوهنّ كيلا يطمعن في المنكر[(٤)].

وعنه عليه السلام: في خلاف النساء البركة[(٥)].

---

(١) ذكر الحكاية (ابن الأثير) في أُسد الغابة ١: ١٢٣، ولم يذكر (ابن عبد البر) في الإستيعاب ١: ١٤٤ (المصدر الّذي اعتمده المؤلف) إلّا جزءاً من الحكاية، فقد ذكر أبيات الأعشى المازني إمام النبيّ صلى الله عليه وآله وقول النبي له فقط، مع تغيير عمّا ذكره المؤلف والأبيات هي!

يا مالك الناس وديان العرب إنّي لقيتف دِربة من الذّرب
ذهبت ابضيها الطعام في رجب فخالفتني بنزاع وهرب
أخلفتِ العهد والطّت بالذنب وهن شر غالب لمن غلب

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ٢: ١٤٧.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٩٥.

(٤) الكافي للكليني ٥: ٥١٧ ح ٥.

(٥) لفظ الحديث كما رود في بحار الأنوار ١٠٣: ٢٦٢، وجامع أحاديث الشيعة ١٦: ٨٦، عن هارون بن موسى عن محمّد بن علي بن محمّد بن الحسين عن علي بن اسباط عن أبي فضال عن الصادق عن ابائه عن رسول اللّه أنه قال: شاوروا النساء وخالفوهن فأن خلافهن بركة. وقد أورد جمع من المتأخيرين هذا الحديث ونسبوه إلى الإمام عليّ عليه السلام أو إلى الرسول صلى الله عليه وآله بينما لم يرد في المصادر من نسب هذا القول إلى الإمام عليّ عليه السلام. أمّا نسبته إلى الرسول صلى الله عليه وآله فقد عجّت وصادر الحديث بذكره في الموضوعات، من هذه الكتب: ١ـ السخاوي في المقاصد

وكل أمر تدبرته امرأة فهو ملعون(١).

وعن النبي صلى الله عليه وآله: إنّ النساء لا يُشاوَرْنَ في النجوى ولا يُطَعْنَ في ذوي القربى، إنّ المرأة إذا أسنّت ذهب خير شطريها وبقي شرهما؛ يعقم رحمها ويسوء خلقها ويحتدّ لسانها، وإن الرّجل إذا أسنّ ذهب شرُّ شطريه وبقي خيرهما يؤوب عقله ويستحكم رأيه ويحسن خلقه(٢).

وعنه صلى الله عليه وآله: كان إذا أراد الحرب دعا نساءه فاستشارهن ثم خالفهن(٣).

وقال طفيل الغنوي:

إنّ النّساء متى يُنهين عن خُلق ... فإنّه واجب لابدَّ مفعول(٤)

وقالوا: قيل لسقراط أيّ السباع أجسر؟ قال: المرأة(٥).

قالوا: ومرّت به امرأة فقالت له: ما أقبحك. فقال لها: لو لا أنّك من المرايا

---

الحسنة، وقال عنه: لم أره مرفوعاً، ولكن عن العسكري من احديث حفص بن عثمان بن عبيدالله بن عبدالله بن عمر قال: قال عمر: خالفوا النساء فإنّ خلافهن لبركة (راجع المقاصد الحسنة: ٢٤٨ ح ٥٨٥) ٢ـ أورده المتقي الهندي في كنز العمّال عن (عمر) أنه قال: خالفوا النساء فإن خلافهن بركة (كنز العمّال ٣: ٤٥١) ٣ـ الزبيري في إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين ٥: ٣٥٦، يقول عنه هكذا اشتهر على الألسنه وليس بحديث. ٤ـ ابن عراق الشافعي فى تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشيعة الموضوعة ٢: ٢١٠، نسبه إلى عمر بن الخطاب. ٥ـ (ملا علي القالي في الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، المعروف بالموضوعات الكبرى: ٢٢٢) ذكر قائلاً: حديث شاورهن وخالفوهن لم يثبت بهذا المعنى وإن كان له وجه من حيث المعنى.

(١) في بحار الأنوار ١٠٣: ٢٢٨ «كل امرئٍ تدبره امرأة فهو ملعون».

(٢) من لا يحضره الفقيه للصدوق ٣: ٤٦٨ ح ٤٦٢١ .

(٣) ذكره المجلسي في مكانين ٩١: ٢٥٥ و ١٠٣: ٢٢٨ إلّا ان أرباب السير ذكروا ان رسول الله صلى الله عليه وآله استشار (أمّ سلمة) في صاح الحديبيه، فقد قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ٥: ٢٦٥ ـ ٢٦٦: فلمّا لم يقم منهم (الأصحاب) أحد دخل على أمّ سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أمّ سلمة: يا نبي الله، اتحب ذلك؟ أخرج ولا تكلم أحداً منهم كلمةً حتى تنحر بذلك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنة، ودعا حالقه فحلقه، فلمّا رأوا قاموا فنحروا، وجعل بعضهم بحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨: ١٩٨ .

(٥) المصدر نفسه.

الصديّة لغمّني ما بان من قبح صورتي فيك[١].

هذا، وعن (ملح النوادر) كان ذئب ينتاب بعض القرى ويعبث فيها، فترصّدوه حتى أخذوه، ثم تشاوروا فيه فقال بعضهم: تقطع يداه ورجلاه وتدقّ أسنانه ويخلع لسانه، وقال آخر بل يصلب ويرمى بالنبال، وقال آخر: توقد نار عظيمة ويلقى فيها، وقال بعض الممتحنين بالنساء: بل يزوّج وكفى بالتزويج تعذيباً. وفي هذه القصة قال الشاعر:

رب ذئب أخـذوه ... وتماروا في عقاب

ثـم قـالوا زوّجـوه ... وذروه في عذاب[٢]

«وشر ما فيها أنّه لابدّ منها» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ان إبراهيم عليه السلام شكا إلى الله ما يلقى من سوء خلق سارة، فأوحى إليه: إنّما مثل المرأة مثل الضلع المعوجّ، إن أقمته كسرته وإن تركته استمتعت فاصبر عليها[٣]. ونظم مضمونه من قال:

هي الضلع العوجاء لست تقيمها ... ألا إنّ تقويم الضلوع انكسارها[٤]

وفي (البيان): سمع أعرابي يقول «اللّهم اغفر لأُمّ أوفى» قيل له: مَنْ أُمّ أوفى؟ قال: إمرأتي، إنّها لحمقاء مرغامة[٥] أكول قامّة[٦] لا تبقي خامّة[٧]، غير

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨: ٢٠٠.

(٢) لم نعثر على الكتاب لافي المطبوعات ولا في المخطوطات، ويبدو ان المؤلف لم يرَ الكتاب حيث ذكر (وعن)، وقد ذكر حاجي خليفة الكتاب في كشف الظنون ٢: ١٨١٧، ونسبه إلى الشيخ أبي عبدالله الكاتب.

(٣) الكافي للكليني ٥: ٥١٣ ح ٢.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨: ١٩٩.

(٥) المرغامة: المبغضة لبعلها.

(٦) قمّ: أكولة.

(٧) الخامّ: ما تغيّر ريحه من لحم أو لبن.

أنّها حسناء فلا تفرك وأمّ غلمان فلا تُترك[١].

ونظير المرأة في مطلوبيتها مع شدائدها لعدم بدّ منها؛ الشيب فراراً من الموت. قال الشاعر:

الشـــيب كــره وكــره أن يــفارقني

فأعجب لشيء على البغضاء مودود[٢]

## ٣
## الحكمة (٦١)

وقال عليه السلام:

المرأةُ عَقْرَبٌ حُلْوَةُ اللِّبْسَةِ.

«المرأة عقرب» في (اللّسان) العقرب يكون للذّكر والأُنثى، والغالب عليه التأنيث، ويقال للأُنثى: عقربة وعقرباء، والعقربان: الذكر منها، قال إياس بن الأرتّ:

| | |
|---|---|
| كأنّ مرعى أُمكم إذ غدت | عقربة يكومها عقربان[٣] |

وعقرب بن أبي عقرب كان من تجّار المدينة مشهوراً بالمطل، قال الزبير ابن بكار: عامله الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب فلزم الفضل بيته زماناً فلم يعطه شيئاً، فقال الفضل:

| | |
|---|---|
| قد تجرت في سوقنا عقرب | لا مرحباً بالعقرب التاجره |
| كلّ عدو يُتَّقَى مقبلاً | وعقرب تخشى من الدابره |
| إن عادت العقرب عدنا لها | وكانت النعل لها حاضره |

---

(١) البيان والتبيان للجاحظ ٢:: ٩٥.

(٢) هو مسلم بن الوليد ذكره النويري، في نهاية الارب ٢: ٣٧.

(٣) لسان العرب لابن منظور ٩: ٣١٨.

كلّ عدوّ كيده في استه فغير مخشي ولا ضائره[١]

«حلوة اللبسة» هكذا في (الطبعة المصرية)[٢]، والصواب: (اللسبة) كما نقله (ابن أبي الحديد)[٣] واللسبة من لسب بالفتح، قال ابن السكيت يقال لسبته العقرب إذا لسعته، واما لسب بالكسر فبمعنى لعق، يقال لسبت العسل أي لعقته[٤].

ولكون المرأة عقرباً حلوة اللسبة قال كُثَيِّر في صاحبته عزّة:

هنيئاً مريئاً غير داء مخامرٍ لعزّة من أعراضنا ما استحلّت[٥]

وعن مجنون في صاحبته ليلى:

حلال لليلى شتمنا وانتقاصنا هنيئاً ومغفور لليلى ذنوبها[٦]

وفي (الأغاني): قدم الوليد بن عبد الملك مكة فأراد أن يأتي الطائف فقال: هل من رجل عالم يخبرني عنها. قالوا: عمر بن أبي ربيعة. قال: لا حاجة لي به، ثم عاد فسأل فذكروه فقال: هاتوه. فأتى وركب معه، فجعل يحدّثه ثم حوّل رداءه ليصلحه على نفسه، فرأى الوليد على ظهره أثراً فقال: ما هذا؟ قال: كنت عند جارية لي إذ جاءتني جارية برسالة من عند جارية أُخرى وجعلت تسارُّني بها، فغارت التي كنت عندها فعضّت منكبي، فما وجدت ألم عضتها من لذة ما كانت تلك تنفث في أُذني حتى بلغت ما ترى ـ والوليد يضحك[٧].

---

(١) حياة الحيوان للدميري ٢: ٦١.

(٢) راجع النسخة المصرية: ٦٧١ رقم ٦٢.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١٩٨ رقم ٥٩.

(٤) ترتيب اصلاح المنطق لابن السكّيت: ٣٣٤.

(٥) ديوان كثير عزة: ٥٦.

(٦) ديوان مجنون ليلى: ٣٤.

(٧) الأغاني للأصفهاني ١: ١١٢.

وقال حجر آكل المرار في هند امرأته:

حلوة العين والحديث ومرٌّ   كل شيء أجنّ منها الضمير[١]

وقال أبو العتاهية:

رأيتُ الهوى جمر الغضا غير أنّه   على جمره في صدر صاحبه حلو[٢]

وفي (الجمهرة) (زينب) اشتقاقه من زنابة العقرب وهي ابرته التي تلذع بها، فأما زبانيا العقرب فهما قرناها[٣].

## ٤
## الحكمة (٢٣٤)

وقال عليه السلام:

خِيَارُ خِصَالِ النِّساءِ شَرُّ خصال الرِّجَالِ: الزَّهْوُ والجُبْنُ والبُخْلُ، فإذا كَانَتِ المَرْأَةُ مَزْهُوَّةً لم تُمَكِّنْ مِنْ نَفْسِهَا، وَإذَا كَانَتْ بَخِيلَةً حَفِظَتْ مَالَهَا ومَالَ بَعْلِهَا، وإذَا كَانَتْ جَبَانَةً فَرِقَتْ من كُلِّ شَيْءٍ يَعرِضُ لَهَا.

«خيار خصال النساء شرُّ خصال الرجال» وممّا قيل في اختلافهن مع الرجال في غير ما قال عليه السلام قول ابن شبرمة: ما رأيت لباساً على رجل أزين من فصاحته، ولا رأيت لباساً على امرأة أزين من شحم[٤]. ولشاعر:

الخال يقبح بالفتى في خدّه   والخال في خد الفتاة مليح
والشيب يحسن بالفتى في رأسه   والشيب في رأس الفتاة قبيح[٥]

الزهو: أي: الكبر والفخر. وكونه من شرار خصال الرجال واضح.

---

(١) الأغاني للأصفهاني ١٦: ٣٥٨، كذا ابن قيم الجوزية: ١٤٤ ونسب البيت إلى عمرو الملك.

(٢) الأغاني للأصفهاني ٤: ٤١ وفي نسخة التحقيق ورد العجز بلفظ «على كل حال عند صاحبه حلو».

(٣) جمهرة اللغة لابن دريد ٣: ٣٦٥.

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة ٤: ٣٠.

(٥) المصدر نفسه ٤: ٢٢.

روى (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ان يوسف لمّا دخل عليه يعقوب دخله عزّ الملك فلم ينزل إليه، فهبط إليه جبرئيل فقال: يا يوسف! أبسط راحتك، فخرج منها نور ساطع فسار في جو السماء، فقال له يوسف: ما هذا النور الذي خرج من راحتي؟ فقال: نزعت النبوّة من عقبك عقوبة لمّا لم تنزل إلى الشيخ يعقوب فلا يكون من عقبك نبي[1].

وعنه عليه السلام: ما من عبدٍ إلاّ وفي رأسه حكمة وملك يمسكها، فإذا تكبّر قال له: إتَّضِعْ وضعك الله فلا يزال أعظم الناس في عينه وهو أصغر الناس في أعين الناس، وإذا تواضع رفعه الله ثم قال له انتعش نعشك الله فلا يزال أصغر الناس في نفسه وأرفع الناس في أعين الناس[2].

وعنه عليه السلام قال: أتى رجل النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: أنا فلان بن فلان ـ حتى عد تسعة. فقال له النبي صلى الله عليه وآله: أما إنّك عاشرهم في النار[3].

وعنه عليه السلام: ان في جهنّم لوادياً للمتكبرين يقال له سقر، شكا إلى الله تعالى شدّة حرّه وسأله أن يأذن له أن يتنفّس، فتنفّس فأحرق جهنّم[4].

قلت: في القرآن جعل «سقر» مؤنثاً وفي هذا الخبر مذكراً[5].

وعنه عليه السلام: إنّ المتكبرين يُجعلون في صور الذرّ يتوطأهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب[6].

---

(١) الكافي للكليني ٢: ٣٧ ح ١٥.

(٢) الكافي للكليني ٢: ٣١٢ ح١٦، وأورده الفيض الكاشاني في المحجّة البيضاء ٦: ٢١٧.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي ٣٢: ١٣١ رواية ٢١٠ عن السكوني.

(٤) الكافي للكليني ٢: ٣١٠ ح ١١، وأورده الفيض الكاشاني في المحجة ٦: ٢١٦.

(٥) الآية: ﴿وما أدراك ما سقر، لا تبقي ولا تذر﴾ المدثر: ٢٦ ـ ٢٧.

(٦) الكافي للكليني ٢: ٣١٠ ح ١٠، وأورده الفيض الكاشاني في المحجّة البيضاء ٦: ٢١٥ بلفظ مشابه ونسبه إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

روى الثالث في باب الفخر والباقي في باب الكبر.

«والجبن» كونه ذمّاً للرجال واضح. وفي (عيون ابن قتيبة): كان خالد القسري من الجبناء، فخرج عليه المغيرة بن سعيد صاحب المغيرية فقال من الدهش: أطعموني ماء. فقال بعضهم:

عاد الظلوم ظليماً حين جُدَّ به          واستطعم الماء لمّا جدّ في الهرب

قال: وقال عبيدالله بن زياد للكنة فيه أو دهشة أو جبن: إفتحوا سيوفكم. فقال ابن مفرغ الحميري:

ويوم فتحتَ سيفك من بعيد          أضعت وكلُّ أمرك للضياع[1]

قال: وقدم الحجّاج على الوليد بن عبد الملك، فدخل عليه وعليه درع وعمامة سوداء وقوس عربية، فبعثت إليه أمُّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان فقالت: من هذا الأعرابي المستلام في السلاح عندك وأنت في غُلالة، فبعث إليها: إنّه الحجّاج، فأعادت إليه الرسول بأن يخلو بك ملك الموت أحياناً أحبّ إليّ من أن يخلو بك الحجّاج، فأخبره الوليد بذلك وهو يمازحه، فقال له: دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول، فإنّما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة فلا تطلعها على سرّك ومكايدة عدوّك. فأخبرها الوليد بمقالة الحجّاج فقالت للوليد: حاجتي أن تأمره غداً بأن يأتيني مسلّماً، ففعل ذلك وأتاها الحجّاج فحجبته فلم يزل قائماً، ثم قالت: ايه يا حجّاج! أنت الممتنُّ على الخليفة بقتال ابن الزبير وابن الأشعث، أما والله لولا أن الله علم أنّك شرُّ خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة الحرام، وأمّا نهيك إيّاه عن مفاكهة النساء وبلوغ لذّاته وأوطاره، فإنْ كنَّ ينفرجن عن مثله فغير قابل لقولك، أما والله لقد نفض نساء الخليفة الطيب من غدائرهن فبعنه في أعطيات أهل الشام حين كنت في أضيق من القرن، قد

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ١٦٥.

أظلَّتك رماحهم وأثخنك كفاحهم، قاتل الله القائل حين نظر إليك وسنان غزالة بين كتفيك:

أسدٌ عليَّ وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر
هلّا كررت على غزالة في الوغى بل كان قلبك في جوانح طائر

ـ غزالة: امرأة شبيب الخارجي ـ ثم قالت للحجاج: أُخرج فخرج[1].

قال: وقال المدائني: رأى عمرو بن العاص يوماً معاوية يضحك، فقال له: ممَّ تضحك؟ قال: من حضور ذهنك عند ابدائك سوءتك يوم ابن أبي طالب، أما والله لقد وافقته منّاناً كريماً، ولو شاء أن يقتلك قتلك. فقال له عمرو: أما والله إنّي لعن يمينك حين دعاك ابن أبي طالب إلى البراز فاحوَلّت عيناك وربا سحرك وبدا منك ما أكره ذكره لك، فمن نفسك فاضحك أو، دع[2].

قال: وكان بالبصرة شيخ من بني نهشل يقال له: عروة بن مرثد ويكنّى أبا الأغرّ، ينزل ببني أُخت له من قريش في سكّة بني مازن، فخرج رجالهم إلى ضياعهم في شهر رمضان وخرج النساء يصلين في مسجدهم ولم يبق في الدار إلّا الإماء، فدخل كلب يعتسُّ فرأى بيتاً فدخله وانصفق الباب، فسمع الحركة بعض الإماء فظننت أنّ لصاً دخل الدار، فذهبت إحداهن إلى أبي الأغرِّ فأخبرته، فقال: ما يبتغي اللص. ثم أخذ عصاه وجاء فوقف على باب البيت وقال: إيهٍ يا ملامان، أما والله انّك بي لعارف فهل أنت إلّا من لصوص بني مازن شربت حامضاً خبيثاً حتى إذا دارت القدوح في رأسك منَّتك نفسك الأماني وقلت أطرق ديار بني عمرو والرجال خلوف والنساء يصلين في مسجدهم فلم يبق في الدار إلّا الإماء، وأيم الله لتخرجن أو لأهتفن هتفة مشؤومة يلتقي

---

(١) ابن قتيبة، عيون الأخبار ١: ١٧٠.

(٢) المصدر نفسه ١: ١٦٩.

فيها الحيّان عمرو وحنظلة، وتجيء سعد بعدد الحصا وتسيل عليك الرجال من هاهنا وهاهنا، ولئن فعلت لتكونن أشأم مولود.

فلمّا رأى انّه لا يجيبه أحد أخذ باللّين فقال: أُخرج بأبي أنت وأُمّي، أنت مستور، إنّي والله ما أراك تعرفني ولو عرفتني لقنعت بقولي واطمأننت إليّ، أنا فديتك أبو الأغر النهشلي خال القوم وجلدة بين أعينهم لا يعصونني ولن تضارَّ الليلة، فأخرج فأنت في ذمّتي، وعندي قوصرتان أهداهما إليّ ابن اختي البار الوصول، فخذ إحداهما فانتبذها حلالاً من الله ورسوله.

وكان الكلب إذا سمع الكلام أطرق وإذا سكت وثب يريد المخرج ـ فتهاتف أبو الأغر ثم تضاحك وقال: يا ألام الناس وأوضعهم لا أرى انـي لك الليلة في واد وأنت في واد، أقلب السوداء والبيضاء فتصيخ وتطرق وإذا سكت عنك وثبت تريغ المخرج، والله لتخرج أو لألجن عليك البيت، فلما طال وقوفه جاءت إحدى الإماء فقالت: أعرابي مجنون والله ما أرى في البيت شيئاً، فدفعت البيت فخرج الكلب شدّاً وحاد عنه أبو الأغرّ ساقطاً على قفاه، ثم قال: تالله ما رأيت كالليلة، والله ما أراه إلّا كلباً، أما والله لو علمت بحاله لولجت عليه.

وكان لأبي حية النميري سيف ليس بينه وبين الخشبة فرق وكان يسمّيه لعاب المنيّة. قال جار له: أشرفت عليه ليلة وقد انتضاه وشمّر وهو يقول: أيُّها المغترُّ بنا والمجتري علينا! بئس والله ما اخترت لنفسك، خير قليل وسيف صقيل، لعاب المنية الذي سمعت به، مشهور ضربته لا تخاف نبوته، أُخرج بالعفو عنك وإلّا دخلت بالعقوبة عليك، إنّي والله إنْ أدعُ قيساً تملأ الأرض خيلاً ورجلاً، يا سبحان الله ما أكثرها وأطيبها. ثم فتح الباب وإذا كلب قد خرج فقال: الحمد لله الذي مسخك كلباً وكفاني حرباً[1].

---

(١) ابن قتيبة، عيون الأخبار ١: ١٦٨.

«والبخل» في (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله قال لبني سلمة: من سيّدكم؟ قالوا: رجل فيه بخل. فقال: وأيُّ داء أدوى من البخل؟ ثم قال: بل سيّدكم الأبيض الجسد البراء بن معرور[١].

«فإذا كانت المرأة مزهوَّة» أي: معجبة بنفسها. قال الجوهري: للعرب أحرف لا يتكلّمون بها إلّا على سبيل المفعول به وان كانت بمعنى الفاعل، كقولهم «عنى بالأمر» و «نُتِجَت الناقة» و «زُهي الرجل»[٢]، وفيه لغة أُخرى «زها يزهو»، ومنه قولهم «ما أزهاه»[٣] لأن التعجب لا يبنى من المجهول.

«لم تمكّن من نفسها» في (العيون) لابن قتيبة قال المنصور: قال أبي: حججت فرأيت امرأة من كلب شريفة قد حجّت، فرآها عمر بن أبي ربيعة فجعل يكلّمها ويتبعها كلّ يوم، فقالت لزوجها ذات يوم: إنّي أحبّ أن أتوكّأ عليك إذا رحت إلى المسجد، فراحت متوكّئة على زوجها فلمّا أبصرها عمر ولّى، فقالت المرأة له: على رسلك يا فتى.

تعدو الذئاب على من لا كلاب له ... وتتّقي مربض المستأسد الحامي

وأمّا ان لم تكن مزهوّة فلا تدفع يد لامس، بل تتعلق بكلّ رجل آنس[٤].

وفي (عيونه) أيضاً: كان أخوان يغيب أحدهما ويخلفه الآخر في أهله، فهويت امرأة الغائب أخا زوجها، فأرادته على نفسها فامتنع، فلمّا قدم زوجها سألها عن حالها فقالت: ما حال امرأة تُراوَدُ في كلّ حين. فقال: أخي وابنُ أُمّي لا أفضَحهُ ولكن لا أُكلّمه أبداً، ثم حجّ وحجّ أخوه والمرأة، فلمّا كانوا بوادي الدّوْم هلك الأخ ودفنوه وقضوا حَجّهم ورجعوا، فمرّوا بذلك الوادي ليلاً

---

(١) الكافي للكليني ٤: ٤٤ ح٣.

(٢) الصحاح للجوهري ٦: ٢٣٧١ مادة (زها).

(٣) الصحاح للجوهري ٦: ٢٣٧١ مادة (زها) نسبها إلى ابن دريد.

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة ٤: ١٢٠ ـ ١٢١ بتصرف.

فسمعوا هاتفاً يقول:

أجدك تمضي الدّوم ليلاً ولا ترى ... عـليك لأهـل الدّوم أن تـتكلّما

وبـالدوم ثـاوٍ لو ثـويت مكـانه ... ومـرّ بـوادي الدّوم حـيّاً لسـلّما

فظنّت المرأة ان النداء من السماء، فقالت لزوجها: هذا مقام العائذ، كان من أخيك ومنّي كيت وكيت، فقال: والله لو حَلَّ قتلُك لقتلتك، ففارقها وضرب قبة على قبر أخيه وقال:

هـجرتك في طول الحياة وأبـتغي ... كلامك لمّا صرت رمساً وأعـظما

ذكـرت ذنـوباً فـيك اجـترمتها ... أنا منك فيها كنت أسـوء وأظـلما

ولم يزل مقيماً على القبر حتى مات ودفن بجنبه، والقبران معروفانّ[1].

وفيه أيضاً: سار أردشير إلى الحَضر وكان ملك السواد وكان من أعظم ملوك الطوائف، فحاصره فيها زماناً لايجد إليه سبيلاً، حتى رقيت ابنة ملك السواد يوماً فرأت أردشير فعشقته، فنزلت وأخذت نشابة وكتبت عليها إنْ أنت شرطت لي أن تتزوجني دللتك على موضع تفتتح منه هذه المدينة بأيسر حيلة وأخف مؤونة، ثم رمت بالنشابة نحو أردشير، فكتب الجواب في نشابة «لك الوفاء بما سألت»، فكتبت إليه تدلّه على الموضع، فأرسل إليه أردشير فافتتحه ودخل هو وجنوده وأهل المدينة غارون، فقتلوا ملكها وأكثر مقاتلتها وتزوّجها، فبينما هي ذات ليلة على فراشها أنكرت مكانها حتى سهرت لذلك عامة ليلتها، فنظروا في الفراش فوجدوا تحت المجس ورقة من ورق الآس قد أثّرت في جلدها، فسألها أردشير عمّا كان أبوها يغذوها به فقالت: كان أكثر غذائها الشهد والزبد والمخ. فقال أردشير: ما أجد ببالغ لك في الحباء والاكرام مبلغ أبيك، ولئن كان جزاؤه عندك على جهد إحسانه مع لطف قرابته وعظم

---

(١) المصدر نفسه.

حقّه جهد إساءتك ما أنا بآمن لمثله منك. ثم أمر بأن تعقد قرونها بذنب فرس شديد المراح جموح ثم يجري، ففعل ذلك حتى تساقطت عضواً عضواً[١].

وفي (كامل الجزري) في ذكر ـ يوم البردان ـ كان حجر الكندي أغار على البحرين فبلغ ذلك زياد بن هبولة الغساني، فسار إلى أهل حجر وسبى امرأته هنداً، فلما عاد حجر طلبه ـ إلى أن قال بعد ذكر بعثه رجلاً مسمّى بسدوس ليتجسس له الخبر ـ ودنا سدوس من قبة زياد ليسمع كلامه ودنا زياد من هند امرأة حجر فقبّلها وداعبها وقال لها: ما ظنّك الآن بحجر. فقالت: ما هو ظن ولكنه يقين، إنّه والله لن يدع طلبك حتى تعاين القصور الحمر تعني قصور الشام، وكأنّي به في فوارس من بني شيبان يذمرهم ويذمرونه وهو شديد الكلب تزبد شفتاه كأنّه أكل مراراً، فالنجاء النجاء فإنّ وراءك طالباً حثيثاً وجمعاً كثيفاً وكيداً متيناً ورأياً صليباً. فرفع زياد يده ولطمها ثم قال لها: ما قلت هذا إلاّ من عجبك به وحبّك له. فقالت: والله ما أبغضت أحداً بغضي له ولا رأيت رجلاً أحزم منه نائماً ومستيقظاً، إن كان لتنام عيناه فبعض أعضائه مستيقظ، وكان إذا أراد النوم أمرني أن أجعل عنده عساً من لبن، فبينا هو ذات ليلة نائم وأنا قريبة منه أنظر إليه إذ أقبل أسود سالخ إلى رأسه فنحى رأسه، فمال إلى يده فقبضها فمال إلى رجله فقبضها فمال إلى العس فشربه ثم مجّه فقلت: يستيقظ فيشربه فيموت فاستريح منه، فانتبه من نومه فقال: عليّ بالإناء فناولته فشمّه ثم ألقاه فهريق فقال: أين ذهب الأسود؟ فقلت: ما رأيته. فقال: كذبت والله وسدوس يسمع ذلك فسار حتى أتى حُجراً وقال له:

| | |
|---|---|
| أتاك المرجفون بأمر غيب | على دهش وجئتك باليقين |
| فمن يكُ قد أتاك بأمر لبس | فقد آتي بأمرٍ مستبين |

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٤: ١١٩ ـ ١٢٠.

ثم قص عليه ما سمع فجعل حُجر يعبث بالمرار ويأكل منه غضباً وأسفاً ولا يشعر أنّه يأكله من شدّة الغضب، فلما فرغ سدوس من حديثه وجد حجر المرار فسمّي يومئذ آكل المرار (والمرار نبت شديد المرارة لا تأكله دابة إلّا قتلها) ثم أمر حجر فنودي في الناس وركب وسار إلى زياد فاقتتلوا فانهزم زياد ـ إلى أن قال ـ وأخذ حجر زوجته فربطها في فرسين ثم ركضهما حتى قطعاها ويقال بل أحرقها ـ وقال:

إنّ من غرّه النساء بشيء بعد هندٍ لجاهل مغرور

حلوة العين والحديث ومُرٌّ كلّ شيء أجنّ منها الضمير

كل أُنثى وإن بدا لك منها آيةُ الحُبِّ حبُّها خَيتعور[1]

«وإذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها» وفي (بخلاء الجاحظ) طلّق ابن شحمة العنبري امرأة لبخلها، فقيل له: إنّ البخل إنّما يعيب الرجل ومتى سمعت بامرأة هُجيت في البخل؟ قال: ليس ذلك بي أخاف أن تلد لي مثلها[2].

«وإذا كانت جبانة فرقت من كلّ شيء يعرض لها» في (عيون ابن قتيبة): قال خالد الحذّاء: خطبتُ امرأةً من بني أسد، فجئتُ لأنظر إليها وبيني وبينها رواق يشف، فدعت بجفنة مملوءة ثريداً مكلّلة باللحم فأتت على آخرها، فأُتي بإناءٍ مملو لبناً أو نبيذاً فشربته حتى كفأته على وجهها. ثم قالت: يا جارية ارفعي السجف، فاذا هي جالسة على جلد أسد وإذا شابة جميلة، فقالت: يا عبد الله أنا أسدة من بني أسد على جلد أسد وهذا مطعمي ومشربي، فإن أحببت أن تتقدّم فافعل. فقلت: استخير الله، فخرجت ولم أعد[3].

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ١: ٥٠٨ ـ ٥٠٩.

(٢) البخلاء للجاحظ: ١٩٥، هو ثوب بن شحمة العنزي من فرسان العرب.

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ٤: ٧.

## ٥
## الخطبة (٧٨)

ومن خطبة له عليه السلام:

**بعد حَرْبِ جمل في ذم النساء.**

هكذا في (الطبعة المصرية)[١] وفيها سقط وتحريف، ففي (ابن أبي الحديد[٢] وابن ميثم)[٣]: «ومن كلام له عليه السلام بعد فراغه من حرب الجمل في ذمّ النساء».

ثم إنّ كلامه عليه السلام وإن كان في مطلق النّساء إلّا أن الباعث له عليه عمل عائشة، وقال ابن أبي الحديد: هذا الفصل كلّه رمز إلى عائشة[٤].

قلت: فهو نظير قوله تعالى: ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا آمرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل أدخلا النار مع الداخلين﴾[٥] فهو في عمومه مثل لمطلق الكفّار لكنّه خصوصاً رمز إلى عائشة وصاحبتها بنت صاحب أبيها كما اعترف به الزمخشري[٦] ورواه صحيح مسلم[٧].

**«معاشر الناس! إن النساء نواقص الإيمان نواقص الحظوظ نواقص العقول»** ونواقص القيامة في دمائهن فدية الرجل ألف دينار ودية

---

(١) راجع الطبعة المصرية، شرح محمّد عبده: ٢٨٢ ورد لفظ «الجمل» ١٨٢.

(٢) راجع شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢١٤ خطبة (٧٩) تحقيق محمّد أبوالفضل.

(٣) لفظ شرح ابن ميثم شبيه لمّا ورد في الطبعة المصرية راجع النسخة المنقحة ٢: ٢٢٣.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢١٤.

(٥) التحريم: ١٠.

(٦) الكشاف للزمخشري ٤: ٥٧١.

(٧) صحيح مسلم ١٥: ٢٠٣.

المرأة خمسمائة دينار.

ومر في السابع من فصل صفّين قوله عليه السلام: «ولا تهيجوا النساء بأذىً وإن شتمن أعراضكم وسببن أُمراءكم، فإنّهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول، وإن كنّا لنُؤمر بالكفّ عنهنّ وإن كنّ لمشركات، وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالقهر أو الهراوة فيعيَّر بها هو وعقبه من بعده».

«فأمّا نقصان إيمانهن فقعودهن عن الصّلاة والصيام أيّام حيضهن» وكذلك أيّام نفاسهن.

كما لا يجوز لهن فيها دخول المساجد ولا قراءة العزائم ولهما دخل في كمال الإيمان، كما لايجوز الاستمتاع منهن من حيث أمر الله فيها ولا يقع الطلاق بهن فيها.

وهنّ وإن يقضين شهر رمضان إلّا أنّهن يُحرمن فضل الشهر، وأمّا الصلاة فلا قضاء أيضاً لها، وقد سمّى الله تعالى الصلاة إيماناً في قوله جل وعلا: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾[1] لمّا قال المسلمون بعد تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة فهل كانت صلواتنا الأولية بلا ثمرة.

وفي (الفقيه) قال الباقر عليه السلام: إنّ الحيض للنساء نجاسة رماهن الله تعالى بها وقد كنَّ في زمن نوح عليه السلام إنّما تحيض المرأة في السنة حيضة حتى خرج نسوة من مَجَانّهنّ وكنّ سبعمائة فانطلقن فلبسن المعصفرات وتحلَّين وتعطَّرن ثم خرجن فتفرَّقن في البلاد، فجلسن مع الرجال وشهدن الأعياد معهم وجلسن في صفوفهم. فرماهَنَّ الله تعالى عند ذلك بالحيض وكسر شهوتهن، وكان غيرهن من النساء اللواتي لم يفعلن مثل ما فعلن يحضن في كلّ سنة حيضة، فامتزج القوم فحضن بنات هؤلاء وهؤلاء في كل شهر

(١) البقرة: ١٤٣.

حيضة، فكثر أولاد اللاتي يحضن في كلّ شهر حيضة لاستقامة الحيض، وقلّ أولاد اللّاتي يحضن في السنة حيضة لفساد الدم، فكثر نسل هؤلاء وقل نسل أولئك.

هذا، وروى أنّ الصادق عليه السلام سئل عن قوله تعالى ﴿لهم فيها أزواج مطهرة﴾[1] فقال: اللّائي لا يحضن ولا يحدثن.

وسئل عليه السلام عن المشوّهين في خلقهم فقال: هم الذين يأتي آباؤهم نساءهم في الطمث.

وروي: إنّ المرأة إذا اشتبه عليها دم الحيض ودم القرحة فربّما كانت قرحة في الفرج فعليها أن تستلقي على قفاها، فإن خرج الدم من الجانب الأيمن فهو من القرحة وان خرج من الأيسر فهو من الحيض.

وروي: أنّ المرأة إذا افتضّها زوجها ولم يرق دمها ولا تدري دم الحيض هو أم دم العذرة، فعليها أن تدخل قطنة فإنّ خرجت مطوقة بالدم فهو من العذرة وان خرجت منغمسة فهو من الحيض[2].

«**وأمّا نقصان عقولهنّ فشهادة امرأتين**» هكذا في (الطبعة المصرية)[3] وزاد ابن أبي الحديد[4] والخطية) «منهن» وفي (ابن ميثم)[5] «الامرأتين منهن».

«**كشهادة رجل واحد**» هكذا في (الطبعة المصرية) وفي (ابن أبي الحديد وابن ميثم) «الرجل الواحد»[6].

---

(١) النساء: ٥٧.

(٢) لصدوق من لا يحضره الفقيه ١: ٨٨ وقد ذكر المجلسي تفسير الإمام الصادق عليه السلام للآية في بحار الأنوار ٧: ١٣٩.

(٣) الطبعة المصرية شرح محمّد عبده ١٨٣.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢١٤.

(٥) راجع ابن ميثم: شرح نهج البلاغة ٢: ٢٢٣.

(٦) المصدر نفسه.

ثم كون شهادة اثنتين منهن كشهادة واحد منهم في الأموال وفي غيرها تفصيل، قال المفيد في (مقنعته): لا تقبل شهادة النساء في الطلاق والنكاح والحدود وفي الهلال، وتقبل شهادة امرأتين مسلمتين مستورتين فيما لا يراه الرجال كالعذرة وعيوب النساء والحيض والنفاس والولادة والاستهلال والرضاع، وإذا لم يوجد على ذلك إلّا شهادة امرأة واحدة مأمونة قبلت، وتقبل شهادة امرأة واحدة في ربع الوصية لا في جميعها[١].

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: يجوز في حد الزنا ثلاثة رجال وامرأتان، ولا يجوز إذا كان رجلان وأربع نسوة، ولا يجوز شهادتهن في الرّجم[٢].

«**وأمّا نقصان حظوظهن فمواريثهن على الأنصاف**» روى (الكافي) أنّ ابن أبي العوجاء قال للصادق عليه السلام: ما بال المرأة المسكينة الضعيفة تأخذ سهماً واحداً ويأخذ الرجل سهمين؟ فقال عليه السلام: إنّ المرأة ليس عليها جهاد ولا نفقة ولا عليها معقلة إنّما ذلك على الرجال[٣].

وروى: ان الفهفكي سأل العسكري عليه السلام عن ذلك، فأجابه بما أجاب الصادق عليه السلام ابن أبي العوجاء، وكان إسحاق النخعي حاضراً فتخيّل في نفسه ان هذه مسألة ابن أبي العوجاء، فقال عليه السلام لاسحق: نعم هذه مسألة ابن أبي العوجاء والجواب واحد وأوّلنا وآخرنا في العلم سواء[٤].

هذا، واما كون ارث الاخت من الام مثل ارث الاخ منها وكون ارث الخالة مثل ارث الخال، فلأن الأصل فيهما المرأة الأم والأُخت.

(١) المفيد: المقنعة: ٧٢٧.

(٢) الكافي ٧: ٣٩٠ ح٣.

(٣) الكليني، الكافي ٧: ٨٥ ح٢.

(٤) المصدر نفسه.

وأما استواء الأم مع الأب في اجتماعهما مع الولد بدون اخوة، فلأن المناط فيهما الأبوّة والأُمومة لا الذُّكورة والأُنوثة وهما في الحق سواء.

هذا، وورد أن لبن الجارية أيضاً دون لبن الغلام وزناً، فنقل ابن طاوس في تشريفه عن مجموع المرزبان أن رجلاً أودع شريحاً أيام كونه قاضياً من قبل عمر امرأتين حاملين، فولدتا غلاماً وجارية وكلّ منهما تدّعي الغلام، فلم يدر شريح كيف يحكم بينهما، فجمع عمر الصحابة وسألهم فلم يدروا، فأتوه عليه السلام وهو في حائط له وقصّوا عليه ذلك، فأخذ عليه السلام من الأرض شيئاً وقال: الحكم فيه أهون من هذا، فأحضر المرأتين وأحضر قدحاً ودفعه إلى احداهما وقال لها احلبي فيه، فحلبت ثم وزن القدح ودفعه إلى الأُخرى وقال لها احلبي فيه فحلبت ثم وزنه، فكان أحد اللبنين أخف، فقال لصاحبة الخفيف خذي ابنتك ولصاحبة الثقيل خذي ابنك، وقال عليه السلام لعمر: إنّ الله تعالى حطّ المرأة عن الرجل فجعل عقلها وميراثها دون عقله وميراثه، وكذلك لبنها دون لبنه. فقال له عمر: لقد أرادك الحق يا أبا الحسن ولكن قومك أبوا. فقال عليه السلام له: خفّض عليك أبا حفص[1] ﴿إن يوم الفصل كان ميقاتاً﴾[2].

قلت: وكذلك قيمتها نصف قيمته، فدية المرأة نصف دية الرجل.

«فاتّقوا شرار النّساء» في (عيون القتيبي): كان ابن عباس يقول: مثل المرأة السوء كان قبلكم رجل صالح له امرأة سوء، فعرض له رجل فقال: إنّي رسول من الله إليك أنّه قد جعل لك ثلاث دعوات، فسل ما شئت من دنيا وآخرة، ثم نهض فرجع الرجل إلى منزله فقالت له امرأته: مالي أراك مفكّراً محزوناً، فأخبرها فقالت: ألستُ امرأتك وفي صحبتك وبناتك مني فاجعل لي

---

(١) التشريف بالمنن أو الملاحم والفتن لابن طاووس: ١٥٤ .

(٢) النبأ: ١٧ .

دعوةً، فأبى فأقبل عليه ولده وقلن أُمّنا، فلم يَزلن به حتى قال لكِ دعوة، فقالت اللّهم اجعلني أحسن الناس وجهاً فصارت كذلك، فجعلت توطىء فراشها وهو يعظها فلا تتعظ، فغضب يوماً فقال: اللّهم اجعلها خنزيرة، فتحوّلت كذلك، فلمّا رأين بناته ما نزل بأُمهن بكين وضربن على وجوههن ونتفن شعورهن، فرقّ لهن فقال: اللّهم اعدها كما كانت أولا، فذهبت دعواته الثلاث فيها[1].

وفي القاموس: كان اسم تلك المرأة بسوس.

وفي (تاريخ بغداد): قال الواقدي دخلت يوماً على المهدي، فدعا بمحبرته ودفتره فكتب عنّي أشياء حدّثته بها، ثم نهض وقال: كن مكانك حتى أعود إليك. ودخل إلى دار الحرم ثم خرج متنكّراً ممتلئاً غيظاً. قلت: خرجت على خلاف حال دخولك. فقال: دخلت على الخيزران، فوثبت عليّ ومدّت يدها إليّ وخرقت ثوبي وقالت: يا قشّاش! أيّ خير رأيت منك؟ وإنّما اشتريتها من نخّاس ورأت مني ما رأت وعقدت لابنيها ولاية العهد. فقلت: قال النبي ﷺ «إنّهنّ يغلبن الكرام ويغلبهنّ اللئام» وقال: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» وقد خلقت المرأة من ضلع أعوج إن قوّمته كسرته. وحدثته في هذا الباب بكل ما حضرني، فسكن غضبه وأسفر وجهه وأمر لي بألفي دينار وانصرفت، فلمّا دخلت منزلي وافاني رسول الخيزران وقال: تقرأ عليك ستي السلام وتقول لك يا عم! قد سمعت جميع ما كلّمت به الخليفة فأحسن الله جزاك، وهذه ألفا دينار إلّا عشرة دنانير لم أحب أن اساوي صلة الخليفة، ووجهت إليّ بأثواب[2].

**«وكونوا من خيارهن على حذر».**

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٤: ١١٧.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ١٤: ٤٣١.

قال عمر بن أبي ربيعة:

لا تأمنن الدهر أنثى بعدها ... بعد الّذي أعطتك من أيمانها

ما لا يطيق من العهود ثبير ... فإذا وذلك كان ظلّ سحابة

نفحت به في المعصرات دبورُ[١]

وقال الطائي:

فلا تحسبن هنداً لها الغدر وحدها ... سجية نفس كلّ غانية هند[٢]

وقال الأعشى:

أرى سفهاً بالمرء تعليق لبّهِ ... بغانية خودٍ متى تدن تبعد[٣]

وفي الخبر عن الصادق عليه السلام قال لامرأة سعد: هنيئاً لك يا خنساء، فلو لم يعطك الله شيئاً إلّا ابنتك ام الحسين لقد أعطاك الله خيراً كثيراً، إنّما مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأعصم ـ وهو الأبيض في إحدى الرجلين ـ في الغربان[٤].

«ولا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر» في (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله: من أطاع امرأته أكبّه الله على وجهه في النار. قيل: وما تلك الطاعة. قال: تطلب منه الذهاب إلى الحمامات والعرسات والعيدات والنياحات والثياب الرقاق.

وفي (نوادر نكاح الفقيه) عن أبي جعفر عليه السلام: لا تشاوروهن في النجوى

---

(١) لم يذكر عمر بن أبي ربيعة البيت الأول وهو اني لآمن غدرهن نذيرٌ «بعد الذي» شطر البيت الثاني، راجع ديوان عمر بن أبي ربيعة: ١٣١.

(٢) لا وجود له في ديوان حاتم الطائي ولا في معجم الادباء.

(٣) ديوان الأعشى: ٩٩.

(٤) ذكره المجلس هكذا مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأعصم في مائة غراب، بحار الأنوار ٦٤: ٢٥١ رواية ٧.

ولا تطيعوهن في ذي قرابة، ان المرأة إذا كبرت ذهب خير شطريها وبقي شرّها ذهب جمالها واحتد لسانها وعقم رحمها، وان الرجل إذا كبر ذهب شرّ شطريه وبقي خيرهما ثبت عقله واستحكم رأيه وقل جهله(١).

وقال عليه السلام: كل امرئٍ تدبّره امرأة فهو ملعون(٢).

وقال عليه السلام: في خلافهن البركة(٣).

وكان النبي صلى الله عليه وآله إذا أراد الحرب دعا نساءه فاستشارهن ثم خالفهن(٤).

وقال ابن أبي الحديد: لمّا نزل علي البصرة كتبت عائشة إلى زيد بن صوحان العبدي: أما بعد، فأقم في بيتك وخذّل الناس عن علي. فكتب إليها زيد: إنّ الله أمرك بأمر وأمرنا بأمر، أمرك أن تقرّي في بيتك وأمرنا أن نجاهد، وقد أتاني كتابك فأمرتني أن أصنع خلاف ما أمرني الله فأكون قد صنعت ما أمرك الله به وصنعت ما أمرني الله به، فأمرك عندي غير مطاع وكتابك غير مجاب والسلام(٥).

هذا، وفي السير ان خالد بن يزيد بن معاوية قال لامرأته رملة بنت الزبير:

فإن تُسْلِمي أُسلم وإن تتنصّري تعلّق رجال بين أعينهم صُلبا(٦)

وقد مر في فصل كلامه عليه السلام الجامع بين مصالح الدّنيا والدين في وصيته عليه السلام لابنه: واياك ومشاورة النساء، فإنّ رأيهن إلى أفن وعزمهن إلى

---

(١) راجع ص ٧٧ فقد مرّ ذكره.

(٢) الفقيه ٣: ٤٦٨ ح ٤٦٢١.

(٣) راجع ص ٧٧ فقد مرّ ذكره.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٢٦.

(٦) أبو الفرج الأصفهاني: في الأغاني ١٧: ٣٤٤ ورد بلفظ (نُسلم) بدلاً من (اُسلم).

وهن، واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إيّاهن، فإنّ شدّة الحجاب أبقى عليهن، وليس خروجهن بأشدّ من إدخالك من لا يوثق به عليهن، وإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل، ولا تملّك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها، فإنّ المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، ولا تعدُ بكرامتها نفسها ولا تُطمِعها في أن تشفع لغيرها، وإيّاك والتغاير في غير موضع غيرة، فإنّ ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم والبريئة إلى الريب ـ فراجع شرحه[1].

هذا، وفي (الأغاني) مات عكرمة وكثيِّر عزة في يوم واحد، فأخرجت جنازتاهما فما تخلفت امرأة بالمدينة ولا رجل عن جنازتيهما، وقيل مات اليوم اشعرُ الناس وأعلمُ الناس، وغلب النساء على جنازة كثيِّر يبكينه ويذكُرْنَ عزّة في ندبتهنّ له، فقال أبو جعفر محمد بن علي: أفرجوا لي عن جنازة كثيِّر لأرفعها، وجعل يضربهن بكمه ويقول تَنحَّيْنَ يا صَواحِباتِ يوسف. فانتدبتْ له امرأة منهنّ فقالت: يا ابن رسول الله لقد صَدَقتَ إنّا لصواحباتُ يوسف وقد كنّا له خيراً منكم له. فقال أبو جعفر عليه السلام لبعض مواليه: احتفظ بها حتى تجيئني بها إذا انصرفنا، فلما انصرف أُتي بتلك المرأة كأنّها شرارة النار، فقال لها: أنت القائلة إنكّنَّ ليوسف خيرٌ منّا. قالت: نعم أتؤمِنني غضبَك يا ابن رسول الله. قال: أنتِ آمنةٌ فأبيني. قالت: نحن يا ابن رسول الله دعوناه إلى اللّذات من المَطْعَم والمَشْرَب والتمتُّع والتنعُّم وأنتم معاشر الرجال القيتموه في الجُبِّ وبِعتُموه بأبخس الأثمان وحبستموه في السِّجن فأيّنا كان أرأف؟ فقال: لله درك ولن تغالب امرأة إلّا غَلبَتْ. ثم قال لها: ألكِ بعل؟ قالت: لي من الرجال من أنا بعلهُ. فقال: صدقت مثلك من

---

(١) راجع الكتاب.

تملك بعلها ولا يملكها[١].

وفي (فصل مكارم أخلاقه وعلمه): روي أنّه عليه السلام كان جالساً في أصحابه فمرّت بهم امرأة جميلة، فرمقها القوم بأبصارهم فقال عليه السلام: إن أبصار هذه الفحول طوامح، وإنّ ذلك سبب هبابها، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلامس أهله فإنّما هي امرأة كامرأة[٢].

وفي (فصل الجمل): وأمّا فلانة فأدركها رأي النساء وضعن غلاً في صدرها كمرجل القين، ولو دعيت لتنال من غيري ما أتت إليّ لم تفعل[٣].

وفي ٦ / من فصل آداب الحرب: ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أُمراءكم، فإنّهنّ ضعيفات القوى والأنفس والعقول، وإن كنّا لنؤمر بالكفّ عنهنّ وإنّهنّ لمشركات، وان كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر أو الهراوة فيعيَّرُ بها وعقبه من بعده[٤].

هذا، وفي (النهاية) في حديث علي عليه السلام: «خير النساء الحارقة» وفي رواية «كذبتكم الحارقة» الحارقة المرأة الضيّقة الفرج، وقيل التي تغلِبُها شهوتها حتى تحرق أنيابها بعضاً على بعض أي تحكها، يقول عليكم بها، ومنه حديثه الآخر «وجدتها حارقة طارقة فائقة»[٥].

هذا، وفي (نوادر نكاح الفقيه) عن الفضيل قلت لأبي عبدالله عليه السلام: شيء تقوله الناس، ان أكثر أهل النار يوم القيامة النساء. قال: وأنّى ذلك وقد يتزوج

(١) الأغاني ٩: ٣٧ ـ ٣٨.

(٢) نهج البلاغة، قصار الحكم، الحكمة: ٤٢٠ راجع الكتاب.

(٣) راجع الكتاب.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ابن الأثير: النهاية ١: ٣٧١، وقيل الحارقة: النكاح على جنب.

الرجل في الآخرة ألفاً من نساء الدّنيا في قصر من درة واحدة[١].

وروى عمار الساباطي عنه عليه السلام: أكثر أهل الجنة: المستضعفين من النساء، علم الله تعالى ضعفهن فرحمهن[٢].

وقال الصادق عليه السلام: الحياء عشرة أجزاء تسعة في النساء وواحدة في الرجال، فاذا خفضت المرأة ذهب جزء من حياها، وإذا تزوجت ذهب جزء، وإذا افترعت ذهب جزء، وإذا ولدت ذهب جزء وبقي لها خمسة، فاذا فجرت ذهب حياؤها كلّه وإذا عفّت بقي لها خمسة أجزاء[٣].

وقال عليه السلام «الخيّرات الحسان» من نساء أهل الدّنيا وهن أجمل من الحور العين[٤].

## ٦
## من غريب كلامه رقم (٤)

وفي حديثه عليه السلام:

«إِذَا بَلَغَ النِّسَاءُ نَصَّ الحِقَاقِ فالعَصَبَةُ أَوْلَى».

قال الرضي: والنص منتهى الأشياء ومبلغ اقصاها كالنص في السير لأنّه أقصى ما تقدر عليه الدابة، وتقول نصصت الرجل عن الأمر إذا استقصيت مسألته عنه لتستخرج ما عنده فيه، فنص الحقاق يريد به الإدراك لأنّه منتهى الصغر، والوقت الذي يخرج منه الصغير إلى حد الكبير، وهو من أفصح الكنايات عن هذا الأمر، فإذا بلغ النساء ذلك فالعصبة أولى بالمرأة من أمّها إذا كانوا محرماً، مثل الاخوة والاعمام، وبتزويجها ان أرادوا ذلك.

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٣: ٤٦٨ ح ٤٦٢٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ذكر الهندي في كنز العمّال الجزء الأوّل من الحديث خطبة رقم (٥٧٦٩) بنسبة للرسول الاكرم صلى الله عليه وآله.

(٤) الصدوق: من لا يحضره الفقيه ٣: ٤٦٩.

والحقاق: محاقّة الأُم للعصبة في المرأة، وهو الجدال والخصومة وقول كلّ واحد منهما للآخر: «أنا أحقّ منك بهذا» يقال منه: حاققته حقاقاً مثل جادلته جدالاً، وقد قيل: إنّ «نصّ الحقاق» بلوغ العقل وهو الإدراك، لأنّه عليه السلام إنّما أراد منتهى الأمر الذي تجب فيه الحقوق والأحكام. ومن رواه «نص الحقائق» فإنّما أراد جمع حقيقه، هذا معنى ما ذكره أبو عبيدة، والذي عندي أنّ المراد بنص الحقاق هاهنا؛ بلوغ المرأة إلى الحد الذي يجوز تزويجها وتصرفها في حقوقها تشبيهاً بالحقاق من الابل وهو جمع حِقّة وحِقّ وهو الذي استكمل ثلاث سنين ودخل في الرابعة وعند ذلك يبلغ إلى الحد الذي يتمكّن فيه من ركوب ظهره ونصه، والحقائق أيضاً جمع حقة، فالروايتان جميعاً ترجعان إلى معنى واحد، وهذا أشبه بطريقة العرب من المعنى المذكور.

قول المصنف «وفي حديثه عليه السلام» لم يعلم كونه حديثه كما يأتي.

«إذا بلغ النساء» هو من قبيل قوله تعالى: ﴿وقال نسوة في المدينة﴾[1] في عدم تأنيث الفعل مع كون الفاعل مؤنثاً حقيقياً لكونه اسم جمع.

«نص الحقاق» هكذا في (الطبعة المصرية)، وفي (ابن أبي الحديد وابن ميثم) «نص الحقائق»[2] «وهو الصحيح لأُصحية نسختهما ولاسيما الثاني لكونها بخط المصنف، ويشهد له ما يأتي منهما من الزيادة.

وكيف كان ففي الأساس: الماشطة تنصّ العروس فتقعدها على المنصّة، وهي تنتصّ عليها أي: ترفعها، و «نص فلان سيّداً» أي: نصب[3]،

---

(١) يوسف: ٣٠.

(٢) الطبعة المصرية وابن أبي الحديد بلفظ (نص الحقاق). راجع الطبعة المصرية: ٧١٥، وابن أبي الحديد ١٩: ١٠٨، اما ابن ميثم فقد ذكر بعد إيراد النص «والحقائق أيضاً» ٥: ٣٧٣.

(٣) الزمخشري! أساس البلاغة: ٤٥٩ مادة (نصص) والعين للفراهيدي ٧: ٨٦ مادة (نص)، والصحاح للجوهري ٣: ١٠٥٨ مادة (نصص) وابن المنظور، لسان العرب ١٤: ١٦٢ مادة (نصص).

قال حاجز الأزدي:

إن قد نصصت بعدما شبت سيدا تقول وتهدي من كلامك ما تهدى

«فالعصبة أولى» وزاد في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) «ويروى نص الحقاق» والعصبة كما قال الجوهري: البنون وقرابة الأب، (سمّوا بذلك لأنّهم عصبوا به أي: أحاطوا فالأب طرف والابن طرف والعم جانب والأخ جانب)[1].

في (كامل المبرد): قال فلان بن السائب الأسدي ـ من أسد بن عبد العزّى ـ: زوّجت ابنتي عمرو بن عثمان، فلمّا نصّت عليه طلقها على المنصّة، فجئت إلى ابن الزبير فقلت له إنّ عمراً طلّق ابنتي على المنصّة وقد ظنّ الناس أنّ ذلك لعاهة وأنت عمّها فقم فادخل إليها. فقال: أو خير من ذلك جيئوني بمصعب ـ أي أخيه ـ فخطب فزوجها منه وأقسم ليدخلن بها في ليلته، فلا تعرف امرأة نصت على رجلين في ليلتين ولاءً غيرها[2].

وفي (الأغاني): قال أبو الهيثم: إجتمع مالك بن الريب وأبو صردبة وشظاظ يوماً فقالوا: تعالوا نتحدّث بأعجب ما عملناه في سرقتنا ـ إلى أن قال ـ فقال شظاظ: كان لرجل من أهل البصرة بنت عم ذات مال كثير وهو وليّها ـ وكان له نسوة ـ فأبت أن تتزوجه فحلف ألّا يزوجها من أحد ضِراراً لها، وكان يخطبها رجل غني من أهل البصرة فحرصت عليه وأبى الولي، ثم إنّه حجَّ حتّى إذا كان بالدّو[3] ـ على مرحلة من البصرة ـ مات فدفن برابية وشيّد على قبره، فتزوجت بالرجل الذي كان يخطبها، وخرجت رفقة من البصرة معهم بز ومتاع فتبصّرتُهم وما معهم واتّبعتهم حتى نزلوا فلمّا ناموا

---

(١) الصحاح للجوهري ١: ١٨٣ مادة (عصب).

(٢) الكامل للمبرد ١: ٤٣٣.

(٣) أرض ملساء بين مكة والبصرة.

بَيَّتُّهُمْ وأخذت من متاعهم.

ثم إنّ القوم لمّا انتبهوا أخذوني وضربوني ضرباً شديداً وجـرّدوني، وذلك في ليلة قرة وسلبوني كلّ قليل وكثير فتركوني عرياناً وتَماوتُّ لهـم، فارتحل القوم فقلت: كيف أصنع؟ ثم ذكرت قبر الرجل فأتيته فنزعت لوحه ثم احتفرت فيه سرباً فدخلت فيه ثم سددت عليَّ باللوح وقلت لعلّي أدفأ فأتبعهم، ومرَّ الرجل الذي تزوج بالمرأة في الرفقة، فمرّ بالقبر الذي أنا فيه فوقف عليه وقال لرفيقه: والله لأنزلنّ إلى قبر فلان حتى أنظر هل يحمي الآن بضع فلانة. فعرفت صوته فقلعت اللوح ثم خرجت عليه من القبر وقلت: بلى وربّ الكعبة لأحمينَّها. فوقع والله مغشياً عليه لا يتحرك ولا يعقل. فجلست وأخذت كلّ أداة وثياب عليه ومالاً معه، فكنت بعد ذلك أسمعه بالبصرة يحدّث الناس ويحلف لهم: إنّ الميت الذي كان منعه من تزويج المرأة خرج عليه مـن قـبره بسـلبه وكفنه فبقي يومه ثم هرب منه. والناس يعجبون منه، فعاقلهم يكذبه والأحمق منهم يصدقه وأنا أعرف القصة فأضحك منهم[1].

هذا، وفي الكامل: كان ذو الأصبع العدواني رجلاً غيوراً وكانت له بنات أربع وكان لا يزوّجهنّ غيرة، فاستمع عليهن يوماً وقد خلون يتحدّثن، فقالت قائلة منهنّ: لتقل كلّ واحدة منكن ما في نفسها ولتصدق، ثم نقل أن إحداهنّ أنشدت أبياتاً مشعرة بأنّها تريد زوجاً شـابّاً غـنيّاً، والثـانية عـاقلاً سـخيّاً، والثالثة ابن عمٍّ لها، وسكتت الرابعة، فقلن: لا ندعك حتى تقولين، فقالت: زوج من عود خير من قعود. فخُطِبن فزوَّجهنَّ[2].

وفي (تاريخ بغداد) في محمد بن جعفر بن أحمد بن جعفر المـعروف

---

(١) الأغاني ٢٢: ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

(٢) الكامل للمبرد ١: ٤٢٧ ـ ٤٤٩.

بزوج الحرة الذي روى عن الطبري والبغوي وغيرهما، قال جعفر بن المكتفي العباسي كانت بنت بدر مولى المعتضد زوج المقتدر، فأقامت عنده سنين وكان لها مكرماً وعليها مفضلاً الأفضال العظيم، فتأثّلت حالها، وانضاف ذلك إلى عظيم نعمتها الموروثة، وقتل المقتدر وأفلتت من النكبة وسلم لها جميع أموالها وذخائرها حتى لم يذهب لها شيء وخرجت عن الدار.

قال: وكان يدخل إلى مطبخها حدث يحمل فيه على رأسه وكان حركاً، فنفق على القهارمة بخدمته فنقلوه إلى أن صار وكيل المطبخ وبلغها خبره ورأته فاستكاسته فردت إليه الوكالة في غير المطبخ وتراقى أمره حتى صار ينظر في ضياعها وعقارها وغلب عليها، فصارت تكلّمه من وراء ستر وخلف باب أو ستارة، وزاد اختصاصه بها حتى علق بقلبها فاستدعته إلى تزويجها فلم يجسر على ذلك، فجسّرته وبذلت له مالاً حتى تمّ لها ذلك وقد كانت حاله تأثلت بها وأعطته لمّا أرادت ذلك منه أموالاً جعلها لنفسه نعمة ظاهرة لئلّا يمنعها أولياؤها منه بالفقر وأنّه ليس بكفء، ثم هادت القضاة بهدايا جليلة حتى زوّجوها منه واعترض الأولياء فغالبتهم بالحكم والدراهم، فتمّ له ذلك ولها، فأقام معها سنين حتى ماتت فحصل له من مالها نحو ثلاثمائة ألف دينار. قال: وهو الآن يعرف بزوج الحرّة، وإنّما سمّيت الحرّة لأجل تزويج المقتدر بها وكذا عادة الخلفاء لغلبة المماليك عليهم إذا كانت لهم زوجة قيل لها: الحرّة[1].

قلت: والمراد من قوله فيه «وأفلتت من النكبة» النكبة التي عرضت لزوجها المقتدر حتى قتل.

قول المصنف (والنص منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها كالنص في السير

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٢: ١٥٣ ـ ١٥٤.

لأنّه أقصى ما تقدر عليه الدابة، وتقول نصصت الرجل عن الأمر؛ إذا استقصيت مسألته عنه لتستخرج ما عنده فيه، فنص الحقاق يريد به الإدراك لأنّه منتهى الصغر والوقت الذي يخرج منه الصغير إلى حد الكبير).

ترى ان المصنف جعل الأصل في معنى النص الانتهاء وجعله الجامع بين قولهم «النص في السير» وقولهم «نصصت الرجل عن الأمر»، والأظهر كون الأصل فيه الإظهار كما صرّح به ابن دريد فقال: نصصت الحديث نصّاً؛ إذا أظهرته، ونصصت العروس نصاً؛ إذا أظهرتها، ونصصت البعير في السير نصّاً؛ إذا رفعته، ونصصت الحديث؛ إذا عزوته إلى محدثك به، ونصصت العروس نصاً؛ إذا أقعدتها على المنصة، وكلّ شيء أظهرته فقد نصصته، ونصة المرأة الشعر الذي يقع على وجهها من مقدّم رأسها.

(وهو من أفصح الكنايات عن هذا الأمر) زاد (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[١] «وأغربها» فلابدّ من سقوطه من نسخنا.

(فإذا بلغ النساء فالعصبة أولى بالمرأة إذا كانوا محرماً مثل الإخوة والأعمام ان أرادوا ذلك) ما ذكره من أنّ الإخوة والأعمام أولى بالمرأة؛ مذهب العامة والخبر من طريقهم، والأصل في نقله أبو عبيدة، وعندنا إنّما الوليُّ الأب والجدُّ بالإجماع إذا كانت صغيرة وعلى خلاف إذا كانت كبيرة باكرة، وأمّا غيرهما فلا خلاف عندنا في عدم ولايتهما.

(والحقاق محاقة الأم للعصبة في المرأة وهو الجدال والخصومة وقول كلّ واحد منهما للآخر أنا أحقّ منك بهذا، يقال منه حاققته حقاقاً مثل جادلته جدالاً) لا كلام في مجيء الحقاق مصدر حاق بمعنى جادل كالمحاقة، لكن [الكلام] في صحّة إضافة النص إليه بذاك المعنى فلم يذكر أحد أنه يقال

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩ : ١٠٨ رقم (٢٦١) وشرح ابن ميثم ٥ : ٣٧٢ رقم ٤ .

نصصت الجدال كما قالوا: نصصت الحديث والبعير والعروس كما مرّ.

(وقد قيل ان نص الحقاق بلوغ العقل وهو الإدراك، لأنّـه عليه السلام إنّـما أراد منتهى الأمر الذي يجب فيه الحقوق والأحكام) هكذا في (الطبعة المصرية)[١] ولكن في (ابن أبي الحديد[٢] وابن ميثم)[٣] «يجب به الحقوق والأحكام».

وكيف كان فقال الأول: لم ينقل أهل اللغة أن الحقاق استعملت في معنى الحقوق (ومن رواه نص الحقائق فإنّما أراد جمع حقيقة) وفي (ابن أبي الحديد) «وقال من رواه...»، والصواب ما في (الطبعة المصرية) لتصديق (ابن ميثم) له ولأنّه لا فاعل لقوله «وقال»[٤].

(هذا معنى ما ذكره أبو عبيد) زاد في (ابـن أبـي الحـديد وابـن مـيثم) «القاسم بن سلام» فلابدّ من سقوطها من (الطبعة المصرية)[٥].

(والذي عندي ان المراد بنصّ الحقاق هاهنا بلوغ المرأة إلى الحـدّ الذي يجوز تـزويجها وتـصرّفها فـي حـقوقها تشـبيهاً بـالحقاق مـن الإبـل) فـي (اللسان)[٦] والحقة نبز ام جرير بن الخَطَفي، خطبها سويد بن كراع إلى أبيها فقال: إنّها لصغيرة صرعة، فقال سويد: لقد رأيتها وهي حقة، أي: كالحقة من الإبل في عِظَمِها. وإضافة النص إلى الإبل كثيرة، فلما فقد زيد بن حارثة فـي طفوليته قال أبوه:

---

(١) راجع شرح محمد عبده: ٧١٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩: ١٠٨.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥: ٣٧٢.

(٤) راجع المصادر نفسها والصفحات نفسها.

(٥) راجع الطبعة المصرية: شرح محمّد عبده ٧١٦ وأيضاً ابن أبي الحديد ٩: ١٠٨ وأيضاً ابن ميثم ٥: ٣٧٣.

(٦) ابن منظور: لسان العرب ٣: ٢٥٩ مادة (حقق).

سأعلم نص العيس في الأرض جاهداً
ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل

وقال زيد نفسه: لمّا حجّ ناس من قبيلته ورأوه عند النبي صلى الله عليه وآله:

فكفوا من الوجد الذي قد شجاكم    ولا تعملوا في الأرض نص الأباعر[ژ]

(وهي جمع حقة وحق وهو الذي استكمل ثلاث سنين ودخل في الرابعة وعند ذلك يتمكن فيه من ركوب ظهره ونصه في السير)[١] هكذا في الطبعة (المصرية) والصواب (في سيره) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) والخطية[٢]، والجوهري جعل الحقق ايضاً جمعهما[٣].

(والحقائق أيضاً جمع حقة، فالروايتان جميعاً ترجعان إلى معنى واحد) قال (ابن أبي الحديد): الحقائق جمع حقاق، والحقاق جمع حق، فالحقائق إذن جمع الجمع لِحقّ لا لِحِقة[٤].

قلت: إذا كان الحقائق جمع الحقاق والحقاق جمع حق وحقة بالاتفاق يصدق ان الحقائق جمع حقة كما قال المصنف.

هذا، وقال (ابن أبي الحديد): يمكن أن يقال الحقاق هاهنا الخصومة، يقال: ماله فيه حق ولا حقاق، أي: ولا خصومة، ويقال لمن نازع: إنّه لنزق الحقاق أي: خصومة في الدنيّ من الأمر، فيكون المعنى: إذا بلغت المرأة الحدّ

---

(ژ) ذكر ابن حجر هذه الحكاية في الإصابة في تمييز الصحابة ٣: ٢٥.

(١) شرح محمد عبده: ٧١٦.

(٢) أورد شرح ابن ميثم لفظ «في السير» كما في الطبعة المصرية راجع شرح ابن ميثم ٥: ٣٧٣، وأورد شرح ابن أبي الحديد لفظ «في سيره» ١٩: ١٠٨، أما في النسخة الخطية فقد سقط النصّ في نسخة (المرعشي).

(٣) الصحاح للجوهري ٤: ١٤٦ مادة (حقق).

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١١٠.

الذي يستطيع الإنسان فيه الخصومة والجدال فعصبتها أولى بها من أُمّها[١].

قلت: ما ذكره تطويل بلا طائل وتكرار بلا حاصل، فهو عين ما ذكره المصنف سابقاً بقوله: «والحقاق محاقّة الأُم للعصبة في المرأة وهو الجدال والخصومة وقول كلّ واحد منهما للآخر أنا أحقّ منك» إلّا أنّ ما عبّر به (ابن أبي الحديد) لفظ الصحاح وما عبّر به المصنف لفظ الجمهرة والمعنى واحد.

وقال (ابن ميثم): قيل يحتمل أن يراد بالنص الارتفاع، يقال نصّت الضبيّة رأسها: إذا رفعته، ومنه منصة العروس لارتفاعها عليها، ويكون قد استعار لفظ الحقاق لأثداء الصغيرة إذا نهدت وارتفعت لشبهها بالحقة صورة، أي: إذا بلغت المرأة حدّ ارتفاع أثدائهن كانت العصبة أولى[٢].

قلت: لم يقل أحد: إن الحقاق جمع حقة بالضم، بل اتّفقوا على أنّه جمع حق وحقّه ـ بالكسر ـ أي إبل دخل في الرابعة واستحق الحمل عليه، فما ذكره ساقط وإن كان ما قاله من كون النص بمعنى الارتفاع صحيحاً.

## ٧
## من الخطبة (١٥١)

إعْقِلْ ذَلِكَ فَإنَّ المِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شِبهِهِ، إنَّ البَهَائِمَ هَمُّها بُطُونُها، وإنَّ السِّباعَ هَمُّها العُدْوَانُ على غَيْرِهَا، وإنَّ النِّسَاءَ همُّهنَّ زينة الحياةِ الدُّنْيا والفَسادُ فِيهَا، إنَّ المؤمنينَ مُسْتكِينُونَ، إنَّ المؤمِنِينَ مُشْفِقونَ إنَّ المُؤمِنِين خائِفُونَ.

أقول: رواه (الكافي)[٣] في باب الاجمال من كتاب معيشته مسنداً، ورواه

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١١٠.

(٢) شرح ابن ميثم ٥: ٣٧٢.

(٣) الكافي للكليني ٥: ٨١ ح٩.

(تحف العقول)[١] في باب حكمه عليه السلام مرفوعاً.

**«اعقل ذلك»** قال ابن أبي الحديد: فيه رمز بباطن هذا الكلام إلى الرؤساء يوم الجمل[٢].

**«فإنّ المثل دليل على شبهه»** في (أمثال الميداني): قال المبرد المثل مأخوذ من المثال كقول كعب بن زهير:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا ... وما مواعيدها إلّا الأباطيل[٣]

وقال ابن السّكّيت: المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ، شبّهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره.

وقال النظام: في المثل أربع لا تجتمع في غيره: ايجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية فهو نهاية البلاغة[٤].

ولكون المثل دليلاً على شبهه؛ أكثر تعالى من الأمثال، ومنها: ﴿يا أيُّها النّاس ضرب مثل فاستمعوا له إن الّذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو آجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾[٥].

**«ان البهائم همّها بطونها»** ذكر الصادق عليه السلام للمفضل من حكم عدم دوام النهار ان لا تفرط البهائم في الأكل فتموت كعدم إفراط الإنسان في العمل فيموت[٦].

---

(١) تحف العقول للحراني: ١٠٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٦٢.

(٣) مجمع الأمثال للميداني ١: ٩.

(٤) مجمع الأمثال للميداني ١: ٩.

(٥) الحج: ٧٣.

(٦) توحيد المفضل: ٨٧ بتصرف.

ثم ان ما ذكره (ابن أبي الحديد) من كون كلامه عليه السلام رمزاً إلى أصحاب الجمل ـ وهو الظاهر ـ أشار عليه السلام إلى كون طلحة والزبير كالبهائم همّهما بطونهما، فلذا خرجا عليه عليه السلام فهلكا[1].

روى المفيد في (جمله) انّه لمّا خرج عثمان بن حنيف عامله عليه السلام من البصرة عاد طلحة والزبير إلى بيت المال فتأملا ما فيه من الذهب والفضة قالا هذه الغنائم التي وعدنا الله بها وأخبرنا انّه يعجلها لنا. قال أبو الأسود: سمعت هذا منهما ورأيت علياً عليه السلام بعد ذلك وقد دخل بيت مال البصرة، فلما رأى ما فيه قال: يا صفراء يا بيضاء غرّي غيري، المال يعسوب الظلمة وأنا يعسوب المؤمنين. فلا والله ما التفت إلى ما فيه ولا فكّر فيما رآه وما وجدته عنده إلّا كالتراب هواناً، فتعجبت من القوم ومنه، فقلت أُولئك ممّن يريد الدنيا وهذا ممّن يريد الآخرة[2].

«**وإنّ السباع همّها العدوان على غيرها**» أشار عليه السلام في هذا الكلام أيضاً إليهم وأنّهم كما كانوا في الشهوة كالبهائم يكونون كالسباع في الغضب، فلمّا كتب طلحة والزبير مع عثمان بن حنيف كتاب عهد بينهم بالمتاركة حتى يقدم أمير المؤمنين عليه السلام وفرّق ابن حنيف أصحابه غدر طلحة والزبير به فأتياه في بيته وهو غافل وعلى باب الدار السبابجة يحرسون بيوت الأموال، فوضعوا فيهم السيف فقتلوا أربعين رجلاً منهم صبراً يتولى ذلك منهم الزبير خاصة، ثم هجموا على عثمان فأوثقوه رباطاً وعمدوا إلى لحيته فنتفوها ـ وكان كث اللحية ـ حتى لم يبق فيها شعرة، وقال طلحة: عذّبوا الفاسق وانتفوا شعر

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٦٢.

(٢) الجمل للمفيد: ١٥٤.

حاجبيه وأشفار عينيه وأوثقوه بالحديد[١]، ثم قال طلحة والزبير لعائشة ماذا تأمرين فيه. فقالت: أُقتلوه قتله الله.

«**وإنّ النساء همّهنّ زينة الحياة الدّنيا والفساد فيها**» أشار عليه السلام على ما قال (ابن أبي الحديد) في هذا الكلام إلى عائشة[٢].

وروى المفيد في (جمله) و(ابن أبي الحديد) في موضع آخر: ان عائشة لمّا بلغهانزول أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار كتبت إلى حفصة: أمّا بعد، فإنّا نزلنا البصرة ونزل عليٌّ بذي قار والله داق عنقه كدق البيضة، إنّه بمنزلة الأشقر إن تقدّم نحر وإن تأخّر عقر. فلما وصل الكتاب إليها استبشرت بذلك ودعت صبيان بني تميم وعدي وأعطت جواريها دفوفاً وأمرتهن أن يضربن بالدفوف ويقلن: «الخبر ما الخبر؟ عليٌّ الأشقر؛ إن تقدّم نحر وإن تأخّر عقر» -إلى أن قال-: فدخلت عليها أُم كلثوم وقالت لحفصة إن تظاهرتِ أنت وأُختك على أمير المؤمنين فقد تظاهرتما على أخيه النبي صلى الله عليه وآله فأنزل تعالى فيكما ما أنزل -أي قوله تعالى: ﴿وإن تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير﴾[٣].

وكلامه عليه السلام عام وان كانت هي المراد بالخصوص، وقد ضرب تعالى فيها وفي اختها المثل في قوله: ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل أُدخلا النار مع الداخلين﴾[٤].

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣: ٢١٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٦٣.

(٣) الجمل للمفيد: ١٤٩، وذكر ابن أبي الحديد ذلك في ٦: ٢٢٥ والآية ٤ من سورة التحريم.

(٤) التحريم: ١٠.

وقد صرّح بكونهما المرادتين الزمخشري[١]، وفي أُسد الغابة[٢] في معبد بن أكثم الخزاعي روى عبدالله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبدالله قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: عرضت عليّ النار وأكثر من رأيت فيها النساء اللاتي إن اؤتمِنَّ أفشين، وإن سألن الحفن، وإن أُعطين لم يشكرن[٣].

قلت: وكانتا ممّن أفشى سرّه صلى الله عليه وآله ﴿وإذ أَسرَّ ٱلنبيُّ إلى بعض أَزواجه حديثاً﴾[٤].

وقال (ابن أبي الحديد): نظر حكيم إلى امرأة مصلوبة على شجرة فقال: ليت كلّ شجرة تحمل مثل هذه الثمرة[٥].

ورأى بعض الحكماء امرأة غريقة قد احتملها السيل فقال: زادت الكدر كدراً والشر بالشر يهلك[٦].

ورأى بعضهم جارية تحمل ناراً فقال: نار على نار، والحامل شرّ من المحمول[٧].

---

(١) الزمخشري ٤: ٥٧١، يذكر الزمخشري: وفي طي هذين التمثيلين (امرأة لوط وامرأة نوح) تعريف بأمي المؤمنين المذكورتين في أوّل السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وآله بما كرهه وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشده ... لما في التمثيل من ذكر الكفر ونحوه في التغليظ قوله تعالى: (ومن كفر فإن اللّه غني عن العالمين) وإشارة إلى أن في حقهما أن تكونا في الاخلاص والكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين. ثم يقول الزمخشري: والتعريض بحفصة ارجح لأنّ امرأة لوط أفشت عليه كما أفشت حفصة على رسول اللّه: راجع المصدر المذكور.

(٢) أُسد الغابة ٤: ٣٨٩.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده عن أبي بن كعب: مسنده أحمد ٣: ٣٥٣.

(٤) التحريم: ٣.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٦٣.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٦٣.

(٧) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٦٣.

ورأى حكيم امرأة تعلم الكتابة فقال: سهم يسقى سماً ليرمى به يوماً ما[١].

ومرّت امرأة بسقراط وهو مشرق في الشمس فقالت: ما أقبحك أيها الشيخ! فقال: لولا أنكنّ من المرائي الصديّة لغمّني ما بان فيكنّ من قبح صورتي[٢].

قلت: وفي (اصلاح المنطق) في قوله ﷺ «إنَّكُنَّ إذا شَبِعتنَّ خَجِلْتُنَّ، وإذا جُعْتُنَّ دَقِعْتُنَّ» الخجل سوء احتمال الغنى، والدقع سوء احتمال الفقر[٣].

«إنّ المؤمنين مستكينون» ليس همّهم بطونهم كالبهائم.

«إنّ المؤمنين مشفقون» ليسوا مثل فرقة همّهم العدوان على العباد.

«إنّ المؤمنين خائفون» ليسوا كطائفة كالنساء همّهم زينة الحياة الدنيا والفساد فيها والإفساد.

وفي الكلام اشارة ثانية إلى أن أصحاب الجمل لم يكونوا من الايمان في شيء لخلّوهم من أوصافهم.

هذا، وعن المغيرة: النساء أربع والرجال أربعة: رجل مذكر وامرأة مؤنّثة فهو قوّام عليها، ورجل مؤنّث وامرأة مذكّرة فهي قوّامة عليه، ورجل مذكّر وامرأة مذكّرة فهما كالوعلين ينتطحان، ورجل مؤنّث وامرأة مؤنّثة فهما لا يفلحان[٤]. وللأخطل:

يمددن من هفواتهن إلى الصبا   سبباً يصدن به الغواة طوالا

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ابن السكيت، اصلاح المنطق: ١٤١.

(٤) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ١٦: ٨٧.

ما إن رأيت كمكرهن إذا جرى … فينا ولا كحبالهنّ حبالا
المهديات لمن هوين مسبّة … والمحسنات لمن قلين مقالا
يرعين عهدك ما رأينك شاهداً … وإذا مذلت يصرن عنك مذالا
إنّ الغواني إن رأينك طاوياً … برد الشباب طوين عنك وصالا
وإذا وعدنك نائلاً أخلفنه … ووجدت عند عداتهن مطالا
وإذا دعونك عمّهن فإنّه … نسبٌ يزيدك عندهن خبالا[1]

ولعلقمة الفحل:

فإن تسألوني بالنساء فإنّني … بصيرٌ بأدواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء أو قلّ ماله … فليس له في ودّهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه … وشرخ الشباب عندهن عجيب[2]

ولطفيل الغنوي:

إنّ النساء كأشجار نبتن معاً … منها المرار وبعض النبت مأكول
إنّ النساء وان ينهين عن خلق … فإنّه واجب لابدّ مفعول
لا يصرفنّ لرشد إن دعين له … وهنَّ بعدُ ملائيم مخاذيل[3]

وقال كعب بن زهير في قصيدته في مدح النبي صلى الله عليه وآله التي أولها «بانت سعاد فقلبي اليوم متبول»:

فيالها خلة لو أنّها صدقت … بوعدها أو لو أنّ النصح مقبول
لكنّها خلّة قد سيط من دمها … فجعٌ وولْعٌ وأخلاف وتبديل
فما تدوم على حال تكون بها … كما تلوّن في أثوابها الغول

---

(١) ديوان الأخطل: ٢٤٧.

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٣٤.

(٣) ديوان الغنوي: ٣٤، وذكره النويري في نهاية الارب ٣: ٦٨.

وما تمسك بالعهد الذي زعمت ... إلّا كما يمسك الماء الغرابيل

فلا يغرَّنك ما منَّت وما وعدت ... إنّ الأماني والأحلام تضليل

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً ... وما مواعيدها إلّا الأباطيل[١]

وفي (نوادر نكاح الفقيه) عنه عليه السلام: لا تحملوا الفروج على السروج فتهيجوهن على الفجور[٢].

ومر في ٤ / ٤٢ / «وجهادُ المرأةِ حُسنُ التبعُّلِ»[٣].

وروى (حلية أبي نعيم) إن النبي صلى الله عليه وآله إنصرف من الصبح يوماً فأتى النساء فوقف عليهن فقال: اني قد رأيت انكن أكثر أهل النار فتقرَّبن إلى الله تعالى بما استطعتُنَّ - وفي خبر تصدقن ولو بحليّكنَّ - وكانت امرأة ابن مسعود فيهن، فأخذت حلياً لها فقال لها ابن مسعود: أين تذهبين به؟ قالت: أتقرّب به إلى الله تعالى لعل الله لا يجعلني من أهل النار. فقال: هلمّي تصدّقي به عليّ وعلى ولدي فأنا له موضع. قال: وسئل النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك فقال: لها أجران أجر القرابة وأجر العلاقة[٤].

وفي (المعمرون) لأبي حاتم: عاش شرية الجعفي[٥] ثلاثمائة سنة، وقيل له ما بال ابنك قد خرف وبك بقية. قال: أما والله ما تزوَّجت أمه حتى أتت عليّ سبعون سنة، وتزوجتها سَتيرةً عفيفة إن رضيتُ رأيت ما تقرُّبه عيني وإن

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٣٣.

(٢) الفقيه ٣: ٤٦٨ ح٤٦٢٦.

(٣) راجع الكتاب.

(٤) وهي زينب الثقفية: انظر ترجمتها في حلية الأولياء ٢: ٦٩، وأخرج الحديث «تصدقن ولو من حُليكن» البخاري في الزكاة الحديث ٣٣ و ٤٨ ومسلم في صحيحة في العيدين الحديث ٤ والزكاة الحديث ٤٦ و ٤٧، والترمذي في الزكاة الحديث ١٢، والنسائي في الزكاة الحديث ١٩ و ٨٢، والدارمي في كتاب الصلاة الحديث ٢٣٤، والزكاة الحديث ٢٣.

(٥) هو شرية بن عبدالله بن قليت بن خولي بن ربيعة بن عوف بن معاوية بن ذهل بن مالك بن مريم بن جعفي.

سخطتُ تأتت لي حتى أرضَى، وانَّ ابني تزوّج امرأة فاحشةً بذيّةً إن رأى ما تقربه عينه تعرضت له حتى يَسخَط وان سَخِطَ تَلَغبَّته[١] حتى يهلك[٢].

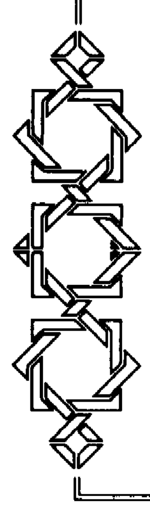
(١) اللغب هو التعب والإعياء.

(٢) المعمّرون لابن حاتم: ٤٩.



# الفصل التاسع والخمسون

# في إبليس





## ١
## الخطبة (٨١)

في خطبة عجيبة:

**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللّهِ الَّذِي أَعْذَرَ بِمَا أَنْذَرَ، وَاحْتَجَّ بما نَهَجَ، وَحَذَّرَكُمْ عَدُوّاً نَفَذَ في الصُّدُورِ خَفِيّاً، وَنَفَثَ في الآذانِ نَجِيّاً، فَأَضَلَّ وَأَرْدَى، وَوَعَدَ فَمَنَّى، وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ الجَرَائِمِ، وَهَوَّنَ مُوبِقَاتِ العَظَائِمِ، حَتَّى إذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ، وَاسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ؛ أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ، وَاسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ، وَحَذَّرَ مَا أَمَّنَ.**

«أُوصيكم بتقوى الله الذي أعذر بما أنذر» ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتي وينذورنكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرّتهم الحياة الدُّنيا﴾[١].

---

(١) الأنعام: ١٣٠.

قال الجوهري: كان ابن عباس يقرأ: ﴿وجاء ٱلمعذرون﴾[1] مخفّفة من أعذر ويقول: والله لهكذا أُنزلت. كان الأمر عنده أنّ المعذّر بالتشديد هو المظهر للعذر اعتلالاً من غير حقيقة له في العذر والمعذر الذي له العذر[2].

«واحتجّ بما نهج» أي: أوضح الطريق: ﴿وأن هـذا صـراطـي مستقيماً فاتَّبعوه ولا تتّبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله﴾[3].

«وحذّركم عدوّاً نفذ في الصُّدور خفيّاً» ﴿يا بني آدم لا يفتنّنكم الشَّيطان كما أَخرج أبويكم ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾[4].

«ونفث في الآذان نجيّا» نفث من باب نصر وضرب، والنفث شبيه بالنفخ، والنجيّ الذي تسارُّه ﴿وإنّ الشياطين ليوحون إلى أَوليائهم ليجادلوكم﴾[5].

هذا، وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: إنّ العبد يوقظ ثلاث مرّات من الليل، فإن لم يقم أتاه الشيطان فبال في أذنه[6].

وفي الخبر: أُوحي إلى موسى عليه السلام: ما لم تسمع بموت إبليس فلاتأ من مكره[7].

وفي الخبر أيضاً: أتى إبليس موسى عليه السلام وهو يناجي ربّه قال: أتطمع

---

(١) التوبة: ٩٠.

(٢) الصحاح للجوهري ٢: ٧٤١.

(٣) الأنعام: ١٥٣.

(٤) الأعراف: ٢٧.

(٥) الأنعام: ١٢١.

(٦) الكافي للكليني ٣: ٤٤٦ ح ١٢.

(٧) في حديث مفصل عن أمير المؤمنين: والرابعة: وذكر (النص)... وقد ذكر في الخصال ١: ١٠٣، ونقل عنه المجلسي في بحار الأنوار ١٣: ٣٤٤ رواية ٢٦.

في هذه الحال. قال: نعم كما طمعت في أبيك آدم[١].

وفي الخبر: أتى عيسى عليه السلام وقد اضطجع وجعل تحت رأسه لبنة فقال: أتطمع فيَّ وليس لي شيء من علائق الدنيا تخدعني به. فقال: بلى مادام لك علاقة بهذه اللَّبنة أطمع فيك؛ فأخذها ورماها[٢].

«فأضلَّ وأردى» أي: أهلك «ووعد فمنى» ﴿وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً* ولأضلّنّهم ولأُمنِّينَّهم﴾[٣].

«وزيّن سيئات الجرائم» ﴿وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾[٤] ﴿لأُزيِّننَّ لهم في الأرض﴾[٥] ﴿وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم فصدَّهم عن السَّبيل فهم لايهتدون﴾[٦].

«وهوَّن موبقات العظائم» أي: مهلكات الذنوب العظيمة ﴿ولآمرنَّهم فليغيرِّنَّ خلق الله﴾[٧].

«حتى إذا استدرج قرينته» أي: أدنى على التدريج صاحبه الذي كان قرينه.

«واستغلق رهينته» أي: صارت الرهينة غلقة عنده لا يقدر صاحبها على فكّها، أي: في حال الاحتضار وما بعده.

«أنكر ما زيّن واستعظم ما هوّن وحذَّر ما أمّنَ» ﴿وقال الشَّيطان لمّا قضي

---

(١) أورد الصدوق في الأمالي بهذا اللفظ: جاء إبليس إلى موسى بن عمران عليه السلام وهو يناجي ربه، فقال له ملك من الملائكة: ما ترجو منه وهو في هذه الحال يناجي به، فقال: أرجوا منه ما رجوت من أبيه آدم وهو في الجنّة: انظر الأمالي: ٣٩٥ ـ ٣٩٦، طبع بنياد بعثت.

(٢) لم نعثر عليه في كتب الحديث وقصص الأنبياء.

(٣) النساء: ١١٨ ـ ١١٩ .

(٤) الأنعام: ٤٣ .

(٥) الحجر: ٣٩.

(٦) النمل: ٢٤ .

(٧) النساء: ١١٩ .

الأمر إنّ الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلّا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيّ إنّي كفرت بما أشركتمون من قبل﴾[١] وفي سورة الحشر ﴿كمثل الشّيطان إذ قال للإنسان اكفر فلمّا كفر قال إنّي بريءٌ منك إنّي أخاف الله ربّ العالمين﴾[٢].

## ٢
## من الخطبة القاصعة (١٩٠)

فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ ٱللهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ وَجَهْدَهُ ٱلْجَهِيدَ، وَقَدْ كَانَ عَبَدَ ٱللهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ لَا يُدْرَى أَمِنْ سِنِي ٱلدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي ٱلْآخِرَةِ عَنْ كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَمَنْ بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى ٱللهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ. كَلاَّ مَا كَانَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ بَشَراً بِأَمْرٍ أَخْرَجَ مِنْهَا مَلَكاً، إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ ٱلْأَرْضِ لَوَاحِدٌ، وَمَا بَيْنَ ٱللهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمًى حَرَّمَهُ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ. فَاحْذَرُوا عِبَادَ ٱللهِ أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ وَأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بِنِدَائِهِ وَأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ، فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ لَكُمْ سَهْمَ ٱلْوَعِيدِ وَأَغْرَقَ لَكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ وَقَالَ: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٣] قَذْفاً بِغَيْبٍ بَعِيدٍ، وَرَجْماً بِظَنٍّ مُصِيبٍ. صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ ٱلْحَمِيَّةِ وَإِخْوَانُ ٱلْعَصَبِيَّةِ وَفُرْسَانُ ٱلْكِبْرِ وَٱلْجَاهِلِيَّةِ، حَتَّى إِذَا ٱنْقَادَتْ لَهُ ٱلْجَامِحَةُ مِنْكُمْ وَٱسْتَحْكَمَتِ

---

(١) إبراهيم: ٢٢.

(٢) الحشر: ١٦.

(٣) الحجر: ٣٩.

الطَّاعِيَةُ مِنْهُ فِيكُمْ. فَنَجَمَتِ ٱلْحَالُ مِنَ السِّرِّ ٱلْخَفِيِّ إِلَى ٱلْأَمْرِ ٱلْجَلِيِّ، ٱسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ وَدَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ. فَأَقْحَمُوكُمْ وَلَجَاتِ الذُّلِّ وَأَحَلُّوكُمْ وَرَطَاتِ ٱلْقَتْلِ وَأَوْطَأُوكُمْ إِثْخَانَ ٱلْجِرَاحَةِ طَعْناً فِي عُيُونِكُمْ وَحَزًّا فِي حُلُوقِكُمْ وَدَقًّا لِمَنَاخِرِكُمْ وَقَصْداً لِمَقَاتِلِكُمْ وَسَوْقاً بِخَزَائِمِ ٱلْقَهْرِ إِلَى النَّارِ المُعَدَّةِ. فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ حَرْجاً وَأَوْرَى فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحاً مِنَ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ وَعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ. فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ وَلَهُ جَدَّكُمْ. فَعَمْرُ ٱللهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَى أَصْلِكُمْ وَوَقَعَ فِي حَسَبِكُمْ وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ وَقَصَدَ بِرَجْلِهِ سَبِيلَكُمْ، يَقْتَنِصُونَكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ، لَا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ ولا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ، في حَوْمَةِ ذُلٍّ وَحَلْقَةِ ضِيقٍ وَعَرْصَةِ مَوْتٍ وَجَوْلَةِ بَلَاءٍ، فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ ٱلْعَصَبِيَّةِ وَأَحْقَادِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّمَا تِلْكَ ٱلْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي المُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ وَنَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ، وَٱعْتَمِدُوا وَضْعَ التَّذَلُّلِ عَلَى رُؤُوسِكُمْ وَإِلْقَاءَ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ وَخَلْعَ التَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ، وَٱتَّخِذُوا التَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ، فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُوداً وَأَعْوَاناً وَرَجْلاً وَفُرْسَاناً.

إلى أن قال:

أَلَا وَقَدْ أَمْعَنْتُمْ فِي ٱلْبَغْيِ وَأَفْسَدْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ، مُصَارَحَةً لِلَّهِ بِالمُنَاصَبَةِ وَمُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالمُحَارَبَةِ، فَاللهَ ٱللهَ فِي كِبْرِ ٱلْحَمِيَّةِ وَفَخْرِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّهُ مَلَاقِحُ ٱلشَّنَآنِ وَمَنَافِخُ ٱلشَّيْطَانِ ٱلَّتِي خَدَعَ بِهَا ٱلْأُمَمَ المَاضِيَةَ وَٱلْقُرُونَ ٱلْخَالِيَةَ، حَتَّى أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ وَمَهَاوِي ضَلَالَتِهِ ذُلُلاً عَنْ سِيَاقِهِ سُلُساً فِي قِيَادِهِ، أَمْراً تَشَابَهَتِ ٱلْقُلُوبُ فِيهِ وَتَتَابَعَتِ

ٱلْقُرونُ عَلَيْهِ، وَكِبْراً تَضَايَقَتِ ٱلصُّدُورُ بِهِ.

أَلَا فَالْحَذَرَ ٱلحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمْ ٱلَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَـنْ حَسَبِهِمْ وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ وَأَلْقَوُا ٱلْهَجِينَةَ عَلَى رَبِّهِمْ وَجَاحَدُوا ٱللّٰهَ عَلَى مَا صَنَعَ بِهِمْ مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ وَمُغَالَبَةً لآلَائِهِ، فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ ٱلْعَصَبِيَّةِ وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ ٱلْفِتْنَةِ وَسُيُوفُ ٱعْتِزَاءِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ، فَاتَّقُوا ٱللّٰهَ وَلَا تَكُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَاداً وَلَا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَّاداً، وَلَا تُـطِيعُوا الأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ وَخَـلَطْتُمْ بِـصِحَّتِكُمْ مَـرَضَهُمْ وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُم بَاطِلَهُمْ، وَهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ وَأَحْلاَسُ الْـعُقُوقِ، اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلاَلٍ وَجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، اسْتِرَاقاً لِعُقُولِكُمْ وَدُخُولاً فِي عُيُونِكُمْ وَنَفْثاً فِـي أَسْمَاعِكُمْ، فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَبْلِهِ وَمَوْطِئَ قَدَمِهِ وَمَأْخَذَ يَدِهِ، فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الأُمَمَ المُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ ٱللّٰهِ وَصَوْلَاتِهِ وَوَقَائِعِهِ وَمَثُلَاتِهِ، وَاتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ، وَٱسْتَعِيذُوا بِاللّٰهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ كَمَا تَسْتَعِيذُونَ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ.

إلى أن قال:

وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَداً مِنَ العَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لِشَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيهَ الْجُهَلاَءِ، أَوْ حُجَّةٍ تَـلِيطُ بِـعُقُولِ السُّـفَهَاءِ غَيْرَكُمْ، فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرٍ مَا يُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ وَلَا عِلَّةٌ، أَمَّا إِبْـلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خِلْقِهِ فَقَالَ أَنَا نَـارِيٌّ وَأَنْتَ طِينِيٌّ، وَأَمَّا الأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الأُمَمِ فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ فَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ، فَإِنْ كَانَ لَابُدَّ مِنَ العَصَبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ وَمَحَامِدِ الأَفْعَالِ وَمَحَاسِنِ الأُمُـورِ

الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا المُجَدَاءُ وَالنُّجَدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ العَرَبِ وَيَعَاسِيبِ القَبَائِلِ بِالأَخْلاَقِ الرَّغِيبَةِ وَالأَحْلاَمِ العَظِيمَةِ وَالأَخْطَارِ الجَلِيلَةِ وَالآثَارِ المَحْمُودَةِ. فَتَعَصَّبُوا لِخِلاَلِ الحَمْدِ مِنَ الحِفْظِ لِلْجِوَارِ وَالْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ وَالمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ وَالأَخْذِ بِالْفَضْلِ وَالكَفِّ عَنِ البَغْيِ وَالاِعْظَامِ لِلْقَتْلِ وَالإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ وَالكَظْمِ لِلْغَيْظِ وَاجْتِنَابِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ.

وَاحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ المَثُلاَتِ بِسُوءِ الأَفْعَالِ وَذَمِيمِ الأَعْمَالِ فَتَذَكَّرُوا فِي الخَيْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ، وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ. فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالَيْهِمْ فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ العِزَّةُ بِهِ شَأْنَهُمْ وَزَاحَتِ الأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ وَمُدَّتِ العَافِيَةُ فِيهِ عَلَيْهِمْ وَانْقَادَتِ النِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ وَوَصَلَتِ الكَرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلَهُمْ مِنَ الاِجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ وَاللُّزُومِ لِلأُلْفَةِ وَالتَّحَاضِّ عَلَيْهَا وَالتَّوَاصِي بِهَا، وَاجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ وَأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ؛ مِنْ تَضَاغُنِ القُلُوبِ وَتَشَاحُنِ الصُّدُورِ وَتَدَابُرِ النُّفُوسِ وَتَخَاذُلِ الأَيْدِي، وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ المَاضِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمْحِيصِ وَالبَلاَءِ. أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الخَلْقِ أَعْبَاءً وَأَجْهَدَ العِبَادِ بَلاَءً وَأَضْيَقَ أَهْلِ الدُّنْيَا حَالاً. اتَّخَذَتْهُمُ الفَرَاعِنَةُ عَبِيداً فَسَامُوهُمْ سُوءَ العَذَابِ وَجَرَّعُوهُمُ المُرَارِ، فَلَمْ تَبْرَحِ الحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الهَلَكَةِ وَقَهْرِ الغَلَبَةِ لاَ يَجِدُونَ حِيلَةً فِي امْتِنَاعٍ وَلاَ سَبِيلاً إِلَى دِفَاعٍ. حَتَّى إِذَا رَأَى اللهُ جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى الأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ وَالاِحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ؛ جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَائِقِ البَلاَءِ فَرَجاً، فَأَبْدَلَهُمُ العِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ وَالأَمْنَ مَكَانَ الخَوْفِ، فَصَارُوا مُلُوكاً حُكَّاماً وَأَئِمَّةً أَعْلاَماً، وَقَدْ بَلَغَتِ الكَرَامَةُ مِنَ اللهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَبْلَغِ

الآمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ.
فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ الأَمْلَاءُ مُجْتَمِعَةً وَالأَهْوَاءُ مُتَّفِقَةً وَالْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً وَالأَيْدِي مُتَرَادِفَةً وَالسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً وَالْبَصَائِرُ نَافِذَةً وَالْعَزَائِمُ وَاحِدَةً، أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَاباً فِي أَقْطَارِ الأَرَضِينَ وَمُلُوكاً عَلَى رِقَابِ العَالَمِينَ؟ فَانْظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ حِينَ وَقَعَتِ الفُرْقَةُ وَتَشَتَّتِ الأُلْفَةُ وَاخْتَلَفَتِ الكَلِمَةُ وَالأَفْئِدَةُ، تَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ، قَدْ خَلَعَ اللهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعمَتِهِ وَبَقِيَ قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ.

«فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس» قال الجوهري: كان اسم إبليس عزازيل، وسُمّي إبليس من قولهم: أبلس من رحمة الله. أي: يئس[1].

«إذ أحبط عمله الطويل» أي: أبطله، قيل: الأصل في الإحباط أن يذهب ماء الركية فلا يعود كما كان.

«وجهده الجهيد» الجهد بالفتح من قولهم إجهدْ جهدك، أي: أُبلغ غايتك، وأمّا بالضم فبمعنى الطاقة.

«وقد كان عبد الله ستة آلاف سنة» وروى القمي في (تفسيره) عن الصادق عليه السلام: ركع ركعتين في السماء في أربعة آلاف سنة[2].

«لا يُدرى أمن سنيّ الدنيا أم من سنيّ الآخرة» قال (ابن ميثم) لا يدرى في نسخة الرضي بالبناء للفاعل وفي غيرها للمفعول[3].

ثم ان (ابن أبي الحديد) قال: في سني الآخرة آيات ﴿تعرج الملائكة

---

(١) الصحاح للجوهري ٢: ٩٠٩ مادة (أَبْلَسَ).

(٢) تفسير القمي ١: ٤٢.

(٣) شرح ابن ميثم، شرح نهج البلاغة ٤: ٢٤٧.

والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾[١] و ﴿يدبّر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة﴾[٢] و ﴿إنّ يوماً عند ربك كألف سنة ممّا تعدّون﴾[٣] والمراد بالأولى: مدّة عمر الدّنيا، أي: تعرج الملائكة والروح بأعمال البشر طول هذه المدة، وبالأخيرتين: كمية أيام الآخرة، وهو أنّ كلّ يوم منها مثل ألف سنة من سنيّ الدّنيا[٤].

وقال عليه السلام: قوله تعالى في موضع ﴿مقداره خمسين ألف سنة﴾ وفي آخر ﴿مقداره ألف سنة﴾ إشارة إلى تفاوت تلك الأزمنة الموهومة بشدة أهوال أحوال الآخرة وضعفها وطولها وقصرها، وسرعة حساب بعضهم وخفّة ظهرها وثقل أوزار قوم آخرين وطول حسابهم، كما روي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿في يوم كن مقداره خمسين ألف سنة﴾ هو يوم القيامة جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة[٥].

وعن أبي سعيد الخدري: قيل للنبي صلى الله عليه وآله يوم ﴿كان مقداره خمسين ألف سنة﴾[٦] ما أطول هذا اليوم؟ فقال: والذي نفسي بيده إنّه ليخفّ على المؤمن حتى يكون أخفّ عليه من صلاة مكتوبة يصلّيها في الدّنيا[٧].

وقال الشيخ في (التبيان) في قوله تعالى ﴿يدبّر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة ممّا تعدون﴾[٨] في سورة

---

(١) المعارج: ٤.

(٢) السجدة: ٥.

(٣) الحج: ٤٧.

(٤) شرح ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١٣: ١٣٣.

(٥) تفسير ابن عباس: ٤٨٥.

(٦) المعارج: ٤.

(٧) الطبرسي، مجمع البيان ٦: ٥٤.

(٨) السجدة: ٥.

آلم السجدة، قال ابن عباس والضحّاك: معناه يوم كان مقداره لو ساره غير الملك ألف سنة ممّا يعدّه البشر، وقيل معناه خمسمائة عام نزول وخمسمائة صعود فذلك ألف سنة، وقال قوم: يجوز أن يكون يوم القيامة يوماً له أول وليس له آخر وقته أوقات يسمّى بعضها ألف سنة وبعضها خمسين ألف سنة، وقيل ان معنى ﴿وإن يوماً عند ربّك كألف سنة ممّا تعدُّون﴾[١] إنّه فعل في يوم واحد من الأيام الستة التي خلق فيها السماوات والأرض ما لو كان يجوز أن يفعله غيره لمّا فعله إلّا في ألف سنة، وقيل: إنّ معناه أنّ كلّ يوم من الأيام الستة التي خلق فيها السماوات كألف سنة من أيام الدّنيا[٢].

وقال في قوله: ﴿وإنّ يوماً عند ربّك كألف سنة ممّا تعدّون﴾ في سورة الحج: قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة: يوم من أيام الآخرة كألف سنة من أيام الدّنيا ...[٣].

وفي (تفسير القمي) في قوله تعالى: ﴿ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإنّ يوماً عند ربّك كألف سنة ممّا تعدون﴾[٤] - في الحج: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أخبرهم ان العذاب قد أتاهم فقالوا ابن العذاب استعجلوه، فقال تعالى: ﴿وان يوماً عند ربك كألف سنة ممّا تعدون﴾[٥].

وفي قوله تعالى: ﴿الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم آستوى على العرش مالكم من دونه من وليٍ ولا شفيع أفلا تتذكّرون* يدبّر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره

---

(١) الحج: ٤٧.

(٢) التبيان للطوسي ٨: ٢٩٤ ـ ٢٩٥.

(٣) التبيان للطوسي ٧: ٣٢٦.

(٤) الحج: ٤٧.

(٥) تفسير القمي ٢: ٨٨.

ألف سنة ممّا تعدّون﴾[١].

في السجدة، يعني الأمور التي يدبرها والأمر والنهي الذي أمر به وأعمال العباد، كل هذا يظهر يوم القيامة فيكون مقدار ذلك اليوم ألف سنة من سني الدّنيا.

وقال في: ﴿تعرج الملائكة والروح﴾[٢] في صبح ليلة القدر «إليه» من عند النبي والوصي.

وقال في: ﴿يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ في القيامة خمسين موقفاً كلّ موقف ألف سنة.

وروى الكليني والشيخان، في أماليِّيهما مسنداً عن حفص بن غياث عن الصادق عليه السلام: إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربّه شيئاً إلّا أعطاه فلييأس من الناس كلّهم ولا يكون له رجاء إلّا عند الله تعالى، فإذا علم تعالى ذلك من قلبه لم يسأل الله شيئاً إلّا أعطاه، فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها، فإنّ للقيامة خمسين موقفاً كلّ موقف مقداره ألف سنة ثم تلا ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾[٣].

قال (ابن أبي الحديد): إذا كانت عبادة إبليس ستة آلاف من سنيّ الآخرة ـ وسنتها ألف سنة ـ يكون الحاصل ألفي ألف ألف سنة ومائة وستون ألف ألف، وإن كانت سنتها خمسين ألفاً يكون الحاصل ثمانية عشر ألف ألف ألف[٤].

«عن كبر ساعة واحدة» متعلّق بقوله عليه السلام «أحبط».

---

(١) السجدة: ٤ ـ ٥.

(٢) المعارج: ٤.

(٣) الكافي للكليني ٢: ٤٨ ح ٢، وأمالي الطوسي: ٣٤ ح ٧، والأمالي للمفيد: ١٩٥.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٣٣.

«فمن بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته» وفي (ابن أبي الحديد): فمن ذا....

«كلاّ ما كان الله سبحانه ليدخل الجنة بشراً بأمر أخرج به منها ملكاً» الباء في «بأمر» للمصاحبة وفي «به» للسببية، أي: إذا كان الكبر سبباً للإخراج من الجنة لا يمكن إدخالها معه[١].

«إنّ حكمه في أهل السماء والأرض لواحد» فما لم يرتضه من الملك لم يرتضه من البشر.

«وما بين الله وبين أحد من خلقه هوادة» أي: صلح وميل.

«في إباحة حمًى» بالكسر فالفتح، أي موضع محظور لا يقرب. وفي الخبر «لا حمًى إلّا لله ولرسوله»[٢].

«حرمه على العالمين» فلا استثناء فيه.

«فاحذروا عباد الله» هكذا في (الطبعة المصرية)[٣]، ولكن في (ابن ميثم)[٤] «فاحذروا عدو الله». وفي (ابن أبي الحديد)[٥] و(الخوئي)[٦] «فاحذروا عباد الله عدوّ الله».

«أن يعديكم بدائه» قال الجوهري: العدوى ما يعدى من جرب أو غيره - أي يجاوز من صاحبه إلى غيره[٧].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) ذكره البخاري في صحيحه ٣: ١٤٨ وأحمد في مسنده ٤: ٧١، والبيهقي في سننه ٩: ١٤٧.

(٣) انظر النسخة المصرية: ٤٢٠.

(٤) شرح ابن ميثم ٤: ٢٤٢.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٣٦.

(٦) راجع الخوئي في شرحه ١١: ٣٨١.

(٧) الصحاح للجوهري ٦: ٢٤٢١، مادة (عدا).

قال ابن أبي الحديد «ان يعديكم» بدل من «عدو الله»(١)، وقال الراوندي: يجوز أن يكون مفعولاً ثانياً، وليس بصحيح لأن «حذرت» لا يتعدّى إلى المفعولين(٢).

قلت: يمكن أن يكون مفعوله الثاني بنزع الخافض، والأصل «من أن يعديكم بدائه» وحذف الجار من أن وان قياسي.

في (عيون القتيبي): خطب سلمان إلى عمر فاجمع على تزويجه فشقّ ذلك على عبدالله بن عمر فشكاه إلى عمرو بن العاص فقال: أنا أردّه عنك. فقال: إن رددته بما يكره أغضبتَ إياه. قال: عليَّ أن أردّه عنك راضياً، فأتى سلمان فضرب بين كتفيه بيده ثم قال: هنيئاً لك أبا عبدالله هذا عمر يتواضع بتزويجك. فالتفتَ إليه مغضباً وقال: أبي يتواضع والله لا أتزوَّجها أبداً(٣).

قلت: فعل ذلك عمر على لسان ابنه، وابنه كان معروفاً بالضعة.

وروى محمد بن عمرو الكشّي أنَّ سلمان خطب إلى عمر فرده، ثم ندم فعاد إليه فقال له سلمان: إنّما أردت أن أعلم ذهبت حميّة الجاهلية عن قلبك أم هي كما هي(٤).

«وأن يستفزّكم بندائه» «وان يجلب عليكم بخيله ورجله» هكذا في (الطبعة المصرية) ولكن في ابن أبي الحديد وابن ميثم والخوئي والخطية(٥)

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٣٦.

(٢) ذكر القطب الراوندي «ان يعديكم» محله نصب على انه بدل من عدو اللّه أو مفعول ثانٍ من العدوى وهو ما يعدي من جرب أو غيره، القطب الراوندي منهاج البراعة ٢: ٢٣٧.

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٢٦٨.

(٤) الكشي: ١٥.

(٥) انظر النسخة المصرية: ٤٢٠، وابن أبي الحديد ١٣: ١٣٦، وابن ميثم ٤: ٢٨٦، والخوئي ١١: ٢٨١، والنسخة الخطية للمرعشي: ١٨١.

«وان يستفزكم بخيله ورجله» وقد عرفت في أوّل الكتاب أنّ المعتبر نسخة ابن أبي الحديد وابن ميثم لاسيما الثاني الذي نسخته بخط المصنف، والظاهر ان ما في (الطبعة المصرية) كان حاشية أخذاً من قوله تعالى: ﴿واستفزز من آستطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾[1] خلطت بالمتن.

وكيف كان؛ فاستفزّه أي: استخفّه، وأجلب على فرسه؛ أي: صاح به من خلفه واستحثه للسبق، والخيل هنا مثل الآية بمعنى الفرسان كالرجل الرجالة، وأمّا في قوله تعالى: ﴿والخيل وآلبغال والحمير﴾[2] فالأفراس[3].

وعن الصادق عليه السلام: إذا أخذ القوم في المعصية فإن كانوا ركباناً كانوا من خيل إبليس، وإن كانوا رجالاً كانوا من رجالته[4].

«فلعمري لقد فوّق لكم سهم الوعيد» قال ابن أبي الحديد فوّقت السهم جعلت له فوقاً وهو موضع الوتر، ولا يجوز أن يفسّر بأنه وضع الفوق في الوتر ليرمي به، لأن ذلك لايقال فيه: «فوق» بل يقال: «أفقت السهم وأوفقته» ولا يقال: أفوقته وهو من النوادر[5].

قلت: أخذ ما قاله عن (الصحاح)، فقال: الفوق موضع الوتر من السهم والجمع أفواق وفوق، تقول فُقْتُ السّهمَ فانفاقَ، أي: كسرت فوقه فانكسر، وفوّقته؛ أي: جعلت له فوقاً[6]، وأفقت السّهم؛ أي: وضعت فوقه في الوتر لأرمي به، وأوفقته أيضاً ولا يقال: أفوقته وهو من النوادر. إلّا أنّ ابن دريد قال:

---

(١) الاسراء: ٦٤.

(٢) النحل: ٨.

(٣) التبيان للطوسي ٦: ٤٩٩.

(٤) ثواب الأعمال للصدوق ٢: ٣٠٧ ح٣.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ١٣٩.

(٦) الصحاح للجوهري ٤: ١٥٤٦ مادة (فوق).

فوَّقت السهم تفويقاً إذا جعلت الوتر في فوقه، وفقته إذا جعلت له فوقاً. وهو الصحيح كما يشهد له سياق كلامه عليه السلام.

«وأغرق لكم بالنزع الشديد» وفي حد «وأغرق إليكم»[1]، وكيف كان: فالمراد انته استوفى نزع القوس، أي: مدّها، فيكون وقع سهمه أشد.

«ورماكم من مكان قريب» فلابدّ من إصابة سهمه، وإنّما قد يخطئ البعيد قالوا وقرب مكانه لأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم كما في الخبر[2] قاله ابن أبي الحديد وتبعه (ابن ميثم والخوئي)[3].

قلت: ويمكن أن يكون المراد أنّه يخدعهم من طريق ينخدعون له كما خدع آدم وحواء فأقسم لهما إنّه لهما لمن الناصحين ويخدع بنيهما بالتزيّن لهم في الأرض، والمخادع إذا دخل من باب يليط بقلب من يريده انخدع له ولو تفطن لخدعته، فكيف إذا لم يتفطن.

ففي غزوة الأحزاب - بعد قرب قريش من المدينة - جاء حيُّ بن أخطب إلى بني قريظة في جوف الليل - وكانوا في حصنهم قد تمسّكوا بعهد النبي صلى الله عليه وآله - فدقّ باب الحصن فسمع كعب بن أسد قرع الباب، فقال لأهله: هذا أخوك قد شأم قومه وجاء الآن يشأمنا ويهلكنا ويأمرنا بنقض العهد بيننا وبين محمّد، فنزل إليه وقال له: من أنت؟ قال: حيُّ بن أخطب جئتك بعزّ الدهر. قال: بل جئتني بذلّ الدهر. فقال: يا كعب هذه قريش في قادتها وسادتها قد نزلت بالعقيق مع حلفائهم وكنانة، وهذه فزارة مع قادتها وسادتها قد نزلت الزغابة، وهذه سليم وغيرهم قد نزلوا حصن بني ذبيان، ولا يفلت محمد

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٣٦.

(٢) بحار الأنوار ٦٠: ٢٦٨ حديث عن الرسول صلى الله عليه وآله.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٣٩ وشرح ابن ميثم ٤: ٢٨٥، وشرح الخوئي ١١: ٢٨٦.

وأصحابه من هذا الجمع أبداً فافتح الباب. فقال له: لست بفاتح. إرجع من حيث شئت فقال حيٌّ: ما يمنعك من فتح الباب إلّا خسيستك التي في التنور تخاف أن أشركك فيها، فافتح فإنّك آمن من ذلك. فقال له كعب: لعنك الله! دخلت من باب دقيق، إفتحوا الباب.... ويشهد لمّا قلنا قوله عليه السلام بعد «فقال...»[١].

﴿قال ربِّ بما أغويتني لأزيّننَّ لهم في الأرض ولأُغوينَّهم أَجمعين﴾[٢] وفي سورة الأعراف ﴿قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينّهم من بين أَيديهم ومن خلفهم وعن أَيمانهم وعن شمائلهم ولا تجدُ أَكثرهم شاكرين﴾[٣] ومعنى قوله «أغويتني» كلفتني تكليفاً أدّى إلى غوايتي.

«قذفاً بغيب بعيد» قال ابن أبي الحديد إنتصب قذفاً وكذا رجماً بعد على المصدر الواقع موقع الحال[٤]، وقال الراوندي: إنّهما مفعول له، وليس بصحيح، لأنّهما ليسا بعلّة[٥].

قلت: وما ذكره هو أيضاً من كونهما حالاً بمعنى قاذفاً وراجماً أيضاً غير معيّن، بل الظاهر كونهما على أصلهما ونصبهما على المفعول المطلق النوعي، أي قال قولاً قذفاً ورجماً.

والأصل في القذف؛ الرمي[٦]، قال تعالى: ﴿ويقذفون بالغيبِ من مكان بعيد﴾[٧].

---

(١) تاريخ الامم والملوك للطبري ٢: ٩٣ (دار الكتب العلمية).

(٢) الحجر: ٣٩.

(٣) الأعراف: ١٦ ـ ١٧.

(٤) انظر شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٤١.

(٥) انظر الراوندي ٢: ٢٤١ ـ ٢٤٢.

(٦) الصحاح للجوهري ٤: ١٤١٤ مادة (قذف).

(٧) سبأ: ٥٣.

«ورجماً بظن مصيب» نقله (ابن أبي الحديد): بظن غير مصيب، وقال وروي بظن مصيب وقال ابن ميثم في نسخة الرضي «بظن مصيب»[١] وفي أكثر النسخ غير مصيب.

قلت: لم أفهم معنى القائه التعارض بين نسخة المصنف ونسخ غيره، فإنّ غيرها لو كانت مائة لا تقاوم نسخته لكونها الأصل في الكتاب، وإنّما يمكن الخدش في نقل المصنف بالوقوف على مستنده وعدم مطابقة نقله له.

قال ابن ميثم كونه رجماً بظن غير مصيب هو المناسب لقوله قبل «بغيب بعيد» لأنّ ما يقال عن غيب بعيد قلما يصيب ظنّه[٢].

قلت: إذا كان قذفه بغيب بعيد في قوله: ﴿لأُزيّننَّ لهم في الأرض ولأُغويّنهم﴾[٣] وكان ذاك قذفاً صحيحاً كما قال تعالى: ﴿ولَقَد صَدَّقَ عليهم إبليس ظَنَّهُ فاتَّبعوه﴾[٤] وقال عليه السلام «صدقه به ابناء الحمية...» لم يصحّ ما قال.

وبالجملة قذف إبليس هذا ورجمه كان صواباً، فلم يقال بظن غير مصيب، وإن كان الغالب على الظن في غيره الخطأ كما في إنكار الكفّار الصانع والبعث ظنّاً.

«صدّقه به أبناء الحميّة» أي: الأنفة عن الانقياد للحق.

«واخوان العصبية» الذين يعينون قومهم على الظلم.

وعن النبي صلى الله عليه وآله: من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من عصبية بعثه الله تعالى مع أعراب الجاهلية[٥].

---

(١) انظر شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٤١ وشرح ابن ميثم ٤: ٢٥١، النسخة الخطية، «بظن مصيب»: ١٨١ (المرعشي).

(٢) شرح ابن ميثم ٤: ٢٥١.

(٣) الحجر: ٣٩.

(٤) سبأ: ٢٠.

(٥) الكليني، الأصول ٢: ٣٠٨ ح٣، وأورده الصدوق، ثواب الأعمال وعقابها ٢: ٢٦٤ ح٥.

وعن الصادق عليه السلام: من تعصب عمّمه الله تعالى بعمامة من نار[1].

«وفرسان الكبر والجاهلية» قالوا: كان جذيمة الأبرش لا ينادم أحداً ذهاباً بنفسه وينادم الفرقدين، فإذا شرب قدحاً صبّ لهذا قدحاً ولهذا قدحاً[2]، وكان عامر بن عامر مزِّيقاً يلبس كلّ يوم حلّتين ويمزّقهما غداً يكره أن يعود فيهما ويأنف أن يلبسهما غيره.

«حتى إذا انقادت له الجامحة منكم» الجموح: الذي يركب هواه فلا يمكن ردّه، والأصل فيه الدّابّة.

«واستحكمت الطماعيّة» بالتخيف مصدر (طمع) كالطماعة.

«فنجمت الحال» أي: ظهرت وطلعت.

«من السرّ الخفيّ إلى الأمر الجليّ» وفي الخبر عن أبي جعفر عليه السلام: كان قوم لوط أفضل قومٍ خلقهم الله تعالى فطلبهم إبليس الطّلب الشديد، وكانوا إذا خرجوا إلى العمل خرجوا بأجمعهم وكانوا إذا رجعوا خرب إبليس ما يعملون، فقال بعضهم لبعض: نرصد هذا الذي يخرّب متاعنا، فرصدوه فإذا هو غلام أحسن ما يكون من الغلمان، فقالوا له: أنت الذي تخرّب متاعنا. قال: نعم. فاجتمع رأيهم على أن يقتلوه، فبيّتوه عند رجل، فلمّا كان الليل صاح فقال: مالك؟ قال: كان أبي ينوّمني على بطنه، فنوّمه على بطنه فلم يزل يدلك الرجل حتى علمه أن يعمل بنفسه، فأوّلا عمله إبليس والثانية عمله هو، ثم انسلّ ففر منهم فأصبحوا فجعل الرجل يخبرهم بما فعل الغلام ويعجبهم منه شيئاً لا يعرفونه، فوضعوا أيديهم فيه حتى اكتفى الرجال بعضهم ببعض، ثم جعلوا يرصدون مارّ الطريق، ثم تركوا نساءهم وأقبلوا على الغلمان، فلمّا رأى إبليس

---

(١) الكافي للكليني ٢: ٣٠٨ ح ٤ وأورده الصدوق بلفظ «عصبه الله بعصابة» انظر ثواب الأعمال وعقابها ٢: ٢٦٣ ح ٣.

(٢) والفرقدان هما مالك وعقيل: انظر الكامل ٣: ١٢٤.

أنّه قد أحكم أمره في الرجال دار إلى النساء فصيّر نفسه امرأة ثم قال رجالكن يفعل بعضهم ببعض. قالوا: نعم قد رأينا ذلك ويعظهم لوط، فعلّمهنَّ السحق حتى اكتفت النساء بالنساء ـ إلى أن قال: قال لوط لجبرئيل وميكائيل وإسرافيل: بِمَ أمركم ربّي فيهم؟ قال أمرنا أن نأخذهم بالسَّحر. قال: تأخذونهم الساعة. قالوا: ﴿إنّ موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب﴾[1]. ـ إلى أن قال ـ: وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾[2] من ظلمة أُمتك إن عملوا ما عمل قوم لوط[3].

وفي خبر عنه عليه السلام: اللّواط ما دون الدبر، والدبر هو الكفر[4].

«استفحل سلطانه عليكم» روى (الخصال) عن الصادق عليه السلام، أن إبليس يقول لجنوده: إذا استمكنت من ابن آدم في ثلاث: إذا استكثر عمله ونسي ذنبه ودخله العجب؛ لم أبال بما عمل فإنّه غير مقبول منه[5].

هذا و «استفحل» جواب لقوله: «إذا انقادت».

«ودلف» أي: تقدم.

«بجنوده نحوكم» روى (الفقيه) عن الباقر عليه السلام أنّ إبليس إنّما يبثّ جنود ليله من حين تغيب الشمس إلى مغيب الشفق، ويبث جنود نهاره من حين يطلع الفجر إلى مطلع الشمس، وكان النبي ﷺ يقول: أكثروا ذكر الله تعالى في هاتين الساعتين، وتعوّذوا بالله تعالى من شر إبليس وجنوده، وعوّذوا

---

(١) هود: ٨١.

(٢) هود: ٨٣.

(٣) الكافي للكليني ٥: ٥٤٤ ح٥، وكذا الصدوق في ثواب الأعمال وعقابها ٢: ٢١٦ ح١، ونقله نعمة الله الجزائري في قصص الأنبياء: ١٦١.

(٤) عن أمير المؤمنين عليه السلام أخرجه الكليني ٥: ٥٤٤ ح٣.

(٥) الخصال ١: ١١٢ ح٨٦.

صغاركم في هاتين الساعتين فإنّهما ساعتا غفلة[١].

«فأقحموكم ولجات الذلّ» أي: أدخلوكم قهراً كإدخال الراكب مركوبه مداخل الذلّة.

«وأحلّوكم ورطات القتل» أي: أنزلوكم مهالك مؤدّية إلى القتل.

«وأوطأوكم إثخان الجراحة» أي: إكثارها، قال ابن أبي الحديد يعني جعلوكم واطئين لذلك[٢].

قلت: بل يعني جعلوكم موطئين للإثخان كما في قولك أوطأته دابتي، فالدابة واطئة والخصم موطوء، وكون الإثخان واطئاً لهم استعارة من قبيل قوله تعالى ﴿فصب عليهم ربّك سوط عذاب﴾[٣].

مع ان على قول ابن أبي الحديد: لا معنى للكلام، فإذا كانوا واطئين للإثخان أيُّ نقص في ذلك حتى يكون من قبيل «فأقحموكم ولجات الذل وأحلّوكم ورطات القتل».

هذا، وأغرب الخوئي[٤] فقال «اثخان» مفعول أول «لأوطؤكم» كما في قولك أعطيت درهماً زيداً أي جعلوا اثخان الجراحة واطئاً لهم، لا أنّه جعلهم واطئين له على أنّه مفعول ثان كما توهّم (ابن أبي الحديد) فإنّه لا ريب في أنّ «كم» مفعول أول وأنّ المعنى عليه جعل الاثخان واطئاً لهم[٥].

هذا، وفي (الجمهرة) الوطو يهمز ولا يهمز «وطيت» و «وطئت»[٦].

---

(١) الفقيه ١: ٥٠١ ح١٤٤٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٤٢.

(٣) الفجر: ١٣.

(٤) شرح الخوئي ١١: ٢٨٤.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٤٢.

(٦) جمهرة اللغة لابن دريد ١: ٤٦.

«**طعناً في عيونكم**» أي: يعمونكم لأن الطعن في العين يوجب عماها.

«**وحزّاً في حلوقكم**» وحزّ الحلق أي: قطعه يوجب الهلاك.

«**ودقّاً لمناخركم**» أي: أنوفكم.

«**وقصداً لمقاتلكم**» مقاتل الإنسان المواضع التي إذا أصيبت قتلته.

«**وسوقاً لخزائم القهر إلى النّار المعدّة لكم**» قال الجوهري: الخزامة حلقة من شعر تجعل في وترة أنف البعير يشدُّ بها الزمام، ويقال لكل مثقوب: مخزوم[1].

قال ابن أبي الحديد نسبته عليه السلام الطعن إلى العيون، والحزّ ـ وهو الذبح ـ إلى الحلوق، والدقّ ـ وهو الصدم الشديد ـ إلى المناخر من صناعة الخطابة التي علّمها الله تعالى إيّاه بلا تعليم، وتعلّمها الناس كلّهم بعده منه عليه السلام. وقال أيضاً: طعناً وحزّاً ودقّاً وقصداً وسوقاً مفعول مطلق والعامل فيها محذوف، ومن روى «وأوطأوكم لاثخان الجراحة» يجعلها مفعولاً به. وينبغي أن يكون «قصداً وسوقاً» خالصين للمصدرية، لأنّه يبعد أن يكون مفعولاً به[2].

وقال الخوئي يجوز جعل الخمسة مفعولاً مطلقاً، وأن يكون طعناً وحزّاً ودقّاً بدلاً من اثخان وقصداً وسوقاً مفعولاً مطلقاً[3].

قلت: يرد على كلّ منهما أنّ التفريق بين الخمسة غلط لأن الكلّ على سياق واحد، وعلى الأول انّه لا معنى لجعلها مفعولاً بها لاوطأوكم، فأي معنى أن يقال «أوطأكم طعناً في عيونكم» الخ. وعلى الثاني أيضاً ذلك بجعل الثلاثة بدلاً من «اثخان».

---

(١) الصحاح للجوهري ١٥: ١٩١١ مادة (خزم)، وفي الكتاب العين: الخزامة، بُرَةٌ في أنف الناقة يُشدُّ فيها الزِّمامُ ٤: ٢١٢ مادة (خزم).

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٤٣.

(٣) شرح الخوئي ١١: ٢٨٤.

ثم إنّه لم يتعيّن كونها مفعولات مطلقات، فيحتمل كونها تميّزات أو حالات على كون المصدر بمعنى اسم الفاعل أو مفعولاً لها لأوطأوكم وأحلّوكم وأقحموكم.

«فأصبح أعظم في دينكم جرحاً» أصبح من الأفعال الناقصة، واسمه ضمير إبليس، و «أعظم» خبره وهو اسم تفضيل كالمعطوف عليه «وأورى» بقرينة قوله بعد «من الذين...». ويجوز أن يكون «أعظم» كمعطوفه حالاً مغنياً عن الخبر كقولهم «أخطب ما يكون الأمير إذا كان قائماً»، وهو الأقرب معنى، قال تعالى: ﴿ولقد أضلَّ منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون﴾[1].

«وأورى في دنياكم قدحاً» أي: أوقد فيها ناراً، وإحراق إبليس لدنياهم فضلاً عن دينهم لأنّ من يتعرّض بلا سبب للمعارضة مع الناس ويتبع العصبيات لابدّ أن يصرف أمواله بلا فائدة ولا يفرغ لتحصيل عائدة فتصير دنياه أيضاً بائدة.

وقال ابن أبي الحديد: إن قيل هل يفسد إبليس أمر الدنيا كالدين[2]؟ قلت: نعم، ألا ترى إذا أغرى السارق بالسرقة أفسد حال السارق من جهة الدين والمسروق من جهة الدنيا، وكذلك القول في الغصب والقتل.

قلت: هو كما ترى، فإنّه عليه السلام خاطب المطيعين لإبليس بإفساده لدنياهم، والمسروق منه والمغصوب منه والمقتول يمكن أن يكون من الأنبياء والأولياء ليس لابليس عليهم سبيل.

«من الذين» متعلق باسم التفضيل «أعظم» و «أورى».

«أصبحتم لهم مناصبين» من «ناصبته الحرب».

---

(١) يس: ٦٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٤٣.

«**وعليهم متألّبين**» أي: مجتمعين.

وإنّما كان إبليس أفسد لدنياهم ممّن كانوا يحاربونهم لأنّهم لم تكن لم عداوة ثابتة بل عصبية وجهالة، فقالوا في سبب خطبته عليه السلام: إنّ في آخر خلافته: لمّا تضعضع أمر حكومته عليه السلام أخيراً بالخوارج وغارات معاوية ـ وكذلك حال الغوغاء والعامة عند ضعف الدول ـ يخرج الرجل من قبيلته فيمرّ بقبيلة أُخرى فينادي باسم قبيلته عالياً قصداً لإثارة الشرّ فيتألب عليه فتيان الحيّ الذي مرَّ عليهم[١].

«**فاجعلوا عليه حدكم**» أي: بأسكم وشدتكم.

«**وله جدكم**» أي: سعيكم واجتهادكم.

«**فوالله لقد فخر على أصلكم**» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: لمّا مات آدم شمت به إبليس وقابيل فاجتمعا في الأرض فجعلا المعازف والملاهي شماتة بآدم، فكل ما كان في الأرض من هذا الضرب الذي يتلذذ به الناس فإنّما هو من ذاك[٢].

«**ووقع في حسبكم ودفع في نسبكم**» قال الأزهري: الحسب مأخوذ من الحساب وهو عدّ المناقب، لأنّهم كانوا إذا تفاخروا حسب كلّ واحد مناقبه ومناقب آبائه[٣].

وقال ابن السِّكّيت: الحسب والكرم يكونان في الرجل وان لم تكن له آباء شرف، والشرف والمجد لا يكونان إلّا بالآباء[٤]. يشهد له قول الشاعر:

ومن كان ذا نسب كريم ولم يكن له حسب كان اللئيم المذمما

---

(١) انظر مروج الذهب للمسعودي فقد ذكر وصفاً لهذه الظاهرة ٢: ٤١٨.

(٢) الكافي للكليني، أخرجه عن سماعة ٦: ٤٣١ح٣.

(٣) الصحاح للجوهري ١: ١١٠.

(٤) المصدر نفسه.

ففرّق بين الحسب والنسب.

وكيف كان قال تعالى ﴿قال ما منعك ألّا تسجد إذ أمرتك قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طينٍ﴾[١].

«وأجلب بخيله عليكم» قال: ﴿فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم* ثم لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾[٢].

وعن شقيق البلخي[٣]: ما من صباح إلّا قعد لي الشيطان على أربعة مراصد من بين يديَّ ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي، أمّا من بين يديّ فيقول: لا تخف فإنّ الله غفور رحيم فأقرأ ﴿وإنّي لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾[٤]، وأمّا من خلفي فيخوّفني الضّيعة على مخلفي فأقرأ ﴿وما من دابّة في الأرض إلّا على الله رزقها﴾[٥]، واما من قبل يميني فيأتيني من جهة الثناء فأقرأ ﴿والعاقبة للمتقين﴾[٦]، وأمّا من قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فأقرأ ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾[٧].

(يقتنصونكم بكلّ مكان) أي: يصيدونكم.

روى (المحاسن) عن الصادق عليه السلام: أنّ إبليس ظهر ليحيى عليه السلام وإذا

---

(١) الأعراف: ١٢.

(٢) الأعراف: ١٦ ـ ١٧.

(٣) هو أبو علي البلخي ترجم له ابن نعيم في حلية الأولياء ٦: ٥٨ برقم (٤٠٣) وترجم له ابن خلّكان في وفيات الأعيان ٢: ٤٧٥، وترجم له آخرون لم يأتوا على ذكر النصّ، وترجم له العلّامة التستري في قاموس الرجال ٥: ٤٣٤ برقم (٣٥٨٤)، وجاء على ذكر النصّ لكنّه لم يشر إلى المصدر.

(٤) طه: ٨٢.

(٥) هود: ٦.

(٦) الأعراف: ١٢٨.

(٧) سبأ: ٥٤.

عليه معاليق من كلّ شيء، فقال يحيى: ما هذه؟ قال: هذه الشهوات التي أصبتها من ابن آدم. فقال: هل لي منها شيء؟ فقال: ربما شبعت فثقلت عن الصلاة والذكر. قال: لله عليَّ ألّا أملأ بطني من طعام أبداً. فقال إبليس: لله عليّ ألّا أنصح مسلماً أبداً. ثم قال الصادق عليه السلام: لله على جعفر وآل جعفر ألّا يملأوا بطونهم من طعام أبداً، ولله على جعفر وآل جعفر ألا يعملوا للدنيا أبداً[1].

«ويضربون منكم بكل بنان» أي: أطراف الأصابع ﴿وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً * ولأضلنّهم ولأُمنّينَّهم ولآمرنّهم فليبتّكنّ آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرنّ خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليّاً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً﴾[2].

«لا تمتنعون بحيلة» ﴿وإنّهم ليصدّونهم عن السبيل ويحسبون أنّهم مهتدون﴾[3].

«ولا تدفعون بعزيمة» ﴿وما كان لي عليكم من سلطانٍ إلّا أن دعوتكم فاستجبتم لي﴾[4].

«في حومة ذل» أي: مجتمعة.

«وحلقة ضيق» الحلقة بالتسكين وعن أبي عمرو ابن العلا بالتحريك.

«وعرصة موت» قال الجوهري: كلّ بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء عرصة[5].

«وجولة بلاء» قال ابن ميثم: الحومة والحلقة والعرصة والجولة ألفاظ

---

(١) البرقي في المحاسن: ٤٣٩ ح٢٩٨، وأورده الطبرسي من حديث سليمان بن إبراهيم: ٣٣٨ من الأمالي.

(٢) النساء: ١١٨ ـ ١١٩.

(٣) الزخرف: ٣٨.

(٤) إبراهيم: ٢٢.

(٥) الصحاح للجوهري ٢: ١٠٤٤ مادة (عرص).

كنى بها عن الدّنيا إذ كانت محل ذلّهم والضيق عليهم وعرصة موتهم ومظنة بلائهم، تبعه الخوئي[١].

قلت: بل لاربط لها بالدّنيا، وإنّما هي من تتمّة ذكر حملة إبليس عليهم، والمراد بها أنّ العدوَّ إذا كان في غاية القوة وكمال العدة والشخص في منتهى قلّة الحيلة كيف يكون حاله.

**«فأطفئوا ما كمن»** أي: استتر **«في قلوبكم من نيران العصبية»** النيران جمعٌ للنار.

وفي (الكافي) عن الباقر عليه السلام: إن هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم، وإنّ أحدكم إذا غضب احمرّت عيناه وانتفخت أوداجه ودخل الشيطان فيه، فإذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليلزم الأرض، فإنّ رجس الشيطان يذهب عنه عند ذلك[٢].

**«وأحقاد الجاهلية»** قال النبي صلى الله عليه وآله من كان في قلبه مثقال حبة خردل من الكبر بعثه الله تعالى يوم القيامة مع أعراب الجاهلية[٣].

**«فإنّما تلك الحميّة تكون في المسلم من خطرات الشيطان»** المسلم يجب أن يكون كما قال نهار بن توسعة:

أبي الإسلام لا أَبَ لي سِواه إذا افتخروا بقيسٍ أو تَميمِ[٤]

وإنّما الحميّة للكافر قال تعالى: ﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحميّة حميّة الجاهليّة﴾[٥].

---

(١) شرح ابن ميثم ٤: ٢٥٥، شرح الخوئي ١١: ٢٩١.

(٢) الكافي للكليني ٢: ٣٠٤ح ١٢.

(٣) الحديث بلفظ «عصبية» وليس «الكبر» اصول الكافي ٢: ٣٠٨ح ٣.

(٤) الكامل للمبرّد ٣: ٩٠٨.

(٥) الفتح: ٢٦.

**«ونخواته ونزعاته»** أي: افساداته.

في (الطبري) قال الشعبي: أوّل ما نزِغ به الشيطان بين أهل الكوفة ـ وهو أول مصرٍ نزغ الشيطان بينهم في الإسلام ـ أنّ سعد بن أبي وقّاص استقرض من عبدالله بن مسعود من بيت المال مالاً فأقرضه، فلمّا تقاضاه لم يتيسّر عليه، فارتفع بينهما الكلام حتى استعان ابن مسعود بأناس من الناس على استخراج المال واستعان سعد بأناس من الناس على استنظاره، فافترقوا وبعضهم يلوم بعضاً يلوم هؤلاء سعداً وهؤلاء عبدالله[1].

**«ونفثاته»** من نفث في العقدة عند الرقي وهو البصاق اليسير[2].

**«واعتمدوا وضع التذلل على رؤوسكم والقاء التعزز تحت أقدامكم»** روى (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ان في السماء ملكين موكلين بالعباد، فمن تواضع لله رفعاه ومن تكبّر وضعاه[3].

**«وخلع التكبر من أعناقكم»** روى (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ان النجاشي أرسل إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه ـ أي لمّا كانوا بالحبشة عنده ـ وهو في بيت له جالس على التراب وعليه خُلقان الثياب، فأشفقوا منه حين رأوه على تلك الحال، فلمّا رأى ما بهم وتغيّر وجوههم قال: الحمد لله الذي نصر محمّداً وأقرّ عينه، ألا أُبشّركم! إنّه جاءني الساعة عين من عيوني من نحو أرضكم فأخبرني أنّ الله تعالى نصر محمداً صلى الله عليه وآله وأهلك عدوّه وأسر فلان وفلان وفلان التقوا بواد يقال له بدر ـ كثير الأراك ـ لكأنّي أنظر إليه حيث كنت أرعى لسيدي ـ وهو رجل من بني ضمرة ـ هناك. فقال له جعفر: أيها الملك فلِمَ

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٢: ٥٩٥.

(٢) الصحاح للجوهري ١: ٢٩٥ مادة (نفث).

(٣) الكافي ٢: ١٢٢ ح ٢، أخرجه عن علي بن إبراهيم، عن أبيه .. عن معاوية بن عمار.

أراك جالساً على التراب وعليك هذه الخلقان. فقال: يا جعفر! إنّا نجد فيما أنزل الله على عيسى عليه السلام ان من حق الله على عباده أن يحدثوا له تواضعاً عندما يحدث لهم من نعمة، فلمّا أحدث الله لي نعمة بمحمّد أحدثت لله هذا التواضع، فلمّا بلغ النبي صلى الله عليه وآله قوله قال: إنّ التواضع يزيد صاحبه رفعةً، فتواضعوا يرفعكم الله[1].

«واتخذوا التواضع مسلحة بينكم وبين عدوّكم» المسلحة كالثغر.

وفي الخبر: كان أدنى مسالح فارس إلى العرب العُذَيْب[2].

«فإنّ له من كلّ أمة جنوداً وأعواناً ورجلاً وفرساناً» روى (الكافي) عن الصادق عليه السلام: الكبر رداء الله، فمن نازعه تعالى رداءه لم يزده تعالى إلّا سفالا، وإن النبي صلى الله عليه وآله مرّ في بعض طرق المدينة وسوداء تلقط السرقين فقيل لها تنحّي عن طريق النبي فقالت: ان الطريق لمعرض فهمّ بعض القوم أن يتناولوها فقال صلى الله عليه وآله: دعوها فإنّها جبارة[3].

إلى أن قال عليه السلام بعد ذكر قابيل وكبره على أخيه وحسده له وقد مرّ في فصل آدم ـ.

«ألا وقد أمعنتم في البغي» روى (الكافي) عن الصادق عليه السلام ان إبليس يقول لجنوده: ألقوا بينهم الحسد والبغي فإنّهما يعدلان عن الله تعالى الشرك[4].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: إنّ أعجل الشرّ عقوبةً: البغي. هذا والإمعان التباعد في العدو[5].

---

(١) الكافي ٢: ١٢١ ح١، أخرجه علي بن إبراهيم عن مسعدة بن صدقة.

(٢) الصحاح للجوهري ١: ٣٧٦، مادة (سلح).

(٣) الكافي، ٢: ٣٠٩ الكتاب ٥ الباب ١٢٤.

(٤) الكافي ٢: ٣٢٧، الكتاب ٥، الباب ١٣٣.

(٥) الصدوق، ثواب الأعمال وعقابها ٢: ٣٢٥، ح ٤ عن عبدالله بن ميمون.

«وأفسدتم في الأرض» وهو من أبغض الأشياء عنده تعالى، حكى تعالى عن شعيب لقومه ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾[١] وقال تعالى: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم﴾[٢] ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وآدعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة آلله قريب من المحسنين﴾[٣].

«مصارحة الله» أي: مواجهة له.

«بالمناصبة» أي: نصب الحرب.

«ومبارزة للمؤمنين بالمحاربة» روى (عقاب الأعمال) عن الصادق عليه السلام: ان الله تعالى يقول: ليأذن بحرب منّي من أذلّ عبدي المؤمن[٤].

وعنه عليه السلام: إنّ الله عزوجل خلق المؤمنين من نور عظمته وجلال كرامته، فمن طعن عليهم أو ردّ عليهم فقد ردَّ على الله في عرشه وليس من الله في شيء إنّما هو شرك الشيطان[٥].

وعن الباقر عليه السلام: قال النبي صلى الله عليه وآله سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وأكل لحمه معصية الله[٦].

«فالله في كبر الحمية وفخر الجاهلية» كما قال المساور بن هند:

ما سرّني أنّ أُمّي من بني أسد ... وأنّ ربّي ينجّيني من النار[٧]

---

(١) الأعراف: ٨٥.

(٢) محمد: ٢٢.

(٣) الأعراف: ٥٦.

(٤) عقاب الأعمال، للشيخ الطوسي، عن بعض أصحابه سمعته يقول: قال الله عزوجل ليأذن بحرب منّي من أذلّ عبدي المؤمن وليأمن من غضبي من أكرم عبدي المؤمن: ٢٣.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) ثواب الأعمال وعقابها للصدوق ٢: ٢٨٧ ح ٢.

(٧) عيون الأخبار لابن قتيبة ٤: ١٣.

«فإنّه ملاقح الشنآن» أي: البغض، والشنآن هنا بتسكين النون ليكون قرينة للشيطان في قوله بعد «ومنافخ الشيطان» وقالوا يجوز فيه التحريك كما قالوا يجوز فيه سقوط الهمز. وأما الملاقح فقال ابن أبي الحديد: قال الراوندي هي الفحول التي تلقح، وليس بصحيح، نص الجوهري على أن الوجه لواقح كما في قوله تعالى: ﴿وأرسلنا آلرياح لواقح...﴾[١] وقال هو من النوادر، لأن الماضي رباعي، والصحيح ان ملاقح ههنا جمع ملقح وهو المصدر من لقحت كضربت مضرباً وشربت مشرباً[٢].

قلت: ما قاله الراوندي أيضاً نص الجوهري، وليت ابن أبي الحديد لم يقتصر على مراجعة صدر كلام الجوهري وراجع ذيل كلامه «الملاقح الفحول الواحد ملقح»[٣] حتى لا يعترض على الراوندي اعتراضاً ساقطاً.

ثم ليس في كلامي الجوهري تضادّ، فإنّ صدر كلامه في قولهم «ألقحت الرياح السحاب» فلا يقال الرياح ملاقح بل لواقح، وذيله في قولهم «ألقحت الفحول الناقة فالفحول ملاقح ولا يقال لواقح. ومثله ابن دريد فقال: ألقحها الفحول فهي ملقح والجمع ملاقح، ألقحت الريح السحاب إذا جمعته، وتركوا القياس في هذا الباب فقالوا رياح لواقح ولم يقولوا ملاقح وهو الأصل.

وممّا ذكرنا يظهر لك أن قول الفيروزآبادي: ألقحت الرياح الشجر فهي لواقح وملاقح[٤]و خلط فقد عرفت انّهم لا يقولون رياح ملاقح بل فحول ملاقح واستند الخوئي إليه غفلة[٥].

---

(١) الحجر: ٢٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ١٤٧.

(٣) الصحاح للجوهري ١: ٤٠١، مادة (لقح).

(٤) قاموس المحيط للفيروزآبادي ١: ٢٤٧ مادة (لقح).

(٥) شرح الخوئي ١١: ٣٠٤.

ثم قول ابن أبي الحديد: والصحيح أنّ «ملاقح» في كلامه جمع ملقح المصدر الميمي، ليس بصحيح فإنّ المعنى المصدري ليس بمناسب هنا بل المعنى الوصفي، كما ان تمثيله بقوله: «ضربت مضرباً وشربت مشرباً» أيضاً غير معلوم صحته، لأنّه لم يعلم استعمال العرب للمضرب والمشرب بمعنى المصدر بل بمعنى المكان والزمان، وإنّما قالوا في المصدر الضرب والشرب[1].

ثم إنه كما يمكن ان يكون معنى كلامه عليه السلام: «فإنّه ملاقح الشنآن» كون فخر الجاهلية من فحول تلقح الشنآن كما قاله الراوندي، كذلك يمكن أن يكون معناه كونه من حوامل تلدن الشنآن، فقال الجوهري: والملاقح أيضاً الإناث التي في بطونها أولادها، الواحدة ملقحة بفتح القاف.

«ومنافخ الشيطان» قال ابن أبي الحديد المنافخ جمع منفخ مصدر نفخ[2].

قلت: بل جمع المنفاخ، أي: الذي ينفخ به، أو جمع المنفخ بمعناه. قال الفيّومي: المنفخ والمنفاخ الذي ينفخ به.

«التي خدع بها الأمم الماضية والقرون الخالية» القرن من الناس أهل زمان واحد، قال الشاعر:

إذا ذهب القَرْنُ الذي أنت فيهم وخُلِّفْتَ في قَرْنٍ فأنت غريبُ[3]

و «الخالية» الماضية، وقال تعالى: ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدَّهم عن السبيل وكانوا مستبصرين﴾[4].

«حتى أعنقوا» قال الفيّومي: العنق ـ بفتحتين ـ ضرب من السير فسيح

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٤٧.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٤٧.

(٣) الصحاح للجوهري ٦: ٢١٨٠ مادة (قرن).

(٤) العنكبوت: ٣٨.

سريع وهو اسم من أعنق إعناقاً[١].

«في حنادس» أي: ظلمات.

«جهالته» أي: الشيطان «ومهاوي ضلالته» المهواة ما بين الجبلين أو الوهدة العميقة.

«ذللا» بضمتين جمع ذلول بالفتح.

«عن سياقه» أي: سوق الشيطان.

«سلساً» بضمتين جمع سلس بالفتح فالكسر أي: المنقاد.

«في قياده» في الخبر ان النبي صلى الله عليه وآله رأى أبا سفيان راكباً ويزيد ابنه يقوده ومعاوية ابنه الآخر يسوقه، فقال صلى الله عليه وآله: لعن الله الراكب والقائد والسائق[٢].

«أمراً تشابهت القلوب فيه» الأصل فيه قوله تعالى ﴿وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بيّنّا الآيات لقوم يوقنون﴾[٣].

قال ابن أبي الحديد: «أمراً» منصوب باعتمدوا محذوف، وتبعه ابن ميثم[٤].

وقال الخوئي: بل بنزع الخافض متعلق بقوله «أعنقوا» أي: أسرعوا إلى أمر تشابهت القلوب فيه[٥].

قلت: وكلٌّ منهما بلا معنى، فإنّهم لم يعتمدوا ولم يسرعوا إلى أمر بذاك

---

(١) المصباح المنير للفيّومي ٢: ٥٩٢.

(٢) بحار الأنوار ٣٣: ٢٠٨ رواية ٤٩٢. وأخرجه الطبراني في الجزء ٣: ٧١ بلفظ العن السائق والراكب.

(٣) البقرة: ١١٨.

(٤) شرح ابن ميثم ٤: ٢٦٠، وشرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٤٨.

(٥) شرح الخوئي ١١: ٣٠٢.

الوصف، وإنّما عملوا عملاً كان بذاك الوصف، ونزع الخافض يحتاج إلى قرينة وليست.

والصواب كونه خبراً لكان محذوف، وحذف كان مع اسمها وإبقاء خبرها ولو غير بعد «أن» و «لو» كثير، كقوله تعالى ﴿تنزيل العزيز الرحيم﴾[1] وقول الشاعر:

من لدن شولا فالى اتلائها[2]

«وتتابعت القرون عليه» ﴿يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسولٍ إلّا كانوا به يستهزؤن﴾[3].

«وكبراً تضايقت الصدور به» ﴿ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً كأنّما يصَّعَّد في السماء﴾[4].

قال ابن أبي الحديد: و «كبراً» عطف على امرأ أو منصوب على المصدر، بأن يكون اسماً واقعاً موقعه كالعطاء موضع الإعطاء[5].

قلت: بل لا ريب في كونه عطفاً صوناً لنسق الكلام.

«ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم» قيل: إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ربنا إنّا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلّونا السبيلا﴾[6].

«الذين تكبّروا عن حسبهم وترفّعوا فوق نسبهم» قال النبي ﷺ كلّكم من

---

(١) يس: ٥.

(٢) لسان العرب ٧: ٢٤١ «من له شولا» لذي الرمة.

(٣) يس: ٣٠.

(٤) الأنعام: ١٢٥.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٣ / ١٤٨.

(٦) الأحزاب: ٦٧.

آدم وآدم من تراب[١].

وفي (تذكرة سبط ابن الجوزي)[٢]: كانت بنو أُمية تنقص علياً عليه السلام باسم أبي‌تراب الذي سمّاه به النبي صلى الله عليه وآله مدّة ولايتهم، وكانوا يستهزئون به وقد قال تعالى ﴿قل أبالله وآياته ورسله كنتم تستهزؤن﴾[٣].

وجاء رجل إلى سهل الساعدي فقال: هذا فلان يذكر علياً. فقال: ما يقول؟ قال: يقول أبو تراب ويلعنه، فغضب سهل وقال: والله ما كنّاه به إلّا النبي صلى الله عليه وآله وما كان اسم أحب إليه منه، خرج علي عليه السلام إلى المسجد فاضطجع على التراب فسقط رداؤه وخلص التراب إلى ظهره، فجاء النبي صلى الله عليه وآله فمسح التراب عن ظهره وقال: إجلس أبا تراب[٤].

وروى الكشي مسنداً عن أبي جعفر عليه السلام قال: جلس عدّة من الصحابة ينتسبون وفيهم سلمان الفارسي، فسأله عمر عن نسبه وأصله، فقال: أنا سلمان ابن عبدالله كنت ضالاً فهداني الله بمحمد، وكنت عائلاً فأغناني الله بمحمد، وكنت مملوكاً فأعتقني الله بمحمد، هذا حسبي ونسبي. ثم خرج النبي صلى الله عليه وآله فحدّثه سلمان بذلك وشكا إليه ما لقي من القوم وما قال لهم، فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا معشر قريش! إن حسب الرجل دينه، ومروّته خلُقه، وأصله عقله، قال تعالى: ﴿إنّا خلقناكم من ذكر وأُنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[٥] يا سلمان! ليس لأحد من هؤلاء عليك

---

(١) تحف العقول: ٢٤، وورد عن الربيع بن حبيب في مسنده ٢: ٨ كلّكم لآدم وآدم من تراب.

(٢) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي هذا القول ونسبه إلى الحاكم أبي عبدالله النيسابوري: ٥.

(٣) التوبة: ٦٥.

(٤) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٢: ٤٠٩.

(٥) الحجرات: ١٣.

فضلٌ إلّا بتقوى الله وإن كان التقوى لك فأنت أفضلهم[١].

«والقوا الهجينة على ربّهم» قال الفيومي: الهجنة في الكلام: العيب والقبح، والأصل في الهجنة بياض الروم والصقالبة[٢]. قال تعالى: ﴿إنّا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون * وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا وٱلله أمرنا بها قل إنّ ٱلله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على ٱلله مالا تعلمونَ * قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كلّ مسجدٍ وٱدعوه مخلصين له الدين﴾[٣].

«وجاحدوا الله على ما صنع بهم» ﴿وجحدوا بها وٱستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً﴾[٤].

«مكابرة لقضائه ومغالبة لآلائه» أي: لنعمائه ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين* وٱلله جعل لكم ممّا خلق ظلالاً وجعل لكم من ٱلجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحرّ وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتمّ نعمته عليكم لعلّكم تسلمون* فإن تولّوا فإنّما عليك البلاغ المبين* يعرفون نعمة ٱلله ثم ينكرونها وأكثرهم ٱلكافرون﴾[٥].

«فإنّهم قواعد أساس العصبية» قال ابن أبي الحديد: آساس بالمد:

---

(١) الكشي: ١٤.

(٢) المصباح المنير للفيّومي: ٦٣٥ مادة (هجان).

(٣) الأعراف: ٢٧ ـ ٢٩.

(٤) النمل: ١٤.

(٥) النحل: ٨٠ ـ ٨٣.

جمع أساس[١].

قلت: كونه بلفظ الجمع يشهد له قوله عليه السلام بعد «ودعائم أركان الفتنة»، فكما أن الأركان جمع فلابدّ أنه جمع، وأمّا الاعتزاء بعد ذاك في قوله عليه السلام «وسيوف اعتزاء الجاهلية» فمصدر والمصدر لايثنى ولا يجمع، فقول الخوئي: رآه في النسخ بلفظ الإفراد ساقط إلّا أن كونه جمع أساس كما قال ابن أبي الحديد: بلا أساس، بل هو جمع أسس مخفّف أساس مثل سبب وأسباب، وأمّا أساس فجمعه أسس بضمتين مثل قذال وقُذُل كما صرّح به الجوهري[٢].

«ودعائم أركان الفتنة» أي: عمدها.

«وسيوف اعتزاء الجاهلية» أي: الانتساب إليها. قال ابن أبي الحديد: سمع أُبي بن كعب رجلاً يقول: «يافلان»! فقال عضضت بهن أبيك، فقيل له: ما كنت فحّاشاً، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: من تعزّى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنّوا[٣].

وقال ابن الأثير في الحديث: من لم يتعزّ بعزاء الله فليس منّا، أي: من لم يدع بدعوى الإسلام فيقول: يا للإسلام أو يا للمسلمين أو يالله...[٤].

«فاتّقوا الله ولا تكونوا لنعمه عليكم أضداداً» ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذّبون﴾[٥] ﴿ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة ٱلله كفراً وأحلّوا

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٥٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٥٠، وشرح الخوئي ١١: ٣٠٩، وراجع الصحاح للجوهري ٢: ٩٠٣، مادة (أسس).

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٥٠.

(٤) ابن الأثير ٣: ٢٣٣ وذكره المجلسي في بحار الأنوار ج ٢٢: ٥٣٨ ح ٣٩.

(٥) الواقعة: ٨٢.

قومهم دار البوار﴾[1].

«ولا لفضله عندكم حساداً» ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة﴾[2] فالأنبياء والأوصياء والكتب السماوية نعمه تعالى على الناس وفضله ولطفه عليهم، وقد فسّر نعمة الله في الآية السابقة والناس في هذه الآية بأهل البيت عليهم السلام.

«ولا تطيعوا الأدعياء الذين شربتم بصفوكم كدرهم وخلطتم بصحتكم مرضهم» روى نصر بن مزاحم: أنّ عماراً قام في صفّين فقال: اُمضوا عباد الله إلى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم لنفسه الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله، إنّما قتله الصالحون المنكرون للعدوان الآمرون بالاحسان. فقال هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين: لِمَ قتلتموه، فقلنا لاحداثه، فقالوا: انّه ما أحدث شيئاً. وذلك لأنّه مكّنهم من الدنيا فهم يأكلونها ويرعونها ولا يبالون لو انهدّت عليهم الجبال، والله ما أظنّهم يطلبون دمه، إنّهم ليعلمون إنّه لظالم ولكنّ القوم ذاقوا الدنيا فاستحبّوها واستمرؤوها وعلموا لو أنّ الحق لزمهم لحال بينهم وبين ما يرعون فيه منها، ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقون بها الطاعة والولاية؛ فخدعوا أتباعهم بأن قالوا قتل إمامنا مظلوماً ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً، وتلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون، ولولاهم ما بايعهم من الناس رجلان[3].

«وأدخلتم في حقّكم» أي: ولايته عليه السلام.

«باطلهم» أي: الثلاثة وأتباعهم أهل الجمل وصفّين والنهروان ﴿أفمن

(١) إبراهيم: ٢٨.

(٢) النساء: ٥٤.

(٣) صفّين لنصر بن مزاحم: ٣١٩.

يهدي إلى الحق أحقُّ أن يُتَّبع أمّن لا يهدّي إلّا أن يهدي فمالكم كيف تحكمون﴾[١] وقال النبي ﷺ في المتواتر عنه: عليٌّ مع الحقِّ والحقُّ معه يدور حيثما دار[٢]. وقال عمر يوم الشورى: أما والله لئن وليها عليٌّ ليحملنَّهم على المحجّة البيضاء[٣].

«وهم آساس الفسوق» آساس هنا أيضاً بالمدّ جمع أسس، وأغرب ابن ميثم فقال: وروي أسآس بسكون السين بوزن أحلاس وهو جمع أسس كحمل وأحمال، فإنّ لازم قوله بسكون السين أن يكون جمع ساس لا أسس[٤].

«وأحلاس العقوق» أي: ملازميه.

ومن الغريب أن أحلاس العقوق كانوا يقولون لمعادن البر والتقوى إنّهم عققة، فكان أبو جهل يعدُّ النبي ﷺ عاقّاً، وأبو سفيان وضع رمحه على فم حمزة وقال: ذق عقق[٥].

وروى أنّ عثمان قال لأمير المؤمنين عليه السلام: أصبحت بمنزلة الولد العاقّ لأبيه...[٦].

هذا، وقال الفيّومي: أصل العق الشق، يقال عق ثوبه كما يقال شقه، والعقيق الوادي الذي شقه السيل قديماً ومنه: «عقّ الولدُ أباه»[٧].

---

(١) يونس: ٣٥.

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي ٧: ٢٣٥، وتاريخ بغدادللخطيب البغدادي ١٤: ٣٢١، وشرح ابن أبي الحديد ١: ٢٩٧.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٨٥.

(٤) شرح ابن ميثم ٤: ٢٦٣.

(٥) جاء في الكامل لابن الأثير ٢: ١٦٠ واجتاز به الحُليس بن زبّان سيد الأحباش، وهو يضرب في شدق حمزة بُزجّ الرمح ويقول ذق عقق ... فقال أبوسفيان: أكتمها (عنّي) فإنّها زلّة.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٤.

(٧) المصباح المنير للفيّومي ٢: ٥٧٧.

«**إتّخذهم إبليس مطايا ضلال**» قال الفيّومي: المطا الظهر، ومنه قيل للبعير مطية فعيلة بمعنى مفعولة، لأنّه يركب مطاه يجمع على مطى ومطايا[١].

وعن الأصمعي: المطية مأخوذ من المطو، أي: المد، قيل: يذكر ويؤنث.

وقال الجوهري: والمطايا فعالى، والأصل فعائل فعل به ما فعل بخطايا[٢]....

وروى (الكافي) عن الباقر عليه السلام: لا يزال العبد في فسحة من الله تعالى حتى يشرب الخمر فإذا شربها خرق الله تعالى سرباله وكان إبليس أخاه ووليّه وسمعه وبصره ويده ورجله يسوقه إلى كلّ ضلال ويصرفه عن كلّ خير[٣].

«**وجنداً بهم يصول على الناس**» في تفسير القمي ـ في ذكر غزوة بدر ـ: أتى إبليس إلى قريش في صورة سراقة بن مالك فقال لهم: أنا جاركم إدفعوا إليّ رايتكم، فدفعوها إليه وجاء بشياطينه يهوّل بهم على أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ويخيّل إليهم ويفزعهم[٤].

«**وتراجمة ينطق على لسانهم**» في تفسير القمي: لمّا أظهر النبي صلى الله عليه وآله الدعوة بمكّة قدمت عليه الأوس والخزرج ـ إلى أن قال بعد ذكر بيعة سبعين منهم له في دار عبد المطلب على العقبة ليلاً وتعيينه صلى الله عليه وآله لهم اثني عشر نقيباً ـ صاح إبليس: يا معشر قريش والعرب! هذا محمّد والصباة من أهل يثرب على جمرة العقبة يبايعونه على حربكم، فأسمع أهل منى فأقبلت قريش ـ إلى أن قال ـ وخرج حمزة وأمير المؤمنين عليه السلام ومعهما السيف فوقفا على العقبة،

---

(١) المصباح المنير للفيّومي: ٧٩٠.

(٢) الصحاح للجوهري ٦: ٢٤٩٤ مادة (مطا).

(٣) الكافي ٦: ٣٩٧ ح ٩.

(٤) تفسير القمي ١: ٢٦٦.

فلمّا نظرت قريش إليهما قالوا: ما هذا الذي اجتمعتم له؟ فقال حمزة: ما اجتمعنا وما هاهنا احد، والله لا يجوز هذه العقبة أحد إلّا ضربته بسيفي، فرجعوا إلى مكة فاجتمعوا في الندوة ـ وكان لا يدخل دار الندوة إلّا من قد أتى عليه أربعون سنة ـ فدخل أربعون رجلاً من مشايخ قريش وجاء إبليس في صورة شيخ كبير فقال له البوّاب: من أنت؟ قال: أنا رجل من أهل نجد لا يعدمكم منّي رأيٌ صائب، إنّي حيث بلغني اجتماعكم في أمر هذا الرجل فجئت لأشير عليكم. فقال: أدخل فدخل إبليس.

فلمّا أخذوا مجالسهم قال أبو جهل: يا معشر قريش! إنّه لم يكن أحد من العرب أعزّ منّا، نحن أهل الله تغدو إلينا العرب في السنة مرّتين ويكرموننا ونحن حرم الله، لا يطمع فينا طامع فلم نزل كذلك حتى نشأ فينا محمد بن عبدالله، فكنّا نسميه الأمين لصلاحه وسكونه وصدق لهجته، حتى إذا بلغ ما بلغ وأكرمناه ادّعى أنّه رسول الله وأن أخبار السماء تأتيه، فسفّه أحلامنا وسب آلهتنا وأفسد شبابنا وفرّق جماعتنا، وزعم أنّه من مات من أسلافنا ففي النّار، فلم يرد علينا شيءٌ أعظم من هذا، وقد رأيت فيه رأياً، رأيت أن ندسّ إليه رجلاً منّا ليقتله، فإنّ طلبت بنو هاشم بدمه أعطيناه عشر ديات. فقال إبليس: هذا رأي خبيث. قالوا: وكيف؟ قال: لأنّ قاتل محمد مقتول لا محالة، فمن الذي يبذل نفسه للقتل منكم، فإنّه إذا قتل محمد يغضب بنو هاشم وحلفاؤهم من خزاعة، وإنّ بني هاشم لا ترضى أن يمشي قاتل محمد على الأرض فيقع بينكم الحروب وتتفانوا.

فقال آخر: فعندي رأي آخر. قال: وما هو؟ قال: نثبته في بيت ويلقى إليه قوته حتى يأتي عليه ريب المنون فيموت كما مات زهير والنابغة وامرؤ القيس. فقال إبليس: هذا أخبث من الآخر، لأنّ بني هاشم لا ترضى بذلك، فإذا

جاء موسم من مواسم العرب استغاثوا بهم واجتمعوا عليكم فأخرجوه.

فقال آخر منهم: نخرجه من بلادنا ونتفرّغ لعبادة آلهتنا. فقال إبليس: هذا أخبث من الرأيين المتقدمين، لأنكم تعمدون إلى أصبح الناس وجهاً وأنطق الناس لساناً وأفصحهم لهجة، فتحملونه إلى وادي العرب فيخدعهم ويسحرهم بلسانه فلا يفجأكم إلّا وقد ملأها عليكم خيلاً ورجلاً.

فبقوا حائرين فقالوا له: فما الرأي؟ قال: يجتمع من كلّ بطن من بطون قريش واحد ويكون معهم من بني هاشم رجل فيأخذون سكينة أو حديدة أو سيفاً فيدخلون عليه فيضربونه كلّهم ضربة واحدة حتى يتفرّق دمه في قريش كلّها، فلا يستطيع بنو هاشم ان يطلبوا بدمه وقد شاركوا فيه، فإن سألوكم أن تعطوا الدية فأعطوهم ثلاث ديات فقالوا: الرأي رأي الشيخ النجدي، ودخل معهم عمّه أبو لهب[1].

ورواه (الطبري) عن ابن عباس وفيه: إجتمع في دار الندوة من بني عبد شمس ابن عبد مناف؛ شيبة وعتبة وأبو سفيان، ومن نوفل بن عبد مناف؛ طعيمة بن عدي وجبير بن مطعم والحارث بن عامر، ومن عبد الدار بن قصي؛ النضر بن الحارث، ومن أسد بن عبد العزى؛ أبو البختري بن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم بن خرام، ومن بني مخزوم؛ أبو جهل بن هشام، ومن بني سهم؛ نبيه ومنبه، ومن جمح؛ أُميّة بن خلف.

إلى أن قال: فقال أبو جهل والله إنّ لي لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد. قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: الرأي أن تأخذوا من كل قبيلة فتىً شاباً جلداً نسيباً وسيطاً فينا، ثم يعطى كلّ فتىً منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدون إليه ثم يضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه فنستريح فإنّهم إذا فعلوا ذلك تفرّق دمه

---

(١) تفسير القمي ١: ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

في القبائل كلّها فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ورضوا منّا بالعقل. فقال الشيخ: القول ما قال الرجل، هذا الرأي لا أرى لكم غيره[1].

هذا، وقال الفيّومي: «ترجم الكلام» إذا أوضحه، واسم الفاعل ترجمان[2]، وفيه لغات فتح التاء وضم الجيم وفتحهما وضمهما، وجمعه تراجم، والتاء والجيم اصليتان. وجعل الجوهري التاء زائدة أورده في رجم[3].

قلت: الظاهر أنّ ما كان على فعلان كالترجمان والقهرمان إمّا معرّب وإن كان ورد في الفصيح، فورد الترجمان والقهرمان في كلامه عليه السلام، أو مركّب من كلمتين وهو الأظهر، ولذا لم يذكر أهل اللغة القهرمان أصلاً ونحت المركب حتى يجعل كلمات كلمة كثيرة في جميع اللغات، ومنها بلاش في العربية منحوت بلا شيء.

«استراقاً لعقولكم» أي: سرقة لها.

«ودخولاً في عيونكم» الدخول في العين؛ كناية عن كمال الاستيلاء كسابقه ولاحقه.

«ونفثاً في أسماعكم» قال الفيّومي: نفث إذا بزق....

روى (الكافي) عن الصادق عليه السلام: إن شيطاناً يقال له القفندر إذا ضرب في منزل رجل أربعين يوماً بالبربط ودخل عليه الرجال وضع ذلك الشيطان كلّ عضو منه على مثله من صاحب البيت، ثم نفخ فيه نفخة فلا يغار بعدها حتى تؤتى نساؤه فلا يَغار[4].

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٩٨.

(٢) المصباح المنير للفيّومي: ٧٤.

(٣) الصحاح للجوهري ٤: ١٩٢٨ مادة (رجم).

(٤) الكافي ٥: ٥٣٦ ح ٥.

**«فجعلكم مرمى نبله»** أي: سهمه، جعله الفيّومي اسم جمع حيث قال: النبل السهام العربية لا واحد لها من لفظها[١]. وجعله الجوهري مفرداً حيث قال: جمعوها على أنبال ونبال[٢].

وفي الخبر: النظر سهم من سهام الشيطان مسموم[٣].

وعنه عليه السلام: الفتن ثلاث: حبُّ النساء وهو سيف الشيطان، وشرب الخمر وهو فخ الشيطان، وحبُّ الدينار والدرهم وهو سهم الشيطان[٤].

**«وموطئ قدمه»** ومن يتبع خطواته يصير موطئ أقدامه ووطئاته.

**«ومأخذ يده»** كناية عن غاية استيلائه عليهم كالحيوان الأهلي الذي يؤخذ باليد ولا يحتاج إلى عدوٍ خلفه أو رمي إليه، قال تعالى ﴿إنّا جعلنا ٱلشياطين أولياءَ للّذين لا يؤمنون﴾[٥].

وفي (الكشي) عن الهادي عليه السلام: لعن الله القاسم اليقطيني ولعن الله علي بن حسكة القمّي، إن شيطاناً تراءى للقاسم وفأوحى إليه زخرف القول غروراً[٦].

وعنه عليه السلام: يزعم ابن بابا أنّي بعثته نبيّاً وأنّه باب؛ عليه لعنة الله، سخر منه الشيطان فأغواه[٧].

**«فاتعظوا بما أصاب الأُمم المستكبرين من قبلكم من بأس الله وصولاته**

---

(١) المصباح المنير للفيّومي ٢: ٨١١، مادة (نبل).

(٢) الصحاح للجوهري ٥: ١٨٢٣ مادة (نبل).

(٣) ورد بلفظ: النظرة سهم من سهام إبليس مسموم عن الصادق: الفقيه ٤: ١١ .

(٤) المجلسي، بحار الأنوار ٧٣: ١٤٠ .

(٥) الأعراف: ٢٧ .

(٦) الكشي: ٥١٨ .

(٧) المصدر نفسه: ٥٢٠ .

ووقائعه ومثلاته» البأس: العذاب، والمثلات: العقوبات، وقال تعالى: ﴿وعاداً وثمود وقد تبيّن لكم من مساكنهم وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل وكانوا مستبصرين* وقارون وفرعون وهامان ولقد جآءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين* فكُلّاً أخذنا بذنبهِ فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان ٱلله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾[1].

«واتّعظوا بمثاوي خدودهم» ﴿قيل ٱدخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فَبئس مثوى ٱلمتكبرين﴾[2].

«ومصارع جنوبهم» قال تعالى في قوم صالح: ﴿قال ٱلملأُ ٱلّذين ٱستكبروا من قومه للّذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أنّ صالحاً مُرسل من ربّه قالوا إنّا بما أُرسل به مؤمنون* قال ٱلذين ٱستكبروا إنّا بالذي آمنتم به كافرون* فعقروا ٱلنّاقة وعتوا عن أمر ربّهم وقالوا يا صالح ٱئتنا بما تعدنا إن كُنت من المرسلين* فأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجفة فأَصبحوا في دارِهم جاثمين﴾[3].

«فاستعيذوا بالله من لواقح الكبر» أي: ممّا حمل به الكبر وحبل فأيّ سبع تلد.

«كما تستعيذون من طوارق الدهر» قال الجزري: قيل أصل الطرق الدق، سمي الآتي بالليل طارقاً لحاجته إلى طرق الباب، والطوارق جمع الطارقة،

---

(١) العنكبوت: ٣٨ ـ ٤٠.

(٢) الزمر: ٧٢.

(٣) الأعراف: ٧٥ ـ ٧٨.

ومنه الحديث: «أعوذ بك من طوارق الليل إلّا طارقاً يطرق بخير»[١].

وكيف لا يستعاذ من لواقح الكبر كطوارق الدهر وقد قال تعالى ﴿والذي تولى كبره منهم له عذابٌ عظيم﴾[٢] و ﴿وأمّا الذين ٱستنكفوا واستكبروا فيعذّبهم عذاباً أليماً ولا يجدون لهم من دون الله وليّاً ولا نصيراً﴾[٣] ﴿وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً كأنّ لم يسمعها كأن في أُذنيه وقراً فبشّره بعذابٍ أليم﴾[٤] ﴿وإذا عَلِمَ من آياتنا شيئاً ٱتخذها هُزُواً أُولئك لهم عذابٌ مهين* من ورائهم جهنّم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً ولا ما ٱتخذوا من دون ٱلله أولياءَ ولهم عذابٌ عظيم﴾[٥].

في وزراء الجهشياري: قال الواقدي دخل الفضل بن يحيى على أبيه يتبختر في مشيته وأنا عنده، فكره ذلك منه فقال لي: أتدري ما أبقى الحكيم في طرسه؟ قلت: لا. قال: أبقى الحكيم في طرسه أنّ البخل والجهل مع التواضع أزين بالرجل من الكبر مع السخاء والعلم، فيالها ـ أي: لصفة التواضع ـ حسنة غطَّت على عيبين عظيمين، ويالها ـ أي لصفة الكبر ـ سيئةً غطت على حسنتين كبيرتين. ثم أومى إليه بالجلوس[٦].

**إلى أن قال عليه السلام «ولقد نظرت فما وجدت أحداً من العالمين يتعصّب لشيء من الأشياء إلّا عن علّة تحتمل تمويه»** أي: تلبيس، والأصل فيه نحاس أو حديد طلي بذهب أو فضة.

(١) النهاية لابن الأثير الجزري ٣: ١٢١ مادة (طرق).

(٢) النور: ١١.

(٣) النساء: ١٧٣.

(٤) لقمان: ٧.

(٥) الجاثية: ٩ ـ ١٠.

(٦) وزراء الجهشياري: ١٩٨.

«الجهلاء أو حجّة» أي: احتجاج.

«تليط» أي: تلصق.

«بعقول السّفهاء».

في (الأغاني) كانت الأوس والخزرج أهل عزّ ومنعة، وهما أخوان لاب وأمّ ابنا حارِثة بن ثَعلبة بن عمرو بن عامر، وكانت أول حرب جرت بينهم في مولى كان لمالك بن العجلان ـ أي الخزرجي ـ قتله سمير بن يزيد الأوسي ـ وكان مالك سيّد الحيَّين في زمانه، وهو الذي ساق تبعاً إلى المدينة وقتل الفطيون[1] صاحب زُهرة وأذلّ اليهود للحيَّين جميعاً، فكان له بذلك الذكر والشرف عليهم، وكانت ديةُ المَوْلى ـ وهو الحليف ـ فيهم خمساً من الإبل، ودية الصريح عشراً، فبعث مالك إلى عمرو بن عوف. إبعثوا الي سُمَيراً حتى أقتله بمولاي فإنّا نكره أن تَنْشَبَ بيننا وبينكم حربٌ، فأرسلوا إليه: إنّا نُعطيك الرضا من مولاك فخذ منّا عقله[2] فإنّك قد عرفت أنّ الصريح لا يُقتل بالمولى. قال: لا آخذ في مولاي دون دية الصريح، فأبوا إلّا ديّة المولى. فلمّا رأى ذلك مالك بن العَجلان جمعَ قومه من الخزرج ـ وكان فيهم مطاعاً ـ وأمرهم بالتهيُّئ للحرب، فلمّا بلغ الأوس استعدوا لهم وتهيّأوا للحرب واختاروا الموت على الذل، ثم خرج بعضُ القوم إلى بعض فالتقوا بالصفينة ـ قرية بني عمرو بن عوف بين قُباء وبني سالم فاقتتلوا شديداً حتى نال بعضهم من بعض.

ثم إن رجلاً من الأوس نادى: يا مالك ننشدك بالله والرَّحم فاجعل بيننا وبينك عدلاً من قومك فما حكم علينا سلّمنا لك. فارعوى مالك عند ذلك وقال: نعم، فاختاروا عمرو بن امرئ القيس ـ فقال: إنّي أقضي بينكم إن كان سُمَير

---

(١) الفطيون: ملك بني اسرائيل، وكان اليهود والأوس والخزرج يدينون له.

(٢) عقله: ديته.

قَتل صريحاً من القوم فهو به قود، وإن قبلوا العقل فلهم ديَة الصريح، وإن كان قتل مولى فلهم دية المولى وما أصبتم منّا في هذه الحرب ففيه الدية مسلّمة إلينا وما أصبنا منكم علينا فيه دية مسلمة إليكم. فغضب مالك ورأى أن يردّ عليه رأيه وأمر قومه بالقتال، فجمع بعضهم لبعض ثم التقوا بالفصل عند آطام بني قينقعاع فاقتتلوا شديداً، ثم تداعوا إلى الصلح فحكّموا ثابت بن حرام أبا حسان بن ثابت النجاري فقضى بينهم أن يدوا مولى مالك بدية الصريح ثم تكون السنة فيهم بعده كما كانت أول مرة فرضوا، أراد ثابت إطفاء النائرة فأخرج خمساً من الإبل من قبيلته حين أبت عليه الأوس أن تؤدّي إلى مالك أكثر من خمس وأبى هو أن يأخذ دون عشر، فلمّا أخرج ثابت الخَمْسَ أَرضى مالكاً بذلك ورضت الأوس واصطلحوا بعهدٍ وميثاقٍ أن لا يُقتل رجلٌ في داره ولا معقله ـ والمعاقل النخل ـ فإذا خرج رجل من داره أو معقله فلا ديَة له، ثم انظروا في القتلى فأيّ الفريقين فضل على صاحبه، فأفضلت الأوس على الخزرج بثلاثة نفر فودتهم الأوس واصطلحوا ـ ففي ذلك يقول حسان:

وأبي في سميحة القائل والفا ... صِلُ حين التَفّتْ عليه الخصوم[1]

**«غيركم فانكم تتعصّبون لأمرٍ لا»** هكذا في (الطبعة المصرية) والصواب: (ما) كما في ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية[2].

**«يعرف له سبب ولا علّة»** كرجلين تنازعا في العنب النيروزي والرازقي أيّها أطيب.

ففي (عيون القتيبي) قال بعضهم: رأيت رجلين بصرياً وكوفياً على باب

---

(١) الأغاني ٣: ٤٠ ـ ٤٢.

(٢) عند ابن أبي الحديد النسخة المحققة بلفظ (ما) ١٣: ١٦٦، وعند ابن ميثم البحراني النسخة المنقحة بلفظ (لا) كما ورد في الطبعة المصرية: أمّا النسخة الخطية (المرعشي: ١٨٧) فبلفظ «غيركم فإنّكم تتعصبون لأمرٍ ما يُعرف له سبب ولا علة»..

مُوَيش[1] يتنازعان في العنب النيروزي والرازقي أيّهما أطيب، فجرى بينهما كلام إلى أن تواثبا فقطع الكوفيُّ إصبع البصري وفقأ البصري عين الكوفي - ثم لم ألبث إلّا يسيراً حتى رأيتهما متصافيين متنادمين[2].

وقيل: إن المسافرين أخذا في التمنّي، فقال أحدهما ليت لي قطيع غنم، فقال الآخر ليت لي قطيع ذئب تأكل أغنامك، فتواثبا وتجارحا.

«**أمّا إبليس فتعصّب على آدم لأصله**» النار.

«**وطعن عليه في خلقه**» من التراب.

«**فقال أنا ناري وأنت طيني**» فكيف أسجد لك.

«**وأمّا الأغنياء من مترفة الأمم**» أي: الطاغين منهم بالأموال.

«**فتعصّبوا لآثار مواقع النعم، فقالوا ﴿ونحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين﴾**» الآية في سورة سبأ، وقبلها ﴿وما أرسلنا في قرية من نذيرٍ إلّا قال مترفوها إنّا بما أُرسلتم به كافرون﴾[3].

«**فإنّ كان لابدّ من العصبية فليكن تعصّبكم لمكارم الخصال ومحامد الأفعال ومحاسن الأُمور الّتي تفاضلت فيها المجداء والنُّجَدَاء**» أي: الشجعان، ففي (الصحاح): النجدة الشجاعة، ومنه نجد الرجل بالضم فهو نجيد، وجمع نجيد نجداء.

«**من بيوتات العرب**» في (الأسد): نافر خالد بن مالك التميمي النهشلي القعقاع بن معبد التميمي إلى ربيعة بن خالد الأسدي، فقال هاتيكما مكارمكما، فقال خالد أعطيت من سأل وأطعمت من أكل ونصبت قدوري حين وضعت

(١) في النسخة الالمانية بلفظ «مونس».

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٥٢.

(٣) سبأ: ٣٤ ـ ٣٥.

السماك ذيولها وطعنت يوم الشواحط فارساً فجللت فخذيه بفرسه. فقال: يا قعقاع! ما عندك؟ فأخرج قوس حاجب فقال: هذه قوس عمي رهناً عن العرب، وهاتان نعلا جدّي قسم فيها أربعين مرباعاً، وهذه ذريبة زرارة اصطلح عليها سبقة أملاك كلّهم حرب لصاحبه، وعمّي سويد بن زرارة لم ير ناره خائف إلّا أمن، ولم يمسك بطنب فسطاطه أسير إلّا افك. فقال ربيعة: إنّ السماحة واللهى والمرباع والشرف الأسبغ للقعقاع، إلّا أنّي نفرت من كان أبوه معبداً وعمّه حاجباً وجدّه زرارة[1].

«ويعاسيب» أي: سادات، والأصل فيه ملك النحل.

«القبائل بالأخلاق الرغيبة» قالوا: قيل لعامر بن حارثة الأزدي؛ أبو مزيقياء: ماء السماء لأنّه كان إذا أجدب قومه مأنهم حتى يأتيهم الخصب، فكان خلفاً منه وقيل لولده: بنو ماء السماء وهم ملوك الشام، قال بعض الأنصار:

أنا ابن مزيقيا عمرو وجدّي أبوه عامر ماء السماء[2]

«والأحلام العظيمة» في (الاستيعاب) قيل للأحنف بن قيس: ممّن تعلمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم المنقري، رأيته يوماً قاعداً بفناء داره محتبياً بحمائل سيفه يحدّث قومه، إذ أُتي برجل مكتوف وآخر مقتول فقيل له: هذا ابن أخيك قد قتل ابنك، فوالله ما حلَّ حبوته ولا قطع كلامه، فلمّا أتمّه التفت إلى ابن أخيه فقال: يا ابن أخي! بئس ما فعلت، أثمت بربّك وقطعت رحمك وقتلت ابن عمك ورميت نفسك بسهمك، ثم قال لابنٍ له آخر: قم يا بنيَّ! فوار أخاك وحُلَّ

---

(١) أُسد الغابة ٢: ٩١.

(٢) البيت لعبادة بن الصامت، الاستيعاب ١: ١١٨.

كتاف ابن عمك وسُق إلى أُمّك مائة ناقة دية ابنها فإنّها غريبة[١].

وقيس؛ هو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله لمّا وفد عليه وفد بني تميم: هذا سيد أهل الوبر[٢].

وكان قيس قد حرّم على نفسه الخمر في الجاهلية، وذلك أنّه غمز عكنة ابنته وهو سكران وسبّ أبويها ورأى القمر فتكلم وأعطى الخمّار كثيراً من ماله فلمّا أفاق أُخبر بذلك فحرّمها على نفسه.

ولمّا حضرته الوفاة قال لبنيه: إحفظوا عنّي فلا أحد أنصح لكم منّي، إذا متّ فسوِّدوا كباركم ولا تسوِّدوا صغاركم فيسفه الناس كباركم وتهونون عليهم، وعليكم بإصلاح المال فإنّه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم، وإيّاكم ومسألة النّاس فإنّها أخزى كسب الرجل[٣].

«والأخطار الجليلة والآثار المحمودة» في أنساب السمعاني في الكرجي وأبو دلف القاسم بن عيسى بن ادريس بن معقل العجلي الكرجي الأمير المشهور بالجود والشجاعة. قلت: وحسده المأمون بقول الشاعر فيه:

إنّما الدّنيا أبو دلف ... فإذا ولى ولت على أثره

قال العتابي: اجتمعنا على باب أبي دلف جماعة من الشعراء، فوعدنا إذا جاءت أمواله من الكرج وغيرها، فأتت الأموال فبسطها على الانطاع وأجلسنا حوله ودخل إلينا فقام على رؤوسنا متّكئاً على قائم سيفه، ثم أنشأ يقول:

ألا يا أيُّها الزوّار لا يد عنكم ... أياديكم عندي أجل وأكثر[٤]

فإن كنتم أفردتموني للرجا ... فشكري لكم من شكركم لي أكثر

---

(١) الاستيعاب ٣: ١٢٩٥ ترجمة قيس بن عاصم (رقم ١٢٤٠).

(٢) الاصابة ٥: ١٥٨.

(٣) الاصابة ٥: ١٥٩.

(٤) في نسخة التحقيق «أكبرُ».

كفاني من مـالي دلاص وسـابح[1] وأبيض من صافي الحديد ومـغفر

ثم أمر بنهب تلك الأموال، فأخذ كلّ واحد على قـدر قـوته.... والدلاص الدرع اللينة، والسابح الفرس الجواد، والمراد بأبيض: السيف[2].

وفي (شعراء القتيبي): مرّ حاتم في سفر له على عـنزة وفـيهم أسـير، فاستغاث به ولم يحضره فكاكه، فساوم به العنزيين واشتراه وأقام مكانه في القيد حتى أدى فداءه وقسّم ماله بضع عشر مرّة.

وكانت لحاتم قدور عظام بفنائه على الأثافي لا تنزل عـنها، فـإذا أهـلّ رجب نحر كلّ يوم وأطعم.

وكان أبوه جعله في إبل له وهو غلام، فمرّ به عبيد بن الأبرص وبشر بن أبي حازم والنابغة الذبياني يريدون النعمان، فنحر لكلّ منهم بعيراً وهو لا يعرفهم، ثم سألهم عن أسمائهم فتسمَّوا له، ففرّق فيهم الإبل وجاء إلى أبـيه وقال: يا أبه! طوَّقتك مجد الدهر طوق الحمامة. وحدّثه بما صنع، فقال أبـوه: إذن لا أُساكنك. فقال: إذن لا أُبالي، فاعتزله.

(وفيه): إن حاتماً أتى ماوية بنت عفزر يخطبها، فوجد عـندها النـابغة الذبياني ورجلاً من النبيت يخطبانها، فقالت انـقلبوا إلى رحـالكم وليـقل كـلّ واحد منكم شعراً يذكر فيه فعاله ومنصبه فاني متزوجة أكرمكم وأشعركم. فانطلقوا ونحر كلّ منهم جزوراً، فلبست ماوية ثياب أمة لها واتبعتهم، فأتت النبيتي فاستطعمته فأطعمها ذنب جزوره فأخذته، وأتت النابغة فأطعمها مثل ذلك، وأتت حاتماً فأطعمها عظماً من العجز وقطعة من السـنام وقـطعة مـن الحارك، فانصرفت وأهدى لها كلّ رجل منهم باقي جزوره وأهدى لها حاتم

(١) في نسخة التحقيق «سامح».

(٢) أنساب الأشراف للسمعاني: ٤٧٨.

مثل ما أهدى إلى واحدة من جاراته، وصبّحها القوم فأنشدها كلّ منهم أبياتاً، فلمّا فرغوا من إنشادهم دعت بالمائدة وقدمت إلى كلّ رجل ما كان أطعمها، فنكس النَّبيتي والنابغة رأسيهما، فلمّا رأى حاتم ذلك رمى بالذي قدم إليه إليهما وأطعمهما منه، فتسلّلا لواذاً[1] فتزوجت حاتماً وكانت من بنات ملوك اليمن.

(وفيه): قالت امرأة حاتم النّوار: أصابتنا سنة اقشعرّت لها الأرض واغبرَّت الآفاق، فضنت المراضيع عن أولادها فما تبض بقطرة، وراحت الابل حدبا حدابيس[2] وحلقت السنة المال وأيقنّا أنّه الهلاك، فوالله إنّا لفي صنبر[3] بعيدة ما بين الطرفين إذ تضاغى أصبيتنا من الجوع عبدالله وعدي وسفانة، فقام حاتم إلى الصبيين وقمت إلى الصبية فوالله ما سكتوا إلّا بعد هدأة من الليل وأقبل يعلّلني بالحديث فعلمت الذي يريد فتناومت، فلمّا تغوّرت النجوم إذا شيء قد رفع كسر البيت فقال من هذا، فذهب ثم عاد فقال من هذا، فذهب ثم عاد في آخر الليل فقال من هذا قال جارتك فلانة أتتك من عند أصبية يتعاوون عواء الذئب من الجوع وما أجد معوّلا إلّا عليك، فقال لها أعجليهم فقد أشبعك الله وإياهم، فأقبلت المرأة تحمل اثنين ويمشي جنباتها أربعة كأنها نعامة حولها رئالها، فقام إلى فرسه فوجأ لبته بمدية ثم كشطه ودفع المدية إلى المرأة فقال شأنك الآن، فاجتمعوا على اللحم فقال سوءة: أتأكلون دون الصريم، ثم أقبل يأتيهم بيتاً بيتاً ويقول: هُبّوا أيها القوم عليكم بالنار، فاجتمعوا والتفع ناحية بثوبه ينظر إلينا، ولا والله ما ذاق منه مضغة وإنه

---

(١) لواذاً: متتاليين.

(٢) هزيلة.

(٣) الصنبر: ليلة شديدة البرد.

لأحوج إليه منّا، فأصبحنا وما على الأرض إلّا عظم وحافر، فعذلته على ذلك فقال:

مهلا نوار أقلّي اللّوم والعذلا ولا تقولي لشيء فات ما فعلا[1]

(وفيه): كان عنترة العبسي من أشدّ أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده، وكان لا يقول من الشعر إلّا البيتين والثلاثة، حتى سابّه رجل من قومه فذكر سواده وسواد أُمّه وأنّه لا يقول الشعر. فقال عنترة: والله إنّ الناس ليترافدون الطعمة فما حضرت أنت ولا أبوك ولا جدّك مرفد الناس قط، وإنّ الناس ليدعون في الغارات فيعرفون بتسويمهم فما رأيتك في خيل مغيرة في أوائل الناس قط، وإن اللبس ليكون بيننا فما حضرت أنت ولا أبوك ولا جدّك خطة فصل، وإنّما أنت فقع بقرقر وإنّي لاحتضر البأس وأُوفي المغنم وأَعِفُّ عن المسألة وأجُود بما ملكت يدي وأفصل الخطة الصماء، وأمّا الشعر فستعلم فكان أول ما قال:

هل غادر الشعراء من متردَّم[2]

تسمّى قصيدته تلك الذهبية.

«فتعصّبوا لخلال الحمد من الحفظ للجوار» في (كامل المبرد): ذكر أبو عبيدة أنّ رجلاً من السواقط ـ أي من ورد اليمامة من غير أهلها ـ من بني أبي بكر بن كلاب قدم اليمامة ومعه أخ له، فكتب له عُمَيرُ بن سُلمى أنّه له جار ـ وكان أخو هذا الكلابي جميلاً، فقال له قرين أخو عمير لا تَرِدَنَّ أبياتنا بأُخيك هذا، فرآه بعدُ بين أبياتهم فقتله ـ وقيل ان أخا عمير يتحدث إلى امرأة أخي الكلابي فعثر عليه زوجها فخافه قرين عليها فقتله، وكان عمير غائباً فأتى

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٧٠ ـ ٧٤.

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٧٥ ـ ٧٦.

الكلابي قبر سلمى أبي عمير وقرين فاستجار به ـ فلجأ قرين إلى قتادة بن مسلمة من حنيفة فحمل قتادة إلى الكلابي ديات مضاعفة وفعلت وجوه بني حنيفة مثل ذلك، فأبى الكلابي أن يَقبل، فلمّا قَدِمَ عمير قالت له أُمّه: لا تقتل أخاك وسُق إلى الكلابي جميع ماله. فأبى الكلابي أن يقبل، فلجأ قرينٌ إلى خاله فلم يمنع عميراً منه، فأخذه عمير فمضى به حتى قطع الوادي فربطه إلى نخلة وقال للكلابي: أما إذا أبيت إلّا قتله فامهل حتى أقطع الوادي وارتحل عن جواري فلا خير لك فيه ـ فقتله الكلابي ففي ذلك يقول عمير:

قَـتَلْنا أَخـانا للـوَفاء بـجارنا وكان أبونا قد تُجيرُ مقابِرُهْ[١]

«والوفاء بالذمام» فرضي السموأل بقتل ولده ولم يدفع ما استودعه امرؤ القيس إلى خصمه.

«والطاعة للبرّ والمعصية للكبر والأخذ بالفضل» في (العقد) كان سلم بنُ نوفل سيّد بني كنانة، فوثب رجلٌ على ابنه وابن أخيه فجرحهما فأُتي به فقال: ما امكنك[٢] من انتقامي. قال: فَلِمَ سوَّدناك إلّا أن تكظم الغيظ وتحلم عن الجاهل وتحتمل المكروه، فخلّى سبيله[٣].

هذا، ومن أمثالهم: «لو كان عنده كنز النطف ما غدا» قالوا: كان النطف فقيراً من بني يربوع يحمل الماء على ظهره فينطف أي: يقطر، وكان أغار على مال بعث به باذان من اليمن إلى كسرى، فأعطى منه يوماً حتى غابت الشمس فضربته العرب مثلاً[٤].

«والكفُّ عن البغي والإعظام للقتل والإنصاف للخلق واجتناب الفساد في

---

(١) الكامل في الأدب للمبرّد ١: ٢١١ بتصرف.

(٢) نسخة التحقيق «أَمّنك» و «امكنك» هو تحريف.

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربّه ٢: ٢٧١.

(٤) مجمع الأمثال ٢: ١٣٥.

الأرض» في (العقد) دخلت امرأة مشتكية على المأمون، فقال لها: وأين الخصم. قالت: الواقف على رأسك ـ وأومأت إلى ابنه العباس بن المأمون ـ فقال المأمون لأحمد بن أبي خالد: خذ بيد العباس فأجلسه مع المرأة، فجلس الخصوم فجعل كلامها يعلو كلام العباس، فقال لها أحمد: إنّك بين يدي الخليفة وتكلّمين الأمير فاخفضي من صوتك. فقال له المأمون: دعها يا أحمد! فإنّ الحقّ أنطقها وأخرسه، ثم قضى لها برد ضيعتها إليها وأمر بالكتاب لها إلى العامل ببلدها أن يسقط خراجها وأمر لها بنَفَقة[1].

(وفيه): ورد سليك بن سلكة على الحجّاج، فقال له: عصى عاص من عرض العشيرة فحلق على اسمي وهدم منزلي وحرمت عطائي. فقال له الحجّاج: هيهات أوما سمعت قول الشاعر:

جانيك من يَجْنِي عليك وقَدْ تُعدِي الصِّحَاحَ مَبارِكُ الجُرْب

ولرُبَّ مأخوذٍ بذَنب عشيرةٍ ونجا المُقارِفُ صاحبُ الذَّنب

فقال له سليك: إنّي سمعت الله عزوجل قال في غير هذا فقال حاكياً عن اخوة يوسف له ﴿فخذ أَحدنا مكانهُ إنّا نَراكَ من ٱلمحسنين* قال معاذ الله أن نأْخُذ إلّا من وجدنا متاعنا عندهُ إنّا إذاً لظالمُون﴾[2] فقال الحجّاج ليزيد بن مسلم كاتبه: أُفكك لهذا عن اسمه واصكك له بعطائه وابنِ له منزله ومر منادياً صدق الله وكذَب الشاعر[3].

(فيه): وقيل لقيس بن عاصم بِمَ سوَّدك قومك؟ قال: بكّفِّ الأَذى وبَذْل النّدى ونَصْر المَوْلى[4].

---

(١) العقد الفريد ١: ٤٤.

(٢) يوسف: ٧٨ ـ ٧٩.

(٣) العقد الفريد ١: ٤٦.

(٤) العقد الفريد ٢: ٢٦٩.

**«واحذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات»** جمع المثلة بالفتح فالضم فيهما، أي: العقوبات.

**«بسوء الأفعال وذميم الأعمال»** كقوم نوح قال تعالى: ﴿...فَلَبِثَ فيهم أَلفَ سنةٍ إلاَّ خمسينَ عاماً فأَخذَهُم ٱلطوفانُ وهم ظالمون﴾[1] وكقوم هود؛ قال: تعالى: ﴿وٱذكر أَخا عادٍ إِذ أَنذر قومه بالأَحقاف ... فلمّا رأَوهُ عارضاً مستقبل أَوديتهم قالوا هذا عارضٌ ممطرنا بل هو ما ٱستعجلتم به ريحٌ فيها عذابٌ أَليم * تدمّر كلّ شيءٍ بأَمر ربّها فأَصبحوا لا يرى إِلّا مساكنهم كذلك نجزي ٱلقوم المجرمين﴾[2] وكقوم صالح؛ قال تعالى: ﴿وإِلى ثمود أَخاهم صالحاً ... فعقروها فقال تمتّعوا في داركم ثلاثة أيام ... وأَخذ الّذين ظلموا الصيحة فأَصبحوا في دارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها﴾[3].

وكقوم لوط؛ قال تعالى: ﴿ولمّا جَآءت رسُلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يومٌ عصيب* وجاءهُ قومُه يُهرعون إِليه ومن قبل كانوا يعملون ٱلسيئات ... قالوا يا لوط إِنّا رُسل ربِّك لن يصلوا إِليك فأَسر بأَهلك بقطعٍ من ٱلليل ولا يلتفت منكم أَحدٌ إِلّا ٱمرأَتك إِنّه مصيبها ما أَصابهم إِنّ موعدهُم الصبح أَليس الصبح بقريب* فلَمّا جاء أَمرنا جعلنا عاليها سافلها وأَمطرنا عليها حجارةً من سجيلٍ منضودٍ * مسومةً عند ربك وما هي من ٱلظالمين ببعيد﴾[4] وكقوم شعيب؛ قال تعالى: ﴿وإِلى مدين أَخاهم شُعيباً ... ويا قوم أَوفوا ٱلمكيالَ وٱلمِيزان بالقسط ولَا تبخسوا ٱلناس أَشياءهم ولا تعثوا في ٱلأَرض مفسدينَ ... ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أَن يصيبكم مثل ما

---

(١) العنكبوت: ١٤ .

(٢) الأحقاف: ٢١ ـ ٢٥ .

(٣) هود: ٦١ ـ ٦٨ .

(٤) هود : ٧٧ ـ ٨٣ .

أصاب قومَ نُوحٍ أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوطٍ منكم ببعيد ... وأخذت ٱلذين ظلَموا الصيحة فأَصبحوا في ديارهم جاثمين ﴿ كأن لَم يغنوا فيها ألا بعداً لمدين كما بعدت ثَمُود﴾(١).

وقوم موسى؛ قال تعالى: ﴿وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبيّنات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين ﴿ فكلّاً أَخذنا بذنبه فمنهم من أَرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أَخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان ٱلله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾(٢).

«فتذكّروا في الخير والشر أحوالهم، واحذروا أن تكونوا أمثالهم» في الملالة من الخير والميل إلى الشر فتستحقوا المثلات أمثالهم.

«فإذا تفكّرتم في تفاوت حاليهم» في الخير والشر، وأن حالهم لمّا كان عملهم خيراً كانت خيراً ولمّا كان عملهم شرّاً كانت شرّاً.

«فالزموا كلّ أمر لزمت العزّة به شأنهم وزاحت» أي: بعدت وذهبت.

«الأعداء له» أي: لذلك الأمر.

«عنهم ومدّت العافية فيه» أي: في ذاك الأمر.

«عليهم، وانقادت النعمة له» أي: لذلك الأمر.

«معهم» فصارت غير منقطعة عنهم.

«ووصلت الكرامة عليه» أي: على ذلك الأمر.

«حبلهم» فصارت ملازمة لهم.

«من» بيانية لكلّ أمر أوجب تلك الأمور.

---

(١) هود: ٨٤ ـ ٩٥.

(٢) العنكبوت: ٣٩ ـ ٤٠.

«الاجتناب للفرقة» ﴿شرع لكم من ٱلدين ما وصّى به نوحاً وٱلذي أَوحينا إِليك وما وصَّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أَن أَقيموا ٱلدّين ولا تتفَرقوا﴾[١].

«واللزوم للألفة» والاتفاق.

«والتحاضّ» أي: الحث والترغيب.

«عليها» أي: على الأُلفة.

«والتواصي» أي: وصية الأول للآخر.

«بها» حتى تصيروا مثلهم في لزوم العزة شأنكم ودفع الأعداء عنكم ومدّ العافية عليكم وانقياد النعمة لكم وصلة الكرامة بحبلكم.

«واجتنبوا كلّ أمرٍ كسر فقرتهم» قال الجوهري: الفقارة بالفتح واحدة فقار الظهر، والفقرة بالكسر مثل الفقارة، وأجود بيت في القصيدة يسمّى فقرة تشبيهاً بفقرة الظهر[٢].

«وأوهن» أي: أضعف.

«منتهم» قال الجوهري: في «منن»: المنة بالضم القوّة[٣].

«من تضاغن القلوب» أي: انطوائها على الحقد.

«وتشاحن الصدور» أي: امتلائها من العداوة والشحناء.

«وتدابر النفوس» أي: تقاطعها.

«وتخاذل الأيدي» بترك التناصر.

«وتدبّروا أحوال الماضين من قبلكم كيف كانوا في حال التمحيص» أي: الاختبار والابتلاء من «محص الذهب» إذا خلّصه ممّا يشوبه.

---

(١) الشورى: ١٣.

(٢) الصحاح للجوهري ٢: ٧٨٢ مادة (فقر).

(٣) الصحاح للجوهري ٦: ٢٢٠٧ مادة (منن).

«البلاء» السوء.

«ألم يكونوا أثقل الخلق أعباءً» أي: احمالاً جمع العبء بالكسر الحمل قال:

الحاملُ العبءَ الثقيل عن الجاني بغير يدٍ ولا شُكْرِ[١]

«وأجهد العباد» أي: أشقهم.

«بلاء» أي: ابتلاء.

«وأضيق أهل الدنيا حالاً» أي: مالاً.

«إتخذتهم الفراعنة» قال الجوهري: فرعون لقب الوليد بن مصعب، وكل عاتٍ فرعون، وفي الحديث «أخذنا فرعون هذه الأمة»[٢].

«عبيداً» في تفسير القمّي: إستعبد آل فرعون قوم موسى وقالوا: لو كان لهؤلاء على الله كرامة كما يقولون ما سلّطنا عليهم، فقال موسى لقومه: ﴿يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين * فقالوا على الله توكلنا ربّنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾[٣].

«فساموهم سوء العذاب» أي: أعطوهم قال:

إذا سمته وصل القرابة سامني قطيعتها تلك السفاهة والظلم

الأصل فيه قوله تعالى لبني اسرائيل في البقرة: ﴿وإذ نجّيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يُذبّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربّكم عظيم﴾[٤].

«وجرّعوهم المرار» من المرارة، وأي مرّ أمر ممّا عملوه بهم من ذبح

---

(١) الصحاح للجوهري ١: ٦١ والبيت لزهير بن أبي سلمى: ديوانه ٣٦.

(٢) الصحاح للجوهري٦: ٢١٧٧ مادة (فرعن).

(٣) تفسير القمي ١: ٣١٤، والآيتان من سورة يونس: ٨٤ ـ ٨٥.

(٤) البقرة: ٤٩.

أبنائهم ولذلك قال تعالى لهم: ﴿وفي ذلكم بلاء من ربّكم عظيم﴾[١].

«فلم تبرح» أي: لم تزل.

«الحال بهم في ذل الهلكة» منهم.

«وقهر الغلبة» من أعدائهم.

«لا يجدون حيلة في امتناع» من الفراعنة.

«ولا سبيلاً إلى دفاع» شرّهم عنهم.

«حتى إذا رأى الله جدّ الصبر منهم على الأذى في محبّته، والاحتمال» أي: التحمّل.

«للمكروه من خوفه؛ جعل لهم من مضائق البلاء فرجاً» قال تعالى في سورة الدخان: ﴿ولقد نجّينا بني إسرائيل من ٱلعذاب المهين * من فرعون إنّه كان عالياً من المسرفين﴾[٢].

«فأبدلهم العزّ مكان الذلّ، والأمن مكان الخوف، فصاروا ملوكاً حكّاماً وأئمة أعلاماً» قال تعالى في سورة القصص: ﴿ونُريد أن نَمُنَّ على الّذين ٱستُضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلَهُمُ الوارثين* ونُمكّن لهم في الأرض ونُرِيَ فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾[٣] وفي سورة الأعراف ﴿وأورثنا ٱلقوم ٱلذين كانوا يُستَضعَفون مشارق الأرض ومغاربها ٱلّتي باركنا فيها وتمّت كلمة ربّك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمَّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾[٤].

«وقد بلغت الكراهة من الله لهم ما لم تبلغ» هكذا في (الطبعة المصرية)،

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الدخان: ٣٠ ـ ٣١.

(٣) القصص: ٥ ـ ٦.

(٤) الأعراف: ١٣٧.

والصواب: (مالم تذهب) كما في ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية[(١)].

«الآمال إليه بهم» قال تعالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين﴾[(٢)].

وفي سورة البقرة: ﴿وظَلّلنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾[(٣)].

في (الجلالين): ظلّل عليهم الغمام من حر الشمس في التيه وأنزل عليهم الترنجبين والطير السماني في التيه، وكانوا منهيين عن الادّخار فادَّخروا فانقطع عنهم[(٤)].

وفي السورة نفسها ﴿وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كُلُّ أُناس مشربَهُم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأَرض مفسدين﴾[(٥)].

وفي الجلالين أيضاً: عطشوا في التيه فضرب موسى حجره الذي كان كرأس الرجل ـ وهو الذي فر بثوبه ـ فانفجرت منه بعدد الأسباط الإثنى عشر لكل سبط عين.

«فانظروا كيف كانوا حيث كانت الأملاء» جمع الملأ.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٦٩ جاء بلفظ «مالم تذهب»، ابن ميثم (النسخة المنقحة) كما ورد في الطبعة المصرية ٤: ٢٨٨.

(٢) المائدة: ٢٠.

(٣) البقرة: ٥٧.

(٤) الجلالين: ١٢.

(٥) البقرة: ٦٠.

**«مجتمعة والأهواء متّفقة والقلوب معتدلة والأيدي مترادفة»** أي: متعاونة.

**«والسيوف متناصرة»** ينصر سيف ذا سيف ذاك، وسيف ذاك سيف ذا.

**«والبصائر نافذة»** في العمل.

**«والعزائم»** الارادات المتحركة للشخص إلى العمل.

**«واحدة»** ما عزمه ذا عزمه ذاك.

**«ألم يكونوا أرباباً في أقطار الأرضين، وملوكاً على رقاب العالمين»** لمّا كانوا متّفقين.

**«فانظروا إلى ما صاروا إليه في آخر أمورهم حين وقعت الفرقة وتَشَتَّت الأُلفة واختلفت الكلمة والأفئدة، وتشعبوا مختلفين وتفرّقوا متحاربين، قد خلع الله عنهم لباس كرامته وسلبهم غضارة نعمته»** أي: طراوتها وطيبها.

**«وبقي قصص أخبارهم فيكم عبرة للمعتبرين منكم»** كذلك شأن كل أُمة من الأُمم من العرب والعجم في غلبتهم وقت اتفاقهم، ومغلوبيتهم وقت افتراقهم.

وفي (الأخبار الطوال): لمّا تمّ لملوك الطوائف مائتا سنة وست وستون ظهر أردشير بن بابك بن ساسان بمدينة إصطخر، فدبَّ في ردّ ملك فارس في نصابه فلم يزل يغلب ملكاً ويقتل ملكاً حتى انتهى إلى فرخان ملك الجبل فقتله في صحراء الهرمزدجان، ثم سار إلى نهاوند ثم الريّ ثم خراسان لا يأتي حيّزاً إلّا أذعن له، ثم سار إلى سجستان ثم إلى كرمان ثم سار إلى فارس ثم سار إلى العراق، فتلقّاه من كان بها من ملوك الطوائف بالأهواز فقتلهم، ثم سار حتى عسكر بموضع المدائن اليوم فاختطّها وبناها....

هذا في أولهم إلى أن قال: في آخرهم ملكوا عليهم بوران بنت كسرى، وذلك أن شيرويه لم يدع احداً من اخوته خلا (جوان شير) لكونه طفلاً، فعند ذلك وَهى أمرهم وضعف سلطان فارس وفلّت شوكتهم، فلمّا أفضى الأمر إلى

بوران بنت كسرى بن هرمز شاع في أطراف الأرضين أنّه لا ملك لأرض فارس وإنّما يلوذون بباب امرأة، فخرج رجلان من بكر بن وائل يقال لأحدهما المثنى بن حارثة الشيباني والآخر سويد بن قطبة العجلي، فأقبلا حتى نزلا فيمن جمعا بتخوم أرض العجم، فكانا يغيران على الدهاقين فيأخذان ما قدرا عليه، فإذا طُلبا أمعنا في البرّ فلا يتبعهما أحد، وكان المثنّى يغير من ناحية الحيرة وسويد من ناحية الأُبَلّة وذلك في خلافة أبي بكر، فكتب المثنّى إليه يعلمه ضراوته بفارس ويعرّفه وهنهم ويسأله أن يمدّه بجيش، فلمّا انتهى كتابه إلى أبي بكر كتب إلى خالد بن الوليد ـ وقد كان فرغ من أهل الردة ـ أن يسير إلى أهل الحيرة فيحارب فارس ويضم المثنى ومن معه إليه، وكره المثنى ورود خالد عليه وكان ظن أن أبا بكر سيولّيه الأمر، فسار خالد والمثنّى بأصحابهما حتى أناخا على الحيرة، وتحصّن أهلها في القصور الثلاثة، ثم نزل إليه عمرو بن بقيلة وحديثه مع خالد في البيش معروف، ثم صالحوه في القصور الثلاثة على مائة ألف درهم يؤدّونها في كلّ عام إلى المسلمين، ثم ورد كتاب أبي بكر إلى خالد يأمره بالشخوص إلى الشام لمدد أبي عبيدة، فخلّف خالد بالحيرة مع المثنى عمرو بن حزم الأنصاري وسار على الأنبار وانحطّ على عين التمر ـ وكان بها مسلحة لأهل فارس ـ فحاصرهم حتى استنزلهم بغير أمان فضرب أعناقهم وسبى ذراريهم، ومن ذلك السبي أبو محمد بن سيرين وحمران بن عثمان مولى عثمان، وقتل فيها خالد خفيراً كان بها من العرب يسمّى هلال بن عقبة من النمر بن قاسط وصلبه، ومرّ بحيّ من بني تغلب والنمر، فأغار عليهم فقتل وغنم حتى انتهى إلى الشام، ولم يزل عمرو بن حزم والمثنى يتطرفإنّ أرض السواد ويغيران فيها حتى توفي أبو بكر وولي عمر سنة ثلاث عشرة، فعزم على

توجيه خيل إلى العراق فدعا أبا عبيد أبو المختار فعقد له على خمسة آلاف رجل[١]....

ومثل الاختلاف في مصالح الدنيا ترك أحكام الدين ومخالفة أوامر الله تعالى، قال تعالى: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في ٱلكتاب لتُفسدنَّ في الأرض مرَّتين ولتعلُنَّ علوّاً كبيراً* فإذا جاء وعد أُولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أُولي بأْسٍ شديد فجاسوا خلال ٱلديار وكان وعداً مفعولاً* ثم رددنا لكم ٱلكرّة عليهم وأَمددناكم بأموالٍ وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً* إن أَحسنتم أَحسنتم لأنفُسكم وإن أَسأتُم فلها فإذا جاء وعد ٱلآخرةِ ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا ٱلمسجد كما دخلوه أوّل مرّة وليتبّروا ما علوا تتبيراً﴾[٢].

قال الزمخشري: وافسادهم في المرة الاولى كان قتلهم زكريا وحبسهم ارميا حين أنذرهم بسخط الله، وإفسادهم في المرة الأخيرة كان بقتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم[٣].

والمراد بعباد أولي بأس شديد بعثوا عليهم سنحاريب وجنوده ـ وقيل بختنصر وقيل جالوت ـ قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخرّبوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفاً.

والمراد بردّ الكرّة لهم عليهم لمّا أقلعوا عن الافساد قيل: قَتْلُ بختنصر واستنقاذ بني اسرائيل أسراءهم وأموالهم ورجوع الملك إليهم، وقيل هي قتل داود لجالوت.

وقال في قوله تعالى بعدُ: ﴿عسى ربّكم أن يرحمكم وإن عُدتم عُدنا﴾[٤]

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٤٥.

(٢) الاسراء: ٤ ـ ٧.

(٣) الكشّاف للزمخشري ٢: ٦٤٩.

(٤) الاسراء: ٨.

قد عادوا إلى المعصية فأعاد الله عليهم النقمة بتسليط الأكاسرة وضرب الأتاوة عليهم.

وعن الحسن عادوا فبعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون.

وعن قتادة: ثم كان آخر ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحيَّ من العرب فهم منهم في عذاب إلى يوم القيامة[1].

هذا، وفي (غارات الثقفي) ـ في فتنة ابن الحضرمي بالبصرة من قبل معاوية وتعارض مخنف بن سليم وشبث بن ربعي في قومهما الأزد وتميم ـ قال علي عليه السلام: مه! تناهوا أيُّها الناس! وليردعكم الإسلام ووقاره عن التباغي[2] والتهاذي[3]، ولتجمع كلمتكم، والزموا دين الله الذي لا يقبل من أحد غيره، وكلمة الاخلاص التي هي قوام الدين وحجّة الله على الكافرين، واذكروا إذ كنتم قليلاً مشركين متفرقين متباغضين فألّف بينكم بالاسلام فكثّرتم واجتمعتم وتحاببتم، فلا تفرّقوا بعد إذ اجتمعتم ولا تباغضوا بعد إذ تحاببتم، وإذا رأيتم الناس وبينهم النائرة قد تداعوا إلى العشائر والقبائل فاقصدوا لهامهم ووجوههم بالسّيف حتى يفزعوا إلى الله تعالى وإلى كتابه وسنّة نبيّه، فأمّا تلك الحميّة حين تكون في المسلمين؛ من خطرات الشيطان فانتهوا عنها ـ لا أباً لكم ـ تفلحوا وتنجحوا[4].

---

(١) الكشّاف للزمخشري ٢: ٦٥٠.

(٢) التباغي: ظلم بعضهم بعضاً.

(٣) التهاذي: التكلّم بغير المعقول.

(٤) الغارات للثقفي: ٢٧١ ـ ٢٧٢.

# ٣
## الخطبة (٧)

ومن خطبة له عليه السلام:

**اَتخَذُوا الشَّيْطَانِ لِأَمْرِهِمْ مِلَاكاً، وَاتَّخَذَهُمْ لهُ أَشْرَاكاً، فبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ، فَنَظَرَ بأَعْيُنِهِمْ وَنَطَقَ بأَلْسِنَتِهِمْ، فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ وَزَيَّنَ لَهُمُ الخَطَلَ، فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ.**

أقول: أخذها منه عليه السلام الحجّاج فخطب بها بعد دير الجماجم فقال كما في (بيان الجاحظ) ـ يا أهل العراق! إنّ الشيطان قد استبطنكم فخالَطَ اللّحم والدّم والعصب والمسامع والأطراف والأعضاء والشغاف، ثم أفضى إلى الأمخاخ والأصماخ، ثم ارتفع فعشّش ثم باض وفرّخ، فحشاكم نفاقاً وشقاقاً وأشعركم خلافاً، واتخذتموه دليلاً تتّبعونه وقائداً تطيعونه ومؤامراً تستشيرونه، فكيف تنفعكم تجربة وتعظكم وقعة، أو يحجِزُكم إسلام أو ينفعكم بيان، ألستم أصحابي بالأهواز...[١].

وكلامه عليه السلام كلّه استعارات ومجازات وكنايات، ونظيره في ذلك كلامه عليه السلام في وصف التائبين وان كان الموصوفون فيهما متضادّين، فقال عليه السلام ـ كما في (تذكرة سبط ابن الجوزي) ـ غرسوا أشجار ذنوبهم نصب عيونهم وقلوبهم وسقوها بمياه الندم فأثمرت لهم السلامة وأعقبتهم الرضا والكرامة[٢].

«إتخذوا الشّيطان» قال الجوهري: نون الشيطان أصلية ـ ويقال زائدة ـ

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ٢: ١٣٨.

(٢) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٧.

فإن جعلته فيعالا من قولهم «تشيطن الرجل» صرفته، وان جعلته من «شيط» لم تصرفه لأنّه فعلان.

وقال أيضاً: وكلّ عاتٍ متمرّد من الجنّ والإنس والدوابّ؛ شيطان أيضاً[١]، وأمّا قوله تعالى: ﴿طلعها كأنّه رؤوس الشياطين﴾[٢] فقال الفرّاء فيه أوجه: أحدها أن يشبه طلعها في قبحه برؤوس الشياطين لأنّها موصوفة بالقبح، وثانيها ان العرب تسمّي بعض الحيّات شيطاناً وهو ذو العرف قبيح الوجه، والثالث أنّه نبت قبيح يسمّى رؤوس الشياطين[٣].

«لأمرهم ملاكاً» أي: مالكاً وقيّماً ﴿ومن يتّخذ ٱلشّيطان وليّاً من دون ٱلله فقد خسر خُسراناً مبيناً﴾[٤].

في (صفّين نصر بن مزاحم): حمل شمر الخثعمي ـ من أهل الشام ـ على أبي كعب ـ رأس خثعم الكوفة ـ فطعنه فقتله، ثم انصرف يبكي فقال: والله ما أدري ما أقول، ولا أرى الشيطان إلّا قد فتننا، ولا أرى قريشاً إلّا لعبت بنا[٥].

وفي (تاريخ ابن الأثير): دخل قاضي قضاة الأندلس وهو منذر بن سعيد البلوطي المتوفى سنة (٣٦٦) ـ يوماً على عبد الرحمن الناصر صاحب الأندلس بعد أن فرغ من بناء «الزهراء» وقصورها، وقد قعد في قبة مزخرفة بالذهب والبناء البديع الذي لم يُسبق إليه ومعه جماعة من الأعيان، فقال عبد الرحمن: هل بلغكم أنّ أحداً بنى مثل هذا البناء. فقال له الجماعة: لم نر ولم نسمع بمثله وأثنوا وبالغوا، والقاضي مطرق، فاستنطقه عبد الرحمن، فبكى

---

(١) الصحاح للجوهري ٥: ٢١٤٥ مادة (شطن).

(٢) الصافات: ٦٥.

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢: ٣٨٧.

(٤) النساء: ١١٩.

(٥) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم المنقري: ٢٥٧.

القاضي وانحدرت دموعه على لحيته وقال: واللّه ما كنت أظنّ أنّ الشيطان يبلغ منك هذا المبلغ ولا أن تمكّنه من قيادك هذا التمكين؛ مع ما آتاك اللّه وفضّلك به حتى أنزلك منازل الكافرين. فقال له عبدالرحمن، أُنظر ما تقول وكيف أنزلني منزلة الكافرين؟ فقال له: قال تعالى: ﴿ولولآ أن يكُونَ ٱلناسُ أُمّة واحِدَةً لجَعَلنا لمَن يكفُر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضةٍ ومعارج عليها يظهرُون * ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتّكئون * و زخرفاً ... وٱلآخرة عند ربك للمُتّقين﴾[1] فوجم عبدالرحمن وبكى وقال: أكثر اللّه في المسلمين مثلك[2].

«واتّخذهم له أشراكاً» أي: مصائد قال الفيّومي، الشَّرَك للصائد معروف، والجمع أشراك مثل سبب وأسباب[3]. أو المعنى شركاء. فقال الجوهري: شريك يجمع على شركاء وأشراك[4].

في (الكشّي) في عنوان (غلاة وقت الهادي عليه السلام) علي بن حسكة والقاسم بن يقطين. قال محمد بن عيسى: كتب إليّ أبوالحسن عليه السلام: لعن اللّه القاسم اليقطيني، ولعن اللّه علي بن حسكة القمّي، إن شيطاناً تراءى للقاسم فيوحي إليه زخرف القول غروراً[5].

وفي (الكشي) أيضاً في عنوان (السرّي) عن الصادق عليه السلام: إنّ بياناً والسرّي وبزيعاً لعنهم اللّه ترآءى لهم الشيطان في أحسن ما يكون صورة

---

(١) الزخرف: ٣٣ ـ ٣٥.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزرري ٨: ٦٧٤.

(٣) المصباح المنير للفيّومي ١: ٤٢٣.

(٤) الصحاح للجوهري ٤: ١٥٩٣، مادة (شرك).

(٥) الكشي للطوسي: ٥١٨، وقد ؟؟ إلى ذلك في الصفحة ١٤١.

آدمي من قرنه إلى سرّته[1].

وفي (المروج) قال إسحاق الموصلي: بينا أنا ذات ليلة عند الرشيد أُغنّيه إذ طرب لغنائي وقال لاتبرح، ولم أزل أُغنّيه حتى نام. فأمسكت ووضعت العود من حجري وجلست مكاني، فإذا شاب حسن القدّ عليه مقطّعات خزٍّ وهية جميلة، فدخل وسلم وجلس، فجعلت أعجب من دخوله في ذلك الوقت إلى ذلك الموضع بغير استيذان، ثم قلت في نفسي: لعل بعض ولد الرشيد من لم نعرفه ولم نره. فضرب بيده على العود فأخذه ووضعه في حجره وجسّه فرأيت أنّه جس أحسن خلق اللّه، ثم أصلحه إصلاحاً ما أدري ما هو ثم ضرب ضرباً ما سمعت أُذُني أجود منه، ثم اندفع يغنّي:

ألا علّلاني قبل أن نتفرقا
وهات اسقني صرفاً شراباً مروّقا

فقد كاذَ ضوء الصبح أن يفضح الدجى
وكاد قميص الليل أن يمتزقا

ثم وضع العود من حجره وقال: يا عاض بظرأمّه! إذا غنّيت فغنِّ هكذا. ثم خرج فقمت على أثره فقلت للحاجب: من الفتى الذي خرج الساعة؟ فقال: ما دخل هنا أحد ولا خرج، فقمت متعجّباً ورجعت إلى مجلسي وانتبه الرشيد فقال شأنك، فحدثته بالقصة فبقي متعجّباً وقال لقد صادقت شيطاناً. ثم قال: أعد علي الصوت، فأعدته فطرب طرباً شديداً وأمر لي بجائزة فانصرفت.

وفي (الاغاني): قال إبراهيم الموصلي: سألت الرشيد أن يهب لي يوماً في الجمعة لا يبعث فيه إليّ بوجه ولا سبب لأخلو فيه بجواريَّ وإخواني، فأذن لي في يوم السبت وقال: هو يوم أستثقله ما له بما شئت. فأقمت فيه بمنزلي

---

(١) الكشي للطوسي: ٣٠٤، في ترجمة (بيان) رقم ٥٤٧.

وتقدّمت في إصلاح طعامي وشرابي بما احتجت إليه، وأمرت بوّابي فأغلق الأبواب وتقدّمت ألّا يأذن عليَّ لأحد، فبينا أنا في مجلسي والحرم قد حفّوا بي وجواريَّ يتردَّدن بين يديّ؛ إذا أنا بشيخ ذي هيئة وجمال عليه خفّان قصيران وقميصان ناعمان، وعلى رأسه قلنسوة لاطية وبيده عكازة مقمّعة بفضة، وروائح المسك تفوح منه حتى ملأ البيت والدار، فداخلني بدخوله عليَّ مع ما تقدّمت فيه غيظ ما تداخلني قط مثله، وهممت بطرد بوّابي، فسلّم عليَّ أحسن سلام فرددت عليه وأمرته بالجلوس، فجلس ثم أخذ في أحاديث الناس وأيّام العرب وأشعارها حتى سلّى ما بي من الغضب، وظننت أنّ غلماني تحرّوا مسرّتي بإدخالهم مثله عليّ لأدبه وظرفه، فقلت: هل لك في الطعام؟ فقال: لا حاجة لي فيه. فقلت: هل لك في الشراب؟ فقال: ذاك إليك.

فشربت رطلا وسقيته مثله: فقال لي: يا أبا إسحاق! هل لك أن تغنّي لنا شيئاً من صنعتك وما قد نفقت به عند الخاص والعام، فغاظني قوله، ثم سهَّلت على نفسي أمره؛ فأخذت العود فجسسته ثم ضربت فغنّيت، فقال: أحسنت يا إبراهيم. فقلت: ما رضي بما فعله من دخوله عليّ بغير إذن، واقتراحه أن أغنّيه حتى سمّاني ولم يكنّني ولم يجمل مخاطبتي، ثم قال: هل لك أن تزيدنا، فتذمّمت فأخذت العود فغنّيت فقال: أجدت يا أبا إسحاق فأتمَّ حتى نُكافِئَكَ ونغنّيك، فأخذت العود وتغنّيت وتحفَّظت وقمت بما غنّيته إيّاه تامّاً ما تحفَّظت مثله ولا قمت بغناء كما قمت به له بين يدي خليفة قطّ، لقوله: أُكافئك، فطرب وقال: أحسنت يا سيدي. ثم قال: أتأذن بعدك بالغناء. فقلت: شأنك ـ واستضعفت عقله في أن يغنّي بحضرتي بعد ما سمعه منّي ـ فأخذ العود وجسه فوالله لخلته ينطق بلسان عربيّ لحسن ما سمعت من صوته ثم تغنّى:

ولي كَبِدٌ مقروحةٌ مَنْ يبيعني ... بها كَبِداً ليستْ بذات قُروح

أبـاها عـليّ الـنـاسُ لا يشـترونها ومـن يشتري ذا عِلّةٍ بـصحيح
أئِنٌّ من الشوق الذي في جوانبي أنينَ غـصيصٍ بـالشّراب جَـريح

فواللّه لقد ظننت الحيطان وكل ما في البيت يجيبه ويغنّي معه من حسن غنائه حتى خلت واللّه أنّي وعظامي وثيابي تجاوبه، وبقيت مبهوتاً لا أستطيع الكلام ولا الجواب ولا الحركة لمّا خالط قلبي. ثم غنّى:

ألا يا حمامات اللِّوى عُدنَ عَوْدَةً فـإنّي إلى أصـواتكـنَّ حـزينُ
فعُدن فلما عُـدْنَ كِدْنَ يُـمتنَني وكـدتُ بأسـراري لهـنّ أبـينُ
دَعَـوْنَ بـترداد الهَـدير كأنّـما سُـقين حُـمَيّاً أو بـهنَّ جُـنونُ
فـلم تَـرَ عـيني مـثلَهنّ حـمائماً بكـينَ ولم تَـدْمَع لهـنّ عـيونُ

فكاد واللّه عقلي أن يذهب طرباً ممّا سمعت، ثم غنّى:

ألا يا صَبا نجد متى هِجتِ من نجدِ لقد زادني مَسْراكِ وَجْداً على وَجـدِ
بكيتُ كـما يـبكي الـحزينُ صـبابةً وذُبتُ من الحزن المـبرِّحِ والجَـهْدِ
أأَن هتفتْ وَرقاءُ في رَوْنق الضُّـحَى على غُصُنٍ غضٍّ[1] النّبات من الرَّند
وقـد زعـموا أَنّ المـحبَّ إذا نأى[2] يَمَلُّ وأَن النأي يَشـفِي مِـنَ الوَجْـد
بكـلٍّ تـداويـنا فـلم يُشـفَ مـا بـنا على أنَّ قرب الدار خيرٌ مـن البُـعد

ثم قال: يا إبراهيم هذا الغناء الماخوري فخذه وانحُ نـحوه فـي غـنائك وعلّمه جواريك. فقلت: أعده عليّ. فقال: ليس تحتاج قد أخذته وفرغت منه. ثم غاب من بين يديّ، فقمت إلى السيف فـجرّدته وعـدوت نـحو أبـواب الحـرم فوجدتها مغلقة، فقلت للجواري: اي شيء سمعتنّ عندي. فقلن: سمعنا احسن غناء سمع قط، فخرجت متحيّراً إلى باب الدار فوجدته مغلقاً، فسألت البـوّاب

(١) نسخة التحقيق بلفظ (فتن).
(٢) نسخة التحقيق بلفظ (دنا).

عن الشيخ فقال: أيّ شيخ هو، واللّه ما دخل إليك اليوم أحد. فرجعت لأتأمل أمري فإذا هو قد هتف من بعض جوانب البيت: لا بأس عليك يا أبا إسحاق، أنا إبليس كنت نديمك اليوم فلا ترع. فركبت إلى الرشيد وقلت: لا أطرفه بطرفة مثل هذه، فدخلت عليه وحدثته بالحديث فقال: ويحك! تأمّل هذه الابيات هل أخذتها، فأخذت العود أمتحنها فإذا هي راسخة في صدري كأنّها لم تزل، فطرب الرشيد وجلس يشرب ولم يكن عزم على الشراب وأمر لي بصلة وحملان وقال: كان الشيخ أعلم بما قال لك من أنك أخذتها وفرغت منها، فليته أمتعنا بنفسه يوماً واحداً كما أمتعك[1].

قلت: عمره كان معه وهو يتمنّى يوماً.

«فباض وفرّخ في صدورهم» وقال الجوهري: يقال: فرّخ الطائر وأفرخ[2].

في (تفسير العياشي) عن زرارة عن الباقر عليه السلام: كان الحجّاج ابن شيطان، يباضع ذي الردهة، إنّ يوسف دخل على امرأته ام الحجّاج فأراد أن يصيبها فقالت: أليس إنّما عهدك بذلك الساعة، فأمسك عنها فولدت الحجّاج[3].

وروى مثله عن السجاد عليه السلام وزاد: إنه عليه السلام أمر يوسف بالإمساك عن زوجته (وفيه) وهو ابن الشيطان ذي الردهة[4].

وفي (المروج): ولد الحجّاج مشوّهاً لا دبر له، فثقب عن دبره وأبى أن يقبل ثدي أمّه، فيقال: إنّ الشيطان تصور لهم في صورة الحرث بن كلدة فقال: ما خبركم؟ فأخبروه فقال: إذبحوا جدياً أسود وأولغوه دمه، فإذا كان في اليوم الثاني فافعلوا به كذلك، فإذا كان في اليوم الثالث فاذبحوا له تيساً أسود

(١) الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ٥: ٢٣١ ـ ٢٣٤.

(٢) الصحاح للجوهري ٢: ٤٢٨ مادة (فرخ).

(٣) تفسير العياشي ٢: ٣٠١، وذكره البحراني في تفسير البرهان ٢: ٤٢٧ والمجلسي في البحار ٨: ٣٨٠.

(٤) المصدر نفسه ٢: ٢٩٩.

وأولغوه دمه، ثم إذبحوا له أسود سالخاً ـ أي: الأسود من الحيّات ـ فأولغوا دمه واطلوا به وجهه فإنّه يقبل الثدي في اليوم الرابع، ففعلوا به ذلك فكان بعد لا يصبر عن سفك الدماء(١).

وعن ابن خلّكان: قال الفارسي: أنشدني ابن دريد لنفسه:

وحمراء قبل المزج صفراء بعده
بدت في لباسَيْ نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفاً فسلّطوا
عليها مزاجاً فاكتست لون عاشق

وقال: جاءني إبليس في المنام وقال: أغرت على أبي نؤاس. فقلت: نعم. فقال: أجدت إلّا أنّك أسأت في شيء؛ قدَّمت الحمراء فقلت: «وحمراء» ثم قلت «نرجس وشقائق» فقدَّمت الصفراء(٢).

وقريب من استعارته عليه السلام هذه من بيض الشيطان وإفراخه في صدورهم استعارة من النبي صلى الله عليه وآله في وصيته لأمراء الجيش الذي بعثه إلى مؤتة على نقل المصنف في مجازاته «وستجدون آخرين للشيطان في رؤوسهم مفاحص فاقلعوها بالسيوف» قال في شرحه: وهذه من الإستعارات العجيبة والمجازات اللطيفة، وذلك أنَّ من كلام العرب أن يقول منهم إذا أراد ان يصف إنساناً بشدة الارتكاس في غيّه والارتكاض في عنان بغيه: «قد فرخ الشيطان في رأسه» أو «قد عشَّش الشيطان في قلبه»، فذهب صلى الله عليه وآله إلى ذلك الوضع وبنى على ذلك الأصل فقال: «للشيطان في رؤوسهم مفاحص»، والمفحص في الأصل الموضع الذي تبحثه القطاة لتجثم

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ١٢٥.
(٢) أوفيات الأعيان لابن خلكان ٤: ٣٢٧.

عليه أو لتبيض فيه، إنّما قيل له مفحص لأنّها لا تجثم فيه إلّا بعد أن تفحص التراب عنه توطئة لمجثمها وتمهيداً لجسمها، فيحتمل قوله صلى الله عليه وآله أحد معنيين:

أحدهما: أن يكون أراد أنَّ الشيطان قد بدا يختدعهم ويغرُّهم ويستوهنهم ويضلّهم ولم يبلغ بعد من ذلك غايته ولا استوعب خديعته كالقطاة التي بدأت باتخاذ المفحص لتبيض فيه وتربّي فرخها فيه.

والثاني: أن يكون أراد أنّ الشيطان قد استوطن رؤوسهم فجعلها له مقيلا ومبركاً وملعباً ومتمعّكاً كما تتخذ القطاة مفحصاً لتأوي إليه[1].

هذا، وفي (بلاغات نساء البغدادي) قال إسحاق الموصلي: سألت أعرابية عن الأير ما هو؟ فقالت: عصبة نفخ فيها اشيطان فلا يرد أمرها[2].

«ودب ودرج في حجورهم» الاصل في الدبِّ دبيب النمل، ويطلق على مشي الصبيّ على بدنه ومشي الشيخ على العصا، فيقال «أدببت الصبى» حملته على الدبيب و«دبّ الشيخ». والدرج المشي المتعارف، ومن أمثالهم: «أكذب من دبَّ ودرج» وأيضاً: «أعييتنى من شبَّ إلى دبَّ»[3] أي: اكذب الصغار والكبار ومن شبابه إلى هرمه.

وفي (الإرشاد): روى زكريا بن يحيى القطّان عن فضيل بن الزبير عن أبي الحكم قال: سمعت مشيختنا وعلماءنا يقولون: خطب عليٌّ عليه السلام فقال في خطبته: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا تسألوني عن فئة تضل مائة وتهدي مائة إلّا نبّأتكم بناعقها وسائقها إلى يوم القيامة. فقام إليه رجل فقال: أخبرني كم في رأسي ولحيتي طاقة شعر. فقال عليه السلام: والله لقد حدثني خليلي رسول

---

(١) المجازات النبوية للشريف الرضي: ٣٣ ـ ٣٤.

(٢) بلاغات النساء لابن طيفور: ٢٢٣.

(٣) لسان العرب لابن منظور ١: ٣٧٠.

اللّه ﷺ بما سألت عنه وان على كل طاقة شعر من رأسك ملكاً يلعنك وعلى كل طاقة شعر من لحيتك شيطاناً يستفزّك، وان في بيتك لسخلاً يقتل ابن رسول اللّه، ولولا أن الذي سألت عنه يعسر برهانه لأُخبرتك به. وكان ابنه في ذلك الوقت صغيراً يحبو، فلمّا كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان تولّى قتله وكان الأمر كما قال عليه السلام[١].

قلت: وفي خبر ان السائل كان أبا سنان بن انس[٢].

«فنظر بأعينهم ونطق بألسنتهم» في الاستيعاب ـ في عامر بن عبدة، روى عامر عن النبي ﷺ ان الشيطان يأتي القوم في صورة الرجل يعرفون وجهه ولا يعرفون نسبه فيحدثهم فيقولون حدثنا فلان ما اسمه ليس يعرفونه[٣].

وفي (الأغاني) عن حولا مولاة ابن جامع: انتبه مولاي يوماً من قائلته فقال عليَّ بهشام ـ يعني ابنَه ـ اُدعُوه لي عجّلوه، فجاء مسرعاً فقال: خذ العُودَ فإنّ رجلاً من الجن ألقى عليّ في قائلتي صوتاً فأخاف أَن أَنساه، فأخذ هشام العود وتغنّى ابنُ جامع عليه رملاً لم أسمع رملاً أحسن منه وهو:

أمستْ رُسوم الديار غيَّرها هوجُ الرِّياح الزَّعازع العُصُفِ
وكلُّ حَنّانة لها زَجَلٌ مثلُ حَنين الروّائم الشُّغُفِ

فأخذه عنه هشام فكان بعد ذلك يتغناه وينسبه إلى الجن[٤].

قلت: لابدّ أنّه استحى أن يقول: إنّ الشيطان ألقى عليّ فقال: إنّ رجلا من الجنّ ألقى عليّ.

وفي (الكشّي) في محمد بن أبي زينب؛ قال بريد العجلي: سألت أبا

(١) الإرشاد للمفيد: ١٧٤ عن حديث الاصبغ ابن نباته.

(٢) في البحار ٤٠: ١٩٢، السائل هو أبو الحصين بتميم بن اُسامة التميمي.

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر ٢: ٧٩٥

(٤) الأغاني للأصفهاني ٦: ٢٩٤.

عبدالله عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿هل أُنبّئكم على من تنزّل الشياطين * تَنزّلُ على كلِّ أفاكٍ أثيم﴾[١] قال: هم سبعة؛ المغيرة بن سعيد وبنان[٢] وصائد[٣] النهدي والحرث[٤] الشامي وعبدالله بن الحارث وحمزة بن عمارة وأبوالخطاب[٥].

وعن الصادق عليه السلام ـ وذكر الغلاة ـ قال: إنّ فيهم من يكذب حتى أنّ الشيطان ليحتاج إلى كذبه.

وعن زرارة؛ قال أبو عبدالله عليه السلام: أيزعم حمزة أن أبي يأتيه؟ قلت: نعم. قال: كذب والله! ما يأتيه إلّا المتكون، إنّ إبليس سلّط شيطاناً يقال له المتكون يأتي الناس في أي صورة شاء، ولا والله ما يستطيع ان يجيء في صورة أبي[٦].

وعن الصادق عليه السلام قال لأصحاب أبي الخطاب: إنّ شيطاناً يقال له المذهب يأتي في كل صورة إلّا أنّه لا يأتي في صورة نبيٍّ ولا وصيِّ نبيٍّ، ولا أحسبه إلّا وقد ترأى لصاحبكم...[٧].

وأظن أنّ الأصل في «المذهب» و«المتكون» في سابقه واحد.

«فركب بهم الزلل وزيّن لهم الخطل» أي: المنطق الفاسد المضطرب.

«فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه ونطق بالباطل على لسانه» في (الكشّي) عن الصادق عليه السلام: إبليس اتّخذ عرشاً في ما بين السماء والأرض، فإذا

---

(١) الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٢) نسخة التحقيق (بيان).

(٣) نسخة التحقيق (صايد).

(٤) نسخة التحقيق (الحارث).

(٥) رجال الكشي للطوسي: ٢٩٠ ـ ٢٩١.

(٦) المصدر نفسه: ٣٠٠.

(٧) المصدر نفسه: ٢٩٣.

دعا رجلا فأجابه ووطئ عقبه وتخطّت إليه الأقدام تراءى له إبليس ورفع إليه[١].

وفي (الأغاني): أتى الفرزدق الحسن البصري فقال: إني هجوت إبليس فاسمع منّي. قال: لا حاجة لنا بما تقول. قال: لتسمعنّ أو لأخرجنّ فأقول للناس إنّ الحسن ينهى عن هجاء إبليس. فقال: أُسكت فإنّك بلسانه تنطق[٢].

أيضاً: ما زال بشّار يهجو حماد عجرد ولا يرفث في هجائه حتى قال حمّاد: من كان مثل أبيك يا أعمى أبوه فلا أباً له. فقال بشّار: جزى اللّه ابن نهبى خيراً لقد كنت أردّ على شيطاني أشياء من هجائه إبقاءً على المودّة ولقد أطلق من لساني ما كان مقيداً عنه[٣].

أيضاً: كان يزيد بن أسد ـ جد خالد بن عبداللّه القسري ـ يلقب خطيب الشيطان، وكان أكذب الناس في كل شيء معروفاً بذلك، ثم نشأ ابنه عبداللّه فسلك منهاجه من الكذب، ثم نشأ خالد ففاق الجماعة إلّا أنّ رئاسةً وسخاءً كانا فيه سترا أمره[٤].

أيضاً: قالت أسماء بنت المهدي: قلت لأخي إبراهيم: أشتهي واللّه أن أسمع من غنائك شيئاً. فقال: إذن واللّه يا أُختي لا تسمعين مثله. عليَّ وعليَّ ـ وغلّظ باليمين ـ إن لم يكن إبليس ظهر لي وعلّمني وصافحني وقال لي: إذهب فأنت منّي وأنا منك.

---

(١) في نسخة التحقيق من رجال الكشي: إن إبليس اتخذ عرشاً فيما بين السماء والأرض واتخذ زبانية كعدد الملائكة: ٣٠٣ ـ ٣٠٤.

(٢) لفظ الأصفهاني في الأغاني ٢١: ٣٥٧، أتى الفرزاق الحسن البصري فقال: إين قد هجوت إبليس، فقال: كيف تهجوه وعن لسانه تنطق.

(٣) الأغاني الأصفهاني ١٤: ٣٤٦ ـ ٣٤٧.

(٤) الأغاني الأصفهاني ٢٢: ١١.

أيضاً: قال إبراهيم بن المهدي: غضب عليّ محمد الأمين في بعض هنات فسلّمني إلى كوثر فحبسني في سرداب وأغلق عليّ، فمكثت فيه ليلتي فلمّا أصبحت إذا أنا بشيخ قد خرج عليّ من زاوية السرداب ودفع إليَّ شيئاً فقال: كل فأكلت ثم أخرج قنّينة شراب فقال: إشرب فشربت، ثم قال لي: غن

لي مُــدّةٌ لابُــدّ أبــلُغها   مــعلومةٌ فـإذا انـقضتْ مُتُّ

لو ساوَرتني الأُسدُ ضـاريةً   لغَـلبتُها مـا لم يَـجِي الوقتُ

فغنَّيته وسمع كوثر فصار إلى الامين وقال له: قد جُنَّ عمُّك وهو جالس يغنّي بكيت وكيت، فأمر بإحضاري فأُحضِرتُ وأخـبرته بـالقصة فأمـر لي بسبعمائة الف درهم ورضي عنّي[1].

ومرّ في فصل شكايته عليه السلام من أهل عصره ما له ربط بما هنا.

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: إنَّ العبد يوقظ ثلاث مرات مـن اللّـيل، فإنْ لم يقم أتاه الشيطان فبال في أُذنه[2].

وفي (غناء الكافي) في أشربته عن إسحاق بن حريز عن الصادق عليه السلام أن شيطاناً يقال له القفندر إذا ضرب في منزل رجل أربـعين يـوماً بـالبربط ودخل عليه الرجال؛ وضع ذلك الشيطان كل عضو منه على مثله من صاحب البيت ثم نفخ فيه نفخة فلا يغار بعده حتى تؤتى نساؤه فلا يغار[3].

وفي (تقريب ابن حجر): كان محمد بن سعد بن أبي وقاص -وهو أخو عمر ابن سعد- يلقب ظل الشيطان لقصره[4].

وعن أبي داود المسترق: من ضرب في بيته بربط أربعين يوماً سلط

(١) الأغاني ١٠: ١٠٤.

(٢) الكافي للكليني ٣: ٤٤٦ ح١٨ عن محمّد بن مسلم.

(٣) الكافي للكليني ٥: ٥٣٦ ح٥.

(٤) تقريب التهذيب لابن حجر ٢: ١٦٤، وقال عنه ثقة في الطبقة الثالثة قتله الحجّاج فيما بعد الثمانين.

اللّه عليه شيطاناً يقال له القفندر، فلا يبقى عضو من أعضائه إلّا قعد عليه، فإذا كان كذلك نزع منه الحياء ولم يبال ما قال ولا ما قيل فيه[١].

وعن الحسن بن علي بن يقطين عن أبي جعفر عليه السلام: من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق يروي عن اللّه عز وجل فقد عبد اللّه، وإن كان الناطق يروي عن الشيطان فقد عبد الشيطان[٢].

وفي الخبر الثاني من أول صوم (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله: ألا أخبركم بشيء ان أنتم فعلتموه تباعد الشيطان منكم كما تباعد المشرق من المغرب. قالوا: بلى. قال: الصوم يسوِّد وجهه، والصدقة تكسر ظهره، والحبُّ في اللّه، والمؤازرة على العمل الصالح يقطع دابره، والاستغفار يقطع وتينه، ولكل شيء زكاة وزكاة الأبدان الصيام[٣].

---

(١) الكافي للكليني ٦: ٤٣٤ ح١٧.

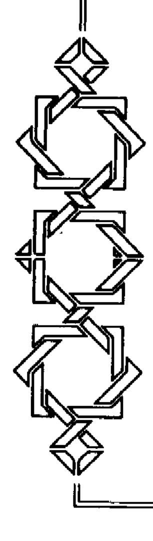
(٢) الكافي للكليني ٦: ٤٣٤ ح٢٤.

(٣) الكافي للكليني ٤: ٦٢ ح٢ عن إسماعيل بن أبي زياد.



# الفصل الستون

## في موضوعات مختلفة





## ١
## الكتاب (٧٤)

ومن حلف له عليه السلام كتبه بين ربيعة واليمن ونقل من خط هشام الكلبيّ:

هَذَا مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْيَمَنِ حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا وَرَبِيعَةُ حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا أَنَّهُمْ عَلَى كِتَابِ اللهِ يَدْعُونَ إِلَيْهِ وَيَأْمُرُونَ بِهِ وَيُجِيبُونَ مَنْ دَعَا إِلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ/لَا يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً وَلَا يَرْضَوْنَ بِهِ بَدَلًا، وَأَنَّهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَى مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ وَتَرَكَهُ، أَنْصَارٌ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: دَعْوَتُهُمْ وَاحِدَةٌ، لَا يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ لِمَعْتَبَةِ عَاتِبٍ وَلَا لِغَضَبِ غَاضِبٍ وَلَا لِاسْتِذْلَالِ قَوْمٍ قَوْماً، عَلَى ذَلِكَ شَاهِدُهُمْ وَغَائِبُهُمْ وَسَفِيهُهُمْ وَعَالِمُهُمْ وَحَلِيمُهُمْ وَجَاهِلُهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ إِنَّ عَهْدَ اللهِ كَانَ مَسْؤُولاً.

وَكَتَبَ: عَلِيُّ بْنُ أَبي طَالِبٍ.

أقول: قول المصنف (ومن حلف له عليه السلام) قال الجوهري: الحلف -بالكسر- العهد يكون بين القوم[1]، والمراد بالأحلاف في شعر زهير:

تَدَارَكتُما الأحلاف قد ثُلَّ عَرْشُها وذُبْيانُ قد زَلّت بأقدامِها النَّعلُ[2]

أسد وغطفان لأنهم تناصروا على التحالف، والأحلاف أيضاً قوم من ثقيف لأنَّ ثقيفاً فرقتان: بنو مالك والأحلاف، ويقال لبني أسد وطيّ: الحليفان، ويقال ايضاً لفزارة وأسد: حليفان لأنّ خزاعة لمّا أجلت بني أسد عن الحرم وخرجت حالفت طيئاً ثم حالفت بني فزارة.

وفي (العقد) بعد عدِّ بني ضبّة وبني الحرب بن كعب في جمرات العرب: وقال أبو عبيدة طفئت جمرتان: بنو ضبّة لأنها صارت إلى الرباب فحالفتها وبنو الحرث لأنّها صارت إلى مذحج فحالفتها[3].

«كتبه بين ربيعة واليمن» هكذا في (الطبعة المصرية)[4] والصواب: (بين اليمن وربيعة) كما في (ابن أبي الحديد[5] وابن ميثم[6] والخطية)[7]. ثم المراد بربيعة هنا طائفته أي: بنوه.

وفي (الطبري) وغيره: ذكر بعضهم أنّ نزار بن معد بن عدنان لمّا حضرته الوفاة قسّم ماله بين بنيه مضر وربيعة وأياد وأنمار، فقال: هذه القبة -وكانت من آدم حمراء- وما أشبهها من مالي لمضر -فسمّي مضر الحمراء-

---

(١) الصحاح للجوهري ٤: ١٣٤٦ مادة (حلف).

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمان: ٦١.

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣: ٣٦٩.

(٤) جاء في النسخة المصرية: شرح محمّد عبده (نقل عن خط هشام بن الكلبي) انظر: ٦٤٩.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد أورده كالنسخة المصرية انظر ١٨: ٦٦.

(٦) شرح نهج البلاغة لابن ميثم أورده كالنسخة المصرية انظر ٥: ٢٣١.

(٧) ورد في النسخة الخطية (المرعشي) (بين اليمن وربيعة) انظر: ٣٠٣.

، وهذا الخباء الأسود وما أشبهه من مالي ـ وكان خلّف خيلا دهماً ـ لربيعة ـ فسمّي ربيعة الفرس ـ، وهذه الخادم ـ وكانت شمطاء ـ وما أشبهها من مالي لأياد، وهذه البدرة والمجلس لأنمار، فإن اختلفتم في شيء فعليكم بالأفعى الجرهمي، فاختلفوا في القسمة فتوجّهوا إلى الأفعى، فبينا هم يسيرون في مسيرهم إذ رأى مضر كلأً وقد رُعي، فقال: إنّ البعير الذي رعاه لأعور، وقال ربيعة هو أزور، وقال أياد هو أبتر، وقال أنمار هو شرود. فلم يسيروا إلّا قليلاً حتى لقيهم رجل فسألهم عن بعير، فقال مضر: هو أعور؟ قال نعم، قال ربيعة: هو أزور؟ قال نعم، قال أياد: هو أبتر؟ قال نعم، قال أنمار: هو شرود؟ قال نعم، هذه صفة بعيري دُلّوني عليه، فحلفوا ما رأوه فلزمهم وقال: كيف أُصدّقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته؟

فساروا جميعاً حتى قدموا نجران فنزلوا بالأفعى الجرهمي، فنادى صاحب البعير: هؤلاء أصحاب بعيري وصفوا لي صفته ثم قالوا: لم نره. فقال الجرهمي كيف وصفتموه ولم تروه؟ قال مضر: رأيته يرعى جانباً ويدع جانباً فعرفت أنّه أعور، وقال ربيعة: رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر والأُخرى فاسدة فعرفت أنّه أفسده بشدّة وطئه لازوراره، وقال أياد: عرفت أنّه أبتر باجتماع بعره ولو كان أذنب لمصع به، وقال أنمار: عرفت أنّه شرود لأنّه يرعى المكان الملتف نبته ثم يجوزه إلى مكان آخر أرقّ منه نبتاً وأخبث. فقال الجرهمي: ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه، ثم سألهم من هم فأخبروه، فرحّب بهم وقال: أتحتاجون إليّ وأنتم كما أرى. فدعا لهم بطعام فأكلوا وأكل وشربوا وشرب، فقال مضر: لم أر كاليوم خمراً لولا أنّها نبتت على قبر، وقال ربيعة: لم أرَ كاليوم لحماً لولا أنّه ربّي بلبن كلب، وقال أياد: لم أر كاليوم رجلاً لولا أنّه لغير أبيه الذي يُدعى إليه، وقال أنمار: لم أرَ كاليوم شهداً لولا كون

نحله في هامة جبار.

وسمع الجرهمي الكلام فتعجب وأتى أُمّه فسألها فأخبرته أنّها كانت تحت ملك لا يولد له فكرهت أن يذهب الملك فأمكنت رجلاً كان نزل بها من نفسها فحملت به، وسأل القهرمان عن الخمر فقال: من حبلة غرستها على قبر أبيك، وسأل الراعي عن اللحم فقال: شاة أرضعتها بلبن كلبة ولم يكن ولد في الغنم وماتت أُمها، وسأل عن الشهد فقيل: هجموا على عظام نخرة فإذا النحل قد عسلت في جمجمة منها لم يرَ عسل مثله، فقال الأفعى: إن هؤلاء إلّا شياطين.

ثم أحضرهم فقصُّوا عليه قصّتهم فقضى بالقبَّة الحمراء والدنانير والإبل ـ وهي حمر ـ لمضر، وقضى بالخباء الأسود والخيل الأدهم لربيعة، وقضى بالخادم ـ وكانت شمطاء ـ والماشية البلق لأياد، وقضى بالأرض والدراهم لأنمار.

والمراد من اليمن أيضاً أهلها، وهم من قحطان وربيعة من عدنان، وكان من اليمن حمير بن سبأ وكهلان بن سبأ وعمرو بن سبأ والأشعر بن سبأ وأنمار بن سبأ وعاملة بن سبأ ومرّ بن سبأ.

وكانت ربيعة واليمن متحالفتين من الجاهلية، ولمّا أراد الكرماني ـ وهو من اليمانية ـ الخروج على نصر بن سيّار عامل مروان بن محمد آخر الأموية ـ وهو من المضرية ـ وأراد معاضدة ربيعة له في ذلك؛ كتب إلى عمر بن إبراهيم ـ وهو من ولد أبرهة آخر ملوك حمير ـ فبعث إليه بنسخة حلفهما في الجاهلية[1].

وقال أبو حنيفة الدينوري في (أخباره الطوال): جمع الكرماني إليه

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٢: ٢٥.

أشراف اليمن وعظماء ربيعة وقرأ عليهم نسخة الحلف، وكانت النسخة: «بسم الله العلي العظيم الماجد المنعم، هذا ما احتلف عليه آل قحطان وربيعة الأخوان، إحتلفوا على السّواء السّواء والأواصر والإخاء، ما احتذى رجل حذا وما راح راكب واغتدى، يحمله الصغار على الكبار والأشرار على الأخيار، آخر الدهر والأبد إلى انقضاء مدّة الأمد وانقراض الآباء والولد، حلف يوطأ ويثب ما طلع نجم وغرب، خلطوا عليه دماهم عند ملك أرضاهم خلطها بخمر وسقاهم، جزّ من نواصيهم أشعارهم وقلّم عن أناملهم أظفارهم فجمع ذلك في صبر ودفنه تحت ماء غمر في جوف قعر بحر آخر الدهر، لا سهو فيه ولا نسيان ولا غدر ولا خذلان، بعقد مؤكّد شديد إلى آخر الدهر الأبيد، ما دعا صبيٌّ أباه وما حلب عبد في إناه، تحمل عليه الحوامل وتقبل عليه القوابل، ما حلّ بعد عام قابل، عليه المحيا والممات حتى ييبس الفرات، وكتب في شهر الأصم عند ملك أخي ذمم تبّع بن ملكيكرب معدن الفضل والحسب، عليهم جميعاً كفل وشهد الله الأجل الذي ما شاء فعل، عقله من عقل وجهله من جهل. فلما قرئ عليهم هذا الكتاب توافقوا على أن ينصر بعضهم بعضاً ويكون أمرهم واحداً[1].

ووقع الاختلاف بين اليمن وربيعة بحصول العصبيّة بين قحطان وعدنان وربيعة منهم، قال المسعودي في (مروجه): إن عبدالله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب قال للكميت: رأيت أن تقول شيئاً تعصب به بين الناس لعل فتنة تحدث فيخرج من بين أصابعها بعض ما يحب، فابتدأ الكميت وقال قصيدته التي يذكر فيها مناقب قومه مضر وربيعة وأياد وأنمار بني نزار بن معد بن عدنان ويكثر فيها من تفضيلهم ويطنب في وصفهم وأنهم أفضل من

(١) أخبار الطوال للدينوري: ٣٠١ ـ ٣٠٢.

قحطان، فعصب بها بين اليمانية والنزارية يقول في قصيدته:

| | |
|---|---|
| لنا قمر السماء وكلّ نجم | تشير إليه أيدي المهتدينا |
| وجدت الله قد أسمى نزاراً | وأسكنهم بمكة قاطنينا |
| لنا جعل المكارم خالصات | وللناس القفا ولنا الجبينا |
| وما ضربت هجائن من نزار | ثوالح من فحول الأعجمينا |
| وما حملوا الحمير على عتاق | مطهّرة فيلفوا مبغلينا |
| وما وجدت بنات بني نزار | حلائل أسودين وأحمرينا |

ونمى قوله في النزارية واليمانية، وافتخرت نزار على اليمن واليمن على نزار، وأدلى كلّ فريق منه بماله من المناقب، وتحزّبت الناس وثارت العصبية في البدو والحضر، فنتج بذلك أمر مروان بن محمد الجعدي وتعصّبه لقومه من نزار على اليمن، وانحرف اليمن عنه إلى الدعوة العباسية وتغلغل الأمر عن انتقال الدولة عن بني أُمية.

ثم ما تلا ذلك من قصة معن بن زائدة باليمن وقتله أهلها تعصُّباً لقومه من ربيعة وغيرها من نزار، وقطعه الحلف الذي كان بين اليمن وربيعة في القدم، وفعل عقبة بن سالم بعمان والبحرين وقتله عبد القيس وغيرهم من ربيعة كياداً لمعن وتعصّباً منه لقومه قحطان[1].

وفي (الأغاني): قال المنصور لمعن بن زائدة: قد أمّلتك لأمر فكيف تكون فيه؟ قال: كما تحب. قال: ولّيتك اليمن فابسط السيف فيهم حتى تنقض حلف ربيعة واليمن. قال: أبلغ من ذلك، فولّاه وتوجّه إلى اليمن فبسط السيف فيهم حتى أسرف[2].

---

(١) مروج الذهب ٣: ٢٣٠.

(٢) الأغاني للأصفهاني ١٠: ٨٦.

وربيعة كانوا مع أمير المؤمنين عليه السلام في غزواته، وأما اليمن فأكثرهم كانوا مع معاوية، وهمدان منهم كانوا معه عليه السلام كالأنصار مع النبيّ صلى الله عليه وآله.

وفي (صفّين نصر): جمع عليٌّ عليه السلام همدان وقال: أنتم درعي ورمحي ما نصرتم إلّا الله ولا أجبتم غيره، وفي هذا اليوم قال علي عليه السلام:

ولو كنت بوّاباً على باب جنّة لقلت لهمدان ادخلي بسلام[١]

«ونقل» هكذا في (الطبعة المصرية)[٢] ولكن في ابن أبي الحديد[٣] وابن ميثم (نقل)[٤] بدون واو فهو الصحيح (من خط هشام بن الكلبي) أما هشام فقال النجاشي وله الحديث المشهور قال: اعتللت علّة عظيمة نسيت علمي، فجلست إلى جعفر بن محمد عليهما السلام فسقاني العلم في كأس فعاد إليّ علمي[٥].

وروى الخطيب عنه انّه قال: حفظت ما لم يحفظه أحد ونسيت ما لم ينسه أحد، دخلت بيتاً وحلفت ألّا أخرج منه حتى أحفظ القرآن فحفظته في ثلاثة أيام، ونظرت يوماً في المرآة فقبضت على لحيتي لآخذ ما دون القبضة فأخذت ما فوق القبضة[٦].

وفي (الطبري): ورد على المهدي كتاب من صاحب الأندلس - يعني الخليفة الاموي - ثلبه فيه ثلباً عجيباً، فأراه هشاماً فقال له هشام: الثلب فيه وفي آبائه وأُمّهاته. ثم اندرأ يذكر مثالبهم، فسرَّ المهدي بذلك وأمره أن يملي

(١) صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٣٦.

(٢) راجع: ٦٤٩ في شرح محمّد عبده.

(٣) راجع ١٨: ٦٦ من شرح ابن أبي الحديد.

(٤) راجع ٥: ٢٣١ من شرح ابن ميثم إذ ورد بإضافة (و) خلافاً لمّا ذكره العلّامة.

(٥) الطوسي النجاشي، ترجمة هشام بن محمد (رقم ١١٦٦): ٤٣٤.

(٦) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٤: ٤٦.

المثالب على كاتبه ليجيب صاحب الأندلس[١].

وله كتاب في مثالب قريش ينقل عنه علي بن طاوس في طرائفه كثيراً، وأمّا أبوه الكلبي ـ وهو محمد بن السائب ـ فقال (الطبري في ذيله): كان عالماً بالتفسير والأنساب وأحاديث العرب، شهد الجماجم مع ابن الأشعث[٢].

قوله عليه السلام **«هذا ما اجتمع عليه أهل اليمن حاضرها وباديها وربيعة حاضرها وباديها»** قال الجوهري: يقال: فلان حضري وفلان بدوي؛ الحاضرة المدن، والقرى والريف والبادية خلاف ذلك[٣].

**«انّهم على كتاب الله»** قال ابن أبي الحديد: متعلق بمجتمعون محذوف[٤].

قلت: «على كتاب الله» ليس بظرف لغو حتى يحتاج إلى ما ذكر.

**«يدعون إليه ويأمرون به ويجيبون من دعا إليه وأمر به»** قال ابن أبي الحديد: عن النبي صلى الله عليه وآله: كلّ حلف كان في الجاهلية فلا يزيده الإسلام إلّا شدّة ولا حلف في الإسلام. لكن فعل أمير المؤمنين عليه السلام ـ أي: كتابته الحلف بين اليمن وربيعة في الإسلام ـ أولى بالاتّباع من خبر الواحد[٥].

قلت: الحلف إذا كان مثل جعله عليه السلام من كونهم على كتاب الله يدعون إليه ويأمرون به ويجيبون من دعا إليه وأمر به يكون واجباً بالذات ويزيده الحلف تأكيداً، فإنّ البشر جميعهم مكلّفون على أن يكونوا على كتاب الله والعمل به كما قال عليه السلام، فيكون هذا الحلف نظير بيعة الأنصار للنبي صلى الله عليه وآله في العقبة

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٦: ٣٩٥.

(٢) الطرائف: يعتمد الطوسي على كتاب المثالب لابن منذر هشام بن محمد الكلبي في وصف أعمال بني امية. انظر صفحة ١٥٣ ـ ١٥٦ من الطرائف.

(٣) الصحاح للجوهري ٢: ٦٣٢ مادة (حضر).

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٦٧.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٦٧.

وبيعتهم مع المهاجرين له ﷺ تحت الشجرة، وبيعة الناس لأمير المؤمنين عليه السلام بعد الثلاثة وبعد تحكيم الحكمين، ومثل أن ينذر أحد أو يعهد الله تعالى أو يحلف به على فعل الواجبات وترك المحرمات، والأحلاف الجاهلية إذا كانت مشتملة على أمور غير مشروعة، يَحُلُّها الإسلام لا يؤكدها.

والخبر وجدته بغير لفظه، فروى أبو الفرج في قيس بن عاصم أنّه سأل النبي ﷺ عن الحلف فقال: لا حِلفَ في الإسلام ولكن تَمَسَّكُوا بِحلف الجاهلية[1].

وأفضل أحلاف الجاهلية حلف الفضول، قال المسعودي: كان رجل من زبيد باع سلعة له من العاص بن وائل السهمي فمطله بالثمن حتى يئس، فعلا جبل أبي قبيس - وقريش في مجالسها حول الكعبة - فنادى بشعر يصف ظلامته رافعاً صوته:

| | |
|---|---|
| يا للرجال لمظلوم بضاعته | ببطن مكة نادى الحي والنفر |
| ان الحرام لمن تمت حرامته | ولا حرام كيومي لابس الغدر |

فمشت قريش بعضها إلى بعض - وكان أول من سعى في ذلك؛ة الزبير بن عبد المطّلب - واجتمعت قريش في دار الندوة - وكانت للحلّ والعقد - وكان ممّن اجتمع بها من قريش بنو هاشم وبنو المطّلب وبنو زهرة وتيم بن كلاب

---

(١) ذكره الأصفهاني في الأغاني ٤: ٩٠، وجاء في النهاية في غريب الحديث والأثر ١: ٢٤٩، «لا حلف في الإسلام» أصل الحلف المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والإتفاق. فما كان منه في الجاهلية على الفتن والقتال بين القبائل والغارات فذلك الذي ورد النهي عنه في الإسلام بقوله ﷺ «لا حلف في الإسلام» وما كان منه في الجاهليه عل نصر المظلوم وصلاة الأرحام كحلف المطيبين، وما جرى مجراه فذلك الذي قال فيه ﷺ: وأي حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلّا شدة. يريد من المعاقدة على الخير ونصرة الحق وبذلك يجتمع الحديثان وهذا هو الحقف الذي يقتضيه الإسلام، والممنع منه ما خالف حكم الإسلام وقيل: المخالفة كانت قبل الفتح، وقوله: «لا حلف في الإسلام» قاله زمن الفتح فكان ناسخاً.

وبنو الحرث بن فهر، فاتّفقوا على أنّهم ينصفون المظلوم من الظالم، فساروا إلى دار عبدالله بن جدعان فتحالفوا هنالك، ففي ذلك يقول الزبير بن عبد المطّلب...[١].

وقال الجزري: قال ابن إسحاق كان نفر من جرهم وقطورا يقال لهم الفضيل ابن الحرث الجرهمي والمفضل بن فضالة الجرهمي والفضيل بن وداعة القطوري اجتمعوا وتحالفوا أن لا يقروا ببطن مكة ظالماً، فقال عمرو بن عوف الجرهمي:

إنّ الفضولَ تحالَفوا وتَعاقدوا ... ألّا يقرّ ببطن مكّة ظالمُ

أمرٌ عليه تَعاهدوا وتواثَقوا ... فالجارُ والمعترُّ فيهم سالمُ

ثم درس ذلك فلم يبق إلّا ذكرهُ في قريش.

ثم إنّ قبائل من قريش تداعت إلى ذلك الحلف فتحالفوا وكانوا بني هاشم وبني المطلب وبني أسد بن عبد العزّى وزهرة وتيم بن مرّة، فتحالفوا وتعاقدوا ألّا يجدوا بمكّة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم إلّا قاموا معه وكانوا على ظالمه حتى تردَّ عليه مظلمته، فسمّت قريش ذلك الحلف؛ حلف الفضول وشهده النبي صلى الله عليه وآله فقال حين بعث: لقد شهدت مع عمومتي حلفاً في دار عبدالله بن جدعان ما أحب ان لي به حمر النعم ولو دعيت به في الإسلام لأجبت...[٢].

والمستفاد من كلام ابن إسحاق أنّ تسميته بحلف الفضول لأن عاقديه الأولين كانوا مسمَّين بفضيل ومفضل وفضيل.

«لا يشترون به ثمناً» الأصل فيه قوله تعالى: ﴿وإذ أَخذ ٱلله ميثاق ٱلذين أُوتوا الكتاب لتبيننُّهُ للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم وٱشتروا به

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٢٧٠.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ١: ٤١. وذكره البيهقي في سننه ٩: ٦٧، والقرطبي في تفسيره ٦: ٣٣.

ثَمناً قليلاً فبئسَ ما يشترون﴾[١].

«ولا يرضون به بدلاً» في معنى الأول.

«وأنّهم يد واحدة على من ترك ذلك وخالفه» كونهم يداً واحدة كناية عن اتّفاقهم.

وقال الجوهري: ضَبَّةُ وثَوْرٌ وعُكْلٌ وتَيْمٌ وَعَدِيٌّ تجمّعوا فصاروا يداً واحدة وسُمّوا رِباباً بالكسر لأنّهم غمسوا أيديهم لتحالفهم في رُبٍّ، وقيل لأنّهم تَرَبَّبُوا أي: تجمّعوا[٢].

هذا، وقال الزمخشري: القوم عليَّ يدٍ واحدة وساقٍ واحدة إذا اجتمعوا على عداوته، وقال البحتري ـ وكان من طي من اليمن ـ في أبي سعيد محمد بن يوسف وكان من ربيعة مشيراً إلى هذا الحلف:

نحن في خلة الصفاء وأنتم ... كاليدين اصطفَقَتْ شمالٌ يمينا

ضمّنا الحلف فاتّصلنا دياراً ... في المقامات والتففنا غصونا

لم تقلّب قلوبنا يوم هيجاء ... وليست أيدي سبا أيدينا[٣]

«أنصار بعضهم لبعض» وفي (ابن أبي الحديد) «وإنهم أنصار بعضهم لبعض»[٤].

«دعوتهم واحدة» إلى الكتاب وحكمه.

«لا ينقضون عهدهم» في (الجمهرة): وكتاب يكتب بين القوم يسمّى العهد[٥].

---

(١) آل عمران: ١٨٧ .

(٢) الصحاح للجوهري ١: ١٣٢ مادة (رأب) .

(٣) الزمخشري: أساس البلاغة: ٥١٢ مادة (ي د ي) والأبيات للبحتري في ديوانه: ١٦٢ .

(٤) انظر النصّ في ابن أبي الحديد ١٨: ٦٦ رقم (٧٤).

(٥) الجمهرة ٢: ٦٦٨ مادة (د ع ها) .

**«لمعتبة عاتب»** قال الخليل: العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة[١].

**«ولا لغضب غاضب»** قال الجوهري: يقال «غضبت لفلان» إذا كان فلان حيّاً و «بفلان» إذا كان ميتاً[٢].

**«ولا لاستذلال قوم قوماً»** الاستذلال والتذليل والاذلال بمعنى.

هذا، وزاد (ابن أبي الحديد وابن ميثم): «ولا لمسبة قوم قوماً» ثم قال (ابن ميثم) وروي «ولا لمشية قوم قوماً». وكيف كان فلابدّ من سقوط فقرة من (الطبعة المصرية) بلفظ «لمسبة»[٣] أو «لمشية».

**«على ذلك شاهدهم وغائبهم»** هو ومعطوفاه المثناة كنايات تأكيدية عن الجميع، والكل بلا استثناء.

**«وسفيههم وعالمهم وحليمهم وجاهلهم»** هكذا في (الطبعة المصرية) ولكن في نسخة (ابن أبي الحديد): «وحليمهم وعالمهم وجاهلهم» وفي نسخة (ابن ميثم) «وحليمهم وجاهلهم»، ولا يبعد أن يكون الأصل «وحليمهم وسفيههم وعالمهم وجاهلهم» كما لا يخفى.

**«ثم إنّ عليهم بذلك عهد الله وميثاقه»** وفي نسخة (ابن أبي الحديد) «ميثاق الله وعهده» بدل عهد الله وميثاقه.

**«إنّ عهد الله كان مسؤولا»** الأصل[٤] فيه قوله تعالى ﴿وكان عَهدُ

---

(١) لا وجود له في العين وقد نقله في الفيّومي: ٣٩٠، مادة (عتب).

(٢) الصحاح للجوهري ١: ١٩٤، مادة (غضب).

(٣) في النسخة المصرية المنقحة وردت عبارة «لمسبة»: ٦٤٩، وانظر أيضاً شرح ابن ميثم ٥: ٢٣١، وشرح ابن أبي الحديد ١٨: ٦٦.

(٤) لفظ «حليمهم» جاء قبل لفظ «سفيههم» في المصرية المنقحه، انظر من ٦٥ وما يراه المؤلف صحيحاً، جاء في عبارة النسخة المصرية، كذلك انظر شرح ابن ميثم ٥: ٢٣١، وشرح ابن أبي الحديد ١٨: ٦٦.

آلله مسئولاً﴾[١].

هذا، وفي (رسائل الصاحب): وصل كتاب مولانا بذكر الحلف الذي رسم مولانا عقده عند وروده البصرة بين سعد وربيعة أخذاً بسنّة النبيّ صلى الله عليه وآله في الأوس والخزرج حين وافي المدينة، والكتاب الذي أنشأه مولاي عقيلة الدهر، فعقيلة ويتيمة الفضل، وزبدة الأحقاب وفصل الخطاب، أقول ذلك متحقّقاً لا متجوّزاً قول من أتقن شروط الاحلاف بين الأسلاف والأخلاف، فدرى كيف كان حلف المطيَّبين وحلف الفضول وحلف الأحابيش وحلف الأحلاف[٢].

«وكتب علي بن أبي طالب» قال (ابن ميثم): وفي رواية: «وكتب علي بن أبو طالب» وهي المشهورة عنه عليه السلام، ووجهها انّه جعل هذه الكنية علماً بمنزلة لفظة واحدة لا يتغيّر إعرابها[٣].

قلت: بل ما قاله رواية شاذة، كيف والتعبير عنه عليه السلام بعلي بن أبي طالب وخطاب المخالفين له بابن أبي طالب متواتر.

هذا، وفي (أُسد الغابة) في (أُبَيّ) عن الواقدي: كان أول من كتب للنبي صلى الله عليه وآله مقدمه المدينة أُبَيّ، فإذا لم يحضر كتب زيد بن ثابت، وكان من المواظبين على كتاب الرسائل عبدالله بن أرقم الزهري، وكان الكاتب لعهود النبي صلى الله عليه وآله إذا عاهد وصلحه إذا صالح علي بن أبي طالب عليه السلام ...[٤].

(وفيه) في أحمر بن معاوية: كان وافد بني تميم كتب له ولأبنه النبي صلى الله عليه وآله كتاباً «هذا كتاب لأحمر بن معاوية وشعبل بن أحمر في رحالهم

(١) الأحزاب: ١٥.

(٢) الصاحب بن عباد رسائل الصاحب: ١٠٧ ـ ١٠٨.

(٣) شرح ابن ميثم بلفظ وكتب علي بن أبي طالب.

(٤) أُسد الغابة ١: ٤٩.

وأموالهم، فمن آذاهم فذمة الله منه خلية إن كانوا صادقين ـ وكتب علي بن أبي طالب، وختم الكتاب بخاتم النبي صلى الله عليه وآله[١].

وفي بديل والد عبدالله بن بديل الخزاعي ان كتاب عهد النبي صلى الله عليه وآله له كان بخطه عليه السلام، وكذلك في جميل بن ردام العذري الذي أقطعه النبي الردماء[٢].

## ٢
## الحكمة (١٥٥)

وقال عليه السلام:

إعتَصمُوا بالذِّمَمِ فِي أوْتَادِهَا.

أقول: قال ابن أبي الحديد: هذه كلمة قالها عليه السلام بعد انقضاء أمر الجمل وحضور قوم من الطلقاء بين يديه ليبايعوه منهم مروان بن الحكم، فقال عليه السلام له: وماذا أصنع ببيعتك؟ ألم تبايعني بالأمس؟ ـ يعني بعد قتل عثمان ـ ثم أمر بإخراجهم ورفع نفسه عن بيعة أمثالهم، وتكلّم بكلام ذكر فيه ذمام العربية وذمام الإسلام، وذكر أن من لا دين له فلا ذمام له، ثم قال في أثناء الكلام: فاعتصموا بالذمم في أوتادها، أي: إذا صدرت عن ذوي الدين فمن لا دين له لا عهد له[٣].

قلت: لم ينقل سابق كلامه عليه السلام ولا لاحقه حتى يتّضح مراده عليه السلام، ولعلّ المراد عدم عقد العهد مع من ليس عليه اعتماد، لا عدم وجوب الوفاء بعهد غير المعتمدين إلّا مع إعلامهم بحل العقد، قال تعالى: ﴿وإمّا تخافنَ من قومٍ خيانَة فانبذ إليهم على سواءٍ إنّ ٱلله لا يُحبُّ ٱلخآئنين﴾[٤].

---

(١) أسد الغابة ١: ٦٧.

(٢) المصدر نفسه ١: ٢٠٣ وهو بديل بن ورقاء وكذلك في الاستيعاب ١: ١٥٠.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٧٢.

(٤) الأنفال: ٥٨.

هذا، وقال شاعر في مدح بعضهم بوفائه بذمته وعهده خلاف بعض آخر:

أنت الوفي بما تذم وبعضهم تودي بذمته عقاب ملاع

## ٣
## الحكمة (١٥٤)

وقال عليه السلام:

الرَّاضِي بِفِعْلِ قَوْمٍ كَالدَّاخِلِ فِيهِ مَعَهُمْ، وَعَلَى كُلِّ دَاخِلٍ فِي بَاطِلٍ إِثْمَانِ: إِثْمُ العَمَلِ بِهِ وإِثْمُ الرِّضَى بِهِ.

«والرّاضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم» يشهد له قوله تعالى في ثمود: ﴿فعقَرُوها فَدمدم علَيهم ربُهُم بِذنبِهم فَسَواها * ولا يَخافُ عُقباها﴾[1] نسب العقر إلى الجميع وأهلك الجميع مع كون العاقر واحداً وهو قيدار لكون الباقين راضين بفعله.

«وعلى كلّ داخل في باطل إثمان: إثم العمل به وإثم الرّضى به» قال عليه السلام ذلك لأنّه قد يدخل الإنسان في باطل مع كرهه وبدون رضاه.

قال الطبري ـ بعد ذكر إباء شبث بن ربعي عن رمي خيل الحسين عليه السلام ومازالوا يرون من شبث الكراهة لقتال الحسين عليه السلام، قال أبو زهير العبسي: سمعت شبثاً في إمارة مصعب يقول: لا يعطي الله أهل هذا المصر خيراً أبداً ولا يسدّدهم لرشد، ألا تعجبون أنّا قاتلنا مع علي بن أبي طالب ومع ابنه بعده آل أبي سفيان خمس سنين ثم عدونا على ابنه ـ وهو خير أهل الأرض ـ فقاتل مع آل معاوية وابن سمية الزانية ضلال يالك من ضلال[2].

(١) الشمس: ١٤ ـ ١٥.

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٤: ٣٣٢.

## ٤
## الحكمة (١٥١)

وقال عليه السلام:

**لِكُلِّ امْرِئٍ عَاقِبَةٌ حُلْوَةٌ أَوْ مُرَّةٌ.**

أقول: «عاقبة» في كلامه عليه السلام أعمَّ من العاقبة في قوله تعالى: ﴿والعاقبةُ للمُتّقين﴾ في الأعراف، فقبله ﴿إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده﴾[1] وفي هود، فقبله «فاصبر» وفي القصص فقبله بعد ذكر خسف الأرض بقارون ﴿تِلْكَ الدَّارُ الأَخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلَا فَساداً﴾[2] وفي قوله تعالى: ﴿والعاقَبةُ لِلتَّقوَى﴾[3] فإنّ المراد بها العاقبة الحسنة، كما أنّها أعمّ من عاقبة في قوله تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيفَ كانَ عاقِبةُ الّذِين من قَبلِهِمْ﴾[4] فالمراد العاقبة السيئة.

هذا، وابن ميثم قرر العنوان وكذا ابن أبي الحديد إلّا أنّه قال: وفي كثير من النسخ بدون قوله «حلوة أو مرة»[5].

## ٥
## الحكمة (١٦٠)

وقال عليه السلام:

**مَنْ مَلَكَ اسْتَأْثَرَ.**

---

(١) الأعراف: ١٢٨.

(٢) القصص: ٨٣.

(٣) طه: ١٣٢.

(٤) يوسف: ١٠٩.

(٥) انظر شرح شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٦١، وشرح ابن ميثم ٥: ٣٣٢.

## والحكمة (٢١٦)

وقال عليه السلام:

مَنْ نَالَ ٱسْتَطَالَ.

أقول: هما بمعنى واحد، والشواهد لكلامه عليه السلام كثيرة، منها ما في (الطبري) في حوادث سنة (٢٢٩): حبس الواثق الكتّاب وألزمهم أموالا، وسببه ما عن عزون الأنصاري قال: كنّا ليلة عند الواثق فقال: لست أشتهي الليلة النبيذ ولكن هلمّوا نتحدّث الليلة، فجلس في رواقه الأوسط ـ وكان في أحد شقي ذلك الرواق قبّة مرتفعة في السماء بيضاء كأنّها بيضه الاقدر ذراع فيما ترى العين حولها في وسطها ساج منقوش مغشّىً باللّازورد والذهب وكانت تسمّى قبة المنطقة فتحدثنا فقال الواثق: من منكم يعلم السبب الذي به وثب جدّي الرشيد على البرامكة؟ فقلت: أنا والله أُحدّثك. إن الرشيد ذكرت له جارية لعون الخيّاط فأرسل إليها فاعترضها فرضي جمالها وعقلها وحسن أدبها، فقال لعون: ما تقول في ثمنها. قال: أمر ثمنها واضح مشهور حلفت بعتقها وعتق رقيقي جميعاً وصدقة مالي الأيمان المغلّظة التي لا مخرج لي منها وأشهدت عليّ بذلك العدول ان لا أنقص ثمنها عن مائة ألف دينار ولا أحتال في ذلك بشيء من الحيل. فقال الرشيد: قد أخذتها منك بمائة ألف دينار. ثم أرسل إلى يحيى البرمكي يخبره بخبر الجارية ويأمره أن يرسل إليه بمائة ألف دينار. فقال يحيى: هذا مفتاح سوء فأرسل يخبره أنّه لا يقدر على ذلك، فغضب عليه الرشيد وقال: ليس في بيت مالي مائة ألف دينار، فأعاد عليه لابدّ منها. فقال يحيى: إجعلوها دراهم ليراها فيستكثرها فلعلّه يردّها، فأرسل بها دراهم وقال هذه قيمة مائة ألف دينار، وأمر أن يوضع في رواقه الذي يمرّ فيه إذا أراد التوضؤ لصلاة الظهر، فخرج في ذلك الوقت فإذا جبل من بدر فقال: ما

هذا؟ قالوا: ثمن الجارية لم تحضر دنانير أرسل قيمتها دراهم، فاستكثر ذلك ودعا خادماً له فقال: أُضمم هذه إليك واجعل لي بيت مال لأُضمّ إليه ما أريده وسمّاه بيت مال العروس وأمر بردِّ الجارية إلى عون، وأخذ في التفتيش عن المال فوجد البرامكة قد استملكوه، فأقبل يهمّ بهم ويمسك، فكان يرسل إلى قومٍ فيسامرهم ويتعشّى معهم فكان فيهم إنسان يعرف بأبي العود، فحضر ليلة فيهم فأعجبه حديثه فأمر خادماً له أن يأتي يحيى إذا أصبح يأمره أن يعطيه ثلاثين ألف درهم ففعل فقال يحيى لأُبي العود: أفعل وليس بحضرتنا اليوم مال، يجيء المال ونعطيك، ثم دافعه حتى طال به الأيام فأقبل أبو العود يحتال أن يجد من الرشيد وقتاً يحرّضه على البرامكة ـ وقد كان شاع في الناس ما كان يهمّ به الرشيد في أمرهم ـ فدخل عليه ليلة فتحدّثوا فلم يزل أبو العود يحتال للحديث حتى وصله بقول عمر بن أبي ربيعة:

وعدت هند ـ وما كانت تعد ـ ليت هنداً أنجزتنا ما تعد
واستبدَّت مرَّة واحدة إنّما العاجز من لا يستبد[1]

فقال الرشيد: أجل والله إنّما العاجز من لا يستبد حتى انقضى المجلس ـ وكان يحيى قد اتخذ من خدم الرشيد خادماً يأتيه بأخباره ـ وأصبح يحيى غادياً، فلما رآه قال: أردت البارحة أن أرسل إليك بشعر أنشدنيه بعض من كان عندي ثم كرهت أن أزعجك، فأنشده البيتين وفطن لمّا أراد، فلما انصرف أرسل إلى ذلك الخادم فسأله عمّن أنشد ذلك الشعر فقال أنشده أبو العود، فدعا يحيى بأبي العود فقال له: إنّا كنّا قد لويناك بمالك وقد جاءنا مال، ثم قال

---

(١) في ديوان عمر بن أبي ربيعة بلفظ آخر:

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد وشفتْ أنفُسنا ممّا تجد

ديوان عمر بن أبي ربيعة: ٣٢٠.

لبعض خدمه إذهب فأعطه ثلاثين ألف دينا من بيت مال الخليفة وأعطه من عندي عشرين ألف درهم لمطلنا إيّاه وإذهب به إلى الفضل وجعفر وقل لهما هذا رجل مستحق ان يبر وقد كان الخليفة أمر له بمال فأطلت مطله ثم حضر المال فأمرت أن يعطى ووصلته من عندي صلة وقد أحببت أن تصلاه، فسألاه: وصله بكم؟ قال بعشرين ألف، فوصله كلّ واحد منهما بعشرين ألف درهم، فانصرف بذلك المال كلّه إلى منزله، وجدَّ الرشيد في أمرهم حتى وثب عليهم وقتل جعفراً وصنع ما صنع.

فقال الواثق صدق جدّي والله، إنّما العاجز من لا يستبد ـ وأخذ في ذكر الخيانة وما يستحقه أهلها ـ فقلت أحسبه سيوقع بكتّابه، فما مضى أُسبوع حتى أوقع بهم وأخذ إبراهيم بن رباح وسليمان بن وهب وأبا الوزير وأحمد بن الخصيب وجماعتهم، ودفع أحمد بن إسرائيل إلى صاحب الحرس وأمر بضربه كلّ يوم عشرة أسواط، فضربه فيما قيل نحواً من ألف سوط، فأدى ثمانين ألف دينار، وأخذ من سليمان بن وهب اربعمائة ألف دينار ومن الحسن بن وهب أربعة عشر ألف دينار ومن أحمد بن الخصيب وكتّابه ألف ألف دينار ومن إبراهيم بن رباح وكتّابه مائة ألف دينار ومن نجاح ستين ألف دينار ومن أبي الوزير مائة وأربعين ألف دينار، وذلك سوى ما أخذ من العمّال بسبب عمالتهم[1].

## ٦
## الحكمة (١٦١)

وقال عليه السلام:

مَنِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ، وَمَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٧: ٣١٩.

«من استبد برأيه هلك» في (كامل الجزري) غزا سيف الدولة سنة (٣٤٩) بلاد الروم في جمع كثير، فأثّر فيها آثاراً كثيرة وأحرق وفتح عدّة حصون وأخذ من السبي والغنائم والاسارى شيئاً كثيراً، وبلغ إلى خَرْشَنه.

ثم إنّ الروم أخذوا عليه المضايق، فلمّا أراد الرجوع قال له مَن معه من أهل طرسوس: إنّ الروم قد خلّفوا الدرب خلف ظهرك فلا تقدر على العود منه والرأي أن ترجع معنا، فلم يقبل منهم ـ وكان معجباً برأيه يحب أن يستبد ولا يشاور أحداً لئلّا يقال: إنّه أصاب برأي غيره ـ وعاد في الدرب الذي دخل منه، فظهر الروم عليه واستردُّوا ما كان معه من الغنائم وأخذوا أثقاله ووضعوا السيف في أصحابه فأتوا عليهم قتلاً وأسراً، وتخلَّص هو في ثلاثمائة رجل بعد جهد ومشقة، وهذا من سوء رأي كلّ من يجهل آراء الناس العقلاء[1].

«ومن شاور الرجال شاركها في عقولها» في (الأغاني) قال بشار في قصيدته التي مدح أولاً بها إبراهيم بن عبدالله بن الحسن وهجا منصوراً، ثم لمّا قتل إبراهيم بدّل في الأبيات من أبي جعفر أبا مسلم وحذف الأبيات التي لا تنطبق إلّا على إبراهيم فجعلها في مدح المنصور وهجو أبي مسلم:

إذا بلغ الرأي المشورة[2] فاستَعِن ... برأي[3] نصيح أو نصيحة حازم

ولا تجعل الشُورى عليك غَضاضة ... فإنّ[4] الخَوافي قوة للقوادم

وما خيرُ كيف أَمسكَ الغُل أختَها ... وما خيرُ سيف لم يُؤيَّد بقائم[5]

وروى عن الأصمعي قال: قلت لبشّار: إنّ الناس يعجبون من أبياتك في

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٨: ٥٣١ ـ ٥٣٢.

(٢) نسخة التحقيق «النصيحة» بدل من «المشورة».

(٣) نسخة التحقيق «بعزم» بدلاً من «برأي».

(٤) نسخة التحقيق «مكان» بدلاً من «فان».

(٥) الأغاني للأصفهاني ٣: ٢١٤، وذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار ١: ٣٣.

المشورة، فقال: إنّ المشاور بين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يشارك في مكروهه. فقلت: أنت والله في قولك هذا أشعر منك في شعرك[١].

وفي (العيون): قال أعرابيٌّ: ما غُبِنتُ حتى يُغبن قومي. قيل: وكيف؟ قال: لا أفعل شيئاً حتى أُشاورهم[٢].

وقيل لرجل من بني عبس: ما أكثر صوابكم؟ فقال: نحن ألف رجل وفينا حازم واحد نطيعه فكأنّا ألف حازم[٣].

هذا، وفي (المروج) قال عيسى بن علي: مازال المنصور يشاوره في جميع أموره حتى امتدحه ابن هرمة بقوله:

إذا ما أراد الأمر ناجى ضميره ... فناجى ضميراً غير مختلف العقل
ولم يشرك الأدنين في سر أمره ... إذا انتقضت بالأصبعين قوى الحبل

....

قلت: ابن هرمة خلط بين السر الذي يستر والمشورة التي تظهر تملقاً وقبله المنصور عجباً.

هذا، وفي (مشاورة العيون) قال معاوية: لقد كنت أَلقى الرجل من العرب أعلم أنّ في قلبه عليّ ضِغناً فأستثيره فيثير[٤] إليّ بقدر ما يجده في نفسه، فلا يزال يوسعني شتماً وأوسعه حلماً حتى يرجع صديقاً أستعين به فيعينني وأستنجده فيُنجدني[٥].

قلت: وهو خبط من ابن قتيبة في نقل الخبر في المشورة، ووجه خبطه

---

(١) مرّ ذكره في الصفحة ٤١.

(٢) مرّ ذكره في الصفحة ٤١.

(٣) العيون ١: ٣٢.

(٤) في نسخة أُخرى «فيثور» بدلاً من «فيثير».

(٥) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٣٠.

أنّه حرّف قوله في الخبر «فأستثيره» ـ بالثاء ـ بقوله «فأستشيره» بالشين، يوضح تحريفه أن في الخبر بعد «فيثير إليّ بقدر ما يجده في نفسه» وحينئذٍ فالخبر شاهد للرفق بالعدو حتى يصير صديقاً وليس من المشورة في شيء[1].

## ٧
## الحكمة (١٧٣)

وقال عليه السلام:

مَنِ اسْتَقْبَلَ وُجُوهَ الآرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الخَطَاءِ.

أقول: رواه (روضة الكافي) مسنداً عن أبي جعفر عليه السلام جزء خطبة الوسيلة التي خطب عليه السلام بها بعد سبعة أيام من وفاة النبي صلى الله عليه وآله حين فرغ من جمع القرآن، وبعده: ومن أمسك عن الفضول عدلت رأيه العقول، ومن حصن شهوته فقد صان قدره، ومن أمسك لسانه أمنه قومه ونال حاجته...[2].

في (عيون القتيبي): كتب أبرويز إلى ابنه شيرويه وهو في حبسه: عليك بالمشاورة فإنّك واجد في الرجال من ينضج[3] لك الكيّ ويحسم عنك الداء ويخرج لك المستكنّ ولا يدع لك في عدوّك فرصة إلّا انتهزها ولا لعدوك فيك فرصة إلّا حصّنها، ولا يمنعك شدّة رأيك في ظنّك ولا علوّ مكانك في نفسك من

---

(١) في فحوى النصّ الّذي أورده ابن قتيبة يفهم منه ان كلمة «فاستشيره» صحيحة وفي مكانها ولربّما خلط على العلّامة هذا اللفظ ولفظ «فيثيره» فاعتقد ان تحريفاً وقع في الكلام بينما مقصود معاوية واضح من هذا النصّ وهو إن الاستشارة في الطريق إلى الصداقة فكلّما يواجهه الرجل بالإثارة فهو يستشيره فيخف عداؤه وهذه هي أهم فائدة من فوائد الاستشارة. وقد ذكر العلماء استشارة رسول الله صلى الله عليه وآله انها لتطييب خواطر الأصحاب.

(٢) الروضة من الكافي للكليني: ١٨ ح ٤.

(٣) في الأصل ينصح لك.

أن تجمع إلى رأيك رأي غيرك، فإن أحمدت اجتنيت وإن ذممت نقيّت[١]، فإنّ في ذلك خصالاً منها أنّه إن وافق رأيك ازداد رأيك شدّة عنك وإن خالف رأيك عرضته على نظرك، فإن رأيته معتلياً لمّا رأيت قبلت وان رأيته متضعاً عنه استغنيت، ومنها أن يجدد لك النصيحة ممّن شاورت وإن اخطأ ويمحض لك مودته وإن قصر[٢].

## ٨
## الحكمة (١٦٢)

وقال عليه السلام:

مَن كَتَمَ سِرَّهُ كانَتِ الخِيَرَةُ بِيَدِهِ.

أقول: رواه (الروضة)[٣] عنه عليه السلام، وفي (عيون ابن قتيبة) كان علي بن أبي طالب عليه السلام يتمثل بهذين البيتين:

فلا تُفشِ سرَّك إلّا إليك ... فإنّ لكلّ نصيح نصيحا

ألم تر أنّ غواة الرجال ... لا يتركون أديماً صحيحا[٤]

(وفيه) أيضاً: كانت الحكماء تقول «سرُّك من دمك»[٥].

وقيل لأعرابي: كيف كتمانك للسر؟ قال: قلبي له قبر[٦]، وقال:

ولو قدرت على نسيان ما اشتملت ... منّي الضلوع من السرر

---

(١) المناسب كما قيل: أذممتُ.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٣٠.

(٣) الروضة من الكافي للكليني: ١٥٢ ح١٣٧.

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٣٩، وفي نسخة المحقق مطلع البيت الأول «ولا تفش» ومطلع البيت الثاني «فاني رأيت» وذكر البيتين المبرد في الكامل ٢: ٦٩٨ وكذا النوري في نهاية الأرب٨: ٨٢.

(٥) العقد الفريد لابن عبد ربّه ١: ٨٣.

(٦) المصدر نفسه ١: ٨٣.

لكـنت أول مـن تـنسى سـرائـره إذ كنت من نشرها يوماً على خطر[١]

أيضاً:

إذا أنت لم تـحفظ لنـفسك سـرّها فسرّك عند الناس أفشى وأضيع[٢]

أيضاً:

إذا ما ضاق صدرك عن حـديث فأفشـته الرجـال فـمن تـلوم
إذا عـاتبت مـن أفشـى حـديثي وسـري عـنده فـانا الظـلوم
وإنّي حـين أسأم حـمل سـرّي وقد ضمّنته صدري سـؤوم[٣]

وعن النبي ﷺ: استعينوا على الحوائج بالكتمان، فإنّ كـلّ ذي نـعمة محسود[٤].

## ٩
## الحكمة (١٧٥)

وقال عليه السلام:

**إِذَا هِبْتَ أَمْراً فَقَعْ فِيهِ، فإِنَّ شِدَّةَ تَوَقِّيهِ أَعْظَمُ مِمَّا تَخَافُ مِنْهُ.**

**أقول:** «هبت» من الهيبة بمعنى المخافة، و «قع» أمر من الوقوع والتوقّي الاتّقاء.

قال ابن أبي الحديد ما أحسن ما قال المتنبي في المعنى:

وإذا لم يكُـن مِـنَ المَـوتِ بُدٌّ فَـمِنَ العَـجْزِ أَنْ تكـونَ جـبانا
كل ما لم يكن من الصَّعب في الأ نفس سهل فيها إذا هـو كـانا[٥]

---

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي: ٢٩٧.

(٢) المحاسن والمساوئ للبيهقي ٢: ٥٨، وكذا الفاضل للمبرّد: ١٠١.

(٣) ابن قتيبة، عيون الأخبار ١: ٣٥.

(٤) تحف العقول للحراني: ٣٤، وكذلك الماوردي في أدب الدنيا والدين: ٢٩٥.

(٥) ديوان المتنبي ٢: ٤٧٣، وذكره ابن أبي الحديد في ١٨: ٤٠٦.

وقال آخر:

لعمرك ما المكروه إلّا ارتقابه وأعظم ممّا حلَّ ما يُتوقع[١]

أيضاً:

صعوبة الرزء تلقى في توقعه مستقبلاً وانقضاء الرزء أن يقعا[٢]

وكان يقال «توسط الخوف تأمن»[٣].

ومن الأمثال العامية: أم المقتول تنام وأُم المهدَّد لا تنام[٤].

وكان يقال: كلّ أمرٍ من خير أو شر فسماعه أعظم من عيانه[٥].

## ١٠
## الحكمة (١٧٦)

وقال عليه السلام:

آلَةُ الرِّئَاسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ.

أقول: في (الاستيعاب) قال معاوية لخير بن أوس الطائي: من سيّدكم اليوم؟ قال: من أعطى سائلنا، وأغضى عن جاهلنا، واغتفر زلتنا[٦].

وقيل للأحنف بن قيس: ممّن تعلمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم المنقري، رأيته يوماً قاعداً بفناء داره محتبياً بحمائل سيفه يحدث قومه، إذ أُتى برجل مكتوف وآخر مقتول فقيل له: هذا ابن أخيك قد قتل ابنك. فوالله ما حلّ حبوته ولا قطع كلامه، فلمّا أتمّه التفت إلى ابن أخيه فقال: يا ابن أخي! بئس ما

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨: ٤٠٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) لم يأت في الاستيعاب على ترجمة خيربن أوس الطائي ولم يذكر في ترجمة معاوية.

فعلت؛ أثمت بربّك وقطعت رحمك وقتلت ابن عمك ورميت نفسك بسهمك، ثم قال لابنٍ له آخر: قم يا بنيّ! فوارِ أخاك وحلّ كتاف ابن عمك وسق إلى أُمك مائة ناقة دية ابنها فإنّها غريبة.

وقال الحسن ـ أي البصري ـ لمّا حضرت قيس بن عاصم الوفاة دعا بنيه فقال: يا بنيَّ احفظوا عنّي فلا أجد أنصح لكم مني، إذا مت فسوِّدوا كباركم ولا تسوِّدوا صغاركم فيسفه الناس كباركم وتهونون عليهم، وعليكم بإصلاح المال فإنّه منبهة للكريم ويُستغنى به عن اللئيم، وإيّاكم ومسألة الناس فإنّه أخزى كسب الرجل.

وقدم في وفد بني تميم على النبي ﷺ، فلما رآه قال: هذا سيد أهل الوبر[١].

وفي (كتب العامة): قيل سأل عليٌّ عليه السلام يوماً الحسن عليه السلام: يا بنيّ! ما السداد؟ فقال: دفع المنكر بالمعروف. قال: فما الشرف؟ قال: إصطناع العشيرة والاحتمال للجريرة. قال: فما السّماح؟ قال: البذل في العسر واليسر. قال: فما اللُّؤم؟ قال: إحراز المرء ماله وبذل عرضه. قال: فما الجبن؟ قال: الجرأة على الصديق والنكول عن العدو. قال: فما الغنى؟ قال: رضى النفس بما قسم الله لها وإن قلّ. قال: فما الحلم؟ قال: كظم الغيظ وملك النفس. قال: فما النعمة؟ قال: شدّة البأس ومنازعة أعزّ الناس. قال: فما الذلّ؟ قال: الفزع عند الصدمة. قال: فما الكلفة؟ قال: كلامك في ما لا يعنيك. قال: فما المجد؟ قال: أن تعطي في الغرم وتعفو في الجرم. قال: فما السّفه؟ قال: اتّباع الدّناءة ومحبة الغواية. قال: فما الغفلة؟ قال: ترك المسجد وطاعة المفسد. قال: فما السُّؤدد؟ قال: إتيان

---

(١) مرّ ذكره في الفصل التاسع والخمسين (في إبليس): ١٧٧ ـ ١٧٨ من هذا الكتاب نقلاً عن الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣: ١٢٩٥، في ترجمة قيس بن عاصم رقم الترجمة (١٢٤٠).

الجميل وترك القبيح[١].

وفي (أخلاق الوزيرين) قال أبو الأسود: لن تسود حتى تصبر على سرار الشيوخ البخر، وقال الشاعر:

لا تحسب المجد تَمراً أنت آكله    لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا[٢]

وقيل لعدي بن حاتم: من السيّد؟ قال: الأحمق في ماله، الذّليل في عرضه المطرح لحقده المعنيّ بأمر جماعته، فليس يسود المرء إلّا بعد أن يسهر من أول ليله إلى آخره فكراً في قضاء الحقوق وكفّ السفاه[٣] وازدراع المحبّة في القلوب وبعث الألسنة على الشكر[٤].

## ١١
## الحكمة (٢١٧)

وقال عليه السلام:

فِي تَقَلُّبِ الأَحوَالِ عِلْمُ جَوَاهِرِ الرِّجَالِ.

**أقول:** هو جزء خطبة الوسيلة رواه (الروضة) وبعده: والأيام توضح لك السرائر الكامنة، وليس في البرق الخاطف مستمتع لمن يخوض في الظلمة، ومن عُرف بالحكمة لحظته العيون بالوقار والهيبة[٥].

وقريب منه كلامه عليه السلام الآخر المذكور في الحكمة «٤٤١» من الباب «الولايات مضامير الرجال»، والمراد منه أنّ في بعض الناس غرائز كامنة لا تظهر إلّا بالحوادث المتجدّدة والأحوال المختلفة، لا ما قال ابن أبي الحديد: أنّه

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ٢: ٣٦.

(٢) أخلاق الوزيرين للتوحيدي: ٩٢.

(٣) السفاه: السفه والجهل.

(٤) أخلاق الوزيرين للتوحيدي: ٩٢.

(٥) روضة الكافي: ٢٣ ح ٤.

لا تعلم أخلاق الناس إلّا بالتجربة ـ ثم ذكر أبياتاً:

لا تحمدنّ امرأً حتى تجرّبه ولا تـذمنّه إلّا بـتجريب

وقديماً قيل:

ترى الفتيان كـالنخل وما يدريك ما الدخـل

وقال الشاعر يمدح:

مـازال يُـحلب هـذا الدهـر أشـطُرَه يكـون مُـتّبِعاً طـوراً ومُـتَّبَعا

حتى استمرت علـى شـزر مـريرته مستحكم الرأي لا قحماً ولا ضَرَعا[1]

فإنّه كما ترى لا ربط بكلامه عليه السلام وبعيد عن مرامه.

وإنّما يناسب كلامه عليه السلام قول أمير العرب قرواش الحجازي:

لله در النـائبات فـإنّها صـدأ اللـئام وصـيقلُ الأحـرار

مـا كـنت إلّا زبـرة فـطبعنني سيفاً وأطلق صرفهن غراري[2]

وفي (الأغاني): دخل عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ملاعب الأسنة وإخوته طفيل ومعاوية وعبيدة ـ ومعهم لبيد وهو غلام ـ على النـعمان بـن المنذر، فوجدوا عنده الربيع بن زياد العبسي ـ وكان إذا خلا بالنعمان طـعن فيهم فصدّه عنهم ـ فدخلوا عليه يوماً فرأوا منه جفاء وكان يكرمهم قبل ذلك، فخرجوا من عنده غضاباً ولبيد في رحالهم يحفظ أمتعتهم ويغدو بإبلهم كلّ صباح فيرعاها فإذا أمسى انصرف بإبلهم، فأتاهم ذات ليلة فألفاهم يتذاكرون أمر الربيع وما يلقون منه، فسألهم فكتموه فقال لهم: والله لا أحفظ لكم متاعاً ولا أرعى لكم بعيراً أو تخبروني ـ وكانت أُم لبيد يتيمة من عبس فـي حـجر الربيع ـ فقالوا: خالك غلبنا على الملك وصدّ عنا وجهه. فقال لهم: هل تقدرون

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٨، في شرح الحكمة (٢١٣).

(٢) وفيات الأعيان لابن خلّكان ٥: ٢٦٤.

أن تجمعوا بيني وبينه فأزجره عنكم بقول ممضٍّ لا يلتفت النعمان إليه أبداً. قالوا: وهل عندك من ذلك شيء؟ قال: نعم. قالوا: فإنّا نبلوك بشتم هذه البقلة ـ لبقلة قدامهم دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة فروعها بالأرض تدعى التربة ـ فقال: هذه التربة التي لا تذكي ناراً ولا تؤهل داراً ولا تسرّ جاراً، عودها ضئيل وفرعها كليل وخيرها قليل، بلدها شاسع ونبتها خاشع وآكلها جائع والمقيم عليها ضائع، أقصر البقول فرعاً وأخبثها مرعى وأشدها قلعاً، فتعساً لها وجدعاً، القوا بي أخا بني عبس أرجعه عنكم بتعس ونكس وأتركه من أمره في لبس.

فقالوا: نصبح ونرى فيك رأينا. فقال لهم عامر: ارعوا غلامكم فإن رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء وإنّما يتكلّم بما جاء على لسانه، وإذا رأيتموه ساهراً فهو صاحبكم، فرمقوه بأبصارهم فوجدوه قد ركب رحلاً وهو يكدم بأوسطه حتى أصبح، فقالوا له: أنت والله صاحبنا فحلقوا رأسه وتركوا له ذؤابتين وألبسوه حلّة ثم غدوا به معهم على النعمان فوجدوه يتغدّى مع الربيع، والدّار مملوة من الوفود، فلما فرغ من الغداء أذن لهم فدخلوا عليه وذكروا له حاجتهم فاعترض الربيع في كلامهم فقام لبيد يرتجز ويقول:

يا رُبّ هَيجا هي خَيرٌ من دَعَهْ أَكُلَّ يوم هامَتي مُقَزَّعه
نحن بنُو أُمِّ البنينَ الأربعهْ ومِنْ خيارِ عامرِ بنْ صَعْصَعَهْ
المطعمون الجَفْنَةَ المُدَعْدَعهْ والضاربون الهامَ تحت الخَيضَعهْ
يا واهِبَ الخير الكثير مِنْ سَعه إليكَ جاوزْنَا بلاداً مُسبِعَهْ
مخبراً[1] عن هذا خبيراً[2] فاسْمَعهْ مَهْلاً أبيتَ اللَّعْنَ لا تَأكُلّ معه

(١) نسخة التحقيق يُخبرُ، بدلاً من خبراً.

(٢) نسخة التحقيق خبيرٌ، بدلاً من خبيراً.

إنَّ استَهُ مِنْ بَرَصٍ مُلَمَّعَهْ وإنـه يُـدْخِلُ فـيها إصـبعه
يُـدْخِلُها حتى يُـوارِي أشْجَعَهْ كأنـما يـطلب شـيئاً أطـمعه

فالتفت النعمان إلى الربيع شزراً يرمقه فقال: أكذا أنت؟ قال: لا والله لقد كذب عليّ. فقال النعمان: أُفٍّ لهذا الغلام لقد خبث عليّ طعامي، فأمر النعمان الربيع بالانصراف إلى أهله، فقال الربيع: إني قد تخوّفت أن يكون قد وقر في صدرك ما قاله لبيد، ولست برائم حتى تبعث من يجردني فيعلم من حضرك من الناس أنّي لست كما قال، فأرسل إليه: إنّك لستَ صانعاً بانتفائك ممّا قال لبيد شيئاً ولا قادراً على ما زلّت به الألسن فالحق بأهلك[1].

## ١٢
## الحكمة (٢١٣)

وقال عليه السلام:

أَغْضِ عَلَى القَذَى وَالأَلَمِ تَرْضَ أَبَداً.

أقول: قال الجوهري: الإغضاء إدناء الجفون، والقذى ما يسقط في الشراب وفي العين[2]، وقال بشار:

إذا كنت في كلّ الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحداً أو صل أخاك فإنّه مقارفُ ذَنبٍ مرَّةً ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأيُ الناس تصفو مَشارِبُه[3]

وفي (الأغاني) قال محمد بن الحجّاج: قلت لبشار: إنّي أنشد قولك:

إذا أنتَ لم تشرَبْ مِراراً على القذى ضمئتَ وأيُّ الناسِ تَصفُو مشارِبُه

(١) الأغاني للأصفهاني ١٧: ١٨٣ ـ ١٨٦.
(٢) الصحاح للجوهري ٦: ٢٤٦٠ مادة (قذى).
(٣) ديوان بشار بن برد ١: ٣٠٩.

لفلان، فقال ما أظنه إلّا لرجل كبير، فقال بشّار: ويلك أفلا قلت له: هو لأكبر الجن والانس[١].

وقال ابن أبي الحديد: قال شاعر:

ومن لم يغمّض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتبُ
ومن يَتَتَبَّعْ جاهداً كلّ عثرة يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب[٢]

## ١٣
## الحكمة (١٩٦)

وقال عليه السلام:

**لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ ما وَعَظَكَ.**

أقول: وفي وصيته عليه السلام إلى ابنه: «وخير ما جرّبت ما وعظك»[٣] وقال ابن جبلة:

وأرى الليالي ما طوت من قوّتي ردَّته في عِظتي وفي إفهامي[٤]

هذا، وفي (العيون) دخل رجل على زياد فقال له: إنّ أَبينا قد هَلَك، وإنّ أخينا غَصبنا ميراثنا من أبانا. فقال له زياد: ما ضيَّعتَ من نفسك أكثرُ ممّا ضاع من مالك[٥].

---

(١) الأغاني للأصفهاني ٣: ١٥٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٤.

(٣) من وصيته لولده الحسن برقم ٣١.

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة ٣: ٨٩.

(٥) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ١٥٨، وذكره الجاحظ في البيان والتبيين ٢: ١١٥ بلفظ: «الذي أضعت من لسانك أضرّ عليك ممّا أضعت من مالك».

## ١٤
## الحكمة (٢١٤)

وقال عليه السلام:

مَنْ لَانَ عُودُهُ كَثُفَتْ أَغْصَانُهُ.

أقول: هو نظير قوله عليه السلام المذكور في (١٢٢) «ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودة».

وقال ابن أبي الحديد: يكاد أن يكون كلامه عليه السلام إيماءً إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُه بِإِذْنِ رَبِّه﴾[1].

قلت: الآية من حيث استعداد التراب وجنسه، وكلامه عليه السلام من حيث طبيعة الشجرة وجنسها.

## ١٥
## الحكمة (٢٢٠)

وقال عليه السلام:

لَيْسَ مِنَ العدلِ القضاءُ على الثقَةِ بالظَّنِّ.

أقول: قال ابن أبي الحديد: الثقة هنا مرادف العلم، فكأنّه قال عليه السلام لا يجوز أن يُزال ما عُلِمَ بطريقٍ قطعيةٍ لأمرٍ ظنّيٍّ[2].

وقال ابن ميثم: المعنى من كان عندك ثقة معروفاً بالأمانة فحكمك عليه بالخيانة عن ظن خروج عن العدل[3].

قلت: هما جعلا قوله: «بالظن» متعلقاً بقوله: «القضاء» بتقديم وتأخير في

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩: ٣٥ والآية ٥٨ من سورة الأعراف.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩: ٤٢.

(٣) شرح ابن ميثم، شرح نهج البلاغة ٥: ٣٥٤.

الكلام، والأصل «القضاء بالظن على الثقة».

ويمكن أن يكون الكلام على أصله، بأن يكون «بالظن» متعلقاً بقوله «على الثقة» فيصير المعنى قضاؤك على وثوقك بظنك كما هو شأن كثير من الناس ليس من العدل والحق، وقد قال تعالى: ﴿وما يتّبعُ أكثرهم إلّا ظنّاً إنّ ٱلظنّ لا يُغني من ٱلحقِ شيئاً إن ٱلله عليم بما يفعلُون﴾[1] ﴿إن ٱلّذينَ لا يؤمنون بالأخرة ليسمُّونَ الملائكة تسميةَ ٱلأُنثى * ومالهم به من علمٍ إن يتبعُون إلّا ٱلظنَّ وإنّ الظنَّ لا يُغني من ٱلحق شيئاً﴾[2].

هذا وقال البحتري:

وما هو غير خوض الشك ترمي إليه حيث لا تجد اليقينا[3]

## ١٦
## الحكمة (٢٦٣)

وقال عليه السلام:

**صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَاكِبِ الأَسدِ يُغْبَطُ بِمَوْقِعِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَوْضِعِهِ.**

أقول: أخذه ابن المقفع مع تصرّف في لفظه فقال: مثل صاحب السلطان مثل راكب الأسد يهابه الناس وهو لمركبه أهيب[4].

ومن (فصول ابن المعتز): أشقى الناس بالسلطان صاحبه، كما أنّ

---

(١) يونس: ٣٦.

(٢) النجم: ٢٧ ـ ٢٨.

(٣) ديوان البحتري ٢: ١٠٦.

(٤) لفظ ابن المقفع كما جاء في الأدب الصغير والكبير أما النصّ الّذي أورده العلّامه التستري فهو الذي أورده ابن قتيبة في عيون الأخبار ١: ٢٠ وقد نقله العلّامة دون ان يشير إلى الواسطة: «وإنّما أنت في ذلك كراكب الأسد الذي يهابه من نظر إليه، وهو لمركبه أهيب».

أقرب الأشياء إلى النّار أشدّ احتراقاً[١].

وقال بعض الحكماء: إيّاك والسلطان فإنّه يغضب غضب الصبيّ ويأخذ أخذ السبع.

أيضاً: خاطر من ولج البحر، وأشدّ مخاطرة منه خادم السلطان[٢].

أيضاً: إن الملوك إذا خدمتهم مَلُّوكَ وإن لم تخدمهم أذلّوك، وإنّهم يستعظمون في الثواب رد الجواب، ويستقلون في العقاب ضرب الرقاب، وإنهم ليعثرون على العثرة من خدمهم فيبنون لهم مناراً ثم يوقدون ناراً ويعتقدونها ثاراً.

أيضاً: كن مكانك من الملوك مكانك من الشمس، إنّها لتؤذيك والسماء لها مدار والأرض لك دار، فكيف لو أسفت لك قليلاً وتدانت يسيراً، وإنّ العاقل ليطلب منها مزيدَ بُعدٍ فيتخذ سرباً لواذاً منها وهرباً، ويبتغي في الأرض نفقاً فراراً منها وفرقاً[٣].

وفي (البيان): كان ابن عمّار الطائي خطيب مَذحِج كلّها، فبلغ النعمان بن المنذر حسن حديثه فحمله على منادمته ـ وكان النعمان أحمر العينين أحمر الجلد أحمر الشعر، وكان شديد العربدة قتّالاً للندماء ـ فنهاه أبو قردودة الطائي عن منادمته فلم يسمع منه، فصار نديماً للنعمان فقتله فقال أبو قردودة:

إنّي نهيت ابن عمّار وقلت له لا تأمَنَنْ أحمر العينين والشعَرَه

إنّ الملوك متى تنزل بساحتهم تطر بنارك من نيرانهم شَرَره

---

(١) لم نعثر على النصّ في كتاب فصول التماثيل لابن المعتز، وقد وقع ذلك سهواً من العلّامة أو ممّن نقل عنه فالنصّ موجود في رسائل ابن المتز: ٦٧.

(٢) ذكر النويري في نهاية الارب ٦: ١٥٠.

(٣) نهاية الأرب ٦: ١٥٠.

يا جفنة كأزاء الحوض قد هدموا ومنطقاً مثل وشيْ اليمنة الحِبرَه[١]

وفي (الأغاني): كان علوية يغنّي بين يدي الأمين، فغنّى في بعض غنائه:

ليت هنداً أنجزَتْنا ما تَعِدْ وشَفَت أنفُسَنا ممّا تَجِدْ[٢]

وكان الفضل بن الربيع يطعن عليه ـ فقال للأمين إنّما يعرّض بك ويستبطئ المأمون في محاربته، فأمر به فضرب خمسين سوطاً وجرّ برجله وجفاه مدّة حتى ألقى نفسه على كوثر فترضّاه له وردّه إلى خدمته، فلمّا قدم المأمون تقرّب علوية إليه بذلك فلم يقع له بحيث يحب وقال له المأمون: إن الملك بمنزلة الأسد أو النار فلا تتعرّض لمّا يغضبه فإنّه ربما جرى منه ما يتلفك ثم لا تقدر بعد على تلافي ما فرط منك. ولم يعطه شيئاً[٣].

قلت: لم يقع له من المأمون، لأنّ إنشاد البيت في مجلس الأمين لا يناسب ما قاله الفضل عناداً وقبله الأمين سفهاً وحمقاً.

ومن حمقه الذي نظير ذلك ما عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: دخلت على الأمين فرأيته مغضباً، فقلت له: ما للخليفة تم الله سروره؟ قال: غاظني أبوك الساعة لا رحمه الله، والله لو كان حيّاً لضربته خمسمائة سوط ولولاك انبشت الساعة قبره وأحرقت عظامه. فقمت على رجلي وقلت: ومن أبي وما مقداره حتى تغتاظ منه وما الذي غاظك فلعلّ فيه عذراً؟ فقال: شدّة محبته للمأمون وتقديمه إيّاه عليّ حتى قال في الرشيد شعراً قدّمه عليّ وغنّاه فيه وغنّيته الساعة فأورثني هذا الغيظ. فقلت: والله ما سمعت بهذا قطٌّ ولا لأبي غناء إلّا وأنا أرويه، ماهو؟ فقال قوله:

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ١: ٣٤٩.

(٢) ديوان عمر بن أبي ربيعة: ٣٢٠، مرّ في الصفحة ١٨٤.

(٣) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٥: ١٩٩.

أبو المأمون فينا والأمين له كنفان من كرم ولين

فقلت له: لم يقدم المأمون في الشعر لتقديمه إيّاه في الموالاة ولكن الشعر لم يصح وزنه إلّا هكذا. فقال: كان ينبغي له إذا لم يصح الشعر إلّا هكذا أن يدعه إلى لعنة الله. فلم أزل أُداريه وأرفق به حتى سكن، فلمّا قدم المأمون سألني عن هذا الحديث فحدثته به فجعل يعجب ويضحك منه[١].

وقيل: من تحسّى مرقة السلطان احترقت شفتاه ولو بعد حين.

وكان إبراهيم بن العباس يقول: أصحاب السلطان كقوم رقوا جبلاً ثم وقعوا منه، فكان أقربهم إلى الردى أبعدهم في المرقى[٢].

وكان إبراهيم بن المدبر[٣] إذا عرضت عليه الوزارة أنشد قول العتابي في هارون والبرامكة:

تلوم على ترك الغنى باهليّة لوى الدهر عنها كلَّ طرفٍ وتالِد
رَأَتْ حولها النسوان يرفُلْنَ كالدمى مقلَّدة أجيادُها بالقلائِدِ
فقلت لها لمّا رأيت دموعها يحدّرن فوق الخدّ مثل الفرائد
أسَرَّكِ أنِّي نلت ما نال جعفر من المال أو ما نال يحيى بن خالد
وان أمير المؤمنين أعضّني معَضَّهما بالمُرهفات البوارد
ذَرِيني تَجِئْني منيتي مطمئنَّة ولم أتجشّم هَوْلَ تلك المَواردِ
فإنّ عليّات الأمور مشوبَةٌ بمُستودعات في بطون الأساود[٤]

وقال البستي:

---

(١) أبو الفرج الاصفهاني، الأغاني ١١: ٣٤٠.

(٢) ربيع الأبرار للزمخشري ٥: ٢١٥.

(٣) معجم الأدباء لياقوت الحموي ١: ٢٢٦. يلاحظ لم يوجد هامش لإبراهيم في ملزمة الهامش إلّا انه أشار المستخرج في حاشية الأصل ١٩٧ إليه.

(٤) ذكرها باختلاف ابن عبد ربه في العقد الفريد ٣: ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

حرّضوني على وزارة بست ورأوها من أعظم الدرجات
قلت لا أشتهي وزارة بست إنّني لم أملَّ بعدُ حياتي[(١)]

وقالوا: أوّل من وقع عليه اسم الوزارة في دولة بني العباس أبو سلمة الخلّال، كان يقال له: وزير آل محمّد، فقتله أبو مسلمة غيلة في زمن السفاح، فقال بعضهم:

إنّ الوزير - وزير آل محمد - أودى فمن يشناك كان وزيرا[(٢)]

وقتل من الوزراء أبو أيوب الموريانيّ[(٣)] وأبو مسلم الخراسانيّ[(٤)] أيام المنصور، ويعقوب بن داود[(٥)] زمن المهدي، والبرامكة زمان هارون، والفضل بن سهل[(٦)] زمن المأمون، والفضل بن مروان[(٧)] زمن المعتصم، والكتاب زمن الواثق، ومحمد بن عبد الملك الزيات[(٨)] زمان المتوكل. ومن العجب وزراء المتوكل، فإنّه كلّ يوم ينكّل بواحد ويختار آخر، ولربما نكّل بكثير منهم مرتين أو ثلاثاً كابن الفرات.

وفي (أخبار حكماء القفطي) في الحسن بن هيثم المهندسي البصري نزيل مصر، ولّاه الحاكم بمصر بعض الدواوين - وكان الحاكم مريقاً للدماء بغير سبب أو بأضعف سبب - فأجال فكره في أمر يتخلص به فلم يجد طريقاً إلّا إظهار الجنون، فاعتمد ذلك وشاع فأحيط بموجوداته على يد الحاكم وقيد

---

(١) لم نعثر على الأبيات في التراجم.
(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ٢: ١٩٦.
(٣) ترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان ٢: ٤١٠.
(٤) ترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان ٣: ١٤٥.
(٥) ترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان ٧: ٢٩.
(٦) راجع ترجمة الفضل بن سهل ذوالرئاستين في وفيات الأعيان لابن خلكان ٣: ٤١.
(٧) ترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان ٤: ٤٤٥.
(٨) ترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان ٥: ٩٤.

وترك في موضع من منزله إلى أن مات الحاكم، فأظهر بعد ذلك بيسير العقل وأقام متنسّكاً متقنعاً واشتغل بالتصنيف والنسخ وأُعيد ماله إليه[١].

وفي (الحلية) عن سفيان الثوري: لم أرَ للسلطان إلّا مثلاً ضرب على لسان الثعلب، قال الثعلب: عرفت للكلب نيّفاً وسبعين دستاناً ليس منها دستان خيراً من أن لا أرى الكلب ولا يراني[٢].

وفي (الطبري): ان أبا مسلم لمّا توحش من المنصور كتب إليه: لم يبق لك عدوٌّ إلّا أمكنت منه وقد كنّا نروي عن ملوك آل ساسان أنّ أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء فنحن نافرون من قربك.

(فيه) أيضاً: دخل إسماعيل بن علي على المنصور، فقال: إنّي رأيت في ليلتي هذه كأنّك ذبحت كبشاً وإنّي توطأته برجلي. فقال: قم فصدّق رؤياك قد قتل الفاسق، فقام اسماعيل إلى الموضع الذي قتل فيه أبو مسلم فتوطأه[٣].

ولمّا حاصر طاهر ـ من قبل المأمون ـ بغداد كتب إليه الأمين بخطّه: إعلم أنّه ما قام لنا مذ قمنا قائم بحقنا وكان جزاؤه إلّا السيف، فانظر لنفسك أو دع[٤].

في (الطبري): اختلف في الذي قتل به ابن الزيّات، فقيل بُطح فضرب على بطنه خمسين مقرعة ثم قُلب فضُرب على أُسته مثلها فمات وهو يُضرَبُ وهم لا يعلمون. إلى أن قال: قال مبارك العرني ما أظنّه أكل طول حبسه إلّا رغيفاً واحداً، وكان يأكل العنبة والعنبتين، وكان يقول لنفسه: يا محمد بن عبد الملك!

---

(١) أخبار العلماء بأخبار الحكماء، لجمال الدين القفطي: ١١٥.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ٧: ٤٤، في ترجمة سفيان الثوري، ودستان أصلها داستان وهي فارسية ومعناها: قصة أو حكاية.

(٣) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٦: ١٣٠.

(٤) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٤٠٤.

لم يقنعك النعمة والدواب الفره والدار النظيفة والكسوة الفاخرة وأنت في عافية حتى طلبت الوزارة! ذق ما عملت بنفسك. كان يكرّر ذلك على نفسه[١].

وفي (وزراء الجهشياري): قال خلّاد بن يزيد: كنّا يوماً جلوساً عند أبي أيوب في مجلسه فأتاه رسول المنصور، فامتُقِعَ لونُه وتغيّر ومضى إليه ثم رجع، فقال له بعض أصحابه في ذلك فقال: سأضرِبُ لكم مثلاً: تقوله العامة؛ وهو أن البازي قال للديك: ما شيء أقلّ وفاءً منك لأن أهلك أخذوك في بيضة فحضَنوك وخرجت على أيديهم فأطعموك في أكفِّهم ونشأتَ بينهم حتى إذا كبرت جعلتَ لا يدنو واحدٌ منهم منك إلّا طرت يمنة ويسرة وصحتَ وصوّتَّ، وأنا أُخذت من الجبال كبيراً فعلّموني وألّفوني، ثم يخلُّون عني فآخذ صيدي وأجيء إلى صاحبي. فقال له الديك: لو رأيت في سفائدهم[٢] من البزاة مثل الذي رأيت فيها من الديكة كنت شرّاً منّي، ولكنكم لو كنتم تعلمون ما أعلمه ـ أي: من الملوك ووزرائهم ـ لم تتعجّبوا من خوفي مع ما ترون من تمكُّني[٣].

(فيه أيضاً): لمّا غضب المنصور على أبي أيّوب ذكر صالح بن سليمان انّه سيقتله وجميع أسبابه، لأنّه سمع المنصور يتحدّث أنّ ملكاً من الملوك كان يساير وزيراً له، فضربت دابة الوزير رِجْل الملك فغضب وأمر بقطع رجل الوزير فقطعت ثم ندم فأمر بمعالجته حتى برأ ثم قال الملك في نفسه: هذا لا يحبّني أبداً وقد قطعت رجله فقتله، ثم قال: وأهل هذا الوزير لا يحبّونني أبداً وقد قتلتُه؛ فقتلهم جميعاً. فعلمت أنّه سيفعل ذلك في المورياني، ففعله وما عدا ظنّي[٤]، فأخذه وأخذ أخاه وبني أخيه وقتلهم.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٧: ٣٤٢.

(٢) «سفائد» في الأصل وهو محرّف وبدله «السفافيد» جمع سفود وهو ما يشوى به اللحم.

(٣) الوزراء للجهشياري: ١٢٣.

(٤) الوزراء للجهشياري: ١٠١ ـ ١٠٢.

هذا، وفي الأمثال «فرج في جبهة الأسد» وان غفلوا عنه في كتب الأمثال[١].

هذا، وروى الشيخ عن ميسرة بن شريح قال: تقدّمت إلى شريح امرأة فقالت: إنّي امرأة لي إحليل ولي فرج تزوجها ابن عم لي وأخذ مني خادماً فوطئتها فأولدتها، وإنّما جئتك لمّا ولد لي لتفرّق بيني وبين زوجي. فقام من مجلس القضاء فدخل على علي عليه السلام فأخبره بما قالت، فأمر بها فأُدخلت وسألها فقالت: هو الذي أخبرك. فأحضر عليه السلام زوجها ابن عمّها فقال له هذه امرأتك وابنة عمك؟ قال: نعم. قال: قد علمت ما كان. قال: قد أخدمتها خادماً فوطأتها فأولدتها. قال عليه السلام: ثم وطأتها بعد ذلك؟ قال: نعم. قال عليه السلام له: لأنت أجرأ من خاصي الأسد[٢]....

وفي آخر انه عليه السلام أمر بتعداد أضلاع جنبيها فكانت أضلاع الأيسر أقل فألحقها بالرجال، فقال الرجل: ألحقت ابنة عمي بالرجال، ممّن أخذت هذه القضية؟ فقال عليه السلام: ورثتها من أبي آدم خلقت حواء من ضلعه وأضلاع الرجال أقل.

## ١٧
## الحكمة (٢٦٤)

وقال عليه السلام:

أَحْسِنُوا فِي عَقِبِ غَيْرِكُمْ تُحفَظُوا فِي عَقِبِكُمْ.

أقول: العقب ـ بكسر القاف وفي لغة بالسكون ـ الولد وولد الولد، والأصل فيها مؤخر القدم.

---

(١) لم نعثر عليه في كتب الأمثال واللغة والأدب.

(٢) وسائل الشيعة للحرّ العاملي ٢٦: ٢٨٧، رواية (٣٣٠١٦) كذا ٢٧: ١٧٣، رواية (٣٣٥٣٥).

والأصل في كلامه عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَلْيَخشَ ٱلَّذين لو تَركوا من خلفهم ذُرِيّةً ضعافاً خافوا عليهم فليتَّقُوا ٱلله وليقولوا قولاً سديداً﴾[١].

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: من ظلم سلّط الله عليه من يظلمه أو على عقبه أو على عقب عقبه. قيل له عليه السلام: يظلم فيسلّط على عقبه أو على عقب عقبه؟ فقال عليه السلام: إنّ الله تعالى يقول: ﴿وليخش الَّذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتَّقوا الله وليقولوا قولاً سديداً﴾[٢].

بل الإحسان مطلقاً يوجب الحفظ في العقب، قال تعالى في قصّة موسى عليه السلام وصاحبه ﴿فانطَلقا حتَّى إذا أتَيا أَهل قريةٍ ٱستطعما أَهلَها فأَبوا أن يُضيِّفُوهما فَوَجدا فيها جداراً يُريد أَن ينقضَّ فأَقامهُ قال لو شِئتَ لاتَّخذت علَيه أجراً ... وأَما ٱلجدارُ فكان لغُلامين يتيمين في ٱلمدينة وكانَ تحتهُ كنزٌ لهما وكانَ أَبُوهُما صالحاً فأَراد رَبُّكَ أَن يَبلُغا أَشدَّهما ويستَخرجا كنزَهما رَحمةً من ربِّك وما فعلتهُ عن أَمري ذلك تأويلُ مَالَم تسطِع عليه صَبرا﴾[٣].

وفي آخر رسالة أبي غالب إلى ابن ابنه أبي طاهر الزراري: وإيّاه أسأل أن يحفظني فيك ويحفظ صالح أجدادك من بكير إليّ كما حفظ الغلامين بصلاح أبويهما، فقد مرّ في بعض الحديث أنّه كان بين أبيهما الذي حفظا له وبينهما سبعمائة سنة[٤].

هذا وفي الخبر: برّوا آباءكم يبرّكم أبناؤكم، وعفّوا عن الناس يعفّ عن نسائكم[٥].

---

(١) النساء: ٩.

(٢) الكافي للكليني ٢: ٣٣٢ ح١٣ والآية ٩ من سورة النساء.

(٣) الكهف: ٧٧ ـ ٨٢.

(٤) رسالة أبي غالب: ١٥٥.

(٥) عن الصادق عليه السلام من حديث أبي بكر الحضرمي، الصدوق، الأمالي: ٢٣٨ ح٦.

# ١٨
## الحكمة (٢٦٧)

وقال عليه السلام:

يَا ابْنَ آدَمَ! لا تَحمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الَّذِي لَمْ يأتِكَ عَلَى يَوْمِكَ الَّذِي قَدْ أَتَاكَ، فإنَّهُ إنْ يَكُ مِنْ عُمُرِكَ يَأْتِ اللهُ فِيهِ بِرِزْقِكَ.

## (٣٧٩):

وقال عليه السلام:

الرِّزْقُ رزقَانِ رِزْقٌ تَطْلُبُهُ ورِزْقٌ يَطْلُبُكَ. فإنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ، فَلَا تَحْمِلْ هَمَّ سَنَتِكَ عَلَى هَمِّ يَوْمِكَ. كَفاكَ كُلُّ يَوْمٍ مَا فِيهِ، فإنْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ فإنَّ اللّهَ سَيُؤْتِيكَ فِي غَدٍ جَدِيدٍ ما قَسَمَ لَكَ، وَإنْ لَمْ تَكُنِ السَّنَةُ من عُمُرِكَ فَمَا تَصْنَعُ بِالْهمّ لِمَا لَيس لَكَ وَلَنْ يَسْبِقَكَ إلى رِزْقِكَ طَالِبٌ وَلَنْ يَغلِبَكَ عَلَيْهِ غَالِبٌ وَلَنْ يُبْطِئَ عَنْكَ مَا قَدرَ لكَ.

قال الرضي: وقد مضى هذا الكلام فيما تقدّم من هذا الباب إلّا انّه هاهنا أوضح وأشرح، فلذلك كررناه على القاعدة المقررة في أوّل الكتاب.

«يا ابن آدم» قال المبرد في (كامله)[١] وابن قتيبة[٢] في (عيونه)[٣] والمسعودي في مروجه قال علي عليه السلام: يا ابن آدم! لا تحمل همّ يومك الذي لم يأتِ على يومك الذي أنت فيه، فإن يكُ من أجلك يأت فيه رزقك،

(١) الكامل للمبرد ١: ٩٢ مع تغير طفيف عند المبرد بدل (فان يكُ من أجلك).

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٣٧١.

(٣) مروج الذهب للمسعودي ٤: ٢٦٤، عن إبراهيم بن جابر القاضي قبل ولايته القضاء: هذا الكلام عن الإمام علي عليه السلام ابن آدم، الا تحمل همّ يومك الّذي لم يأت على يومك الذي أنت فيه، فإنّه إن يكن من أجلك يأتي اللّه فيه برزقك، واعلم أنّك لن تكتسب شيئاً فوق قوتك إلّا كنت خازناً فيه لغيرك.

واعلم أنّك لا تكسب من المال شيئاً فوق قُوتِكَ إلّا كنت فيه خازناً لغيرك.

«الرزق رزقان: رزق تطلبه ورزق يطلبك فإن لم تأته أتاك» كان بعض الشعراء وصف نفسه في أشعاره بأنّه لا يطلب رزقه بل رزقه يأتيه، فمدح بعض الملوك فلم يعطه شيئاً وقال له: أما وصفت نفسك بما وصفت. فرجع ثم ندم الملك وبعث إليه بعطية فلم يلحقه الرسول إلّا على بابه، فقال للرسول: قل للملك ألم يكن الأمر كما قلت؟

«فلا تحمل همّ سنتك على همّ يومك، كفاك كلّ يوم على» هكذا في (الطبعة المصرية) وكلمة «على» زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) والخطية[1].

«مافيه» إنّما نهى عليه السلام عن حمل همّ السّنة على همّ اليوم إذا لم يتيسر له إحراز قوت سنته، لأنّ مورد كلامه عليه السلام من كان همّه تحصيل قوت يومه، ومعلوم أنّ من لم يكن عنده قوت يوم كيف يمكنه تحصيل قوت سنته، وأمّا من تمكّن فإحرازه حسن.

روى (الكافي) أن الصادق عليه السلام قال لسفيان الثوري ومن معه من الصوفية الذين كانوا يأمرون الناس بإلقاء أمتعتهم ـ بعد الاستدلال على ضلال طريقتهم بالكتاب والسنة ـ ثم من قد علمتم من فضله وزهده سلمان وأبو ذر، فأمّا سلمان فكان إذا أخذ عطاءه رفع منه قوته لسنته حتى يحضر عطاؤه من قابل، فقيل له: أنت في زهدك تصنع هذا وأنت لا تدري لعلّك تموت اليوم أو غداً؟ فكان جوابه أن قال: مالكم لا ترجون لي البقاء كما خفتم عليّ الفناء! أما علمتم يا جهلة! أنّ النفس قد تلتاث

(١) في النسخة المصرية المنقحة «على» محذوفة: ٧٤٧ رقم ٣٧٨.

على صاحبها إذا لم يكن لها من العيش ما تعتمد عليه فإذا هي أحرزت معيشتها اطمأنّت[١]....

وروى (الكافي) أيضاً عن الرضا عليه السلام: إن الانسان إذا أدّخر طعام سنته خفّ ظهره واستراح[٢].

وكان أبو جعفر وأبو عبدالله عليهما السلام لا يشتريان عقدة حتى يحرزا طعام سنتهما[٣].

**«فإن تكن السَّنة من عمرك فإنّ الله تعالى»** ليس كلمة «تعالى» في نسخة (ابن أبي الحديد) ولكن في (ابن ميثم) والخطية: «تعالى جده»[٤].

**«سيؤتيك في كلّ غد جديد ما قسم لك، وإن لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهمّ لمّا ليس لك»** روي أنّ محمد بن الفرج كتب إلى الهادي عليه السلام يسأله الدعاء لرد ضياعه عليه ـ وقد كان السلطان أخذها منه ـ فكتب عليه السلام إليه: سوف تردُّ عليك ضياعك وما يضرّك ألّا تردّ عليك، فكتب السلطان بردّ ضياعه ومات ولم يتصرَّف فيها[٥].

**«ولن يسبقك إلى رزقك طالب ولن يغلبك عليه غالب ولن يبطئ عنك ما قدر لك»** روى (الكافي) أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: أيُّها الناس! إنّي لم ادع شيئاً يقرّبكم إلى الجنّة ويباعدكم من النار إلّا وقد أنبأتكم به، ألا وإنّ الروح القدس نفث في روعي وأخبرني أن لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتّقوا الله عزّوجل

---

(١) الكافي للكليني، من حديث طويل ٥: ٦٨ ح ١.

(٢) الكافي للكليني ٥: ٨٩ ح١ من حديث الحسن بن الجهم.

(٣) الكافي ٥: ٨٩ رواية ١.

(٤) لا وجود للفظ «تعالى جده» في شرح ابن ميثم انظر ٥: ٤٣٢ (نسخة محققة) أما الخطية فقد سقطت منها هذه (الحكمة).

(٥) بحار الأنوار ٥٠: ١٤٠ رواية ٢٥.

وأجمِلوا في الطلب ولا يحملنّكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بمعصية الله، فإنّه لا يُنال ما عند الله إلّا بطاعته[١].

«قال الرضي» هكذا في (الطبعة المصرية) وليست جملة «قال الرضي» من كلام المصنف بل من الشرّاح، بدليل خلوّ الخطية عنها رأساً. وقول (ابن ميثم) «قال السيد» وقول ابن أبي الحديد: «قال»[٢].

«وقد مضى هذا الكلام» أشار إلى قوله في الحكمة ٢٦٧ / الذي نقلناه أولاً[٣] وقد ذكره بعد أيضاً في الباب مع اختلاف في (٤٣١) هكذا «الرزق رزقان طالب ومطلوب، فمن طلب الدنيا طلبه الموت حتى يخرجه عنها، ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي رزقه منها» كما مر في فصل الدّنيا. وقد رأيت رواية المبرد وغيره له بطريق آخر، ويأتي في الآتي رواية المفيد له أيضاً.

ثمّ في ابن أبي الحديد والخطية في آخر كلام المصنف «في أول هذا الكتاب»[٤].

## ١٩
## الحكمة (١٩٢)

وقال عليه السلام:

يا ابْنَ آدَمَ ما كَسَبْتَ فِيهِ فَوْقَ قُوتِكَ فأَنْتَ خازِنٌ فِيهِ لِغَيرِكَ.

(١) الفروع من الكافي للكليني ٥: ٣٣٢ ح ٤ عن جابر رضوان الله عليه.

(٢) ورد لفظ (قال الرضي) في شرح شرح ابن ميثم (النسخة المنقحة) ٥: ٤٣٢.

(٣) انظر الصفحة رقم: ٢٤٥.

(٤) شرح ابن ميثم ٥: ٤٣٢، وشرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣١٩. أمّا النسخة الخطية فقد سقط النصّ منها (نسخة المرعشي).

أقول: قد عرفت في سابقه أن المبرد[١] وابن قتيبة[٢] والمسعودي[٣] رووه ذيل الكلام الأول منه، وكذا رواه المفيد في إرشاده مع زيادات، فقد قال عليه السلام يا ابن آدم! لا يكن أكبر همّك يومك الّذي إن فاتك لم يكن من أجلك، فإنّ همّك يومٌ فإنّ كلَّ يوم تحضره يأتي الله فيه برزقك، واعلم أنّك لن تكتسب شيئاً فوق قوتك إلّا كنت فيه خازناً لغيرك يكثر فيها الدنيا نصبك وتحظي به وارثك ويطول معه يوم القيامة حسابك، فاسعد بمالك في حياتك، وقدّم ليوم معادك زاداً يكون اماماً، فإنّ السفر بعيد والموعد القيامة والمورد الجنة أو النار[٤].

في الخبر ما معناه: أن النبي صلى الله عليه وآله قال لأصحابه: أيّكم يكون مال الناس أحبَّ إليه من مال نفسه. قالوا: ليس فينا من يكون كذلك. قال: بل كلكم كذلك، فكل مال لا تقدموه ولم تصرفوه في مصارفكم يكون مال وراثكم وإنّما مالكم ما قدّمتموه لآخرتكم[٥].

وقال الشيرازي بالفارسية:

خزينه دارى ميراث خوارگان كفر است
بقول مطرب و ساقى بفتواى دف و نى[٦]

(١) الكامل في الأدب للمبرد ١: ٩٢.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٣٧١.

(٣) مروج الذهب للمسعودي ٤: ٢٦٤، حيث ذكر ... وأعلم أنك لن تكتسب شيئاً فوق قوتك إلّا كنت خازناً فيه لغيرك.

(٤) إرشاد المفيد: ١٢٥ ح١.

(٥) ورد الحديث في بحار الأنوار ١٣: ١٣٨ باسناد المجاشقي عن الصادق عن أبائه عليهم السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: أيّكم ما ل وارثه أحب إليه من ماله. قالوا: ما فينا أحد يحب ذلك يا نبي اللّه. قال: بل كلّكم يحب ذلك. ثم قال: يقول ابن آدم: مالي: مالي: وهل لك من مالك إلّا ما أكلت فأفنيْت أو لبست فأبليت أو تصدّقت فأمضيت وما عدا ذلك فهو مال الوارث.

(٦) ديوان حافظ الشيرازي: ٢٤٥ قطعة (٤٧٤) بالفارسية.

## ٢٠
## الحكمة (٢٢)

وقال عليه السلام:

**مَنْ أَبطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ حَسَبُهُ.**

أقول: نسبه المصنف في (مجازاته) إلى النبي صلى الله عليه وآله[١]، ومن العجب أنّه لم يومئ ثمة ـ ولا هنا إلى اختلاف رواية، كما ان ابن أبي الحديد تفرّد بنقله في (٣٨٩) من الباب وزاد: وفي رواية أُخرى[٢] «من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب آبائه» وأمّا نقل (المصرية) له «نسبه» بدل «حسبه» فغلط[٣].

ثم الظاهر في معناه ما قاله المصنف في (مجازاته)، فإنّه قال في شرحه له: وهذه استعارة، والمراد أنّ من تأخر بسوء عمله عن غايات الفضل ومواقف الفخر لم يتقدّم إليها بشرف نسبه وكريم حسبه، فجعل صلى الله عليه وآله الإبطاء والإسراع مكان التأخُّر والتقدّم، لأن المبطئ متأخّر والمسرع متقدّم، وأضافهما إلى العمل والنسب وهما في الحقيقة لصاحبهما لا لهما، ولكنّ العمل والنسب لمّا كانا سبب الإبطاء والإسراع؛ حسن أن يضاف ذلك إليهما على طريق المجاز والاتّساع[٤].

لا ما قاله ابن أبي الحديد من أن كلامه عليه السلام ذاك حث على العبادة[٥] مثل قول النبي صلى الله عليه وآله «يا فاطمة بنت محمد إنّي لا أُغني عنك من الله شيئاً، يا عباس

---

(١) الشريف الرضي، المجازات النبوية: ٢٥٩.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩: ٣٣١.

(٣) انظر النسخة المصرية: ٦٦٢ رقم (٢٢).

(٤) الشريف الرضي، المجازات النبوية: ٢٥٩.

(٥) راجع ابن أبي الحديد،شرح نهج البلاغة ١٨: ١٣٤.

بن عبد المطّلب إنّي لا أُغني عنك من الله شيئاً، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم...»[١]، فإنّه عنه بعيد.

كان بحر ولد الأحنف ـ وبه كان الأحنف يكنى ـ مضعوفاً، قيل له: ما يمنعك أن تجري في بعض أخلاق أبيك؟ فقال: الكسل[٢]. وكان لا يرى جارية إلّا قال لها يا فاعلة، فتقول لو كنتُ كما تقولُ؛ أتيت أباك بمثلك[٣].

وكما لا يوجب الحسب الشبع والكسوة كذلك لا يوجب رفع الدرجة، فمن ادّعى لنفسه درجة بحسبه كان كالوحيدي الذي يختال في مشيته في إزار في يوم قرٍّ، فقيل له: من أنت يا مقرور؟ قال:

«أنا ابن الوحيد أمشي الخيزلي، ويدفئني حسبي ونسبي».

## ٢١
## الحكمة (٢٥)

وقال عليه السلام:

**مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ.**

أقول: قد أكثروا من المعنى في الشعر، قال ابن داود الاصبهاني:

لا خير في عاشق يبدي صبابته ... بالقول والشوق في زفراته بادي
يخفي هواه وما يخفى على أحد ... حتى على العيس والركبان والحادي

وقال ابن المعتزّ:

تفقّد مساقط لحظ المُريبِ ... فإنّ العيون وجوه القلوب
وطالع بوادِره في الكلام ... فإنّك تجني ثمارَ العُيوبِ[٤]

---

(١) أخرجه ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ٢: ٣١ و ٢٥ وابن سعد في طبقاته ٢: ٤٦ ولم يذكره علماء الشيعة.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٥٩، كذلك أورده الجاحظ في البيان والتبيين ٢: ٢٥٢.

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٥٩، وكذلك أورده البهائي في الكشكول: ٣٧١.

(٤) نهاية الأرب في فنون الأدب ٣: ٩٩.

وقال البحتري:

نمّت على ما في ضميري أدمعي وتتابع الصعداء من أنفاسي[١]

وقال سويد:

تحدّثني العينان ما القلب كاتم وما جنّ بالبغضاء والنظر الشزر[٢]

أي لا خفاء ولا ستر بهما، وقال آخر:

ومراقبين تكاتما بهواهما جعلا القلوب لمّا تجنّ قبورا

يتلاحظان تلاحظاً فكأنّما يتناسخان من الجفونُ سطورا[٣]

أيضاً:

إن كاتمونا القلى نمّت عيونهم

والعين تظهر ما في القلب أو تصف[٤]

أيضاً:

إذا قلوب أظهرت غير ما تضمره أنبتك عنها العيون[٥]

أبو العتاهية:

وللقلب على القلب دليل حين يلقاه وللناس من الناس مقاييس وأشباه

يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ماشاه وفي العين غنى أن تنطق أفواه[٦]

أعرابية:

---

(١) ديوان البحتري ٢: ٣٣٥.

(٢) الصداقة والصديق للتوحيدي: ١٠٩ وذكره شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١٢٧ .

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٣٩.

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ١٨١ .

(٥) المصدر نفسه.

(٦) إحياء علوم الدين للغزالي ٢: ٢٤٨ .

ومـودّع يـوم الفـراقِ بـلحظه　　شَرِقٍ من العَبَراتِ ما يَـتَكلم[١]

أعرابي:

ومـا خـاطبتها مـقلتاي بـنظرة　　فتفهم نجوانـا العـيون النـواظـرُ
ولكن جعلت الوهـم بـيني وبـينها　　رسولاً فأدّى ما تجنُّ الضمائر[٢]

زهير:

ومـا يك فـي عـدوٍّ أو صـديق　　تـخبِّرك العيون عن القـلوب[٣]

دريد:

وما تخفي الضغينة حـيث كـانت　　ولا النظر الصحيح من السقيم[٤]

آخر:

كـتمت الهَـوى حـتى إذا نـطَقَت بـه　　بـوادرُ مـن دمـع تسـيل عـلى الخـدِّ
وشاع الذي أضمرتُ من غير مَـنطق　　كأنَّ ضميرَ القلب يَرْشَحُ من جِلدي[٥]

آخر:

العين تبدي الذي في نفس صاحبها　　مـن المـحبّة أو بـغضٍ إذا كـانا
والعـين تـنطق والأفـواه صـامتة　　حتى ترى من ضمير القـلب تـبيانا

آخر:

وعين الفتى تبدي الذي في ضميره　　وتعرف بالنجوى الحديث المغمّما

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٤: ٨٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) البيت في ديوان زهير بن أبي سلمي: ١٦، بلفظٍ آخر:

متى تكُ في صديقٍ أوْ عـدّوٍ　　تُخبّرْكَ الوجُـوهُ عـن القـلوب

(٤) ديوان دريد بن الصمّة: ١٠٥.

(٥) الكامل في الأدب للمبرّد ٢: ٧٠٣.

وقالوا: «رب طرف أفصح من لسان»[١] وفي المثل: «كاد المريب يقول خذوني»[٢].

وفي (العقد) عن بعضهم: إنّي لأعرف في العين إذا عرفت وإذا أنكرت، وإذا لم تعرف ولم تنكر. أمّا إذا عرفت فَتَخوَص وإذا أنكرت فتجحظ وإذا لم تعرف ولم تنكر فتشجو[٣].

وفي (موفقيات الزبير بن بكّار) ـ في خبر ـ: قال المأمون للأصمعي: هات بيتاً أنظر في معناه، فقال:

فلا غرو إلّا جارتي وسؤالها ألا هل لنا أهل سئلت كذلكا

فجعل يفكر فيه، وهمّ أن يقول فقال له الأصمعي: أعد نظراً. فقال: وكيف علمت. قلت: رأيت ناظريك يجولان وقد استقرتا كان أوضح لاصابتك. فضحك حتى انثنى ثم قال فأصاب، فقلت: أصبت والله وأحسنت[٤].

وفي (الأغاني): أدرك النمر بن تولب العكلي النبي ﷺ فأسلم وحسن اسلامه وعمّر فطال عمره، وكان جواداً واسع القرى كثير الأضياف وهّاباً لماله، فلمّا كبر خرف واهتر فكان هجيراه «أصبحوا الرَّاكب، أغبقوا الراكب، أقروا إنحروا للضيف، أعطوا السائل، تحمّلوا لهذا في حمالته كذا وكذا» لعادته بذلك في أيام استقامته، فلم يزل مدّة خرفه يهذي بهذه حتى مات.

وخرفت امرأة من حيٍّ كرام عظيم خطرها فيهم، فكان هجيرها «زَوِّجُوني قولوا الزوجي يدخل، مهِّدوا الي إلى جانب زوجي»، فبلغ خبرها عمر

---

(١) فرائد الأدب من المنجد: ٩٩٨.

(٢) وهو من الأمثلة الجارية على الالسن لم نعثر له على مصدر.

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربّه ٢: ٣٥٤.

(٤) الموفقيات للزبير بن بكّار: ٧٤ ـ ٧٥.

فقال: ما لهج به أخو عكل في خرفه أجمل ممّا لهجت به صاحبتهم[١].

هذا وفي (البيان) دخل رجل على آخر يأكل أُترجّة بعسل، فأراد أن يقول السلام عليكم فقال عسليكم[٢].

ودخلت جارية رومية على راشد البستي لتبلغه عن مولاتها، فبصرت بحمار قد أدلى في الدار فقالت: قالت مولاتي كيف أير حماركم[٣]؟

ومن أمثالهم «لحظ أصدق من لفظ» يعني أثر الحب والبغض يظهر في العين فيفهم ان اللفظ الذي على خلافه كذبٌ ومين[٤].

## ٢٢
## الحكمة (٢٦)

وقال عليه السلام:

إمْشِ بِدَائِكَ ما مَشَى بِكَ.

أقول: روى (الخصال) عن الصادق عليه السلام قال: من ظهرت صحّته على سقمه فيعالج بشيء فمات فأنا إلى الله منه بريء[٥].

## ٢٣
## الحكمة (٤٩)

وقال عليه السلام:

إحْذَرُوا صَوْلَةَ الكَرِيمِ إِذَا جَاعَ واللَّئِيمِ إِذَا شَبِعَ.

---

(١) الأغاني للأصفهاني ٢٢: ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ٢: ١٧٨.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) مجمع الأمثال للميداني ٢: ٢١٠.

(٥) الخصال للصدوق ١: ٢٦ ح٩١.

أقول: نسبه الجاحظ[١] إلى أردشير وابن قتيبة[٢] إلى كسرى، فان فرض صحة قولهما فكسرى لم يعبر باللفظ بل بمعناه.

وكيف كان فهو نظير كلامه عليه السلام الآخر «الكريم يلين إذا استُعطِف واللّئيم يقسو إذا أُلطِفَ».

«احذروا صولة الكريم إذا جاع» قال الصولي في ابن الزيّات:

أسدٌ ضارٍ إذا مانعته ... وأبٌ بَرٌّ إذا ما قَدَرا

يعرِفُ الأبعدَ إنْ أَثْرى ولا ... يَعرِفُ الأَدْنى إذا ما ٱفتقرا[٣]

وقال البحتري:

اراقب صولَ الوغدِ حين يهزّه ... اقتدارٌ وصول الحُرِّ حين يُضام[٤]

وقال قرواش بن مقلد الحجازي

لله در النائبات فإنّها ... صدأ اللئام وصيقلُ الأحرار

ما كنت إلّا زبرة فطبعنني ... سيفاً وأطلق صرفهن غراري[٥]

وكان يحيى البرمكي يقول: مطلك الغريم أحسم من مطلك الكريم، لأن الغريم لا يسلف إلّا من فضل والكريم لا يطلب إلّا من جهد[٦].

«واللّئيم إذا شبع» ليس المراد اختصاص ذمّه بحال شبعه، فاللّئيم مذموم في جميع أحواله وفي حال شبعه أسوأ، قال مسكين الدارمي:

إنّما الفحش ومن يعتاده ... كغراب السُّوء ما شاء نعق

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ٣: ١٦٩.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٢٣٨.

(٣) الأغاني ١٠: ٦٥ (في أخبار إبراهيم بن العباس، وهو بلفظ: «أسدٌ ضارٍ إذا هيّجته»).

(٤) ديوان البحتري ١: ٤٣٢ (دار الكتب العلمية).

(٥) وفيات الأعيان لابن خلكان ٥. وقدمرّ ذكر التبيين في ص ٢٣٢ في الفصل ٦٠.

(٦) تاريخ الوزراء والكتاب للجهشياري: ٢٠٠.

أو حــمار السُــوء إنْ أشـبعته رمــح النــاس وإن شـاء نـهق
أو غــلام السُــوء إنْ جــوّعته سرق الجار وإن يشبع فسـق[١]

وقال بعضهم لعبد: أشتريك من مولاك؟ قال: لا. قال: ولِمَ؟ قال: لأنّي إن أشبعت أحببت نوماً، وان جعت أبغضت قوماً ـ أي: قياماً ـ.

وفي (الأغاني): أُتي عثمان بعبد بني الحسحاس[٢] ليشتريه فأعجب به فقالوا: انّه شاعر وأرادوا أن يرغّبوه فيه. فقال ـ: لا حاجة لي به، العبد الشاعر إن شبع تشبَّب بنساء أهله وإن جاع هجاهم[٣].

هذا، وفي (الأغاني) آلى امرؤ القيس أن لا يتزوّج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة وثنتين، فجعل يخطب النساء فإذا سألهن عن هذا قلن: أربعة عشر، فبينا هو يسير في جوف الليل إذا هو برجل يحمل ابنة صغيرة كأنّها البدر، فأعجبته فقال لها: يا جارية! ما ثمانية وأربعة وثنتان؟ فقالت: أمّا ثمانية فأطباء الكلبة، وأمّا أربعة فأخلاف الناقة، وأمّا ثنتان فثديا المرأة. فخطبها إلى أبيها فزوّجه إيّاها وشرطت هي عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال فجعل لها ذلك وعلى أن يسوق إليها مائة من الإبل وعشرة أعبد وعشر وصائف وثلاثة أفراس ففعل ذلك.

ثم إنّه بعث عبداً له إلى المرأة وأهدى إليها نحياً من سمن ونحياً من عسل وحلّة من قصب، فنزل العبد ببعض المياه فنشر الحلة ولبسها فتعلقت بشجرة فانشقّت، وفتح النحيين فطعم أهل الماء منهما فنقصا ثم قدم على حيّ المرأة وهم خلوف، فسألها عن أبيها وأُمها وأخيها ودفع إليها هديّتها، فقالت

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ١٣٢.

(٢) اسمه سُحيم، وكان عبداً أسود نوبياً أعجمياً مطبوعاً في الشعر، فاشتراه بنو الحسحاس، وهم بطن من بني أسد.

(٣) الأغاني ٢٢: ٣٠٦.

له: أعلِمْ مولاك أنّ أبي ذهب يقرِّب بعيداً ويبعد قريباً، وأنّ أُمّي ذهبت تشقّ النفس نفسين، وأنّ أخي يرعى الشمس، وأن سماءكم انشقّت، وأنّ وعاءيكم نضبا.

فقدم الغلام على مولاه فأخبره فقال: أمّا قولها: «ذهب أبي يقرّب بعيداً ويبعد قريباً» فإن أباها ذهب يحالف قوماً على قومه، وأمّا قولها: «ذهبت أُمّي تشق النفس نفسين» فإنّ أمّها ذهبت تقبّل امرأة نفساً، وأما قولها: «إنّ أخي يرعى الشمس» فإنّ أخاها في سرح له يرعاه فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به، وأمّا قولها: «إن سماءكم انشقّت» فإن البُرد الذي بعثت به انشقّ، وأمّا قولها: «إنّ وعاءيكم نضبا» فإنّ النحيين اللّذين بعثت بهما نقصا فأصدقني. فقال: نزلت بماء فسألوني عن نسبي فأخبرتهم أنّي ابنُ عمك ونشرت الحلة فانشقّت وفتحت النحيين وأطعمت منهما أهل الماء فقال: أولى لك.

ثم ساق مائة من الإبل وخرج نحوها ومعه الغلام، فنزلا منزلاً فخرج الغلام يسقي الإبل فعجز فأعانه امرؤ القيس فرمى به الغلام في البئر وذهب إلى المرأة بالإبل وأخبرهم أنّه زوجها، فقالت: والله ما أدري أهو أم لا ولكن انحروا له جزوراً وأطعموهُ من كرشها وذنبها، ففعلوا فقالت: أُسقوه لبناً خازراً ـ وهو الحامض ـ فسقوه فشرب، فقالت: أُفرشوا له عند الفرث والدم ففرشوا له فنام، فلمّا أصبحت أرسلت إليه إنّي أُريد أن أسألك، فقال: سلي عمّا شئتِ. فقالت: ممّ تختلج شفتاك؟ قال: لتقبيلي إيّاك. قالت: فممّ تختلج كشحاك؟ قال: لالتزامي إيّاك. قالت: فممّ يختلج فخذاك؟ قال: لتوريكي إيّاك. قالت: عليكم العبد فشدوا أيديكم به. ففعلوا.

قال: ومرّ قوم فاستخرجوا امرأَ القيس من البئر، فرجع إلى حيّه فاستاق

مائة من الابل وأقبل إلى امرأته، فقيل لها قد جاء زوجك، قالت ما أدري ولكن انحروا له جزوراً وأطعموه من كرشها وذنبها، فلما أتوه بذلك قال: وأين الكبد والسَّنام والمَلْحاء[١] فأبى أن يأكل، فقالت: أُسقوه لبناً خازراً فأبى أن يشربه وقال: فأين الصَّريف[٢] والرثيئة[٣]، فقالت: أُفرشوا له عند الفرث والدم فأبى أن ينام وقال: أُفرشوا لي فوق التلعة الحمراء واضربوا عليها خباءً، ثم أرسلت إليه هلم شريطتي عليك في المسائل الثلاث، فأرسل إليها أن سلي عمّا شئت، فقالت:ممّ يختلج شفتاك؟ قال: لشربي المُشَعْشَعات. قالت: فكشحاك؟ قال: للبسي الحبرات. قالت: ففخذاك؟ قال: لركضي المطهّمات. قالت: هذا زوجي لعمري فعليكم به واقتلوا العبد[٤].

## ٢٤
## الحكمة (٥٨)

وقال عليه السلام:

**المَالُ مَادَّةُ الشَّهَوَاتِ.**

أقول: في (عيون القتيبي) كان يقال: عيب الغنى أنّه يورث البلَه، وفضيلة الفقر أنّه يورث الفكرة[٥].

وقال الحسن: عيّرت اليهود عيسى عليه السلام بالفقر فقال: من الغنى أُوتِيتُم[٦].

---

(١) الملحاء: لحم في الصلب من الكاهل إلى العجز من البعير.

(٢) الصريف: الحليب الحار ساعة يصرف عن الضرع.

(٣) الرثيئة: اللبن الذي يصبح روباً.

(٤) الأغاني للأصفهاني ٩: ١٠١ ـ ١٠٢.

(٥) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٢٤٦.

(٦) المصدر نفسه.

وقيل: حسبك من شرف الفقر، أنّك لا ترى أحداً يعصي الله ليفتقر، والعاصي لتحصيل الغنى كثير[١]. وقال محمود الورّاق:

يا عائِبَ الفقر ألا تزدَجِر　　عَيبُ الغِنى أكثرُ لو تَعتَبِر
مِن شرف الفقر ومن فضله　　على الغِنى إن صحّ منك النظرْ
إنّك تَعصي الله تبغي الغِنى　　ولستَ تَعصي الله كي تفتقر[٢]

وفي (الخصال) عن الصادق عليه السلام: يقول إبليس: ما أعياني من ابن آدم فلن يعيني منه واحدة من ثلاث: أخذ مال من غير حقّه، أو منعه من حقه، أو وضعه في غير وجهه[٣].

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام قال تعالى لموسى عليه السلام: إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل: مرحباً بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنى مقبلاً فقل: ذنب عُجِّلت عقوبته[٤].

وعنه عليه السلام: جاء رجل موسر نقي الثوب إلى النبي صلى الله عليه وآله فجلس إليه، فجاء معسر درن الثوب فجلس إلى جنبه، فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذيه فقال له النبي صلى الله عليه وآله: أخِفتَ أن يمسّك من فقره شيء؟ قال: لا. قال: فخفت أن يصيبه من غناك شيء؟ قال: لا. قال: فخفت أن توسخ ثيابك؟ قال: لا. قال: فما حملك على ما صنعت؟ قال: إنّ لي قريناً يزيّن لي كلّ قبيح ويقبّح لي كلّ حسن، وقد جعلت له نصف مالي. فقال النبي صلى الله عليه وآله للمعسر: أتقبل؟ قال: لا. فقال له الرجل:

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١٩٠، وعيون الأخبار ١: ٢٤٧ ونسبه الماوردي إلى عمر بن الخطاب (أدب الدنيا والدين): ٢١٥.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٢٤٩، وشرح ابن أبي الحديد ١٨: ١٩٠، التبيين الأوّل والأخير.

(٣) الخصال للصدوق ١: ١٣٢ ح١٤١.

(٤) الكافي للكليني ٢: ٢٦٣ ح١٢.

ولِمَ؟ قال: أخاف أن يدخلني ما دخلك[١].

وقال تعالى: ﴿أيَحسَبُونَ أنَّما نُمِدُّهم بهِ مِن مالٍ وبنين* نُسارِعُ لَهُم في ٱلخيراتِ بل لا يشعُرون﴾[٢] ﴿فلا تُعجبك أموالُهُم ولا أولادُهم إنَّما يريدُ ٱلله ليُعذبهُم بها في ٱلحَياة ٱلدُنيا وتَزهَق أنفُسُهم وهُم كافرون﴾[٣] ﴿وما أموالُكم ولا أولادُكم بالَّتي تُقرّبُكم عندنا زُلفى إلاَّ من آمن وعَمِلَ صالحاً فأُولئكَ لَهُم جَزاءُ الضِعفِ بما عملوا وهُم في الغُرفاتِ آمنُونَ﴾[٤].

## ٢٥
## الحكمة (٤٠٦)

وقال عليه السلام:

ما أَحْسَنَ تَوَاضُعَ الأَغْنِيَاءِ لِلفُقَرَاءِ طَلَباً لِمَا عِنْدَ اللهِ، وَأَحْسَنُ مِنهُ تِيهُ الفُقَرَاءِ عَلَى الأَغنِيَاءِ اتِّكالاً عَلَى اللهِ.

أقول: إنّما روى المسعودي والخطيب وابن طاووس أنّه عليه السلام قال هذا الكلام في المنام، قال الأول في (مروجه) ـ بعد نقل خبر قال سمعته من إبراهيم بن جابر القاضي قبل ولايته القضاء وهو يومئذ ببغداد يعالج الفقر ويتلقّاه من خالقه بالرضا ناصراً للفقر على الغنى ـ فما مضت أيام حتى لقيته بحلب في سنة تسع وثلاثمائة وإذا هو بالضدّ عمّا عهدته؛ متولّياً القضاء، ناصراً للغنى على الفقر، فقلت له: أيها القاضي! تلك الحكاية التي كنت تحكيها عن الوالي بالريّ وأنّه قال لك: إعترضتني الخواطر بين منازل الفقراء والأغنياء فرأيت في النوم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال لي: يا

(١) الكافي للكليني ٢: ٢٦٢ ح١١.

(٢) المؤمنون: ٥٥ ـ ٥٦.

(٣) التوبة: ٥٥.

(٤) سبأ: ٣٧.

فلان! ما أحسَنَ تواضع الأغنياء للفقراء شكراً لله تعالى، وأحسن منه تعزُّز الفقراء على الأغنياء ثقة بالله تعالى ـ إلى أن قال ـ وركب بعد ذلك الهماليج من الخيل وقطع لزوجته أربعين ثوباً تسترياً على مقراض واحد[1].

وقال الثاني في (تاريخه) ـ في عبدالله بن بشران ـ قال أبو الحسين القاضي: سمعت الفتح بن شخرف يقول: رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في النوم فقلت له: أوصني. فقال: ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء، وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء. فقلت له: زدني، فأومى إليّ بكفّه فإذا فيه مكتوب:

قد كنت ميتاً فصرت حيّاً | وعن قليل تصير[2] ميتا
أعيى بدار الفناء بيت | فابنِ بدار البقاء بيتا[3]

ونقله في الفتح نفسه أيضاً، وفي تشريف علي بن طاووس الذي جمع فيه ثلاث فتن من العامة وينقل فيه من كتب أخرى.

ومن (المجموع) الذي لمحمد بن الحسين المرزبان ذكر يسير بن الحرث أنّه رأى أمير المؤمنين في المنام فقال: تقول شيئاً لعل الله ينفعني به فقال: ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء ثقة بالله. فقلت: زدني، فولّى وهو يقول:

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٤: ٢٦٤.

(٢) وفي نسخة التحقيق (تعود) بدلاً من (تصير).

(٣) ذكر الخطيب البغدادي في تاريخه هكذا: بينما أنا نائم إذا أنا بشخصين، فقلت للذي يقرب منّي: من أنت يا هذا؟ فقال: لي من ولد آدم، قلت: كلّنا من ولد آدم، قلت: له: أنت قريب منه ولا تسأله، قال: أخشى أن يقول النّاس إنّي رافضي، فتنحّى من مكانه، وقعدت فيه، فقلت: يا أمير المؤمنين كلمة خير شيء فقال لي: نعم صدقة المؤمن بلا تكلّف ولا ملل، قال قلت: زدني يا أمير المؤمنين، قال: تواضع الغني للفقير رجاء ثواب اللّه، قلت: زدني يا أمير المؤمنين، قال وأحسن من ذلك ترفع الفقير على الغني ثقة باللّه، قلت زدني يا أمير المؤمنين، قال فبسط كفه، فإذا فيها مكتوب ـ (وذكر التبيين) راجع تاريخ بغداد ٩: ٤٢٦.

قد كنتَ ميتاً فصرتَ حيا　　وعن قليل تصيرُ ميتا
عزَّ بدار الفناء بيت　　فأبن بدار البقاء بيتا[١]

«ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لمّا عند الله» في (الكافي) عن إسحاق بن عمّار قال لي أبو عبدالله عليه السلام: كيف تصنع بزكاة مالك إذا حضرت؟ فقلت: يأتوني إلى المنزل فأُعطيهم. فقال: أراك يا إسحاق قد أذللت المؤمنين، فإيّاك إيّاك! إنّ الله تعالى يقول: من أذلّ لي وليّاً فقد أرصد لي بالمحاربة[٢].

وفي (تاريخ بغداد): كان عمارة بن حمزة أَتْيَهَ النّاسِ حتى ضرب به المثل فقيل: «أَتْيه من عمارة»، واستأذن عليه قوم ليشفعوا إليه في برِّقومٍ أصابتهم حاجة ـ وكان قام عن مجلسه ـ فأخبره حاجبه بحاجتهم فأمر لهم بمائة ألف درهم، فاجتمعوا إليه ليدخلوا عليه للشكر له فقال لحاجبه: إقرأهم سلامي وقل لهمك إنّي رفعت عنكم ذل المسألة فلا أحمّلكم مؤونة الشكر[٣].

«وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله» في (حلية أبي نعيم): جاء ابن لسليمان بن عبد الملك فجلس إلى جنب طاووس اليماني، فلم يلتفت إليه فقيل له: جلس إليك ابن الخليفة فلم تلتفت إليه، فقال: أردت أن يعلم أنّ لله تعالى عباداً يزهدون في ما في يديه. وقال عمر بن عبد العزيز له: إرفع حاجتك إلى الخليفة ـ يعني سليمان ـ فقال: مالي إليه حاجة[٤].

وفي (تاريخ بغداد): قال عيسى بن يونس: ما رأيت الأغنياء والسلاطين

---

(١) الملاحم والفتن لابن طاووس: ١٥٢.

(٢) لم نعثر عليه في الكافي انما وجدناه في بحار الأنوار ٩٦: ٧٧ رواية ٢ نقلاً عن أمالي الطوسي ١: ١٩٨ ومجالس المفيد: ١١٣.

(٣) تاريخ بغداد ١٢: ٢٨٠.

(٤) حلية الأولياء ٤: ١٦، وهو طاووس بن كيسان أبو عبدالرحمن من أهل اليمن أدرك خمسين رجلاً من الصحابة وعلمائهم وأعلامهم، وأكثر روايته عن ابن عباس.

عند أحد أحقر منهم عند الأعمش مع فقره وحاجته[١].

وفي (المعجم): وجّه سليمان بن علي والي الأهواز إلى الخليل لتأديب ولده، فأخرج لرسوله خبزاً يابساً وقال: ما دمت أجده فلا حاجة لي إلى سليمان[٢].

وفي (العيون): قال معاوية لحضين بن المنذر ـ وكان يدخل عليه في أخريات الناس ـ يا أبا ساسان كأنّه لا يحسن اذنك، فأنشأ يقول:

كلّ خفيف الشأن يسعى مشمّراً إذا فتح البوّاب بابك إصبعا
ونحن الجلوس الماكثون رزانةً وحلماً إلى أن يفتح الباب أجمعا[٣]

## ٢٦
## الحكمة (٣٠٧)

وقال عليه السلام:

يَنامُ الرَّجُلُ عَلَى الثّكلِ ولَا يَنَامُ عَلَى الحَرَبِ.

قال الرضي: ومعنى ذلك أنه يصبر على قتل الأولاد ولا يصبر على سلب الأموال.

أقول: في (كامل المبرد) ان رجلاً من قريش بعث إلى رجل منهم ـ وكان أخذ غلاماً له ـ يا هذا! إنّ الرجل ينام على الثكل ولا ينام على الحرب، فإمّا رددته وإمّا عرضت اسمك على الله كلّ يوم وليلة خمس مرّات[٤].

وفي (نسب قريش ابن بكار): كان عبدالله بن عروة بن الزبير دخل على هشام عام حج بالمدينة، فقال: إنّك أطعمت إبراهيم بن هشام ما بين مَنابِت

---

(١) تاريخ بغداد ٩: ٨ في ترجمة سليمان الأعمش.

(٢) معجم الأدباء لياقوت الحموي ١١: ٧٥.

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٨٨.

(٤) الكامل في الأدب للمبرد ١ (طبع القاهرة): ٧٤.

الزيتون من الشام إلى منابت القَرظ[١] من اليمن فلم يغنه كثيراً ما بيده عن قليل ما بأيدينا، وإنّا والله ما طبنا أنفساً بفراق الأحبة إلّا بما ترك بأيدينا من معايشنا، ولولا ذلك لاخترنا بطن الأرض على ظهرها، وقد أعطيتمونا من الأمان ما قد علمتم؛ فإمّا وفيتم لنا بعهدنا أو رددتم إلينا سيوفنا. فأعجب قوله هشاماً[٢].

وفي (الاستيعاب) أخذ أبو سفيان سعد بن النعمان الأنصاري أسيراً ففدا به ابنه عمراً ـ وكان أسر يوم بدر ـ فقيل له: ألا تفتديه؟ فقال: قتل حنظلة وأفتدي عمراً بمالي فأصاب بمالي وولدي. لا أفعل ولكني أنتظر حتى أصيب منهم رجلاً فأفديه به، فأصاب سعداً هذا[٣]، وقال ابن أبي الحديد قال الشاعر:

لنا إبلٌ غرٌّ يضيق فَضاؤها ... ويغبرّ عنها أرضها وسماؤها
فمن دونِها أن تُستباح دماؤنا ... ومن دوننا أن تستباح دماؤها
حمى وقرى فالموت دون مَرامها ... وأيسر أمر يومَ حُق فناؤها[٤]

قلت: وربطه بما نحن فيه كما ترى.

## ٢٧
## الحكمة (٣١٥)

وقال عليه السلام:

لكاتبه عبيد الله بن رافع: أَلِقْ دَوَاتَكَ، وَأَطِلْ جِلْفَةَ قَلَمِكَ، وَفَرِّجْ بَيْنَ السُّطُورِ، وَقَرْمِطْ بَيْنَ الحُرُوفِ، فإِنَّ ذلِكَ أجدَرُ بَصَبَاحَةِ الخَطِّ.

أقول: روى (الخصال) عنه عليه السلام: كتب إلى عماله: أدِقّوا أقلامكم وقاربوا

---

(١) في الأصل «القرط» بدلاً من (القرظ).

(٢) نسب قريش لابن بكار: ٢٤٦ بتصرف في النقل.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ٢: ٦٠٦.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢١٣.

بين سطوركم وأحذفوا من فضولكم واقصدوا قصد المعاني وإيّاكم والإكثار فإنّ أموال المسلمين لا تحتمل الإضرار[١].

قول المصنف «لكاتبه عبيدالله بن رافع» هكذا في (الطبعة المصرية)[٢] والصواب: (عبيدالله بن أبي رافع) كما في ابن أبي الحديد[٣]، وعنون (الخطيب) عبيدالله بن أبي رافع ووثقه وروى عنه حديث ذي الثديّة[٤].

وقال المبرد في (كامله): كان لأبي رافع بنون أشراف منهم عبيدالله بن أبي رافع وحديثه أثبتُ الحديث عن علي عليه السلام[٥].

وقال الشيخ في (فهرسته): له كتاب قضايا أمير المؤمنين وكتاب تسمية من شهد الجمل وصفّين والنهر من الصحابة[٦].

وكتبوا في كتّابه غير عبيدالله؛ عبدالله بن جعفر الطيار وسعيد بن عمران الهمداني.

وفي (المعجم): كان محمد بن علي بن مقلة أوحد الدنيا في كتبه قلم الرقاع والتوقيعات، وكان أخوه أبو عبدالله بن مقلة أكتب منه في قلم الدفاتر والنسخ[٧].

وفي (كامل الجزري): الحسين بن علي بن خازن أبو الفوارس صاحب

---

(١) الخصال للصدوق ١: ٣١٠ ح٨٥.

(٢) راجع الطبعة المصرية لشرح محمّد عبده ٧٤١ رقم (٣١٧).

(٣) راجع شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٢٣.

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٠: ٣٠٥ وعبيد الله ابن أبي رافع هو فولى رسول الله صلى الله عليه وآله واسم أبي رافع أسلم، سمع أباه وعلي بن أبي طالب، وأبا هريره، وكان كاتب علي بن أبي طالب، وحضر معه وقعة الخوارج والنهروان (تاريخ بغداد ١: ٣٠٤)..

(٥) الكامل في الأدب للمبرّد ٢: ٢٩٥ .

(٦) فهرست الشيخ: ١٠٧ .

(٧) معجم الأدباء لياقوت الحموي ٩: ٢٩ في ترجمة محمد بن علي بن مقلة.

الخط الجيّد. مات سنة (٤٩٩) قيل كتب خمسمائة ختمة[١].

وقالوا: كان الأحدب المزور يكتب خط كلّ أحد فلا يشك المكتوب عنه أنّه خطه. مات سنة (٣٧٠)[٢].

«ألق دواتك» قال ابن أبي الحديد: الاق لغة قليلة بها جاء كلامه عليه السلام و «لاق» هي الكثيرة.

قلت: بل ألاق أيضاً كثيرة مثل لاق، قال ابن دريد في (جمهرته) (باب ما اتفق عليه أبو زيد وأبو عبيدة ممّا تكلمت به العرب من فعلت وأفعلت) إلى أن قال: ولقت الدواة والقتها. ونقل في بعض أمثلته خلاف الأصمعي في «فعل» أو «أفعل» ولم يذكر هنا شيئاً فيعلم أنّه غير خلافي، وقرّره حتى الأصمعي الذي يستشكل في كثير ممّا نقل عن العرب بعدم الثبوت[٣]، ومثله الفيروز آبادي في قاموسه ذكر «لاق» و «الاق» بدون تفاضل[٤]، إلّا أنّ ابن أبي الحديد قلّد فيما قال الجوهري، فإنه قال: لاقت الدواة تليق أي لصقت، ولقتها أنا يتعدّى ولا يتعدّى، وألقتها لغة قليلة[٥]. وهو خطأ منه لمّا عرفت.

بل المفهوم من (الصولي) كون (لاق) لغة قليلة بل غير محقّقة، فقال في (أدب كاتبه): ألقت الدواة إذا أردت كرسفها حتى تسود - إلى أن قال -

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري ١٠: ٤١٥ س ٤٩٩ بتصرف.

(٢) ذكر ابن الأثير فيمن توفى سنة (٣٧٠) وفيها توفى علي بن محمّد الأحدب المزور، وكان يكتب على خط كل واحد فلا يشك المكتوب عنه انه خطه، وكان عضد الدولة إذا أراد الايقاع بين الملوك امره ان يكتب على خط بعضهم إليه في الموافقة على من يريد! فساد الحال بينه، ثم يتوصل ليصل المكتوب إليه، فيفسد الحال، وكان هذا الأحدب ربّما خُتمت يده لهذا السبب (الكامل في التاريخ ٩: ٨).

(٣) جمهرة اللغة لابن دريد ٣: ٤٣٦ مادة (لاق).

(٤) القاموس المحيط للفيروز آبادي ٣: ٢٨١.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٢٣، والصحاح ٤: ١٥٥٢ مادة (ليق).

والصواب المختار أن تقول: ألقت الدواة، وحكى عن ابن دريد ألقت ولقت[(١)]....
وحينئذ فليقل للجوهري ولمقلده ابن أبي الحديد في نسبة كلامه عليه السلام إلى اللّغة القليلة: «إقلب تصب».

ولعل منشأ توهّم الجوهري أنّه رأى أنّهم قالوا «القنا الدوايا رديئة» ومقصودهم رداءة الدوايا فظن كون مرادهم رداءة الاق، فقال الصولي: يقال دواة ودوايا وهي رديئة، قال الشاعر:

إذا نحن وجّهنا إليكم صحيفة ألقنا الدوايا بالدموع السواجم[(٢)].

هذا، وفي (اليتيمة) كان كاتب سيف الدولة يعجن مداده بالمسك ولا تليق دواته إلّا بماء الورد تفادياً من قول القائل:

دَعِيٌّ في الكتابة لارَوِيٌّ له يُعَدُّ ولا بَدِيهُ
كأنّ دواته من ريق فيه تلاق فريحها أبداً كريه[(٣)]

«تلاق» المستقبل المجهول من ألاق.

«وأطل جلفة قلمك» في (الأساس): جلفة القلم من مبراه إلى سِنِّه، من جلفته بالسيف إذا بضعت من لحمه بضعة[(٤)].

في (تاريخ بغداد) كان أحمد بن يوسف بن صبيح من أفاضل كتّاب المأمون، قال: ورآني عبد الحميد بن يحيى أكتب خطاً رديئاً، فقال لي: ان أردت أن يجود خطُّك فأطِلْ جُلفتك وأسمنها وحرّف قطعتك وأيمنها[(٥)].

هذا، وممّا لغز في القلم قول الشاعر:

---

(١) أدب الكتاب للصولي: ٩٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) يتيمة الدهر للثعالبي ١: ٢٠١.

(٤) أساس البلاغة للزمخشري: ٦٢ مادة (ج ل ض).

(٥) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٥: ٢١٧.

عجبت لذي سِنَّينِ في الماء نبته له أثر في كلّ مصر ومعمر[(١)]

وفي (اليتيمة) قال السري في الفياض كاتب سيف الدولة:

لك القلم الذي يصبح ويمسي به الاقليم محميّ الحريم[(٢)]

وفي (طرائف المقدسي): كما أقسم الله تعالى بالأشياء الجليلة الأقدار الكبيرة الأخطار في نفوس عباده وعيون بلاده كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض؛ أقسم بالقلم فقال: ﴿ن وَٱلْقَلَمِ وَما يَسطُرُون﴾[(٣)] وذاكرت في هذا أبا الفتح البستي فأنشدني لنفسه:

إذا افتخروا يوماً بسيفهم وعدّوه ممّا يكسب المجد والكرم

كفى قلم الكتّاب فخراً ورفعةً مدى الدهر أنّ اللّهَ أقسم بالقلم[(٤)]

وقال آخر: لم أر باكياً أحسن تبسُّماً من القلم.

«وفرّج بين السطور» لا تنافي بين التفريج بينها كما هنا والمقاربة بنيها كما في خبر الخصال[(٥)] كما لا يخفى.

«وقرمط بين الحروف» أي: قارب بينها، ولابد ان حروف كلّ كلمة لتكن أقرب إلى نفسها منها إلى حروف كلمة أخرى.

«فان ذلك أجدر بصباحة الخط» في (الطرائف) قال إقليدس: الخطُّ هندسة روحانية وإن ظهرت بآلة جسمانية.

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٤٨.

(٢) يتيمة الدهر وخريدة العصر للثعالبي ١: ١٠٢.

(٣) القلم: ١.

(٤) الطرايف واللطايف لأحمد المقدسي: ٣١، الباب الخامس عشر في مدح الخط والقلم، وذكر الآية فقط أما باقي النصّ فالظاهر أنّه إضافة من المؤلف زيادةً في التوضيح.

(٥) الخصال للصدوق ١: ٣١٠ ح ٨٥، وقد مرّ في الصفحة ٢٦٥ في بداية شرح الحكمة ٣١٥ فراجع.

وقال إفلاطون: الخطُّ عقال العقل[١].

قوله عليه السلام في (رواية الخصال): واحذفوا من فضولكم واقصدوا المعاني، وإيّاكم والإكثار[٢].

في (تاريخ بغداد): رئي مروان بن أبي حفصة واقفاً بباب الجسر كئيباً آسفاً ينكت بسوطه في معرفة دابته، فقيل: ما الذي نراه بك؟ قال: أخبركم بالعجب، مدحت الرشيد فوصفت له ناقتي من خطامها إلى خُفَّيْها ووصفت الفيافي من اليمامة إلى بابه أرضاً أرضاً ورملة رملة، حتى إذا أشفيت منه على غناء الدهر جاء ابن بيّاعة النخاخير ـ يعني أبا العتاهية ـ فأنشده بيتين ضعضع بهما شعري وسوّاه في الجائزة بي وهما:

إنَّ المطَايا تَشتَكيكَ لأنّها ... تطوي إليكَ سَباسِباً ورِمالا

فإذا رَحَلن بِنا رحَلن مُخِفَّة ... وإذا رجعن بِنا رجعن ثِقالا[٣]

## ٢٨
## الحكمة (٦٦)

وقال عليه السلام:

**فَوْتُ الحَاجَةِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِهَا إلَى غَيْرِ أَهْلِهَا.**

أقول: في الكافي عن الحسن عليه السلام: إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها. قيل: يا ابن رسول الله! من أهلها. قال: الذين ذكرهم الله في كتابه فقال ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُو ٱلْأَلْبَابِ﴾[٤] وهم أولو العقل[٥].

---

(١) الطرائف واللطائف لأحمد المقدسي: ٣١.

(٢) الصدوق: الخصال ١: ٣١٠ ح ٨٥ وقد مرّ: ٢٦٥.

(٣) ورد في ديوان أبي العتاهية: ٢١٦ كذلك راجع تاريخ بغداد ٦: ٢٥٨ ترجمة إسماعيل بن القاسم.

(٤) الزمر: ٩.

(٥) الكافي للكليني ١: ١٩٠ ح ٢٢.

ولمّا مطل أحمد بن أبي داود أبا الأسد في حاجته قال:

فصرت من سوء ما رُميت به أُكنى أبا الكلب لا أبا الأسد[١]

## ٢٩
## الحكمة (٦٧)

وقال عليه السلام:

لا تَسْتَحِ مِنْ إعطَاءِ القَلِيلِ، فَإنَّ الحِرْمَانَ أَقَلُّ مِنْهُ.

أقول: في (تاريخ بغداد) كتب كلثوم بن عمرو إلى رجل:

إذا تكرّهت أن تعطي القليل ولا تكون ذا سعة لم يظهر الجود
بُثَّ النَّوالَ ولا يمنعك قِلَّتُهُ فكلّ ما سدَّ فقراً فهو محمود

فشاطره ماله حتى بعث بنصف خاتمه وفرد نعله[٢].

## ٣٠
## الحكمة (٥)

وقال عليه السلام:

صَدْرُ العَاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ، والبَشَاشَةُ حِبَالَةُ المَوَدَّةِ، والإحْتِمَالُ قبرُ العُيُوبِ ـ أو ـ والمَسَالَمَةُ خِبَاءُ العُيُوبِ، وَمَنْ رَضِيَ عَنْ نفسِهِ كَثُرَ السَّاخِطُ عَلَيْهِ.

أقول: كون العنوان إلى هنا في (الطبعة المصرية)[٣]، ولكن ابن أبي الحديد جعل[٤] فقرة «ومن رضي...» جزء الآتي، وأمّا (ابن ميثم)[٥]

(١) ذكر ترجمته وبعض أخباره ابن عبد ربه في العقد الفريد ٤: ١٣٩.

(٢) الخطيب البغدادي تاريخ بغداد ١٢: ٤٩١.

(٣) النسخة المصرية: ٦٠٩ رقم ٥، شرح محمّد عبده.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٩٧ رقم (٦ و ٧).

(٥) راجع شرح ابن ميثم ٥: ٢٣٨.

والخطية[١] فجعلا من العنوان الثاني إلى السادس، أي من الباب الثالث عنواناً واحداً.

«صدر العاقل صندوق سرّه» في (أدب كاتب الصولي): كان رجل من الكتّاب يهوى مغنّيةً ويكاتبها، فكانت تخرّق كتبه وتأمر بتخريق كتبها، فكتب إليها: إنّي أحتفظ بكتبك وتتهاونين بكتبي فتخرّقينها، فكتبت إليه:

يا ذا الذي لام في تخريق قرطاس كم مرَّ محلك في الدّنيا على راسي
الحزم تخريقه إن كنت ذا نظر وإنّما الحزم سوء الظنّ بالناس
إذا أتاك وقد أدّى أمانته فاجعل كرامته دفناً بأرماس
وشق قرطاس من تهوى وكن حذراً يارب ذي ضيعة من حفظ قرطاسِ

فكتب إليها: «الصواب رأيك»، وخرّق رقاعها[٢].

وفي (كامل المبرد): أحسن ما سمع في صيانة السر ما يعزى إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقائل يقول هو له وقائل يقول قاله متمثلاً ولم يختلف في انّه كان يكثر إنشاده:

فلا تُفش سرَّكَ إلّا إليك فان لكلّ نصيح نَصيحا
وإنّي رأيتُ غُواةَ الرِجا لِ لا يَترُكون أديماً صحيحا[٣]

وقال امرؤ القيس:

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخازن[٤]

وقال آخر:

---

(١) النسخة الخطية (المرعشي): ٣٠٦.

(٢) أدب الكتاب للصولي: ١٠٩.

(٣) الكامل في الأدب للمبرد ٢: ١٥ «في صيانة السر» زيادة من المؤلف، ذكره النخعي في الديوان المنسوب إلى الإمام: ٣٠.

(٤) ديوان امرئ القيس: ١٧٣.

سأكتمه سرّي وأحفظ سرّه وما غرّني أنّي عليه كريم
حليم فينسى أو جهول يضيعه وما الناس إلّا جاهل وحليم[١]

أيضاً:

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي يستودع السر أضيق[٢]

«**والبشاشة حبالة المودة**» عنه عليه السلام «إنكم لن تَسَعُوا الناس بأموالكم فسعوهم بطلاقة الوجه وحسن اللقاء»[٣].

وعن علي بن محمد التنوخي:

الق العدوَّ بوجه لا قطوب به يكاد يقطر من ماء البشاشات
فأحزم الناس من يلقى أعاديه في جسم حقد وثوب من مودّاتِ[٤]

وعن أكثم بن صيفي: الانقباض من الناس مكسبة للعداوة، وافراط الانس مكسبة لقرناء السوء[٥].

«**والاحتمال قبر العيوب**» قال ابن أبي الحديد ومن كلامه عليه السلام «وجدت الاحتمال أنصر لي من الرجال».

ومن كلامه عليه السلام: من سالم الناس سلم منهم، ومن حاربهم حاربوه، فإنّ العثرة للكاثر.

وكان يقال: العاقل خادم الأحمق أبداً، إن كان فوقه لايجد بدّاً من مداراته وإن كان دونه لم يجد من احتماله واستكفاف شرّه بدّاً[٦].

---

(١) الكامل في الأدب للمبرد ٢: ١٨، (المعارف: بيروت).

(٢) الكامل في الأدب للمبرّد ٢: ١٩.

(٣) نسبها الصدوق للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله من حديث غياث بن إبراهيم: الأمالي: ٢٠ ح ٩.

(٤) أدب الدنيا والدين للماوردي: ١٨٣.

(٥) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٣٢٨.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٩٩.

«أو ـ والمسالمة خباء العيوب» هكذا في (الطبعة المصرية)، ولكن في (ابن أبي الحديد وابن ميثم): و(روي أنّه عليه السلام قال في العبارة عن هذا المعنى أيضاً: «المسالمة خباء العيوب». وصرّح الثاني بأنّه كلام الرضي) وهو الصحيح، وخباء العيوب خفاؤها واستتارها[1].

وفي معنى قوله هذا الاحتمال ـ أو المسالمة ـ قبر العيوب أو خباء العيوب وقوله عليه السلام «البشاشة حبالة المودة»[2] وقوله عليه السلام «ليجتمع في قلبك الافتقار إلى النّاس والاستغناء عنهم، يكون افتقارك إليهم في لين كلامك وحسن سيرك، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزّك»[3].

«ومن رضي عن نفسه كثر الساخط عليه» لأنّه يعجب بنفسه، ومن أعجب بنفسه يتنفر الناس عنه ويكثرون السخط عليه.

وقال ابن أبي الحديد مثله قول الشاعر:

إذا كنت تقضي أنّ عقلك كامل ... وأنّ بني حوّاء غيرك جاهل

وأنَّ مفيض العلم صدرك كلّه ... فمن ذا الذي يدري بأنّك عاقل[4]

... لكنه كما ترى معنى آخر.

## ٣١
## الحكمة (٢٠)

وقال عليه السلام:

قُرِنَتِ الهَيْبَةُ بِالخَيْبَةِ، وَالحَيَاءُ بِالحِرْمَانِ، وَالفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، فانْتَهِزُوا فُرَصَ الخَيْرِ.

(١) راجع الهوامش (٢ ـ ٤) من الصفحة السابقة.

(٢) بحار الأنوار ١٨: ٩٨.

(٣) بحار الأنوار ٧٥: ١٠٦ رواية ٣.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١٠١.

أقول: وروى الشيخ في (أماليه) مسنداً عن الرضا عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: الهيبة خيبة والفرصة خلصة والحكمة ضالّة المؤمن فاطلبوها ولو عند المشرك تكونوا أحقّ بها وأهلها[١].

وفي (الأغاني): قال دعبل: ما حسدت أحداً قط على شعر كما حسدت العتابي على قوله:

هَيبة الإخوان قاطِعةٌ لأخي الحاجاتِ عن طلَبِه

فإذا ما هِبت ذا أمل مات ما أمّلت من سَببه[٢]

قال ابن مهرويه: هذا سرقة العتابي من قول علي بن أبي طالب: الهيبة مقرونة بالخيبة، والحياء مقرونٌ بالحِرمان، والفُرصة تمرُّ مرَّ السَّحاب.

حدّثني محمد بن داود عن محمد بن أبي الأزهر عن عيسى بن الحسن بن داود الجعفري عن أخيه عن علي بن أبي طالب بذلك[٣].

«قرنت الهيبة بالخيبة» قال (ابن أبي الحديد): كانت العرب إذا أوفدت وافداً قالت له: إيّاك والهيبة فإنّها خيبة، ولا تبت عند ذنب الأمر وبت عند رأسه[٤]. ... وقال الشاعر:

من راقب الناس مات غمّاً وفاز باللذة الجسور[٥]

«والحياء بالحرمان» في (المعجم) قال البلاذري: كانت بيني وبين عبيد الله بن يحيى بن خاقان حرمة منذ أيام المتوكل، وما كنت أكلفه حاجة

---

(١) أمالي الطوسي: ٦٢٥ رقم ١٢٩٠ (بنياد بعثت).

(٢) ذكر التبيين ابن قتيبة في عيون الأخبار ٣: ١٢٠.

(٣) الأغاني للأصفهاني ١٣: ١١٦.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١٣١.

(٥) القائل هو سَلْم بن عمرو، نهاية الأرب ٣: ٨١.

لاستغنائي عنه، فنالتني في أيّام المعتمد إضاقة، فدخلت عليه وهو جالس للمظالم فشكوت إليه تأخّر رزقي وثقل ديني وقلت: إنّ عيباً على الوزير حاجة مثلي في أيامه وغض طرفه عنّي. فوقّع لي ببعض ما أردت وقال: إنّ حياءك المانع لك من الشكوى عن الاستبطاء. فقلت له: غرس البلوى يثمر الشكوى. وانصرفت وكتبت إليه:

لَحَاني الوزيرُ المرتَضى في شكايتي ... زَمـاناً أُحَـلت لِـلجُدُوبِ مَـحارِمُه

وقـالَ لقـد جَـاهَرْتَني بـملامَةٍ ... ومـن لي بَـدَهْرٍ كُـنتَ فـيه أُكـاتِمُه

فقلتُ: حَياءُ المرءِ ذي الدِّيـن والتُّـقى ... يَـقِلُّ إذا قَـلّت لَـدَيْهِ دَرَاهِـمُه[1]

وقال (ابن أبي الحديد): قال الشاعر:

ليس للـحاجات إلّا ... مـن له وجـهٌ وقـاح

ولسـان طِـرمِذيٌّ ... وغُـدُوٌّ ورواح

فـعليه السـعي فـيها ... وعـلى الله النـجاح[2]

«والفرصة تمرُّ مرَّ السحاب» قال (ابن أبي الحديد): قال ابن المقفع: إنتهز الفرصة في إحراز المآثر، واغتنم الإمكان باصطناع الخير، ولا تنتظر ما تُعامَل فتجازي عنه بمثله، فإنّك إن عوملت بمكروه واشتغلت ترصد المكافأة عنه قصر العمر بك عن اكتساب فائدة واقتناء منقبة...[3].

«فانتهزوا فرص الخير» أي: إغتنموها ولا تدعوها تفوت فتندموا.

---

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموي ٥: ١٠٠ في ترجمة أحمد بن يحيى البلاذري.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١٣١.

(٣) المصدر نفسه.

# ٣٢
## الحكمة (٢١١)

وقال عليه السلام:

الْجُودُ حَارِسُ ٱلْأَعْرَاضِ، وَٱلْحِلْمُ فِدَامُ السَّفِيهِ، وَٱلْعَفوُ زَكَاةُ الظَّفَرِ، وَالسُّلُوُّ عِوَضُكَ مِمَّنْ غَدَرَ، وَالاسْتِشَارَةُ عَيْنُ ٱلْهِدَايَةِ، وَقَدْ خَاطَرَ مَنِ ٱسْتَغْنَى بِرَأْيِهِ، وَالصَّبْرُ يُنَاضِلُ ٱلْحِدْثَانَ، وٱلْجَزَعُ مِنْ أَعْوَانِ الزَّمَانِ، وَأَشْرَفُ ٱلْغِنَى تَرْكُ المُنَى، وَكَمْ مِنْ عَقْلٍ أَسِيرٍ تَحْتَ هَوىً أَمِيرٍ! وَمِنَ التَّوْفِيقِ حِفْظُ التَّجْرِبَةِ، وَالمَوَدَّةُ قَرَابَةٌ مُسْتَفَادَةٌ، وَلَا تَأْمَنَنَّ مَلُولاً.

«الجود حارس الأعراض» في (شعراء ابن قتيبة): جاور الحطيئة الزبرقان بن بدر، فتحوّل عنه إلى بغيض فأحسن إليه، فقال الحطيئة يمدح البغيض ويهجو الزبرقان:

ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلاً ذا فاقة عاش في مستوغر[١] شاس
جارٌ لقوم أطالوا هون منزله وغادروه مقيماً بين أرماس[٢]
ملُّوا قراه وهدَّته كلابهم وجرّحوه بأنياب وأضراس

وقال للزبرقان:

دع المكارم لا تنهض لبغيتها واقعد فإنّك أنت الطاعم الكاسي[٣]

فاستعدى الزبرقان عليه عمر بن الخطاب وأنشده البيت، فقال له عمر: ما أراد هجاءك، أما ترضى أن تكون طاعماً كاسياً. قال: إنّه لا يكون في الهجاء أشدّ من هذا. فبعث إلى حسّان يسأله عن ذلك فقال: ما هجاه ولكن

---

(١) مستوغر: مكان شديد القيظ. شاس: الخشن من الحجارة.

(٢) أرماس: جمع رمس وهو القبر.

(٣) ذكر البيت بالإضافة إلى ابن قتيبة المبرد في الكامل ٢: ٥٣٧، والنويري في نهاية الارب ٣: ٧٢.

سلح عليه. فحبسه عمر[١].

وقال بعضهم: كفى بالبخيل عاراً أنّ اسمه لم يقع في حمد قط، وكفى بالجواد مجداً أنّ اسمه لم يقع في ذمٍّ قط.

وقال آخر: لا أردّ سائلاً إنّما هو كريم أسدُّ خلّته أو لئيم أشتري عرضي منه، وقال الشاعر:

ومَنْ يجعلِ المَعْروف من دون عِرْضِهِ
يَفِرْهُ وَمَن لا يَتّقِ الشتم يُشتَم[٢]

«والحلم» وما في (الطبعة المصرية) «والعلم» غلط واضح.

«فدام السفيه» الفدام ما يوضع في فم الإبريق ليصفي ما فيه[٣].

وفي (كامل المبرد): دخل شامي المدينة فرأى رجلاً راكباً على بغلة لم يرَ أحسن وجهاً ولا سمتاً ولا ثوباً ولا دابة منه، فمال قلبه إليه، فسأل عنه قيل له هو الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: فامتلأ قلبي له بغضاً وحسدت عليّاً أن يكون له ابن مثله، فصرت إليه وقلت له: أنت ابن أبي طالب. فقال: إبن ابنه. فقلت: فبك وبأبيك ـ أسبهما فلمّا انقضى كلامي قال لي: أحسبك غريباً. قلت: أجل. قال: فمل بنا فإن احتجت إلى منزل أنزلناك أو إلى مال آسيناك أو إلى حاجة عاونّاك. فانصرفت عنه ووالله ما على الأرض أحد أحبّ إليّ منه[٤].

«والعفو زكاة الظفر» هو نظير قوله عليه السلام في (١٠): إذا قدرت على عدوّك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه[٥].

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ١١٠ ـ ١١٤.

(٢) القائل هو زهير بن أبي سلمى في ديوانه: ٨٧. ونقله ابن عبد ربّه في العقد الفريد ١: ٣٠٤.

(٣) راجع الطبعة المصرية: ٧٠٥ النسخة المنقحة بلفظ والحُلْم وليس العلم.

(٤) الكامل في الأدب للمبرد ١: ٢٣٥ (مكتبة المعارف).

(٥) من الكلمات في المعجم القصار برقم (١١).

وفي (العقد) أمر عمر بن عبد العزيز بعقوبة رجل، فقال له رجاء بن حَيْوه: إنّ الله قد فعل ما تُحبُّ من الظَّفر فافعل ما يُحبُّه من العفو[١].

وقال مبارك بن فضالة: كنت عند المنصور فأمر بقتل رجل، فقلت: قال النبي صلى الله عليه وآله «إذا كان يوم القيامة نادى مُنادٍ: ألا مَن كانت له عند الله يدٌ فليتقدّم فلا يتقدّم إلّا من عفا عن مذنب» فأمر بإطلاقه[٢].

«والسلوُّ عوضك ممّن غدر» يعني ان الغدر من الصديق يستعقب السلوّ عن تعلق القلب به، وهو المراد من قول الشاعر:

أعتقني سوء ما صنعت من الرقّ فيا بردها على كبدي[٣]

«والاستشارة عين الهداية» يكفي في فضلها قوله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[٤].

«وقد خاطر» أي: أشرف على الهلاك.

«من استغنى برأيه» قوله عليه السلام هنا في الاستشارة والاستبداد نظير قوله عليه السلام في (١٦١): «من استبد برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها»[٥].

«والصبر يناضل الحدثان» أي: يرامي حوادث الدهر.

«والجزع من أعوان الزمان» على بوار الإنسان، ذكر عليه السلام فائدة الصبر ومضرّة الجزع تحريضاً وتحذيراً.

«وأشرف الغنى ترك المنى» سها المصنف فذكر هذه الفقرة في

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربّه ٢: ١٥٧.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربّه ٢: ١٥٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٠٧.

(٤) آل عمران: ١٥٩.

(٥) مرّ ذكره في الصفحة ٢٢٤ من هذا الكتاب.

عنوانه (٣٤)[١].

«وكم من عقل أسير تحت هوىً أمير» هو نظير قوله عليه السلام في كتاب اشتراء شريح لداره «شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى» فكل انسان يعلم بعقله بقاء الآخرة وفناء الدّنيا ووجوب العمل بالحقّ والتجنّب عن الباطل، إلّا أنّ هواه لا يدعه يعمل بمقتضاه.

«ومن التوفيق حفظ التجربة» فالتجارب تحصل منها فوائد كثيرة، فمن لم يحفظها حرم منها فلا يكون موفقاً.

«والمودة قرابة مستفادة» وفي العنوان (٣٠٨) «مودّة الآباء قرابة بين الابناء، والقرابة إلى المودة أحوج من المودة إلى القرابة»[٢]، ومن كون المودة قرابة مستفادة تكون المصاهرة كنسب جديد، ولذا أردفه الله تعالى في قوله عزوجل ﴿فَجَعَلَهُ نَسَباً وصهراً﴾[٣].

«ولا تأمننّ ملولا» فعول من الملالة، ومصداق كلامه عليه السلام أصحابه في صفّين، فقد كانوا ملّوا من الحرب فكانوا منتظرين لمكيدة من العدو ويكون عذراً لهم في ترك القتال.

## ٣٣
## الحكمة (٥٢)

وقال عليه السلام:

أَوْلَى النّاسِ بالعَفْوِ أَقدَرُهُمْ عَلَى العُقُوبَةِ.

في (العيون): قال رجل لبعض الأمراء: أسألك بالذي أنت بين يديه أذلُّ

---

(١) سيأتي ذكره في شرح الحكمة ١١٦ في الصفحة ٢٨٠ من هذا الكتاب.

(٢) راجع الحكمة (٣٠٨): ١٧٨ من نسخة المعجم.

(٣) الفرقان: ٥٤.

منّي بين يديك، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي، إلّا نظرت في أمري نظر من بُرئي أحبُّ إليه من سُقمي وبراءتي أحبُّ إليه من جرمي.

وأمر عبد الملك بقتل رجل فقال له: إنّك أعزّ ما تكون أحوج ما تكون إلى الله تعالى؛ فاعف عنّي له فإنّك به تعان وإليه تعود. فخلّى سبيله[1].

وقالوا: وقف رجل جنى جناية بين يدي المأمون، فقال له: واللّه لأقتلنّك. فقال الرجل: تأنّ عليّ فإنّ الرفق نصف العفو. قال: وكيف وقد حفت؟ فقال:ت لأن تلقى اللّه حانثاً خيرٌ من أن تلقاه قاتلاً. فخلّى سبيله[2].

## ٣٤
## الحكمة (١١٦)

وقال عليه السلام:

كَمْ مُسْتَدْرَجٍ بالإحسَانِ إلَيهِ ومغرُورٍ بالسّترِ عَلَيْهِ وَمَفْتُونٍ بحُسْنِ القَوْلِ فيهِ، وَمَا ابتَلَى اللهُ أحَداً بِمِثْلِ الإمْلَاءِ لَهُ.

## ٣٥
## الحكمة (٤٦٢)

وقال عليه السلام:

رُبَّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ القَوْلِ فِيهِ.

أقول: كرره بعينه بنقل (ابن أبي الحديد) والخطية[3] في (٢٦٠) ـ زائداً «وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم إلّا أنّ فيه هاهنا زيادة جيّدة» بنقل ابن أبي الحديد و «زيادة مفيدة» بنقل (النسخة الخطية والطبعة المصرية)[4] جمعت

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ١٠٢.

(٢) ذكره البيهقي بالمعنى ونسبه إلى المنصور.

(٣) انظر شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٨١ رقم (١١٢) و ١٩: ١٠٣ رقم (٢٥٨)، وراجع النسخة الخطية (المرعشي): ٣١٩.

(٤) راجع النسخة المصرية شرح محمّد عبده: ١٨٣ و ٧١٤ رقم (١٧) و رقم (٢٦٢).

بينهما، لكن ليس في (ابن ميثم)[1] تكرار، لكن أواخر نسخته لا تخلو من السقم فلعلّه من سقط النسخة، ولو كان نقل الأوّلين صحيحاً لم يصح قول المصنف وقد مضى ...، بعد كونه بعينه بلا زيادة ولا نقصان.

وكيف كان فكرّر الفقرة الثالثة مستقلة في (٤٦٢) اتفاقاً بلفظ «رب مفتون بحسن القول فيه» كما عرفت من العنوان، وقد عرفت في أوّل الكتاب تصريح (ابن أبي الحديد وابن ميثم) بختم المصنف الكتاب أولا به[2].

«كم من مستدرج بالإحسان إليه» ﴿أيحسَبُون أنّما نُمدُّهم بهِ مِن مَالٍ وبَنِينَ * نُسارِعُ لهُم فِي ٱلخَيراتِ بل لا يشْعُرون﴾[3] ﴿فلمّا نَسُوا ما ذكرُوا به فتحنا عليهم أبواب كلّ شيءٍ حتى إذا فرحوا بما أُوتُوا أخذناهم بغتةً فإذا هم مبلسون * فقطع دابرُ القوم ٱلّذين ظَلَموا وٱلحمدُ لله ربّ ٱلْعالَمين﴾[4] ﴿...سنَستَدرجهم من حَيثُ لا يعلَمُونَ﴾[5].

«ومغرور بالستر عليه» وورد أنّه لولا ستر الله على الناس لكانوا يطرحون كثيراً من الناس على المزابل ولا يدفنونهم.

«ومفتون بحسن القول فيه» كخلفاء الباطل والمتملّقين لهم، فكانوا يقولون لبيعة معاوية لابنه يزيد وبيعة هارون لبنيه وبيعة المتوكل لبنيه: «إنها بيعة مثل بيعة الشجرة».

وقال ابن قتيبة في (خلفائه) ـ بعد ذكر أنّ فاطمة عليها السلام قالت لأبي بكر وعمر ـ بعد تقريرهما بقول النبي صلى الله عليه وآله فيها «رضا فاطمة من رضاي وسخط

---

(١) راجع شرح ابن ميثم ٥: ٣٠٣ رقم ١٠٧.

(٢) راجع المصادر السابقة النسخة المصرية، ابن أبي الحديد، ابن ميثم، الخطية.

(٣) المؤمنون: ٥٥ ـ ٥٦.

(٤) الأنعام: ٤٤ ـ ٤٥.

(٥) الأعراف: ١٨٢.

فاطمة من سخطي، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني» ـ إنّي أشهِد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ لأشكونّكما إليه. فانتحب أبو بكر يبكي وفاطمة عليها السلام تقول: والله لأدعونّ الله عليك في كلّ صلاة أُصلّيها، فخرج باكياً واجتمع إليه الناس فقال لهم: لا حاجة لي في بيعتكم أقيلوني بيعتي. قالوا: إنّ هذا الأمر لا يستقيم وأنت أعلمنا بذلك، إنّه إن كان هذا لم يقم لله دين. فقال: والله لولا ذلك وما أخافه من رخاوة هذه العروة ما بت ليلة ولي في عنق مسلم بيعة بعدما سمعت ورأيت من فاطمة...[1].

فلولا فتنته بحسن قولهم فيه لكان اللازم أن نقول: إنّ كلام النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ كان جزافاً وباطلاً، وهوى نفس لبنته ورضاه بخراب الدين لأُجلها.

وقال ابن قتيبة أيضاً: إنّ عمر دعا في احتضاره ابن عباس وقال له: لو أنّ لي ما طلعت عليه الشمس وما غربت لافتديت به من هول المطلع. فقال له ابن عباس: أسلمت وكان إسلامك عزّاً، وهاجرت وكانت هجرتك فتحاً، ووازرت الخليفة وقبض الخليفة عنك راضياً، ومصر الله بك الأمصار وجبى بك الأموال وأوصل بك على أهل بيت كلّ مسلم توسعة في دينهم وتوسعة في أرزاقهم ثم ختم لك بالشهادة. فقال له عمر: أتشهد لي بهذا يا عبدالله عند الله يوم القيامة. قال: نعم. فقال عمر: اللّهم لك الحمد...[2].

فهل الله محتاج إلى شهادة ابن عباس لولا فتنته بمثل تلك الأقوال؟

«وما ابتلى الله أحداً بمثل الإملاء له» قال تعالى في موضعين من كتابه:

---

(١) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة: ١٤.

(٢) ابن قتيبة، الامامة والسياسة: ٢٢ ـ ٢٣.

﴿وأملي لهم إنّ كيدي متينٌ﴾[١].

## ٣٥
## الحكمة (٤٦٦)

وقال عليه السلام:

**الْعَيْنُ وِكَاءُ السَّهِ.**

أقول: أيُّ حبل يسد به الاست، فالوكاء الذي يشد به رأس القربة و (السَّه) الأست، أي: الدُّبُر وأصل سَهٍ «سَتَهٌ» لأن جمعه أستاه. وقال الجوهري في سته إذا أردت الهاء الّتي هي لام الفعل وحذفت العين ـ أي: من الأُست ـ قلت (سه) بالفتح. قال الشاعر:

وأنتَ السَّهُ السُّفلَى إذا دُعِيَتْ نَصْرُ[٢]

أي: أنت فيهم بمنزلة الأُست، وفي الحديث: «العين وكاء السّه».

في (العيون): كان سليمان بن عبد الملك يأخذ الوليّ بالوليّ والجارَ بالجار، فدخل عليه رجل وعلى رأسه وصيفةٌ رُوقة[٣]، فنظر إليها فقال سليمان: أأعجبتك؟ قال: بارك الله للخليفة فيها. قال: هات سبعة أمثال في الأست وخذها. فقال: «صَرّ عليه الغزوُ أُستَه» قال: واحد، قال: «أُستُ البائِن أعلم» قال: إثنان، قال: «أستٌ لم تُعوَّدِ المِجَمر تَحتَرِق» قال: ثلاثة، قال: «الحُرُّ يُعطي والعبدُ يَيْجَعُ بأُسته» قال: أربعة، قال: «أستي أخْبثي» قال: خمسة، قال: «عادَ سَلاها في اَستِها» قال: ستة، قال «لا مائك أبقيت ولا حِرَكِ أنفيتِ» قال: ليس هذا من ذاك. قال: أخذت الجار بالجار كما يفعل الخليفة. قال: خذها[٤].

---

(١) الأعراف: ١٨٣، والقلم: ٤٥.

(٢) الصحاح للجوهري ٦: ٢٢٣٣ مادة (سته).

(٣) الوصيفة: الجارية، والرُوقة: الحسناء الجميلة.

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ١٣٠.

قلت: ولو ذكر السابع شعر جعفر بن الزبير في الفرزدق وامرأته نوار لمّا وكّلته في تزويجها فزوجها من نفسه فأبت وما رضيته وحاكمته إلى ابن الزبير:

لقد أصبحتْ عرس الفرزدق ناشزاً ولو رضيت رمح استه لاستقرَّتِ[1]

كان وجهاً، والظاهر أنّه تعمّد التبديل وإلّا فقولهم «أخطأت أُسته الحفرة» مثلٌ معروف.

وفي الأساس: وفي مثل «إني لأعلم من المائح بأُست الماتح» والثاني من ينزح من البئر والأول من ينزل في البئر فيملأ الدلو له[2].

هذا، وفي (الأغاني) كانت امرأة من عقيل يقال لها ليلى يتحدّث إليها الشبّان، فدخل عليها الفرزدق فجعل يحادثها، وأقبل فتىً من قومها فأقبلت عليه، فغاظ ذلك الفرزدق فقال للرجل أتصارعني؟ قال: ذاك إليك. فقام إليه فصرعه الفتى وجلس على صدره، فخرج من الفرزدق صوت فقام الرجل وقال: ما أردت بك ما جرى. فقال: ما بي إن صرعتني، ولكن كأنك بجرير بلغه خبري فقال فيَّ:

جلستَ إلى ليلى لتحظى بقُربها فخانك دُبْرٌ لا يزال يَخوُن
فلو كنت ذا حزمٍ شددت وكاءَها كما شدَّ خَرْتاً للدِّلاص قُيون[3]

فما مضت أيام حتى بلغ جرير الخبر فقال فيه البيتين[4].

ومن أمثالهم كما في (الأغاني) «أريها استها وتريني القمر»[5].

---

(١) الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ٣: ٣٦٤.

(٢) أساس البلاغة للزمخشري: ٤٤٠ مادة (م ى ح).

(٣) الوكاء: الخيط الذي تربط به الصرة، الخرت: الثقب، الدلاص: الدرع اللينة، قيون: جمع قين وهو الحداد.

(٤) الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ٢١: ٣٤٠.

(٥) الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ١٦: ٣٧٨.

ومن أمثالهم كما في (الكرماني). «مالك أُست مع استك»[١] وقال: قال أبو زيد: يُضرب لمن لم تكن له ثروة من مال ولا عدة من رجال.

ومنها كما فيه «في أست المغبون عود»[٢] أيضاً «في استها ما لاترى»[٣].

وفي الأساس: «لقيت منه أُست الكلبة»[٤] أي ما كرهته و «أضيق أُستاً من ذاك»[٥] أي: عاجز و «تركته باست الأرض»[٦] أي: عديماً لا شيء له و «يا ابن استها»[٧] كناية عن احماض امه اياه و «على است الدهر»[٨] أي: على وجهه و «بأُست فلان» إذا استخف به[٩].

هذا، وفي (القاموس المحيط) الحماء الأُست جمعه حم.

وفي (الأغاني): حكى ابن الكلبي أنَّ النبي ﷺ لمّا افتتح مكة قدمت عليه وفود العرب، فكان فيمن قدم قيس بن عاصم وعمرو بن أهتم ابن عمّه، فلمّا صارا عنده تسابّا، فقال قيس لعمرو: والله ما هم منّا، وإنّهم لمن أهل الحيرة. فقال عمرو: هو والله من الروم وليس منّا. ثم قال له:

---

(١) ذكره الميداني في مجمع الأمثال وهو (المعتمد) الميداني ٢: ١٦٧، يضرب لمن لم تكن له ثروة من مال ولا عدة من رجال .

(٢) المصدر نفسه ٢: ١٨ ويضرب فيمن غبن .

(٣) المصدر نفسه ٢: ١٢، ويضرب للباذل الهيئة يكون مَخبره أكثر من مرآة ويضرب لمن خَفي عليه شيء وهو يظن انه عالم به.

(٤) المصدر نفسه ٢: ٩٥ .

(٥) أساس البلاغة للزمخشري: ٢٠٢.

(٦) في مجمع الأمثال ١: ٨٢ ، ذكره الميداني بلفظ تركته باست المتن، والمتن ما طُلب من الأرض أي تركته وحيداً، وفي أساس البلاغة: ٢٠٢ بلفظ الأرض..

(٧) أورده الميداني بلفظ يا ابن استها إذا أحمظت خمارها ٢: ٥٠٠ .

(٨) للفيروز آبادي ٤: ١٠١.

(٩) الزمخشري، أساس البلاغة: ٢٠٢ مادة (س ت ه).

ظــلت مــفترش الهــلباء تشــتمني     عند الرسول فلم تصدق ولم تصب

الهلباء يعني أُسته، يعيّره بذلك وبأن عانته وافية. قال: وإنّما نسبه إلى الروم لأنّه كان أحمر، فيقال: إنّ النبيّ ﷺ نهاه عن هذا القول في قيس، وقال: إسماعيل بن إبراهيم كان أحمر[1].

وفي (القاموس) «وام العزم وعزمه وام عزمه مكسورات الاست»[2].

وفي (النهاية): قال الأشعث لعمرو بن معد يكرب: لئِنْ دَنوتَ لأُضَرِّطَنَّكَ. فقال عمرو: كلّا إنّها لعزومٍ مُفرَّغة، يريد أنّ أُسته ذات عزم وقوّة[3].

وفي (بديع ابن المعتز): قال عبدالله بن أياد لسويد بن منجوف: أُقعُد على است الأرض. فقال سويد: ما أعلم للأرض أُستاً[4].

وفي (الصحاح): الوباعة بالعين والغين؛ الأُست[5].

وفي (تقريب المعاهد): قال المنصور الخالدي كنت ليلة عند التنوخي في ضيافة فأغفى إغفاءً فخرجت منه، فضحك بعض القوم فانتبه لضحكه فقال:

إذا نـــامت العـــينان مـــن مـــتيقّظ
تـــراخت بـــلاشكٍّ تشـــاريح فـــقحته
فـــمن كـــان ذا عـــقل فـــيعذر نـــائماً
ومن كان ذا جهل ففي جوف لحيته[6]

وذكروا أن المأمون وضع رأسه في حجر بوران بنت الحسن بن سهل

---

(١) الأغاني ١٤: ٨٨.

(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادي ٤: ١٥٠.

(٣) النهاية ١: ٢٣٢.

(٤) البديع لابن المعتز: ٢٣ وفي النسخة عبيدالله وليس عبدالله بن أياد.

(٥) الصحاح للجوهري ٣: ١٢٩٤ مادة (وبع).

(٦) معاهد التنصيص، لعبد الرحيم العباس: ١٨١.

امرأته، فلما صار في النوم وضعت رأسه على الأرض وقامت، فانتبه المأمون وغضب لذلك فقالت: إنّ أبي أدّبني بأن لا أقعد عند نائم ولا أنام عند قاعد.

قول المصنف (وهذه من الاستعارات العجيبة، كأنّه شبّه السِّهَ بالوعاء والعين بالوكاء؛ فإذا أُطلق الوكاء لم ينضبط الوعاء، وهذا القول في الأشهر الأظهر من كلام النبي صلى الله عليه وآله) فروى أبو داود في سننه في آخر باب الوضوء من النوم عن حيوة بن شريح الحمصي، في آخرين عن بقية عن الوضين بن عطا عن محفوظ بن علقمة عن عبد الرحمن بن عائذ عن علي عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: وكاء السَّهِ العينان فمن نام فليتوضأ[1].

(وقد رواه قوم لأمير المؤمنين عليه السلام وذكر ذلك المبرد محمد بن يزيد) قال الحموي: لقب محمد بن يزيد بالمبرد لأنّه لمّا صنّف المازني كتاب الألف واللام سأله عن دقيقه وعويصه، فأجابه بأحسن جواب، فقال له المازني: قم فأنت المُبَرِّد ـ بكسر الراء ـ أي: المثبت للحق، فحرفه الكوفيون وفتحوا الراء، وكان متّهماً بالوضع في اللغة وأرادوا امتحانه، فسألوه عن القبعض فقال هو القُطن وأنشد «كأنّ سَنَامَها حُشي القبعضا» فقالوا: إن كان صحيحاً فهو عجيب وإن كان مختلقاً فهو أعجب[2].

(في كتاب المقتضب في باب اللفظ بالحروف) في كشف الظنون المقتضب في الخطب للمبرد شرحه الرماني وعلق على مشكلات أوائله الفارقي.

(وقد تكلمنا على هذه الاستعارة في كتابنا الموسوم بمجازات الآثار النبوية) قال ثمة كأنّه عليه السلام شبّه السته بالوعاء والعين بالوكاء، فإذا نامت العين

---

(١) سنن أبي داود ١: ٥٢ ح٢٣ اسند إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) معجم الأدباء للحموي ١٠: ١١٢ ـ ١١٣.

انحلّ صرار السته كما أنّه إذا زال الوكاء وسع بما فيه الوعاء، الا أن حفظ العين للسته على خلاف حفظ الوكاء للوعاء، فان العين إذا أشرجت لم تحفظ سيتها والأوكية إذا حللت لم تضبط أوعيتها[١].

## ٤٦٢
## الخطبة (٧٩)

وقال عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ! الزَّهَادَةُ قِصَرُ الأَمَلِ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ، والوَرَعُ عِنْدَ المَحَارِمِ. فإِن عَزَبَ ذٰلِكَ عَنْكُمْ فَلَا يَغْلِبِ الحَرَامُ صَبْرَكُمْ وَلَا تَنْسَوْا عِنْدَ النِّعمِ شُكْرَكُمْ. فَقَدْ أَعذَرَ اللهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ ظَاهِرَةٍ وَكُتُبٍ بَارِزَةِ العُذْرِ وَاضِحَةٍ.

«أيها الناس ـ إلى ـ عند المحارم» جعل عليه السلام الزهد عبارة عن ثلاثة أمور: قصر الأمل، وشكر النعم، والورع عند المحارم.

أمّا الأول فقالوا: جمع الله تعالى الزهدَ في كلمتين[٢]: ﴿لكيلا تأسَوْا على ما فاتَكم ولا تَفرَحوا بِمآ آتاكم﴾[٣] ولا يحصل الحالان إلّا بقصر الأمل.

وأما الثاني: فلأن من زهد في الدّنيا هان عليه الإنفاق ممّا أنعم الله عليه من المال شكراً.

وقال الصادق عليه السلام إنّ الله أنعم على قوم بالمواهب فلم يشكروا فصارت عليهم وبالاً، وابتلى قوماً بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمة[٤].

واما الثالث فسئل الصادق عليه السلام عن الزاهد في الدنيا فقال: الذي يترك

---

(١) المجازات النبوية: ١٧٨.

(٢) من حديث للإمام الصادق عليه السلام، بحار الأنوار ٧٨: ٧٠ بتصرف.

(٣) الحديد: ٢٣.

(٤) تحف العقول: ٢٦٧.

حلالها مخافة حسابه ويترك حرامها مخافة عقابه[1].

«فإن عزب» أي: بعد وغاب.

«ذلك» الذي ذكر من الأمور الثلاثة.

«عنكم» فلابدَّ لكم من رعاية الثاني، والثالث شكر النعم والورع عن المحارم، وأشار إلى الورع بقوله.

«فلا يغلب الحرام صبركم» لأنّه ورد أنّه يؤتى يوم القيامة بأعمال قوم كالجبال فتصير هباءً منثوراً لغلبة الحرام على صبرهم.

وأشار إلى الشكر بقوله:

«ولا تنسوا عند النعم شكركم» فإنّ شكر المنعم واجب عقلي. وقال تعالى: ﴿ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديد﴾[2].

«فقد أعذر الله عليكم بحجج مسفرة» أي: مشرقة مضيئة ﴿لِئَلَّا يكون لِلنَّاسِ على ٱللهِ حُجَّةٌ بَعدَ ٱلرُّسُل﴾[3].

«وكتب بارزة العذر واضحة» إلى نبيّنا صلى الله عليه وآله وإلى أنبياء قبله.

## ٣٧
## الحكمة (٤٢)

وقال عليه السلام: لبعض أصحابه:

جَعَلَ اللّهُ مَا كَانَ مِنْ شَكْوَاكَ حَطّاً لِسَيِّئَاتِكَ، فَإِنّ المَرَضَ لَا أَجْرَ فِيهِ، وَلَكِنَّهُ يَحُطُّ السَّيِّئات، وَيَحُتُّهَا حَتَّ الأَوْرَاقِ، وَإِنَّمَا الأَجْرُ فِي القَوْلِ بِاللِّسَانِ، وَالْعَمَلِ بِالْأَيْدِي وَالْأَقْدَامِ، وَإِنَّ اللّهَ سُبْحَانَهُ يُدْخِلُ بِصِدْقِ

(١) بحار الأنوار للمجلسي ٧٠: ٣١١.

(٢) إبراهيم: ٧.

(٣) النساء: ١٦٥.

النِّيَّةِ وَالسَّرِيرَةِ الصَّالِحَةِ مَنْ يَشَاءَ مِنْ عِبَادِهِ الْجَنَّةَ.

قول المصنّف: (وقال عليه السلام لبعض أصحابه):

هو صالح بن سليم بن سلامان بن طي (في علة اعتلها) فلم يشهد معه صفّين لمرضه، فقال عليه السلام ما نقل[1] المصنف له لمّا رجع من صفّين في طريقه.

ففي (صفّين نصر بن مزاحم): قال عبد الرحمن بن جندب: لمّا أقبل عليٌّ عليه السلام من صفّين أقبلنا معه -إلى أن قال- حتى جزنا النخيلة ورأينا بيوت الكوفة، فإذا نحن بشيخ جالس في ظلّ بيت على وجهه أثر المرض، فأقبل إليه عليٌّ عليه السلام ونحن معه، فقال له: مالي أرى وجهك منكفتاً؟ أمن مرض؟ قال: نعم. قال: فلعلك كرهته. فقال: ما أحبُّ أن يعتري. قال: أليس احتساب بالخير في ما أصابك منه؟ قال: بلى. قال: أبشر برحمة ربّك وغفران ذنبك، من أنت يا عبد الله؟ قال: أنا صالح بن سليم. قال: ممّن؟ قال: أمّا الأصل فمن سلامان بن طي، وأمّا الجوار والدعوة فمن بني سليم بن منصور. قال: سبحان الله ما أحسن اسمك واسم أبيك واسم من اعتزيت إليه، هل شهدت معنا غزاتنا هذه؟ قال: لا والله ما شهدتها ولقد أردتها ولكن ما ترى بي من لحب الحمّى خذلني عنها. قال عليه السلام: ﴿ليسَ على ٱلضُعَفاءِ ولاَ عَلى ٱلمَرضَى ولا على الذين لا يَجدُونَ ما يُنفقُون حرجٌ إذا نَصَحوا لله ورسوله ما على ٱلمحسنين من سبيلٍ وٱلله غفورٌ رحيم﴾[2] أخبرني ما يقول الناس فيما كان بيننا وبين أهل الشام؟ قال: منهم المسرور فيما كان بينك وبينهم وأُولئك أغبياء الناس، ومنهم المكبوت الأسِفُ لمّا كان من ذلك وأُولئك نصحاء الناس لك، وذهب لينصرف فقال عليه السلام له: صدقت جعل الله ما كان من شكواك حطّاً لسيّئاتك، فإنَّ المرض لا أجر فيه

(١) النهج، الحكمة: ٤٢.

(٢) التوبة: ٩١.

ولكن لا يدع للعبد ذنباً إلّا حطّه، إنّما الأجر في القول باللّسان والعمل باليد والرجل، وإنّ الله عزوجل يدخل بصدق النيّة والسريرة الصالحة من عباده الجنّة[1].

**«جعل الله ما كان من شكواك حطّاً لسيّئاتك»** في الخبر عاد النبي صلى الله عليه وآله سلمان في علته فقال: إنّ لك فيها ثلاث خصال: أنت من الله تعالى بذكر، ودعاؤك فيه مستجاب، ولا تدع العلّة عليك ذنباً إلّا حطّته[2].

وفي الخبر: حُمّى ليلة كفّارة سنة لأنّه يبقى أثرها إلى سنة[3].

وفي (الطرائف): برئ الفضل بن سهل من علّة فقال: إنّ في المرض لنعماً لا ينبغي للعقلاء أن يجحدوها، منها تمحيص للذنوب وتعرّض للثواب والصبر وإيقاظٌ من الغفلة وادكار للنعمة الموجودة في الصحة ورضاً بما قدر الله وقضائه واستدعاء للتوبة وحضٌّ على الصدقة[4].

**«فإنّ المرض لا أجر فيه ولكنه يحط السيئات ويحتها حت الأوراق»** يقال: حت الدم عن الثوب وحت الورق عن الشجر.

وفي (أدب كاتب الصولي) لبعضهم تشبيهاً بمقط القلم لاصلاحه:

فإن تكن الحطوب فرين مني ... أديماً لم يكن قدماً يعط

فإنّ كرائم الأقلام تحفى ... فيصلح من تشعثها المقط[5]

هذا، وفي (تاريخ بغداد) اعتل الحسن بن وهب من حمًّى نافض وصالب وطاولته فكتب إليه أبو تمّام:

---

(1) صفّين لنصر بن مزاحم: 528، ونقله المجلسي في بحار الأنوار 32: 551 .

(2) ذكره الصدوق في الخصال: 171 (195) والمجلسي في البحار 77: 62 رواية 3 و 81: 185 رواية 37.

(3) نسبه الطوسي في أماليه إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، الأمالي: 641 ح 1 .

(4) الظرائف للمقدّسي: 143 .

(5) أدب الكتاب للصولي: 11 .

ليت حُمَّاك فيَّ وكان لك الأجر فلا تشتكي وكنتُ المريضا[١]

(وفيه): إعتل الفضل بن سهل ذو الرياستين بخراسان ثم برئ فجلس للناس فهنَّأُوه بالعافية وتصرّفوا في الكلام، فلمّا فرغوا أقبل على الناس فقال: إنّ في العلل لنعماً ينبغي للعقلاء أن يعلموها: تمحيص للذنوب، وتعرّض لثواب الصبر، وإيقاظ من الغفلة، وادكار للنعمة في حال الصحة، واستدعاء للتوبة، وحضٌّ على الصدقة، وفي قضاء الله وقدره بعدم الخيار. فنسي الناس ما تكلّموا به وانصرفوا بكلام الفضل[٢].

«**وإنّما الأجر في القول باللّسان والعمل بالأيدي والأقدام**» والمرض ليس منهما فليس فيه أجر، وأمّا قوله ﴿ذلك بأنّهم لا يصيبُهم ظمأٌ ولاَ نَصبٌ ولا مخمصة في سبيل ٱلله ولا يطَؤُنَ موطئاً يغيظ ٱلكفّار ولا ينالُونَ من عَدُوٍّ نيلاً إلّا كُتب لهُم به عمل صالح إن ٱلله لا يُضيعُ أجرَ ٱلمُحسِنينَ* ولا يُنفِقونَ نَفَقَةً صغيرةً ولا كبيرةً ولا يقْطَعُون وادياً إلّا كتب لَهُم ليَجزِيَهُمُ ٱللهُ أحسَن ما كانوا يَعمَلُون﴾[٣]. في جعل إصابتهم الجوع والعطش والتعب ـ وهي ليست من أعمال الجوارح ـ مثل وطئ الأقدام في غيظ الكفار والنيل منهم والإنفاق وقطع الوادي في الجهاد ونحوها ممّا هو العمل بالأيدي والأقدام، فلا ينافي كلامه عليه السلام لأنَّ ما ذكر أوّلا مسبّب عن أعمال الجوارح، فإنَّ الجوع والعطش والتعب كانت بواسطة الجهاد.

«**وان الله سبحانه يدخل بصدق النيّة والسريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنّة**» الظاهر كون الكلام استدراكاً من قوله عليه السلام السابق «وانما الأجر...»،

---

(١) تاريخ بغداد ٨: ٢٥٢، لم نعثر على البيت الشعري في ديوان أبي تمام.

(٢) تاريخ بغداد ١٢: ٣٤٢.

(٣) التوبة: ١٢٠ ـ ١٢١.

بمعنى أن النيّة وإن لم تكن عمل الجوارح إلّا أنّها لمّا كانت سبباً لأعمال الجوارح كانت أيضاً موجباً للأجر إن كانت صالحة، وللوزر إن كانت فاسدة. قال النبي صلى الله عليه وآله: «نيّة المؤمن خيرٌ من عمله ونيّة الكافر شرٌّ من عمله»[١]، وقال تعالى ﴿...إن ٱلسَمعَ وٱلبَصَرَ والفؤاد كُل أولئكَ كان عنه مسؤولاً﴾[٢].

وقال الصادق عليه السلام: إنّما خُلِّد أهل النّار في النّار لأنّ نياتهم في الدّنيا ان لو خلّدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، وإنّما خُلِّد أهل الجنّة في الجنّة لأنّ نيّاتهم أن لو بقوا في الدّنيا أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيّات خُلِّد هؤلاء وهؤلاء. ثم تلا قوله تعالى ﴿قُل كُلٌ يعمَلُ على شاكِلَتِهِ﴾[٣].

وفي (الكافي): وإن المؤمن الفقير يقول: ربِّ ارزقني حتى أفعل كذا وكذا من البرّ، فإذا علم تعالى ذلك منه بصدق نيّة كتب له من الأجر مثل ما لو عمله، إنّ الله واسعٌ كريم[٤].

هذا، وقال عليه السلام بصدق النيّة؛ لأنّه ليست كلّ نيّة صادقة، فقد قال تعالى﴿ومنهم من عاهدَ ٱلله لئن آتانا من فَضلِهِ لنَصَّدَّقَنَّ ولنكُونَنَّ من ٱلصالِحين* فَلما آتاهُم من فَضلِهِ بَخِلُوا بِهِ وتَولَّوا وهُم مُعرِضون* فأَعقَبَهُم نِفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا ٱلله ما وعدُوه وبما كانوا يكذِبُونَ﴾[٥].

وقال الصادق عليه السلام في صدق النية: عند تصحيح الضمائر تبدو الكبائر، تصفية العمل أشدّ من العمل، تخليص النيّة من الفساد أشد على العالمين

---

(١) علل الشرائع للصدوق ٢: ٤٠٣ حديث ٤.

(٢) الاسراء: ٣٦.

(٣) الكافي للكليني ٢: ٨٥ ح٥، وذكره الصدوق في علل الشرائع ٢: ٥٢٣ ح١، والآية ٨٤ من سورة الاسراء.

(٤) الكافي للكليني ٢: ٨٥ ح٣، وذكره البرقي في المحاسن: ٢٦١.

(٥) التوبة: ٧٥ ـ ٧٧.

من طول الجهاد[١].

(قال الرضي: وأقول: صدق عليه السلام، إنّ المرض لا أجر فيه لأنّه ليس من قبيل ما يستحق عليه العوض، لأن العوض يستحق على ما كان في مقابلة فعل الله تعالى بالعبد من الآلام والأمراض وما يجري مجرى ذلك، والأجر والثواب يستحقان على ما كان في مقابلة فعل العبد، فبينهما فرق قد بيّنه كما يقتضيه علمه الثاقب ورأيه الصائب) وقد قال عليه السلام في المرض يصيب الصبي: إنّه كفارة لوالديه، وورد أنّ النّوم الموحش كفّارة[٢].

## ٣٨
## الحكمة (٤٧)

وقال عليه السلام:

قَدْرُ الرَّجُلِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِ، وَصِدْقُهُ على قَدْرِ مُرُوَّتِهِ، وَشَجَاعَتُهُ عَلَى قَدْرِ أَنَفَتِهِ، وَعِفَّتُهُ عَلَى قَدْرِ غَيْرَتِهِ.

«قدر الرجل على قدر همّته» في (تاريخ بغداد) غلب عبدالله بن طاهر على الشام ووهب له المأمون ما وصل إليه من الأموال هنالك، ففرّقه على القوّاد ثم وقف على باب مصر فقال: أخزى الله فرعون ما كان أخسّه وأدنى همّته، ملك هذه القرية فقال ﴿أنا ربُّكم الأعلى﴾[٣] والله لا دخلتها[٤].

وفي (المعجم) قال الصاحب بن عباد:

وقائلةٍ: لِمْ عَرتك الهموم وأمرك ممتَثل في الأمم

---

(١) الروضة من الكافي للكليني: ٢ ح ١.

(٢) بحار الأنوار عن الإمام علي عليه السلام ٥: ٣١٧. وعن النبيّ صلى الله عليه وآله ٨١: ١٩٧ رواية ٥٤.

(٣) النازعات: ٢٤.

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٩: ٤٨٣، ترجمة عبدالله بن طاهر (٥٠١٤).

فقلتُ دعيني وما قد عرى[١] فإنّ الهموم بقدر الهمم[٢]

وفي (الكامل): سافر كعب بن مامة الأيادي مع رجل من بني النمر بن قاسط، فقلّ الماء فتصافناه ـ والتصافن أن يطرح حجر في الاناء ثم يصبّ فيه من الماء ما يغمره لئلا يتغابنوا ـ، فجعل النمري يشرب نصيبه فإذا أخذ كعب نصيبه قال: اسق أخاك النمري فيؤثره، حتى جهد كعب ورفعت له أعلام الماء، فقيل له رد كعب ـ ولا ورود به ـ فمات عطشاً.

ووفد أوس بن حارثة بن لَأم الطائي وحاتم الطائي على عمرو بن هند ملك الحيرة، فدعا أوساً فقال له: أنت أفضل أم حاتم؟ فقال له: أبيت اللعن، لو ملكني حاتم وولدي ولحمتي لوهبنا في غداة واحدة، ثم دعا حاتماً فقال له: أنت أفضل أم أوس؟ فقال: أبيت اللعن إنّما ذكّرت بأوس، ولأَحَدُ وِلده أفضل منّي.

وكان النعمان بن المنذر دعا بحلة وعنده وفود العرب من كلّ حي فقال: احضروني في غد فانّي ملبس هذه الحلة أكرمكم، فحضر القوم جميعاً إلّا أوساً، فقيل له لِمَ تخلفت؟ فقال: إن كان المراد غيري فأجمل الأشياء بي ألّا أكون حاضراً، وإن كنت أنا المراد فسأطلب ويعرف مكاني، فلما جلس النعمان لم يرَ أوساً فقال: إذهبوا إلى أوس فقولوا له: إحضر آمناً ممّا خفت، فحضر فلبس الحلة فحسده قوم من أهله فقالوا للحطيئة: أُهجه ولك ثلاثمائة ناقة. فقال: كيف أهجو رجلاً لا أرى في بيتي أثاثاً ولا مالاً إلّا من عنده، ثم قال:

كيفَ الهِجاءُ وما تَنْفَكُّ صالِحَةٌ من آل لأم[٣] بظهر الغَيْبِ تأتِيني[٤]

---

(١) ورد في الديوان بلفظ: «فقلت ذريني على غصتي».

(٢) ديوان الصاحب بن عباد: ٢٨٠.

(٣) نسخة التحقيق «إذا ذكرت».

(٤) ديوان الحطيئة: ١٧٤.

فقال لهم بشر بن أبي خازم الأسدي: أنا أهجوه لكم، فأخذ الابل وفعل، فأغار أوس على الابل فاكتسحها وجعل بشر لا يستجير حيّاً إلّا قالوا قد أجرناك إلّا من أوس ـ وكان في هجائه إيّاه ذكر أمّه ـ فأتى به فدخل على أُمه فقال: قد أتينا ببشر الهاجي لك ولي فما ترين فيه؟ قالت: أرى أن ترد عليه ماله وتعفو عنه وتحبوه وأفعل مثل ذلك، فانّه لا يغسل هجاه إلّا مدحه، فخرج إليه وقال له: إنّ أُمّي سعدى التي كنت تهجوها أمرت لك بكذا وكذا. فقال: لا جرم، لا والله لا مدحتُ أحداً حتى أموت غيرك[1].

«وصدقه على قدر مروّته» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده، فإنّ ذلك شيء اعتاده فلو تركه استوحش لذلك، ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته[2].

وعنه عليه السلام: إنّما سمّي اسماعيل صادق الوعد لأنّه وعد رجلاً في مكان فانتظره في ذلك المكان سنة فأتاه بعد سنة فقال له إسماعيل: مازلت منتظراً لك[3].

وفي (الخصال) عن النبي صلى الله عليه وآله: ست من المروّة، ثلاث منها في الحضر، وثلاث منها في السفر: فأمّا الّتي في الحضر؛ فتلاوة كتاب الله عزوجل وعمارة مساجد الله واتخاذ الإخوان في الله عزوجل، وأمّا الّتي في السفر؛ فبذل الزاد وحسن الخلق والمزاح في غير معاصي الله[4].

«وشجاعته على قدر أنفته» في (وزراء الجهشياري): بلغ موسى بن المهدي ـ وهو الهادي ـ حال بنت لعمارة بن حمزة ـ مولاهم ـ وهي جميلة

---

(١) الكامل في الأدب للمبرّد ١: ١٩٧ ـ ١٩٩، طبعة مصر.

(٢) الكافي للكليني ٢: ١٠٥ ح ١٢.

(٣) ورد في البحار قريب منه عن الإمام الرضا عليه السلام ٣: ٣٨٨ رواية ١.

(٤) الخصال للصدوق ١: ٣٢٤ ح ١١.

فراسلها فقالت لأبيها ذلك، فقال: إبعثي إليه في المصير إليك وأعلميه أنك تقدرين على إيصاله إليك في موضع يخفى أثره، فأرسلت إليه بذلك وحمل موسى على المصير نفسه، فأدخلته حجرة قد فرشت وأُعِدَّت له، فلما صار إليها دخل عليه عمارة فقال: السّلام عليك أيها الأمير! ماذا تصنع هاهنا؟ إتَّخذناك وليّ عهد فينا أو فحلاً في نسائنا؟ ثم أمر به فبطح في موضعه فضربه عشرين درة خفيفة وردّه إلى منزله، فحقد عليه فلما ولي الخلافة دسّ إليه رجلاً يدّعي عليه أنّه غصبه الضيعة المعروفة بالبيضاء بالكوفة ـ وكانت قيمتها ألف ألف درهم ـ فبينا الهادي ذات يوم جالس للمظالم وعمارة بحضرته، وثب الرجل فتظلم منه، فقال الهادي لعمارة: ما تقول؟ قال: ان كانت الضيعة لي فهي له وان كانت له فهي له ووثب فانصرف عن المجلس[١].

(وعفته على قدر غيرته) كان عليه السلام يقول لأهل العراق: نبئت أن نساءكم يدافعن الرجال في الطريق، أما تستحون ولا تغارون؟

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ان الله تعالى غيور يحب كلّ غيور، ولغيرته حرّم الفواحش ظاهرها وباطنها، وإذا لم يغر الرجل فهو منكوس القلب[٢].

وعنه عليه السلام: لمّا أقام العالم الجدار أوحى تعالى إلى موسى عليه السلام: إنّي مجازي الأبناء بسعي الآباء؛ إن خيراً فخير وإن شرّاً فشر، لاتزنوا فتزني نساؤكم، ومن وطئ فراش امرئٍ مسلم وطئ فراشه، كما تدين تدان[٣].

وعن الصادق عليه السلام: كانت في بني اسرائيل بغيّ وكان رجل منهم يكثر

(١) وزراء الجهشياري تاريخ الوزراء: ١٤٧.

(٢) الكافي للكليني ٥: ٥٣٦ ح ٣.

(٣) الكافي للكليني ٥: ٥٥٣ رواية ١، وكذلك ثواب الأعمال: ١٣، وأيضاً المجلسي في بحار الأنوار ١٣: ٢٩٦ رواية ١٣.

الاختلاف إليها، فلمّا كان في آخر ما أتاها أجرى الله على لسانها: أما إنّك سترجع إلى أهلك فتجد معها رجلاً، فارتفعا إلى موسى عليه السلام فنزل جبرئيل عليه السلام وقال: يا موسى من يَزْنِ يُزْنَ به، فنظر موسى إليهما فقال: عفّوا تعفّ نساؤكم[1].

## ٣٩
## الحكمة (٤٨)

وقال عليه السلام:

الظَّفَرُ بالحَزْمِ، والحَزْمُ بإجَالَةِ الرَّأْيِ، وَالرَّأْيُ بِتَحْصِينِ الأَسْرَارِ.

هو قياس منتج: ان الظفر بتحصين الأسرار وهو قياس ينحلُّ إلى قياسين، لأنّ القضية الثانية كبرى بالنسبة إلى الأُولى وصغرى بالنسبة إلى الثالثة.

أمّا كون الظَّفر بالحزم ففي العيون: قيل لرجل من بني عبس: ما أكثر صوابكم! فقال: نحن ألف رجل وفينا حازم واحد ونحن نطيعه، فكأنّا ألفُ حازم[2].

ويقال: روِّ بحزم فإذا استوضحت فاعزم[3].

وأمّا كون الحزم بإجالة الرأي فكان عامر بن الظرب حكيم العرب يقول: دعوا الرأي يغبّ حتى يختمر، وإيّاكم والرأي الفطير[4].

ولمّا استعجل الحجّاج المهلّب في حرب الأزارقة قال المهلّب: إنّ من

---

(١) الكافي للكليني ٥: ٥٥٣ رواية ٣.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٣٠ ـ ٣٢، وكذلك العقد الفريد ١: ٦٠.

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٣٤.

(٤) ابن عبد ربه ١: ٦٠ (دار الكتب العلمية).

البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره[١].

ويقال: ليس بين الملك وبين ان يملك رعيته أو تملكه رعيته إلّا حزم أو توان.

وقيل: من التمس الرخصة من الإخوان عند المشورة ومن الأطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة أخطأ الرأي وازداد مرضاً وحمل الوزر[٢].

وأمّا كون الرأي بتحصين الأسرار فيقال: ما كنت كاتمه من عدوك فلا تظهر عليه صديقك[٣].

وفي (وزراء الجهشياري): كان موسى بن عيسى الهاشمي يتقلّد للرشيد مصر، وكثر التظلّم منه واتّصلت السعايات به ـ وقيل إنّه قد استكثر من العَبيد والعُدَّة ـ فقال الرشيد ليحيى البرمكي: أُطلب لي رجلاً كاتباً عفيفاً يكمل لمصر ويستر خبره فلا يعلم موسى بن عيسى حتى يفجأه. قال: قد وجدته هو عُمَرُ بن مِهْران ـ وكان كتب للخيزران ولم يكتب لغيرها قط ـ وكان رجلاً أحول مشوّه الخلق خسيس اللّباس ـ فأمر بإحضاره قال: فاستدناني الرشيد ونحّى الغلمان وأمرني أن أستر خبري حتى أُفاجئ موسى بن عيسى فأتسلّم العمل منه، فأعلمته أنّه لا يقرأ لي ذكراً في كتب أصحاب الأخبار حتى أوافي مصر، فكتب لي بخطّه إلى موسى، فخرجت من غدٍ مبكراً على بغلة لي ومعي غلام أسود على بغل استأجرته؛ معه خرج فيه قميص ومبطنة وطيلسان وشاشية وخف ومفرش صغير، واكتريت لثلاثة من أصحابي أثق بهم ثلاثة أبغل، وأظهرت أنّي وَجَّهتُ ناظراً في أمور بعض العمّال، كلّما وردت

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٣١.

(٢) المصدر نفسه ١: ٣٠، في كتاب للهند.

(٣) المصدر نفسه ١: ٤٠.

بلداً توهّم من معي أنّي قصدته وليس يعرف خبري أحد من أهل البلدان أمرٌ بها في نزولي ونفوذي. حتى وافيت الفسطاط فنزلت جناباً وخرجت منه وحدي في زيّ متظلم أو تاجر، فدخلت دار الامارة وديوان البلد وبيت المال، وسألت وبحثت عن الأخبار وجلست مع المتظلمين وغيرهم، فمكثت ثلاثة أيام أفعل ذلك حتى عرفت جميع ما احتجت إليه، فلمّا نام الناس دعوت أصحابي فقلت للّذي أردت استكتابه على الديوان: قد رأيت مصر وقد استكتبتك على الديوان فبكِّرْ إليه فاجلس فيه، فإذا سمعت الحركة فاقبض على الكاتب ووكِّل به وبالكتاب والأعمال، ولا يخرج من الديوان أحد حتى أوافيك، ودعوت بآخر فقلَّدته بيت المال وأمرته بمثل ذلك، وقلّدت الآخر عملاً من الأعمال بالحضرة، وأمرتهم أن يبكِّروا ولا يُظهروا أنفسهم حتى يسمعوا الحركة، وبكَّرت فلبست ثيابي ووضعت الشاشية على رأسي ومضيت إلى دار الامارة، فأذن موسى للناس إذناً عامّاً، فدخلت فيمن دخل، فإذا موسى على فرش والقوّاد وقوف عن يمينه وشماله والناس يدخلون فيسلّمون ويخرجون وأنا جالس بحيث يراني وحاجبه ساعة بساعة يُقيمني ويقول لي تكلّم بحاجتك، فأعتلُّ عليه حتى خفَّ الناس، فدنوت منه وأخرجت إليه كتاب الرشيد فقبّله ووضعه على عينه ثم قرأه فامتقع لونه وقال: السمع والطاعة تقرئ أبا حفص السلام وتقول له: ينبغي لك أن تقيم بموضعك حتى نُعِدَّ لك منزلاً يشبهك ويخرج غداً أصحابنا يستقبلونك فتدخل مدخل مثلك.

فقال له: أنا عمر بن مهران قد أمرني الرشيد بإقامتك للناس وانصاف المظلوم منك وأنا فاعل ذلك. فقال: أنت عمر بن مهران؟ قلت: نعم. قال: لعن الله فرعون حيث يقول ﴿أليس لي مُلك مِصر﴾[1] واضطرب الصوت في الدار،

---

(١) الزخرف: ٥١.

فقبض كاتبي على الديوان وصاحبي الآخر على بيت المال وختما عليه ووردت عليه رقاع أصحاب أخباره بذلك، فنزل عن فرشه وقال: «لا إله إلّا الله هكذا تقوم الساعة ما ظننت أنّ أحداً بلغ من الحزم والحيلة ما بلغت، فإنّك قد تسلّمت الأعمال وأنت في مجلسي» ثم نهضت إلى الديوان فقطعت أمور المتظلمين منه وانصرفت على بغلتي التي دخلت عليها ومعي غلامي الأسود[1].

وفي (عيون ابن قتيبة) قال النبي صلى الله عليه وآله: إستعينوا على الحوائج بالكتمان، فإنّ كلّ ذي نعمة محسود[2].

وكان علي عليه السلام يتمثل بهذين البيتين:

ولا تفش سرّك إلّا إليك ... فإنّ لكلّ نصيح نصيحا

فإنّي رأيت غواة الرجال ... لا يتركون أديماً صحيحا[3]

وقال الشاعر:

ولو قدرت على نسيان ما اشتملت ... منّي الضلوع من الأسرار والخبر

لكنت أوّل من ينسى سرائره ... إذ كنت من نشرها يوماً على خطر[4]

## ٤٠
## الحكمة (٦٣)

وقال عليه السلام:

**الشَّفِيعُ جَنَاحُ الطَّالِبِ.**

---

(١) تاريخ الوزراء للجهشياري: ٢١٧ ـ ٢٢٠ بتصرف.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة، أخرجه عن أحمد بن خليل عن محمد بن الحصيب عن أوس بن عبدالله بن بُريدة عن أخيه عن بُريدة ١: ٣٨ وقد مرّ.

(٣) ذكرهما ابن قتيبة في العيون ١: ٣٩، وقد مرّ ذكره.

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبه ١: ٣٩.

قالوا: الشفاعات مفاتيح الطلبات. وقيل في فضل البرمكي:

ومن يكن الفضل بن يحيى بن خالد     شفيعاً له عند الخليفة ينجح[١]

وفي (تاريخ بغداد): إشترى أخ لشعبة من طعام السلطان فخسر هو وشركاؤه، فحبس بستة آلاف دينار بحصته، فخرج شعبة إلى المهدي ليكلّمه فيه، فلمّا دخل عليه قال للمهدي: انشدني قتادة وسماك بن حرب لأُمية بن أبي الصلت يقوله لعبد الله بن جدعان:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني     حياؤك إن شيمَتَكَ الحياءُ

كريم لا يُعَطِّله صَباحٌ     عن الخلق الكريم ولا مساءُ

فارضك أرض مكرمة بنتها     بنو تيم وأنت لهم سماءُ

فقال: لا، لا تذكرها قد عرفناها وقضيناها لك، إرفعوا إليه أخاه لا تلزموه شيئاً[٢].

هذا، وفي المعجم قال أبو العيناء: كان لي صديق فجاءني يوماً وقال: أريد الخروج إلى فلان العامل وأحببت أن يكون معي إليه وسيلة وقد سألت عن صديقه فقيل لي الجاحظ وهو صديقك فأُحبُّ أن تأخذ لي كتابه إليه بالعناية، فصرت إلى الجاحظ فقلت له جئتك مسلّماً وقاضياً للحق ولبعض أصدقائي حاجة وهي كذا وكذا. فقال: لا تشغلنا الساعة عن المحادثة وإذا كان في غد وجّهت إليك بالكتاب، فلمّا كان في غد؛ وجّه إليّ بالكتاب، فقلت لابني: وجّه هذا الكتاب إلى فلان ففيه حاجته. فقال لي: إن الجاحظ بعيد الغور فينبغي أن نفضّه وننظر ما فيه، ففعل فإذا في الكتاب:

«هذا الكتاب مع من لا أعرفه وقد كلّمني فيه من لا أوجب حقّه، فان

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٠٨.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٩: ٢٥٦ في ترجمة شعبة بن الحجاج.

قضيت حاجته لم أحمدك، وان رددته لم أذممك».

فلمّا قرأت الكتاب مضيت من فوري إلى الجاحظ فقال: قد علمت انّك أنكرت ما في الكتاب، فقلت أوليس موضع نكرة، فقال لا هذه علامة بيني وبين الرجل في من أعتني به، فقلت: لا إله إلّا الله ما رأيت أحداً أعلم بطبعك وما جبلت عليه من هذا الرجل، انّه لمّا قرأ هذا الكتاب قال: أم الجاحظ عشرة آلاف في عشرة آلاف قحبة وام من يسأله حاجة. فقلت له: يا هذا تشتم صديقنا. فقال: هذه علامة في من أشكره. فضحك الجاحظ[١].

## ٤١
## الخطبة (٦٨)

وقال عليه السلام:

الْعَفَافُ زِينَةُ الفَقْرِ، وَالشُّكْرُ زِينَةُ الغِنَى.

أقول: كرّره المصنف في (٣٤٠) سهواً، لكن نقله عنه هنا ابن ميثم بدون الفقرة الأخيرة[٢] وانما نقله عنه معها ابن أبي الحديد[٣].

«العفاف زينة الفقر» وقد وصف الله تعالى الفقراء المتزيّنين بالعفاف في قوله ﴿يَحسَبُهُم ٱلجاهِلُ أَغْنياءَ مِنَ ٱلتَّعفُّف تَعرفُهم بسيماهم لَا يَسألونَ ٱلناس إِلحافاً﴾[٤].

«والشكر زينة الغنى» قال سليمان عليه السلام ﴿ربِّ أَوزعني أن أَشكُر نعمَتك الّتي أَنعمتَ عليَّ وَعلى والديَّ﴾[٥] وقال أيضاً لمّا رأى عرش ملكة سبأ مستقراً

---

(١) معجم الادباء للحموي ١٦: ٨٣، في ترجمة عمرو بن بحر، الجاحظ.

(٢) نقل شرح ابن ميثم «العفاف زينة الفقر» ٥: ٢٧٣ رقم ٦٠.

(٣) راجع شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢١٣ رقم ٦٦.

(٤) البقرة: ٢٧٣.

(٥) النمل: ١٩.

عنده في أقل من طرفة عين ﴿هذا من فضل رَبّي ليبلوَني ءأشكُر أم أكفُر ومَن شَكَرَ فإنّما يَشكُرُ لِنَفْسِهِ ومَن كَفَر فإن ربِّي غَنيٌّ كريم﴾[1].

## ٤٢
## الحكمة (٦٩)

وقال عليه السلام:

إذَا لَمْ يكُنْ ما تُرِيدُ فَلَا تُبَلْ مَا كُنْتَ.

أقول: هكذا في (الطبعة المصرية)[2]، والصواب ما في ابن أبي الحديد[3] وابن ميثم[4] والنسخة الخطية[5] «فلا تبل كيف كنت» و «تبل» بضم التاء والأصل فيه تُبَالِ، حذفوا الألف تخفيفاً لكثرة الاستعمال كما حذفوا الياء من قولهم «لا أدر» قال زهير:

لقد بالَيْتُ مَظْعَنَ أُمّ أَوْفَى ولكن أُم أَوْفَى لا تُبالي[6]

قالوا: كان لامرأةٍ ابنٌ واحد، فمات فقالت أردت أن لا يموت هذا، فمن شاء بعده عاش ومن شاء مات.

## ٤٣
## الحكمة (٨٧)

وقال عليه السلام:

عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنَطُ وَمَعَهُ الإستِغْفَارُ.

---

(١) النمل: ٤٠.

(٢) راجع النسخة المصرية شرح محمّد عبده: ٦٧١ رقم ٦٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢١٥.

(٤) في شرح ابن ميثم ٥: ٢٧٣ كما ما ذكره (محمّد عبده) في النسخة المصرية المنقحة.

(٥) راجع النسخة الخطية (المرعشي): ٣١٢.

(٦) ديوان زهير بن أبي سلمى: ٥٧.

أقول: روي عنهعليه السلام هذا المعنى بلفظ آخر، فعنهعليه السلام قال «العجب لمن يهلك والنجاة معه» قيل: ماهي؟ قالعليه السلام: الاستغفار[١].

وورد أنّ الزهري لمّا حصل له القنوط من عقوبته رجلاً فمات قال له عليُّ بن الحسينعليه السلام: أخاف عليك من قنوطك ما لا أخاف عليك من ذنبك. وأمره ببعث ديته ثم الاستغفار، فقال له فرّجت عني يا سيدي! الله أعلم حيث يجعل رسالته[٢].

وفي (الكافي) عن النبيصلى الله عليه وآله: الاستغفار وقول لا إلّه إلّا الله خير العبادة، قال تعالى ﴿فَاعلَم أنّه لا إله إلّا ٱلله وٱسْتَغفر لِذَنبك...﴾[٣] وقد قال تعالى ﴿...وَما كانَ ٱلله مُعذِّبَهُم وَهُم يَسْتَغْفِرُون﴾[٤].

## ٤٤
## الحكمة (٨٩)

وقالعليه السلام:

مَنْ أَصلَحَ ما بينهُ وَبَيْنَ اللهِ أَصْلحَ اللهُ ما بَينَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ أَصْلَحَ أمر آخرته أَصلحَ اللهُ لَهُ امرَ دُنْيَاهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فِي نفسِه واعظٌ كانَ عليهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ.

## الحكمة (٤٢٣)

وقالعليه السلام:

مَنْ أَصلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللّهُ عَلَانِيَتَهُ، وَمَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ كَفاهُ اللّهَ أَمْرَ دُنْياهُ، وَمَنْ اَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ أَحْسَنَ ٱللّهُ ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلنَّاسِ.

---

(١) ذكره الطبرسي في مكارم الأخلاق: ١٦٦.

(٢) تنقيح المقال للمامقاني ٣: ١٨٧.

(٣) محمد: ١٩.

(٤) الكافي للكليني ٢: ٥٠٥ ح٦ عن حسين بن زيد، والآية ١٩ من سورة محمد.

أقول: روى (روضة الكافي) في حديثه (٤٧٧) عن الصادق عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: كانت الفقهاء والعلماء إذا كتب بعضهم إلى بعض كتبوا بثلاثة ليس معهنّ رابعة: من كانت هِمَّتُه آخرته كفاه الله همّه من الدنيا، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح فيما بينه وبينه تعالى أصلح الله فيما بينه وبين الناس[١].

قوله عليه السلام في الأول: «**من أصلح ما بينه وبين الله تعالى أصلح الله ما بينه وبين الناس**» وفي الثاني: «**ومن أحسن في ما بينه وبين الله أحسن الله ما بينه وبين الناس**» على ما في (الطبعة المصرية[٢] وابن أبي الحديد)[٣]، ولكن في (ابن ميثم[٤] والنسخة الخطية): «كفاه الله ما بينه وبين الناس»[٥].

قال الصادق عليه السلام: ما نقل الله عبداً من ذلّ المعاصي إلى عزّ التقوى إلّا أغناه من غير مال وأعزّهُ من غير عشيرة وآنسه من غير بشر[٦].

وفي الأول «**ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه**» وفي الثاني «**ومن عمل لدينه كفاه الله أمر دنياه**» قال تعالى: ﴿ومن يَتّقِ ٱللهَ يَجعَل لهُ مخرجاً * ويَرزُقْه من حيثُ لا يَحتَسبُ﴾[٧].

وعن عيسى عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى الدّنيا: من خدمني فاخدميه، ومن خدمك فاستخدميه[٨].

---

(١) الكافي الروضة للكليني: ٣٠٧.

(٢) راجع النسخة المصرية المنقحة: ٧٥٥ رقم ٤٠٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٦٨ رقم ٤٢٩.

(٤) شرح ابن ميثم ٥: ٤٤٧ رقم ٤٩٨.

(٥) النسخة الخطية: ٣٢٧.

(٦) الكافي للكليني ٢: ٧٦ ح ٨.

(٧) الطلاق: ٢ ـ ٣.

(٨) ورد ما يشابهه في بحار الأنوار ٧٧: ٥٤.

وعن الباقر عليه السلام: قال تعالى: وعزّتي وجلالي لا يؤثر عبد مؤمن هواي على هواه في شيء من أمر الدّنيا إلّا جعلت غناه في نفسه وهمّه في آخرته، وضمنت السماوات والأرض رزقه، وكنت له من وراء تجارة كلّ تاجر[1].

وفي (المروج) كان إسحاق بن إبراهيم بن مصعب على بغداد ـ أي: في خلافة المتوكل ـ فرأى في منامه كأنّ النبي صلى الله عليه وآله يقول له «أطلق القاتل»، فارتاع لذلك روعاً عظيماً ونظر في الكتب الواردة لأصحاب الحبوس فلم يجد فيها ذكر قاتل، فأمر باحضار السندي وعباس فسألهما هل رفع إليهما أحد ادّعي عليه بالقتل. فقال له العباس: نعم وقد كتبنا بخبره، فأعاد النظر فوجد الكتاب في أضعاف القراطيس واذا الرجل قد شهد عليه بالقتل وأقر به، فأمر باحضاره وقال له: إن صدقتني أطلقتك، فذكر أنّه كان هو وعدّة من أصحابه يرتكبون كلّ عظيمة ويستحلّون كلّ محرم وأنّه كان اجتماعهم في منزل بمدينة المنصور يعكفون فيه على كلّ بلية، فلمّا كان في هذا اليوم جاءتهم عجوز تختلف إليهم للفساد ومعها جارية بارعة الجمال، فلمّا توسط الجارية الدار صرخت صرخة، فبادرت إليها من بين أصحابي فأدخلتها بيتاً وسكّنت روعتها وسألتها عن قصتها. فقالت: الله الله فيّ فإنّ هذه العجوز خدعتني وأعلمتني أنّ في خزانتها حقاً لم ير مثله، فشوّقتني إلى النظر إليه فخرجت معها واثقة بقولها فهجمت بي عليكم، وجدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وأُمّي فاطمة عليها السلام وأبي الحسن بن علي عليهما السلام فاحفظوهم فيّ، فضمنت خلاصها وخرجت إلى أصحابي فعرّفتهم، فكأنّي أغريتهم بها وقالوا: لمّا قضيت حاجتك منها أردت صرفنا عنها، وبادروا إليها وقمت دونها أمنع عنها، فتفاقم الأمر بيننا إلى أن نالتني جراح، فعمدت إلى أشدّهم في أمرها وأكلبهم على هتكها فقتلته، ولم

---

(١) بحار الأنوار ٧٠: ٧٥ رواية ٢.

أزل أمنع عنها إلى أن خلّصتها وأخرجتها من الدار. فقالت: سترك الله كما سترتني وكان لك كما كنت لي. وسمع الجيران الضجّة فتبادروا إلينا والسكين في يدي والرجل يتشحّط في دمه، فرفعت على هذه الحالة. فقال له إسحاق: قد عرفت لك ما كان من حفظك للمرأة ووهبتك لله ولرسوله. قال: فوحق من وهبتني له لا عاودت معصية ولا دخلت في ريبة حتى ألقى الله تعالى، فأخبره إسحاق بالرؤيا التي رآها وأنّ الله لم يضيّع له ذلك، وعرض عليه برّاً واسعاً فأبى قبول شيء[١].

وفي (المعجم) عن المبرد أنّ يهودياً بذل للمازني مائة دينار ليقرئه كتاب سيبويه، فامتنع من ذلك فقيل: لِمَ امتنعت مع حاجتك وعيلتك؟ فقال: إنّ في كتاب سيبويه كذا وكذا آية من كتاب الله فكرهت أن أقرئ كتاب الله للذمة، فلم يمض على ذلك إلّا مُدَيْدَةٌ حتى أرسل الواثق في طلبه وأخلف الله عليه أضعاف ما تركه لله، فبعث إليه يسأله عن قول الشاعر:

أظليمُ إن مُصابكم رَجُلاً  أهْدى السلامَ تحية ظلم[٢]

هل يصحُّ رفع «رجل»؟ فأجابه: لا. لأنّه ليس بخبر وإنّما الخبر «ظلم» لأن به يتمُّ الكلام، فأمر له بألف دينار وفي كل شهر مائة[٣].

وفي الأول: «ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ» قال تعالى: ﴿والّذينَ جاهَدُوا فينا لَنَهْدِيَنَّهُم سُبلنا﴾[٤] وفي الثاني: «من أصلح سريرته

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٤: ١٢.

(٢) ذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان ١: ٢٨٤ ونسبه إلى العرجي، ونسبه البغدادي في خزانة الأدب ١: ٣١٧، إلى الحارث بن خالد المخزومي.

(٣) معجم الأدباء لياقوت الحموي ٧: ١١١ ـ ١١٢، وذكرها البيهقي في المحاسن والمساوئ: ٤٠، (طبع بيروت).

(٤) العنكبوت: ٦٩.

أصلح الله علانيته» نقل كشكول البهائي[١] عن تفسير القاضي[٢] قال: روى الحارث الهمداني عن أمير المؤمنين كرّم الله وجهه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: يا علي ما من عبد إلّا وله جوّاني وبرّاني ـ يعني سريرة وعلانية ـ فمن أصلح جوانيه أصلح الله برّانيه، ومن أفسد جوانيه أفسد الله برانيه، وما من أحد إلّا وله صيت في أهل السماء، فإذا حسن وضع الله له ذلك في أهل الأرض، وإذا ساء صيته في السماء وضع له ذلك في الأرض، فسئل عن صيته ماهو، قال: ذكره.

وأقول: الصيت يقال له بالفارسية: «آوازه».

## ٤٥
## الحكمة (١٠٦)

وقال عليه السلام: لا يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ دِينِهِم لاستِصْلاحِ دُنْيَاهُمْ إلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضَرُّ مِنهُ.

في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ما من عبد يمنع درهماً في حقّه إلّا أنفق اثنين في غير حقّه، وما من رجل يمنع حقّاً من ماله إلّا طوقه الله تعالى به حيّة من نار يوم القيامة[٣].

وفي (الفقيه) عن الباقر عليه السلام: ما من عبد يؤثر على الحجّ حاجة من حوائج الدنيا إلّا نظر إلى المحلّقين قد انصرفوا قبل أن يقضى له تلك الحاجة[٤].

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام قال لسماعة: مالك لا تحجّ العام؟ قال: معاملة كانت بيني وبين أقوام وأشغال وعسى أن يكون ذلك خيره. فقال: لا

---

(١) كشكول البهائي: ١٠٢ طبع القاهرة.

(٢) تفسير البيضاوي للقاضي: لم يرد هذا النص في تفسير البيضاوي. وقد وقع ذلك سهواً من العلّامة التستري أنظر الكشكول.

(٣) الكافي للكليني ٣: ٥٠٤ من حديث عبيد بن زراره.

(٤) من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٢٠ ح٢٢٢٦.

والله ما فعل الله لك في ذلك من خيره. ثم قال: ما حبس عبد عن هذا البيت إلّا بذنب وما يعفو أكثر[١].

وعنهعليه السلام: إذا قام العبد في الصلاة فخفّف صلاته قال تعالى لملائكته: أما ترون إلى عبدي كأنّه يرى ان قضاء حوائجه بيد غيري، أما يعلم أن قضاء حوائجه بيدي[٢].

## ٤٦
## الحكمة (١١٤)

وقال عليه السلام: إِذَا اسْتَوْلَى الصَّلاحُ عَلَى الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ ثُمَّ أَسَاءَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ خَزْيَةٌ فَقَدْ ظَلَمَ.

هكذا في (الطبعة المصرية)[٣] ويصدقها ابن ميثم[٤] وفي ابن أبي الحديد بدل «خزية» حوبة[٥]، والمعنى واحد لكن ما هنا أجود.

قال ابن أبي الحديد: روى جابر أنّ النبيصلى الله عليه وآله نظر إلى الكعبة فقال: ما أعظم حرمتك، وإنَّ المؤمن أعظم حرمة منك، لأنَّ الله تعالى حرّم منك واحدة ومن المؤمن ثلاثة: دمَه ومالَه وأنّ يُظَنَّ به الظنُّ السُّوءُ[٦].

«وإذا استولى الفساد على الزمان وأهله فأحسن رجل الظن برجل فقد غرّر»

قال ابن أبي الحديد: قال شاعر:

---

(١) الكافي للكليني ٣: ٢٦٩ ح ٦٠ من حديث هشام بن سالم.

(٢) الكافي للكليني ٣: ٢٦٩ ح ٦٠ من حديث هشام بن سالم.

(٣) هناك اضافة في الطبعة المصرية هي وإذا (استولى الفساد...): ٦٨٢ رقم ١١٥١.

(٤) في شرح ابن ميثم بلفظ «خزية» ٥: ٣٠٢.

(٥) راجع ابن أبي الحديد ١٨: ٢٧٨ بلفظ «حوبة» أيضاً.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٧٨.

وقد كان حسن الظن بعض مذاهبي فأدّبني هذا الزمان وأهله[١]

وقيل لصوفي: ما صناعتك؟ قال حسن الظن بالله وسوء الظن بالناس[٢].

قلت: كلامه عليه السلام هنا من حيث الزمان، وأمّا من حيث الشخص فقد قال عليه السلام ـ كما في (١٥٩) ـ من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومنّ من أساء به الظنّ.

## ٤٧
## الحكمة (١٢١)

وقال عليه السلام:

شَتّانَ مَا بَيْنَ عَمَلَيْنِ عَمَلٍ تَذْهَبُ لَذَّتُهُ وتَبْقَى تَبِعَتُهُ، وَعَمَلٍ تَذْهَبُ مَؤُونَتُهُ وَيَبْقَى أجْرُهُ.

أقول: هكذا في (الطبعة المصرية) «ما بين» والصواب: (بين) بدون «ما» كما في ابن أبي الحديد وابن ميثم والنسخة الخطية[٣].

وروي انّه عليه السلام كان أيام إقامته بالكوفة يبكّر كلّ يوم إلى السوق ويعظهم صنفاً صنفاً ويقول: قدِّموا الاستخارة، وتبرّكوا بالسهولة، واقتربوا من المبتاعين، وتزيّنوا بالحلم، وتناهوا عن اليمين، وجانبوا الكَذِبَ، وتجافوا عن الظلم، وأنصِفوا المظلومين، ﴿ولا تبخسوا ٱلنّاسَ أشياءهُم ولا تَعثَوْا في الأرض مُفسِدِينَ﴾[٤] ـ ثم ينادي:

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٧٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ورد في النسخة المصرية: ٦٨٤ رقم (١٢٢) وشرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣١٠ رقم (١١٧) وشرح ابن ميثم ٥: ٣٠٦ رقم (١١٢) بلفظ «ما بين»، والنسخة الخطية بين (بدون ما): ٣١٩.

(٤) هود: ٨٥.

تَفْنَى اللَّذاذَةُ مِمَّنْ نالَ صَفْوَتَها ... مِنَ الحَرامِ وَيبْقى الإثْمُ وَالْعَارُ
تَبْقى عواقِبُ سُوءٍ في مَغَبَّتِّها ... لا خَيْرَ في لَذَّةٍ من بعدها النار[1]

## ٤٨
## الحكمة (٤٣٣)

وقال عليه السلام: **أُذْكُرُوا انْقِطَاعَ اللَذَّاتِ وبَقَاءَ التَّبِعَاتِ فِي الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي حَتَّى يَسْهُلَ عَلَيْكُمْ تَرْكُهَا وَيَكْبُرَ عَلَيْكُمْ ارْتِكَابُهَا.**

وفي (دعاء التوبة): من ذنوب أدبرت لذاتها فذهبت وأقامت تبعاتها فلزمت، وقال الشاعر:

ما كان ذاك العيش إلّا سكرة ... رحلت لذاذتها وحلّ خمارها

## ٤٩
## الحكمة (١٢٦)

وقال عليه السلام:

**عَجِبْتُ للْبَخِيلِ يَستَعْجِلُ الفَقْرَ الذِي مِنْهُ هَرَب، ويفوْتُهُ الغِنَى الذِي إياهُ طَلَبَ. فَيَعِيشُ فِي الدُّنْيَا عَيْشَ الفُقَرَاءِ، ويُحَاسَبُ فِي الآخِرَةِ حِسَابَ الأغْنِيَاءِ، وَعَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ الَّذِي كَانَ بِالأمْسِ نُطْفَةً، وَيَكُونُ غَداً جِيفَةً، وَعَجِبْتُ لِمَنْ شَكَّ فِي اللّه وَهُوَ يَرَى خَلْقَ اللّهِ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ المَوْتَ وَهُوَ يَرَى المَوْتَى، وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ النَّشْأَةَ الأُخْرَى وَهُوَ يَرَى النَّشْأَةَ الأُولى، وَعَجِبْتُ لِعَامِرٍ دَارَ الفَنَاءِ وَتَارِكٍ دَارَ البَقاءِ.**

في (الطبري) قيل لجعفر بن محمد عليه السلام: إنّ المنصور يعرف بلباس جبّة هروية مرقوعة وانه يرقع قميصه، فقال عليه السلام: الحمد لله الذي لطف له حتى ابتلاه بفقر نفسه ـ أو قال ـ بالفقر في ملكه.

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ٤١: ١٠٤ رواية ٥ وقد وردت الأبيات الشعرية في ديوان أمير المؤمنين: ٤٨.

وقال محمد بن سليمان الهاشمي: بلغني أنّ المنصور أخذ الدواء في يوم شائت شديد البرد، فأتيته أسأله عن موافقة الدواء، فأُدخلت مدخلاً من القصر لم أدخله قط، ثم صرت إلى حجرة صغيرة وفيها بيت واحد ورواق بين يديه في عرض البيت وعرض الصحن على أسطوانة ساج وقد سدل على وجه الرواق بواري كما يصنع بالمساجد، فدخلت فإذا في البيت مسح ليس فيه شيء غيره إلّا فراشه ومرافقه ودثاره، فقلت له: هذا بيت أربأ بك عنه. فقال: يا عم! هذا بيت مبيتي. قلت له: ليس هنا غير الذي أرى. قال: ما هو إلّا ما ترى.

ومثل البخيل مثل الطائر الذي لا يروى من البحر لئلّا ييبس، والدود الذي لا يشبع من التراب لئلّا يفنى.

وقال واضع مولى المنصور: قال لي المنصور: أُنظر ما عندك من الثياب الخلقان فاجمعها وجئني بها وليكن معها رقاع، ففعلتودخل عليه المهدي وهو يقدّر الرقاع فضحك وقال: من هاهنا يقول الناس: نظروا في الدينار والدرهم وما دون ذلك ـ ولم يقل دانق ـ فقال المنصور: إنّه لا جديد لمن لا يصلح خلقه، وهذا الشتاء قد حضر ونحتاج إلى كسوة للعيال والولد. فقال المهدي: فعليَّ كسوتك وكسوة عيالك وولدك. فقال له: دونك فافعل...[1].

كان عمله هكذا مع انّه قال لابنه: قد جمعت لك من الأموال ما ان كسر عليك الخراج عشر سنين كان عندك كفاية لأرزاق الجند والنفقات وعطاء الذرية ومصلحة الثغور.

«فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: إنّ فقراء المؤمنين يتقلّبون في رياض الجنّة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً. وقال: سأضرب لك مثل ذلك، إنّما مثله مثل سفينتين

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٦: ٣٢٤.

مرّ بهما على عاشر، فنظر في إحداهما فلم ير فيها شيئاً فقال: أسربوها، ونظر في الأُخرى فإذا هي موقرة فقال: إحبسوها.

وعنه عليه السلام: إذا كان يوم القيامة قام عنق من الناس حتى يأتوا باب الجنّة فيقولون: من أنتم؟ فيقولون: نحن الفقراء. فيقال لهم: أَقَبِلَ الحسابُ. فيقولون: ما أعطيتمونا شيئاً تحاسبونا عليه. فيقول الله تعالى: صدقوا، أُدخلوا الجنّة[1].

«وعجبت للمتكبّر الذي كان بالأمس نُطفَةً ويكون غداً جيفة» وخرج من مبال إلى مبال ثم يخرج منه، فإن لم يخرج من الثاني فمن الأول لا محالة.

فقالوا: كان أحمد بن سهل ـ وهو من ولد يزدجرد ـ ماتت أُمّه وهو في بطنها، فشق عنه فكان يتيه على الناس، وإذا شتم أحداً قال له: ابن البضع، وكان يفخر على أبناء الملوك بأنّه لم يخرج من بضع[2].

«وعجبت لمن شكّ في الله وهو يرى خلق الله» مع عدم تجويز عقل حصول بناء محقّر بدون بانٍ، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يأتِكُم نَبأُ ٱلّذين من قَبلكم قوم نُوحٍ وعادٍ وثَمودَ وٱلّذين من بَعدِهم لا يَعلمُهُم إلّا الله جَاءَتْهُم رُسُلهم بالبيّنات فردُّوا أيديهم في أَفواهِهِم وقالوا إنّا كفَرنا بما أُرسلتُم بِهِ وإنّا لَفي شكٍّ ممّا تدعوننا إليه مُريب* قالت رُسُلهم أَفي ٱلله شَكٌّ فاطِرِ ٱلسّماوات وٱلأرض﴾[3].

«وعجبت لمن نسي الموت وهو يرى الموتى» هكذا في (الطبعة المصرية)[4]، والصواب ما في (ابن أبي الحديد[5] وابن ميثم)[6] والنسخة

(١) الكافي للكليني ٢: ٢٦٤ ح١٨، من حديث هشام بن الحكم.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٠٤.

(٣) إبراهيم: ٩ ـ ١٠.

(٤) انظر النسخة المصرية: ٦٨٦ رقم (١٢٧).

(٥) في شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣١٥ بلفظ «من يموت».

(٦) في شرح ابن ميثم ٥: ٣٠٩ رقم (١١٦) بلفظ «الموتى».

الخطية[١] (وهو يرى من يموت) لصحّة تلك النسخ دون الطبعة المصرية، ولأنّ العجب في رؤية أحياء مثله يموتون وينساه دون مجرّد رؤية موتى لاحتمال حكم وهمه بكونهم أمواتاً أبداً، وأما الذين رآهم ماتوا فلا مجال لحكم وهم فيهم.

ثمَّ العجب أنّه يرى أنّ أكثرهم كان منه أشدّ قوّة وأصحّ مزاجاً وأسمن بدناً وأكثر أملاً وينسى.

وفي الخبر: ما خلق الله يقيناً أشبه بالشكّ من الموت[٢].

«**وعجبت لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى**» ﴿أَوَلَم يرَ ٱلإنسانُ أَنَّا خَلقْناهُ مِن نُطفَةٍ فإذا هُو خَصيمٌ مبين* وضَرَبَ لَنا مَثلاً وَنَسي خَلقَه قالَ مَن يُحيي العِظامَ وهي رَميم* قُل يُحييها ٱلّذي أنشأها أوّلَ مرّةٍ وَهُو بِكُلِّ خَلقٍ عَليم﴾[٣] ﴿أوَلَيسَ ٱلَّذي خَلَقَ ٱلسَّماواتِ وٱلأرض بِقادرٍ عَلى أَنْ يَخلقَ مِثلَهم بَلى وَهُو ٱلخَلّاقُ ٱلعليم* إنّما أَمْرُهُ إذا أَرادَ شَيئاً أَن يَقولَ لَهُ كُن فيكون* فَسُبحانَ ٱلذي بِيَده مَلكُوتُ كُلِّ شَيءٍ وإليهِ تُرجَعُون﴾[٤].

«**وعجبت لعامرٍ دارَ الفناء وتاركٍ دارَ البقاء**» ﴿انّما هذه الحياة الدُّنيا متاع وإنَّ الآخرة هي دار القرار﴾[٥].

هذا، وفي الخبر: عجبت لأقوام يحتمون من الطعام مخافة الأذى كيف لا يحتمون من الذنوب مخافة النار، عجبتُ لمن يشتري المماليك بماله كيف لا

(١) النسخة الخطية (المرعشي): ٣٢٠.

(٢) أورده (من لا يحضره الفقيه) هكذا: لم يخلق الله عزّوجلّ يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت ونسبه إلى الإمام الصادق عليه السلام ١: ١٢٤، نقله المجلسي في البحار ٦: ١٢٧.

(٣) يس: ٧٧ ـ ٧٩.

(٤) يس: ٨١ ـ ٨٣.

(٥) غافر: ٣٩.

يشتري الأحرار بمعروفه[١].

## ٥٠
## الحكمة (١٢٧)

وقال عليه السلام:

**مَنْ قَصَّرَ فِي العَمَلِ ابتُلِيَ بالْهَمِّ، وَلَا حَاجَةَ للهِ فِيمَنْ لَيْسَ للهِ في مَالِهِ وَنَفْسِهِ نَصِيبٌ.**

أقول: هكذا في (الطبعة المصرية)[٢] من كون الجميع عنواناً واحداً، لكن ابن أبي الحديد[٣] جعل قوله «ولا حاجة...» عنواناً آخر، والأصحّ ما هنا لتصديق ابن ميثم[٤] له ونسخته من النهج بخط المصنف.

(من قَصَّر في العمل ابتلي بالهم) والمراد أنّ من قصّر في عمل من الدنيا أو الآخرة كان الإتيان به واجباً وقصّر فيه يُبتلى بالهمّ والحسرة لِمَ قَصَّر، قال تعالى في الثاني ﴿واتَّبِعُوا أحسَنَ ما أُنزلَ إليكم من ربّكم من قَبل أن يأتيكم العذابُ بَغتةً وأنتُم لا تَشعُرون* أن تقول نفسٌ يا حَسرتى على ما فَرَّطتُ في جَنبِ الله وإن كُنتُ لَمِنَ الساخرين﴾[٥].

«ولا حاجة لله في من ليس لله في ماله ونفسه نصيب» هكذا في (الطبعة المصرية)[٦] والصواب ما في ابن أبي الحديد وابن ميثم (ولا حاجة لله في من

(١) بحار الأنوار للمجلسي ٧٨: ٤٠ نسبه للإمام علي عليه السلام.

(٢) انظر النسخة المصرية: ٦٨٦ رقم (١٢٨) الموافقة لنسخة شرح ابن ميثم ٥: ٣١٠ رقم (١١٧).

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣١٦.

(٤) شرح ابن ميثم ٥: ٣١٠.

(٥) الزمر: ٥٥ ـ ٥٦.

(٦) النسخة المصرية شرح محمّد عبده: ٦٨٦ رقم (١٢٨) نسخة شرح ابن ميثم المنقحة مطابقة للنسخة المصرية شرح محمّد عبده ٥: ٣١٠، وراجع ابن أبي الحديد ١٨: ٣١٧.

ليس في نفسه وماله نصيب) فوقع في (الطبعة المصرية) زيادة وتقديم وتأخير.

أراد النبي صلى الله عليه وآله نكاح امرأة كلبية أو سلمية، فقال أبوها: من صفتها كذا وكذا وكفاك من صحّة بدنها أنّها لم تمرض قط ولم تصدع. فقال صلى الله عليه وآله: لا حاجة لنا فيها[١].

قال البلاذري: قال بعضهم: عرض الضحّاك الكلابي ابنته على النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: إنها لم تمرض ولم تصدع. فقال صلى الله عليه وآله: لا حاجة لنا فيها. وقال الكلبي: التي قال أبوها انها لم تصدع قط ـ وعرضها على النبي فقال لا حاجة لنا بها ـ سلمية وأما الكلابية فاختارت قومها فذهبت عقلها فكانت تقول: أنا الشقية[٢].

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: دُعي النبيّ صلى الله عليه وآله إلى طعام فنظر إلى دجاجة فوق حائط قد باضت فتقع البيضة على وتد في حائط فتثبت عليه، فتعجب النبي صلى الله عليه وآله فقال له الرجل: أعجبت من هذه البيضة فوالذي بعثك بالحق ما رزئت شيئاً قط. فنهض النبي ولم يأكل شيئاً من طعامه وقال: من لم يرزأ فما لله فيه من حاجة[٣].

وقال ابن أبي الحديد بروي أنّه دخل على النبي صلى الله عليه وآله أعرابي ذو جثمان عظيم، فقال له متى عهدك بالحمّى. قال: ما أعرفها. قال: بالصداع؟ قال: ما أدري ماهو. قال: فأُصبت بمالك؟ قال: لا. قال: فرزئت بولدك؟ قال: لا. فقال صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى ليكره العفريت النفريت الذي لا يرزأ في ولده ولا يصاب بماله[٤].

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ١: ٤٥٥.

(٢) المصدر نفسه ١: ٤٥٥ وهي فاطمة الكلابية.

(٣) الكافي للكليني ٢: ٢٥٦ ح ٢٠.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣١٧.

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال لأصحابه: أيّكم يحبُّ أن يصح فلا يسقم؟ قالوا: كلّنا. قال: أتحبّون أن تكونوا كالحمر الصائلة، ألا تحبّون أن تكونوا أصحاب بلايا وأصحاب كفّارات، والذي بعثني بالحق إنّ الرجل ليكون له الدرجة في الجنّة ولا يبلغها بشيء من عمله فيبتليه الله ليبلغه تلك الدرجة[١].

وفي الخبر: مرّ موسى عليه السلام برجل كان يعرفه مطيعاً لله تعالى قد مزقت السباع لحمه، فوقف متعجّباً فأُوحيَ إليه: إنّه سألني درجة لم يبلغها بعمله فجعلت له سبيلاً بذلك[٢].

وعن جابر رفعه: يود أهل العافية يوم القيامة أنَّ لحومهم كانت تقرض بالمقاريض لمّا يرون من ثواب أهل البلاء[٣].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: ان الله ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الوالد ولده بالطعام، والله يحمي عبده المؤمن كما يحمي أحدكم المريض من الطعام[٤].

## ٥١
## الحكمة (١٢٨)

وقال عليه السلام:

**تَوَقَّوْا البَرْدَ فِي أَوَّلِهِ وَتَلَقَّوْهُ فِي آخِرِهِ، فإِنَّهُ يَفْعَلُ فِي الأَبْدَانِ كَفِعْلِهِ فِي الأَشْجَارِ: أَوَّلُهُ يُحْرِقُ وآخِرُهُ يُورِقُ.**

قال ابن ميثم إنّما وجب اتّقاء البرد في أوّله لأنّ الصيف والخريف يشتركان في اليبس، فإذا ورد البَرد ورد على أبدانٍ استعدت بحرارة الصيف

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣١٧، في حديث عبدالله بن انس.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣١٨.

(٣) المصدر نفسه ١٨: ٣١٨ في حديث جابر بن عبدالله.

(٤) الكافي للكليني ٢: ٢٥٩ ح٢٨ نسبه إلى الصادق عليه السلام ونسبه ابن أبي الحديد إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ١٨: ٣١٨.

ويبسه للتخلخل وتفتح المسام، فاشتد انفعال البدن عنه وأسرع في قهر الحرارة الغريزية فيقوى في البدن البرد واليبس وهما طبيعة الموت، فيكون بذلك يبس الأشجار وضمور الأبدان، ووجب تلقّيه في آخره لأن الشتاء والربيع يشتركان في الرطوبة ويفترقان بأنّ الشتاء بارد والربيع حار، فالبرد المتأخّر إذا امتزج بحرارة الربيع وانكسرت سورتها بها لم يكن له بعد ذلك نكاية في الأبدان، فقويت الحرارة الغريزية وكان منه النمو وقوّة الأبدان وبروز الأوراق والثمار[1].

## ٥٢
## الحكمة (١٤١)

وقال عليه السلام:

قِلَّةُ العِيَالِ أَحَدُ اليَسَارَيْنِ.

أقول: هو من حديثه عليه السلام في الأربعمائة، ونظيره قولهم: «العيال سوس المال» وقيل: «لا مال لكثير العيال».

هذا، وفي (الطبري) قال الوضين بن عطاء: استزارني المنصور وكانت بيني وبينه خلالة قبل الخلافة، فصرت إلى بغداد فخلونا يوماً فقال لي: ما مالك؟ قلت: القدر الذي يعرفه الخليفة. قال: وما عيالك؟ قلت: ثلاث بنات والمرأة وخادم لهن. فقال: أربع في بيتك؟ قلت: نعم ـ فوالله لردد ذلك عليّ حتى ظننت انّه سيموّلني ـ ثم رفع رأسه الي فقال لي: أنت أيسر العرب أربع مغازل يدرن في بيتك[2].

---

(١) شرح ابن ميثم ٥: ٣١١ رقم ١١٨.

(٢) تاريخ الأمم والطبري للطبري ٦: ٣٢٠.

# ٥٣
# الحكمة (١٤٢)

وقال عليه السلام:

**التَّوَدُّدُ نِصْفُ العَقْلِ.**

## والحكمة (١٤٣)

وقال عليه السلام:

**الهَمُّ نِصْفُ الهَرَمِ.**

أقول: هكذا في ابن أبي الحديد جعلهما عنوانين[١]، وأخذ منه (الطبعة المصرية الثانية) واما الأولى فليس الأول فيه رأساً[٢]، والصواب كون الكلامين عنواناً واحداً كما في ابن ميثم لأن نسخته بخط المصنّف[٣]، ولأنّهما في سياق واحد، ولأن في مستندهما هما معاً، فرواه مناقب ابن الجوزي كذلك[٤]، بل هما جزء العنوان السابق «قلّة العيال أحد اليسارين» كما في ابن أبي الحديد والنسخة الخطية[٥] وإنّ جعله ابن أبي الحديد أيضاً مستقلاً.

ثم قال ابن أبي الحديد في شرح عنوانه الأول: كأن يقال: قلَّ من تودَّد إلّا صار محبوباً والمحبوب مستور العيوب. وقال في الثاني: قال الشاعر:

هـمومٌ قد أبَتْ إلّا التباسا ... تبُتُّ الشَّيبَ في رأس الوليد
وتقعد قائماً بشجاً حَشاهُ ... وتطلق للقيام جِثى القُعودِ
وأضحتْ خُشّعاً منها نزارٌ ... مركّبة الرواجِب في الخُدودِ

---

(١) انظر ابن أبي الحديد ١٨: ٣٤٠ ـ ٣٤١.

(٢) في الطبعة المصرية المنقحة هي «قلّة العيال أحد اليسارين»: ٦٩٠ رقم (١٤٢).

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥: ٣١٩ رقم (١٣٠).

(٤) لم نعثر على كتاب المناقب لابن الجوزي.

(٥) في النسخة الخطية: ٣٢٢ هما جزء العنوان السابق «قلة العيال أحد اليسارين».

وقال أبو تمام:

شاب رأسي وما رأيتُ مشيبَ ... الرأس إلّا من فضلِ شيب الفؤادِ
كذلك[١] القلوب في كلّ بؤس ... ونعيم طلايع الأجسادِ
طال انكاري البياض ولو عُمِّر ... تُ شيئاً أنكرتُ لونَ السَّوادِ[٢]

قلت: وفي (الطبري) قال ابن هبيرة: ما رأيت رجلاً قط في حرب ولا سمعت به في سلم أمكر ولا أبدع ولا أشد تيقُّظاً من المنصور، لقد حصرني في مدينتي تسعة أشهر ومعي فرسان العرب، فجهدنا كلّ الجهد أن ننال من عسكره شيئاً نكسره به وما تهيّأ، ولقد حصرني وما في رأسي بيضاء فخرجت إليه وما في رأسي سوداء[٣].

## ٥٤
## الحكمة (١٥٧)

وقال عليه السلام:

قَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ، وَقَدْ هُدِيتُمْ إِنِ اهتَدَيْتُمْ، وأُسْمِعْتُمْ إِنِ اسْتَمَعْتُمْ.

التبصير التعريف والايضاح، وأمّا الأبصار فقد يجيء بمعنى التبصير كما في قوله تعالى ﴿فلَمّا جاءَتهُم آياتُنا مبصِرَةً﴾[٤] وقد يجيء بمعنى الرؤية كما في قوله عليه السلام هذا.

والأصل في كلامه عليه السلام قوله تعالى ﴿قَد جاءَكُم بصائِرُ من ربّكم فمَن أَبصَرَ فَلِنَفْسِهِ ومن عَمِي فَعَلَيها وما أَنا عليكُم بِحفيظٍ﴾[٥].

---

(١) كذاك في الديوان: ٧٥، وأظنه خطأ طباعي والأوفق: وكذاك كما في شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٤١.

(٢) ديوان أبي تمام: ٧٥ كذا ذكره شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٤١.

(٣) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٦: ٣٢١.

(٤) النمل: ١٣.

(٥) الأنعام: ١٠٤.

«وقد هديتم ان اهديتم» ﴿فمن تبع هداي فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾[1] ﴿قُل يا أيُّها الناسُ قد جاءَكم ٱلحقُّ من ربّكُم فمَن ٱهْتَدى فإنّما يهتدي لِنَفْسه ومن ضَلَّ فإنّما يَضلُّ عليها وما أنا عليكُم بوَكيلٍ﴾[2].

«وأُسمعتم إن استمعتم» ﴿فَبَشِّر عِباد * ٱلذين يستَمِعُون ٱلقَولَ فيتَّبِعُون أَحسنَهُ أُولئك ٱلذين هداهُم ٱلله وأولئكَ هُم أُولوا ٱلألبابِ﴾[3] ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾[4] ﴿ولو ترى إذ المُجرمون ناكسوا رؤُوسهم عندَ ربهم ربَّنا أَبصرنا وسَمعنا فأرجعنا نعمَل صالحاً إنّا موقنون﴾[5].

## ٥٥
## الحكمة (١٦٤)

وقال عليه السلام:

مَنْ قَضَى حَقَّ من لا يَقْضي حَقَّهُ فَقَد عَبَدَهُ.

قرأ ابن أبي الحديد «عبده» بالتشديد، فجعل مدحاً[6]، وقرأه ابن ميثم بالتخفيف[7] فجعله ذمّاً.

قال الأول: المعنى مدح من يقضي حق من لا يقضي حقّه لأنّه استعبده، لأنّه ما فعل به ما فعل مكافأة بل انعاماً مبتدئاً.

وقال الثاني: أي قضاء حق من كان كذلك في صورة عبادة له.

---

(١) البقرة: ٣٨.

(٢) يونس: ١٠٨.

(٣) الزمر: ١٧ ـ ١٨.

(٤) فاطر: ٢٢.

(٥) السجدة: ١٢.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٨٨ رقم (١٦٦).

(٧) شرح ابن ميثم ٥: ٣٣٥ رقم (١٥٠).

قلت: والأظهر الثاني، لأن في خط الرضي لابد أنّه كان بلا تشديد، لأن نسخة ابن ميثم[١] من النهج كانت بخطه، ولأن المعنى الذي ذكر ابن أبي الحديد[٢] ليس بصحيح، فليس كل من تقضي حقّه وهو ما قضى حقك تستعبده كما هو مقتضى عموم «من»، لاحتمال كون صاحبك رذلاً غير أهل، مع عدم مناسبة «لا يقضي» الظاهر في الاستمرار مع تعبيده، فإذا صار عبده لابدّ أن يقضي حقه كاملاً، وإنّما كان مناسباً لو كان بلفظ «لم يقض» وبالجملة ما ذكره ابن أبي الحديد غير جيّد لفظاً ومعنى.

## ٥٦
## الحكمة (١٦٩)

وقال عليه السلام:

قَدْ أَضَاءَ الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ.

أقول: قد ذكره العسكري[٣] والميداني[٤] في كتابيهما في الأمثال بدون أن يبيّنا أصله.

وقد ذكره الجرجاني في كنايته مع ذكر أصل له، فقال: قرأت في كتاب الأمثال عن مؤرّج بن عمرو السدوسي قال: حدّث أبو خالد الكلابي أنّ الأحوص بن جعفر أُتي فقيل له: أتانا رجل لا نعرفه، فلمّا دنا من القوم حيث يرونه نزل عن راحلته فعلّق وطباً من لبن ووضع في بعض أغصان شجرة حنظلة ووضع صرّة من تراب وصرّة شوك، ثم استوى على راحلته. فنظر القوم والأحوص من أمره، فقال الأحوص: أرسلوا إلى قيس بن زهير،

---

(١) راجع شرح ابن ميثم ٥: ٣٣٩.

(٢) راجع شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٨٨.

(٣) جمهرة الأمثال للعسكري ٢: ١٢٥ بهامش مجمع الأمثال: يضرب مثلاً للأمر ينكشف ويظهر.

(٤) مجمع الأمثال للميداني ٢: ٣١، وقال يضرب للأمر يظهر كل الظهور.

فأرسلوا إليه فأتى فقال له الأحوص: ألم تخبرني أنّه لا يرد عليك أمر إلّا عرفت مأتاه ما لم ترم بنواصي الخيل. فقال: ما الخبر؟ فأعلمه فقال: «قد تبيّن الصبح لذي عينين» ـ فصار مثلاً يضرب لوضوح الشيء ـ قال: أمّا صرّة التراب فإنّه يزعم أنّه قد أتاكم عدد كثير، وأمّا الحنظلة فإنّ حنظلة أتاكم وقد أدركتكم، وأمّا الشوك فإنّ لهم شوكة، وأمّا اللبن فدليل على مقدار قرب القوم وبعدهم؛ فإن كان حلواً فقد أتتكم الخيل وان كان لا حلواً ولا حامضاً فعلى قدر ذلك، وإنّما ترك الكلام لأنّه أُخذت عليه العهود، وقال: أنذرتكم[1].

فإن كان الأصل في المثل قيس بن زهير كما روى فلابدّ أنّه عليه السلام تمثّل به لا أنّه عليه السلام الأصل كما فعل المصنّف.

## ٥٧
## الحكمة (١٧١)

وقال عليه السلام:

كَمْ مِنْ أَكْلَةٍ مَنَعتْ أَكَلَاتٍ.

هكذا في (الطبعة المصرية) بلفظ «منعت»[2] ويصدقها ابن ميثم[3] ولكن في ابن أبي الحديد[4] والخطية[5] بدله «تمنع» وما هنا أنسب وأصحّ حيث إنّ نسخة ابن ميثم بخط مصنفه.

في بخلاء الجاحظ: كان الحكم بن أيوب الثقفي عاملاً للحجّاج على البصرة واستعمل على العراق جرير بن بيهس المازني ـ ولقب جرير العطرّق

---

(١) الكنايات للجرجاني: ٧٩ ـ ٨٠.

(٢) النسخة المصرية شرح محمّد عبده: ٦٩٨ رقم (١٧١).

(٣) شرح ابن ميثم ٥: ٣٣٦ رقم ١٥٧.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨: ٣٩٧ رقم (٢٧٣).

(٥) سقط النصّ من النسخة الخطية (المرعشي).

ـ فخرج الحكم يتنزه وهو باليمامة، فدعا العطرّق إلى غذائه، فأكل معه فتناول دُرّاجة كانت بين يديه، فعزله وولّى مكانه نويرة المازني ابن عمه، فقال نويرة:

قد كان في العِرق صيدٌ لو قنعتَ به ... غنىً لك عن دُرّاجةِ[1] الحكم
وفي عَوارِضَ لا تنفكّ تأكُلها ... لو كان يشفيك لحمُ الجُزر من قَرَم[2]

وبلغ الحكم ان نويرة ابن عم جرير العطرق فعزله فقال نويرة:

أبا يوسفٍ لو كنت تعرفُ طاعتي ... ونُصحي إذاً ما بعتَني بالمحلَّق[3]
ولا انهلّ سرّاق العُراقةِ صالحٌ ... عليّ ولا كُلِّفْتُ ذنبَ العطرّق[4]

وتناول رجل من قدام أمير كان لنا ضخم بيضة، فقال خذها فانّها بيضة القروء فلم يزل محجوباً حتى مات[5].

وقال ابن أبي الحديد كان الطعام الذي مات منه سليمان أنّه قال لديرانيٍّ كان صديقه قبل الخلافة: ويحك لا تقطعني ألطافك التي كنت تلطفني بها. قال: فأتيته بزنبيلين كبيرين أحدهما بيض مسلوق والآخرتين. قال: ألقمنيها فكنت أقشر البيضة وأقرنها بالتينة وأُلقمه حتى أتى على الزنبيلين، فأصابته تخمة عظيمة ومات[6].

هذا، وقد كان ابن عيّاش المنتوف يمازح المنصور فيحتمله ـ على انّه كان جدّاً كله ـ فقدم المنصور يوماً لجلسائه ببطة كثيرة الدهن، فأكلوا وجعل

---

(١) الدراج: طائر من طير العراق.

(٢) العوارض: الناقة الشابة أو الشاة يصيبها دائر أو كسرٌ فتخر. قرم: شهوة اللحم.

(٣) أبو يوسف: كنية الحَكَم. المحلق: لقب الّذي حل مكانه بعد عزله.

(٤) العراقة: ا لعظم عليه لحم.

(٥) البخلاء للجاحظ: ٢١٦ ـ ٢١٧.

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨: ٣٩٩.

يأمرهم بالازدياد من الأكل لطيبها، فقال له ابن عياش علمت غرضك انما تريد أن ترميهم منها بالهيضة فلا يأكلوا إلّا عشرة أيام[١].

وفي المثل: «أكلة أبي خارجة»؛ قال أعرابي بباب الكعبة: «اللّهم ميتة كميتة أبي خارجة» فسألوه فقال: أكل حملاً وشرب وطباً من اللبن وتروّى من النبيذ ونام في الشمس فمات، فلقي الله شبعان ريّان دفئان[٢].

وورد أعرابيٌّ على الحجّاج فقدّم له الطعام وكان مع الطعام حلواء، فقعد الأعرابي يأكل وينظر إلى الحجّاج نظرة وإلى الحلواء أخرى، فقال الحجّاج: كلُّ من أكل من هذا الحلواء ضربت عنقه، ففكّر الأعرابي ساعة وقبض على لحيته ساعة ثم قال للحجّاج: أوصيك في الأولاد خيراً، وأخذ يأكل فضحك الحجّاج والحاضرون.

## ٥٨
## الحكمة (٢٠٤)

وقال عليه السلام:

**لا يُزْهِدَنَّكَ فِي المَعْرُوفِ مَن لا يَشْكُرُهُ لَكَ، فَقَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لا يستَمتِعُ بِشَيْءٍ مِنهُ، وَقَدْ تُدْرِكُ مِنْ شُكْرِ الشَّاكِرِ أَكْثَرَ مِمَّا أَضَاعَ الكَافِرُ، واللهُ يُحبُّ المُحْسِنِينَ.**

أقول: وعن الباقر عليه السلام إنّ الله عزوجل جعل للمعروف أهلاً من خلقه حبّب إليهم فعاله، ووجّه لطلّاب المعروف الطلب إليهم، ويسّر لهم قضاءه كما يسّر الغيث للأرض المجدبة ليحييها ويحيي به أهلها، وإن الله تعالى جعل للمعروف أعداءً من خلقه بغّض إليهم المعروف وبغّض إليهم أفعاله، وحظر على طلّاب

---

(١) المصدر نفسه ١٨: ٣٩٧.

(٢) المصدر نفسه ١٨: ٣٩٨.

المعروف له الطلب إليهم وحظر عليهم قضاءه كما يُحرّم الغيث على الأرض المجدبة ليهلكها ويهلك أهلها[١].

وقال ابن أبي الحديد رأى العباس بن مأمون يوماً بحضرة المعتصم خاتماً في يد إبراهيم بن المهدي، فاستحسنه فقال له: ما فص هذا الخاتم ومن أين حصلته؟ قال: هذا خاتم رهنته في دولة أبيك وافتككته في دولة الخليفة. فقال له العباس: إن لم تشكر أبي على حقنه دمك؛ فأنت لا تشكر الخليفة على فكّه خاتمك. وقال الشاعر:

لعمرُك ما المعروفُ في غير أهله ... وفي أهله إلّا كبعض الودائع

فمستودع ضاع الذي كان عنده ... ومستودع ما عنده غيرُ ضائع

وما النّاس في شكر الصنيعة عندهم ... وفي كفرها إلّا كبعض المزارِع

فمزرعةٌ طابت وأضعف نَبْتُها ... ومَزْرَعَة أكدت على كلّ زارع[٢]

## ٥٩
## الحكمة (٢٠٨)

وقال عليه السلام:

مَنْ حاسَبَ نَفْسَهُ رَبِحَ، وَمَنْ غَفَلَ عَنْهَا خَسرَ، وَمَنْ خَافَ أَمِنَ، وَمَنِ ٱعْتَبَرَ أَبْصَرَ، وَمَنْ أَبْصَرَ فَهِمَ، وَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ.

«من حاسب نفسه ربح» في (الكافي) عن الكاظم عليه السلام: ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم، فإن عمل حسنة استزاد الله تعالى، وإن عمل سيّئة استغفر الله منها وتاب إليه[٣].

(١) الكافي للكليني ٤: ٢٥ ح ٢، عن أبي حمزة الثمالي.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٤.

(٣) الكافي للكليني ٢: ٤٥٣.

«ومن غفل عنها خسر» عن الباقر عليه السلام: لا يغرّنّك الناسُ من نفسك، فإنّ الأمر يصل إليك دونهم، ولا تقطع نهارك بكذا وكذا، فإنّ معك من يحفظ عليك عملك...[1].

«ومن خاف أمن» ﴿وأمّا من خافَ مقامَ ربِّه ونهى ٱلنَّفس عن ٱلهوى * فإنّ الجنَّةَ هي ٱلمأوى﴾[2].

«ومن اعتبر أبصر» الاعتبار سبب لابصار جديد، وإن كان هو بإبصار تليد، قال تعالى: ﴿فاعتبروا يا أُولي ٱلأَبْصار﴾[3].

«ومن أبصر فهم ومن فهم علم» حمل الفهم على معرفة المقدّمات، والعلم على معرفة النتيجة الّتي هي الثمرة الشريفة.

## ٦٠
## الحكمة (٢٤٠)

وقال عليه السلام:

**الحَجَرُ الغَصِيبُ في الدَّارِ رَهْنٌ على خَرَابِهَا.**

أقول هكذا في (الطبعة المصرية) بلفظ «الغصيب»[4] والصواب: (الغصب) كما في ابن أبي الحديد[5] وابن ميثم[6] والنسخة الخطية[7]، والغصب هنا بمعنى المغصوب كما في قولهم: «شيء غصب».

---

(١) الاختصاص للمفيد: ٢٣١.

(٢) النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

(٣) الحشر: ٢.

(٤) النسخة المصرية شرح محمّد عبده: ٧١٠ رقم (٢٤٢).

(٥) في شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٧٢ رقم (٢٣٧) بلفظ «الغصب».

(٦) شرح ابن ميثم النسخة المنقحة ٥: ٣٦١ رقم (٢٢٦) بلفظ «الغصيب».

(٧) سقط النصّ من النسخة الخطية (المرعشي).

في (كامل الجزري): وفي سنة (٥٠٠) عزل الوزير أبو القاسم عليّ بن جُهير وأمر الخليفة بنقض داره التي بباب العامّة وفيها هِبْرة، فإنّ أباه أبا نصر بن جُهير بناها بأنقاض أملاك الناس وأخذ بسببها أكثر ما دخل فيها فخربت عن قريب[1].

وقال ابن أبي الحديد: قال ابن بسّام لابن مقلة لمّا بنى داره بالزاهر ببغداد من الغصب وظلم الرعية:

بجنبك داران مَهْدومَتانِ ودارك ثالثة تُهدمُ

وأشار بالدارين المهدومتين إلى دار ابن الفرات ودار ابن الجرّاح ـ أي: الوزيرين ـ وقال أيضاً:

قل لابن مقلة مهلاً لا تكن عَجِلاً فإنّما أنتَ في أضغاث أحلام

تَبني بأنقاض دور النّاس مجتهداً داراً ستُنقَضُ أيضاً بعد أيّام

وصار كما قال، فنقضت داره في أيام الراضي حتى سُوِّيت بالأرض[2].

**«قال الرضي ويروى هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه وآله»** هكذا في (الطبعة المصرية)[3] لكن في ابن أبي الحديد «قال الرضي: وقد روي ما يناسب هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه وآله»[4] وفي ابن ميثم: «ونحو هذا الكلام قول الرسول: اتقوا الحرام في البنيان فإنّه أسباب الخراب»[5].

**«ولا عجب أن يشتبه الكلامان لأن مستقاهما من قليب»** أي: بئر واحدة، قال أبو عبيد «قليب» البئر العادية القديمة.

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري ١٠: ٤٣٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٧٢.

(٣) النسخة المصرية المنقحة: ٧١٠.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٧٢ ـ ٧٣.

(٥) شرح ابن ميثم ٥: ٣٦٢.

«ومفرغهما» من فَرِغَ الماء بالكسر، أي: انصبَّ «من ذَنوب» بالفتح، قال ابن السِّكِّيت: ذَنوب؛ دلو فيها ماء قريب من الملا تؤنث وتذكر[1]، ولا يقال لها ذنوب وهي فارغة.

وفي معنى قول المصنف قول البحتري:

عودهما من نبعة وثراهما    من تربة وصفاهما من مقطع[2]

## ٦١
## الحكمة (٢٤١)

وقال عليه السلام:

إذَا كَثُرَتِ المَقْدِرَةُ قَلَّتِ الشَّهْوَةُ.

عشق رجل جارية وكان يتحرّق في ذلك، فقيل له: لِمَ لا تشتريها فإنّها ليست كالحرّة عسرة المطلب؟ قال: إنّي إن ملكتها تذهب شهوتها وفي ذلك أجد لذّة.

## ٦٢
## الحكمة (٢٤٧)

وقال عليه السلام:

الكَرَمُ أَعْطَفُ مِنَ الرَّحِمِ.

قال البحتري في إبراهيم بن الحسن بن سهل:

بنعمتكم يا آل سهل تسهّلت    عليّ نواحي دهري المتوعّر

شكرتكم حتى استكان عدوّكم    ومن يول ما أوليتموني يشكر

(١) اصلاح المنطق لابن السكيت: ١٦٤.

(٢) ديوان البحتري ٢: ٢١٩.

ألست ابنكم دون البنين وأنتم    أحباء أهلي دون معن وبحتر[١]

وكانت خنساء إلى أخيها من أبيها صخر أعطف منها إلى أخيها من أبويها معاوية لكرم صخر إليها[٢].

وفي (شعراء ابن قتيبة): لم تزل خنساء تبكي صخراً حتى عميت ودخلت على عائشة وعليها صدار من شعر، فقالت لها: ما هذا فوالله لقد مات النبي ﷺ فلم ألبس عليه صداراً. قالت لها: إن له حديثاً، إنّ أبي زوّجني سيّداً من سادات قومي متلافاً معطافاً، فأنفد ماله فقال لي: إلى أين يا خنساء، فقلت: إلى أخي صخر، فأتيناه فقاسمنا ماله وأعطانا خير النصفين، فأقبل زوجي يعطي ويهب ويحمل حتى أنفده ثم قال لي: إلى أين يا خنساء؟ قلت: إلى أخي صخر، فأتيناه وقاسمنا ماله وأعطانا خير النصفين إلى الثالثة، فقالت له امرأته: أما ترضى أن تقاسمهم مالك حتى تعطيهم خير النصفين. فقال لها:

والله لا أمنحها شرارها    ولو هلكتُ قدّدت خِمارها

واتّخذتْ من شعرها صدارها

فذلك الّذي دعاني إلى لبس الصدار[٣].

ثم كما أن الكرم أعطف من الرحم كذلك المودّة أعطف منها، قال العتابي:

إنّي بلوتُ الناسَ في حالاتهم    وخَبَرتُ ما وصلوا من الأسباب

فإذا القرابةُ لا تقرّب قاطعاً    وإذا المودةُ أقربُ الأنسابِ[٤]

---

(١) ديوان البحتري ١: ١٨٥ .

(٢) أعلام النساء لعمر رضا كحالة: ٣٦٥.

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ١٢٤ ـ ١٢٥ .

(٤) الأغاني للأصفهاني ١٧: ١١٧ .

# ٦٣
## الحكمة (٢٥٤)

وقال عليه السلام:

**يا ابنَ آدَمَ! كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ فِي مَالِكَ، وَاعْمَلْ فِيه ما تُؤثِرُ أَنْ يُعْمَلَ فِيهِ مِنْ بَعْدِك.**

هكذا في (الطبعة المصرية)[1]، ولفظ «في مالك» زائدة، فليس في ابن أبي الحديد[2] وابن ميثم[3] والنسخة الخطية[4]، ولا يحتاج المعنى إليه.

**«واعمل فيه ما تؤثر أن يعمل فيه من بعدك» هكذا في (الطبعة المصرية)[5]** والصواب ما في الثلاثة (واعمل في مالك ما تؤثر أن يعمل فيه من بعدك) فبعد عدم وجود «في مالك» أوّلا كما عرفت؛ لابدّ من ذكره هنا، يعني أن أغلب الأوصياء لا يعملون ويبدلون، فإن كنت ناصح نفسك فكن أنت المتصدّي لنفسك.

وفي (سبب وقف غيبة الشيخ) عن الحسين بن أحمد بن فضّال قال: كنت أرى عند عمّي علي بن فضّال شيخاً من أهل بغداد ـ وكان يهازل عمي ـ فقال له يوماً: ليس شرّاً منكم يا معشر الشيعة. قال له: لِمَ لعنك الله؟ قال: أنا زوج بنت أحمد بن أبي بشر السرّاج قال لي لمّا حضرته الوفاة: كان عندي عشرة آلاف دينار وديعة لموسى بن جعفر عليه السلام فدفعت ابنه عنها بعد موته وشهدت أنّه لم يمت، فالله الله خلّصوني من النار وسلّموها إلى الرِّضا. قال:

---

(١) النسخة المصرية: ٧١٣ رقم (٢٥٦).

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٩٥.

(٣) شرح ابن ميثم ٥: ٥٦٣ رقم (٢٤٠) النسخة المنقحة مطابقة للنسخة المصرية: ٧١٣ رقم (٢٥٦).

(٤) سقط النصّ من النسخة الخطية (المرعشي).

(٥) راجع المصدرين السابقين فهما متطابقين أيضاً في التكملة .

فوالله ما أخرجنا حبة ولقد تركناه يصلى في نار جهنم[١].

وكان السجادعليه السلام: كلّما مرض أوصى بوصية فإذا برئ أجرىعليه السلام بنفسه ما أوصى به[٢].

هذا، وفي كنز الكراجكي قال المفيد: دخل رجل صحيح على مريض فقال له: أوص. فقال له: بِمَ أوصي وانّما يرثني زوجتاك واختاك وخالتاك وعمتاك وجدتاك.

وقال في شرح الكلام: إنّ ذاك المريض كان تزوج جدَّتَيْ ذاك الصحيح أُمَّ أمّه وأُمَّ أبيه، فأولد كلّ واحدة منهما ابنتين فابنتاه من جدته أُمِّ أمِّه خالتا ذاك الصحيح وابنتاه من جدّته أُمِّ أبيه عمتا ذاك، وتزوج الصحيح جدتي المريض وتزوج أبو المريض أُم الصحيح فأولدها ابنتين، وحينئذٍ فقد ترك المريض إذا مات أربع بنات هما عمتا الصحيح وخالتاه وترك جدتيه زوجتي الصحيح وترك زوجتيه جدتي الصحيح وترك اختيه لأبيه وهما اختا الصحيح لأُمه، فلبناته الثلثان ولزوجتيه الثمن ولجدتيه السدس ولأُختيه لأبيه ما بقي. وهذه القسمة على مذهب العامة دون الخاصة[٣].

---

(١) الغيبة للطوسي: ٦٦ و ٦٧، ونقله عنه المجلسي في بحار الأنوار ٤٨: ٢٥٥ ح ٩.

(٢) ورد في وسائل الشيعة ٦: ٣٨٥ في باب جواز رجوع الموصي في الوصية قال علي بن الحسين: لرجل ان يُغير وصيته فيعتق من كان أمر بملكه ويملك من كان أمر بعتقه ويعطي من كان حرمه، ويحرم من كان اعطاه ما لم يمت، لم نعثر على ما ذكر المؤلف في تراجم الإمام السجادعليه السلام.

(٣) كنز الفوائد للكراجكي ١: ١٠٢ ـ ١٠٣، لم يورد العلّامة التستري الأبيات الشعرية على لسان المريض وهي:

| | |
|---|---|
| اتيت الوليد ضحى عائداً | وقد خامر اللكب منه السقاما |
| فقلت له أوحي فيما تركت | فقال الا قد كفيت الكلاما |
| ففي عمتيك وفي جدتيك | وفي خالتيك تركت السواما |
| وزوجاك حقهما ثابت | واختاك منه تجوز التماما |
| هنالك يا ابن أبي خالد | ظفرت بعشر حديث السهاما |

وفي (شعراء القتيبي): قيل للحطيئة حين احتضاره: أوصِ، فقال: مالي للذكور من ولدي دون الإناث. قالوا: فإنّ الله لم يأمر بذلك. قال: فإنّي آمر به. قيل له: قل «لا إله إلّا الله». قال: ويل للشعر من راوية السوء. قيل له: ألا توصي بشيء للمساكين. قال: أوصيهم بالمسألة ما عاشوا فإنّها تجارة لن تبور. قيل له: أعتق عبدك يساراً. قال: هو مملوك ما بقي عبسي. قيل له: فلان اليتيم ما توصي له بشيء؟ قال: أوصيكم أن تأخذوا ماله وتنيكوا أُمه. قيل له: ليس إلّا هذا. قال: إحملوني على حمار فإنّه لم يمت عليه كريم لعلّي أنجو، ثم قال:

لكلّ جديد لذّة غير أنّني وجدت جديد الموت غير لذيذ

له خبطةٌ في الحلق ليس بسكّر ولا طعم راح يُشتهى ونبيذ

ومات مكانه[1].

## ٦٤
## من غريب كلامه رقم (٢)

وفي حديثه عليه السلام:

هَذَا الخَطِيبُ الشَّحْشَحُ.

أقول: قال ابن أبي الحديد[2] قال ابن ميثم[3]: هذه الكلمة لصعصعة بن صوحان العبدي، وكفى صعصعة بها فخراً أن يكون مثل علي عليه السلام يثني عليه بالمهارة وفصاحة اللسان، وكان صعصعة من أفصح الناس. ذكر ذلك الجاحظ[4].

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ١١٠ ـ ١١١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٠٦.

(٣) شرح ابن ميثم ٥: ٣٧١ رقم «٢».

(٤) نقل الجاحظ في البيان والتبيين ١: ٣٢٧ قول عبيدالله بن زياد بن ظبيان لأشيم بن شقيق بن ثور: أنت يوم القيامة أخطب من صعصعة بن صوحان إذا تكلمت الخوارج، ثم يقول الجاحظ: فما ظنك ببلاغة رجل عبيد الله بن زياد

قلت: بل قال عليه السلام هذه الكلمة ان صح كونها كلامه عليه السلام في شاب من قيس غير معروف، ففي تاريخ الطبري ـ بعد ذكره خبراً عن كليب الجرمي في أصحاب الجمل إلى أن قال ـ قال كليب ونادى عليه السلام بعد ظفره: ألا لا تتبعوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور. ثم بعث إليهم ان أخرجوا للبيعة، فبايعهم على الرايات وقال: من عرف شيئاً فليأخذه حتى ما بقي في العسكرين شيء إلّا قبض، فانتهى إليه قوم من قيس شبان فخطب خطيبهم فقال علي عليه السلام: أين امراؤكم؟ فقال الخطيب: أصيبوا تحت نظار الجمل ـ ثم أخذ في خطبته ـ فقال علي عليه السلام أما ان هذا لهو الخطيب الشحشح...[1].

وممّا يشهد انّه عليه السلام قال ذلك في خطيب غير معروف الاسم ان الجاحظ قال في الجزء الثاني من بيانه: في حديث علي عليه السلام حين رأى فلاناً يخطب قال هذا الخطيب الشحشح[2].

وقال ابن الأثير في نهايته: في حديث علي عليه السلام انه رأى رجلاً يخطب فقال «هذا الخطيب الشحشح» أي: الماهر الماضي في الكلام...[3].

ولو كان عليه السلام قال هذا الكلام في معروف مثل صعصعة لقالا: رأى صعصعة، وابن الأثير رأى كتب جميع من صنف في الغريب وذكر هذا الحديث فيه فيعلم انّه لم يعينه أحد.

وأما ما قاله ابن أبي الحديد من قوله «ذكر ذلك الجاحظ» مشيراً إلى

---

يضرب به المثل، ثم قال: وإنّما أردنا بهذا الحديث خاصة، الدلالة على تقديم صعصعة بن صوحان في الخطب.

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري: كان في سيرة على أن لا يقتل مدبراً ولا يذفف على جريح ولا يكشف ستراً ولا يأخذ مالاً... إلى آخره ٣: ٢٢٣، وذكر في ٣: ٢٢٢ قول الإمام علي عليه السلام أن من عرف شيئاً فليأخذه الّا سلاحاً... إلى آخره. أما بقية ما أورده العلّامة التستري فهو زيادة على النصّ المذكور راجع الطبري ٣: ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

(٢) لم يوجد في الهوامش يراجع: ٢٦٧ في الأصل.

(٣) نهاية ابن الأثير ٢: ٤٤٩.

جميع ما قاله[١]، فانّما يصح منه ان الجاحظ قال: ان صعصعة كان من أفصح الناس وكفاه فخراً ان يكون مثل عليعليه السلام يثني عليه بالمهارة، دون كون الجاحظ قال إنّهعليه السلام قال تلك الكلمة لصعصعة، وهذا نص الجاحظ في بيانه في الجزء الأول: قال أشيم بن شقيق بن ثور لعبيدالله بن زياد بن ظبيان: ما أنت قائل لربّك وقد حملت رأس مصعب إلى عبد الملك؟ قال: اسكت فأنت يوم القيامة أخطب من صعصعة إذا تكلمت الخوارج، فما ظنّك ببلاغة رجل مثل عبيدالله بن زياد بن ظبيان يضرب به المثل[٢]، وإنّما أردنا بهذا الحديث خاصة الدلالة على تقديم صعصعة في الخطب، وأولى من كلّ دلالة استنطاق عليعليه السلام له.

فترى الجاحظ إنّما قال: إن قاتل مصعب ضرب المثل بخطيبية صعصعة ثم قال أولى من كلّ دلالة على خطيبية صعصعة استنطاقهعليه السلام له لا أنّهعليه السلام قال فيه «هو خطيب شحشح»، وقد روى قول قاتل مصعب (الأغاني) أيضاً فقال: قال رجل لعبيد الله: بماذا تحتجّ عند ربك من قتلك لمصعب. فقال: ان تُرِكتُ أحتجّ رجوتُ أن أكون أخطب من صَعْصَعة بن صوحان[٣].

ثم الظاهر أصحية رواية (الأغاني) أن يكون قاتل مصعب قال: أنا أخطب من صعصعة، من رواية البيان: أنت أخطب من صعصعة، بشهادة السياق.

ثم الظاهر أن مراد الجاحظ من قوله: «وأولى من كلّ دلالة استنطاق عليعليه السلام له» ما رواه (المروج) أنّهعليه السلام بعد الجمل قال لصعصعة ونفرين

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩: ١٠٦.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ١: ٣٢٧.

(٣) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٣٨.

آخرين معه: أشيروا عليّ في أمر معاوية. فقال صعصعة: الرأي أن ترسل إليه عيناً من عيونك وثقة من ثقاتك بكتاب تدعوه إلى بيعتك، فإن أجاب وإلّا جاهدته. فقال علي عليه السلام: عزمت عليك يا صعصعة إلّا كتبت الكتاب بيدك وتوجّهت به إلى معاوية واجعل صدر الكتاب تحذيراً وتخويفاً وعجزه استتابة واستنابة ـ إلى أن قال ـ ثم اكتب ما أشرت به عليّ واجعل عنوان الكتاب ﴿ألا إلى الله تصير الأُمور﴾[1]. قال: اعفني من ذلك. قال: عزمت عليك لتفعلن. قال: أفعل، فخرج بالكتاب ـ إلى أن قال ـ فقال معاوية لشيءٍ ما سوّده قومه، وددت والله أنّي من صلبه ـ ثم التفت إلى بني أُميّة فقال ـ هكذا فلتكن الرجال[2].

وبالجملة لا ريب في أنّ هذا الكلام إنّما قاله عليه السلام إن ثبت صحّة نسبته إليه عليه السلام في خطيب من أعدائه من أصحاب الجمل كما عرفت، كما لا ريب في أنّ الجاحظ إنّما قال بتقديم صعصعة في الخطب لضرب المثل به ولأنّه عليه السلام استنطقه واستكتبه دون أن يقول: إنّه عليه السلام قال ذلك الكلام فيه.

وممّا يشهد لمسلّميّة مقام صعصعة في الخطابة ما في (الطبري) ـ في قصة خروج المستورد الخارجي على المغيرة أيام امارته على الكوفة من قبل معاوية وتعيين المغيرة أوّلاً معقل بن قيس من الشيعة لحربه ـ قال مرّة بن منقذ فقال صعصعة بعد معقل وقال: إبعثني إليهم أيّها الأمير فأنا والله لدمائهم مستحل وبحملها مستقل. فقال المغيرة: إجلس فإنّما أنت خطيب ـ فكان أحفظه ذلك ـ وإنّما قال المغيرة ذلك لأنّه بلغه أن صعصعة يعيب عثمان ويكثر ذكر علي عليه السلام ويفضّله وقد كان دعاه وقال له: إيّاك أن يبلغني عنك أنّك تعيب

---

(١) الشورى: ٥٣.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٣٨.

عثمان عند أحد من الناس، وإيّاك أن يبلغني عنك أنّك تظهر شيئاً من فضل علي علانية، فإنّك لست بذاكرٍ من فضل عليٍّ شيئاً أجهله بل أنا أعلم بذلك، ولكن هذا السلطان قد ظهر وقد أخذنا بإظهار عيبه للناس فنحن ندع كثيراً ممّا أمرنا به ونذكر الشيء الذي لا نجد بداً منه ندفع هؤلاء القوم عن أنفسنا تقيّة، فإن كنت ذاكراً فضله فاذكره بينك وبين أصحابك وفي منازلكم سرّاً، وأمّا علانية في المسجد فإنّ هذا لا يحتمله الخليفة لنا ولا يعذرنا فيه.

فكان صعصعة يقول: نعم افعل، ثم يبلغه أنّه قد عاد إلى ما نهاه عنه، فلمّا قام إليه وقال له: إبعثني إليهم؛ وجد المغيرة قد حقد عليه خلافه إيّاه، فقال له ما قال «إجلس، فإنّما أنت خطيب» فقال له صعصعة: أو ما أنا إلّا خطيب، أجل والله أنا الخطيب الصليب الرئيس، أما والله لو شهدتني تحت راية عبد القيس يوم الجمل حيث اختلف القنا فشؤن تفرى وهامة تختلى لعلمت أنّي أنا اللّيث الهزبر. فقال له المغيرة: حسبك الآن، لعمري لقد أوتيت لساناً فصيحاً[1].

وفي (ديوان معاني العسكري): تكلّم صعصعة عند معاوية بكلام أحسن فيه، فحسده عمرو بن العاص فقال: هذا بالتمر أبصر منه بالكلام. فقال صعصعة؛ أجل أجوده ما دق نواه ورق سحاؤه وعظم لحاؤه والريح تنفجه والشمس تنضجه والبرد يدمجه، ولكنك يابن العاص لا تمراً تصف ولا الخير تعرف بل تحسد فتقرف[2]. فقال معاوية لعمرو: رغماً لك. فقال عمرو: وأضعاف الرغم لك وما بي إلّا بعض ما بك[3].

وفي (عقد ابن عبد ربه): قال عبد الملك في عبد القيس: أشد الناس

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٤: ١٤٤.

(٢) أي تقذف.

(٣) ديوان المعاني للعسكري ٢: ٤١.

وأسخى الناس وأطوع الناس في قومه وأحلم الناس وأحضرهم جواباً وأخطب الناس، أمّا أحضرهم جواباً فصعصعة...[١].

وفيه دخل صعصعة على معاوية وابن العاص جالس معه على سريره فقال له: وسع له على ترابيةٍ فيه. فقال صعصعة: إني والله لترابي، منه خلقت وإليه أعود ومنه أُبعث، وإنّك لمارج من نار. فقال له معاوية: إنّما أنت هاتف بلسانك لا تنظر في أود الكلام واستقامته، فإن كنت تنظر في ذلك فأخبرني عن أفضل المال، فقال: والله إنّي لأدع الكلام حتى يختمر في صدري ثم أذهب ولا أهتف به حتى أقيم أوده وأُجيز متنه، وان أفضل المال لبرة سمراء في برية غبراء، أو نعجة صفراء في نبعة خضراء، أو عين فوّارة في أرض خوّارة. فقال معاوية: لله أنت! فأين الذهب والفضة؟ قال: حَجَران يصطكّان، إن أقبلت عليهما نفدا وإن تركتهما لم يزيدا[٢].

وفي (المروج): حبس معاوية صعصعة وابن الكوّاء ورجالاً من أصحاب علي عليه السلام مع رجال من قريش، فدخل عليهم يوماً فقال: نشدتكم بالله إلّا ما قلتم حقّاً وصدقاً، أيُّ الخلفاء رأيتموني ـ إلى أن قال ـ فقال صعصعة: تكلّمت يا ابن أبي سفيان فأبلغت ولم تقصر عمّا أردت وليس الأمر على ما ذكرت، أنّى يكون خليفة من ملك الناس قهراً ودانهم كبراً واستولى بأسباب الباطل كذباً ومكراً، أما والله! مالك في يوم بدر مضرب ولا مرمى، وما كنت فيه إلّا كما قال القائل «لا حلّي ولا سيري»، ولقد كنت وأبوك في العير والنفير ممّن أجلب على الرسول صلى الله عليه وآله، وإنّما أنت طليق ابن طليق أطلقكما الرسول صلى الله عليه وآله

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ٤: ٣٦٧، أما أشد الناس فحكم بن جبل، وأمّا أسخى الناس فعبدالله بن سوار وأمّا أطوع الناس فالجارود بشر بن العلاء.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ٥: ١١٥ (دار الكتب العلمية).

وأنّى تصلح الخلافة لطليق[1].

(وفيه) قال معاوية يوماً ـ وعنده صعصعة وكان قدم عليه بكتاب عليّ عليه السلام وعنده وجوه الناس ـ: الأرض لله وأنا خليفة الله، فما آخذ من مال الله فهو لي وما تركت منه كان جايزاً لي. فقال صعصعة:

تُمَنّيكَ نفسك ما لايكون جَهلاً معاوي لا تأثم

فقال معاوية: يا صعصعة! تعلمت الكلام. قال صعصعة: العلم بالتعلّم ومن لا يعلم يجهل. قال معاوية: ما أحوجك إلى أن أذيقك وبال أمرك. قال: ليس ذلك بيدك، ذاك بيد الذي لا يؤخّر نفساً إذا جاء أجلها. قال: ومن يحول بيني وبينك؟ قال: الذي يحول بين المرء وقلبه. قال معاوية: إتّسع بطنك للكلام كما اتّسع بطن البعير للشعير. قال صعصعة: إتّسع بطن من لا يشبع ودعا عليه من لا يجمع[2].

(وفيه) إن معاوية قال لابن عباس: ميّز لي أصحاب عليٍّ عليه السلام وابدأ بآل صوحان فإنّهم مخاريق الكلام. قال: أمّا صعصعة فعظيم الشأن عضب اللّسان قائد فرسان قاتل أقران، يرتق ما فتق ويفتق ما رتق قليل النظير[3].

ويكفيه أنّ مثل ابن عباس مع مقامه في الخطابة والأدب كان يسأله عن أمور كثيرة ويجيبه، فقال له: أنت يا ابن صوحان باقر علم العرب. ولمّا سأله عن السؤدد والمروة فأجابه وأنشده أبياتاً في ذلك من مرّة بن ذهل بن شيبان. قال ابن عباس: لو أنّ رجلاً ضرب آباط الإبل مشرقاً ومغرباً لفائدة هذه الأبيات ما عنّفته[4].

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٥٠.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٥٠.

(٣) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٤٦.

(٤) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٤٦.

هذا وفي (بيان الجاحظ) ذكر علي عليه السلام أكتل[١] فقال: «الصبيح الفصيح»[٢].

وفي (الاستيعاب): أكتل من شماخ؛ نسبه ابن الكلبي إلى عوف بن عبد مناة بن طابخة، وقال: كان علي عليه السلام إذا نظر إليه قال: من أحبَّ أن ينظر إلى الصبيح الفصيح فلينظر إلى أكتل بن شماخ[٣].

قال المصنف (يريد: الماهر بالخطبة الماضي فيها، وكل ماض في كلام أو سير فهو شحشح) قلت: أو في طيران فيقال قطاة شحشح أي سريع الطيران.

(والشحشح في غير هذا الموضع البخيل الممسك).

قلت: والفيروز آبادي ذكر للشحشح غير ما ذكر معاني أُخَرَ، فقال: الشحشح الفلاة الواسعة والسيِّء الخلق والشجاع والغيور، ومن الغربان: الكثير الصوت، ومن الأرض: ما لا تسيل إلّا من مطر كثير والتي تسيل من أدنى مطر ـ ضد، ومن الحمير: الخفيف، ومن القطا السريعة والطويل[٤].

## ٦٥
## من غريب كلامه رقم (٣)

وفي حديثه عليه السلام:

إنَّ للخُصُومَةِ قُحَماً.

أقول: قال ابن أبي الحديد: هذه الكلمة قالها عليه السلام حين وكّل عبدالله بن

---

(١) وهو أكتل بن شماخ بن زيد بن شداد المكلي، شهد الجسر مع أبي عبيدة، وأسر يومئذ وضرب عنقه، وشهد القادسية، الإصابة في تمييز الصحابة ١: ٤٨١.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ٢: ١٧٢.

(٣) الاستيعاب لابن عبد البرّ ١: ٤٣، الترجمة رقم (١٥٨).

(٤) القاموس المحيط للفيروز آبادي ١: ٢٣٠.

جعفر في الخصومة عنه[١].

وقال ابن ميثم: يروى أنّه عليه السلام وكّل أخاه في خصومة وقال: إن لها تَقَحُّماً وإنّ الشيطان يحضرها[٢].

وفي (المستجاد) دخل عمارة بن حمزة على المنصور فقعد في مجلسه، فقام رجل فقال للمنصور: مظلوم. قال: من ظلمك. قال عمارة: غصبني ضيعتي. فقال المنصور: قم يا عمارة فاقعد مع خصمك. فقال: ما هو لي بخصم. قال: وكيف ذلك؟ قال: ان كانت الضيعة له فلست أُنازعه وان كانت لي فهي له، ولا أقوم من مجلس قد شرّفني به الخليفة أمير المؤمنين وأقعد في أدنى منه بسبب ضيعة[٣].

قال المصنف: (يريد بالقحم المهالك لأنّها تقحم أصحابها في المهالك والمتالف في الأكثر) في (النهاية): اقتحم الأمر العظيم وتَقَحَّمه؛ إذا رَمى نفسه فيه من غير رويّة، والقحمة الورطة والهلكه، ومنه حديث علي عليه السلام «ان للخصومة قحماً»[٤].

«ومن ذلك قحمة الاعراب وهو ان تصيبهم السنة» أي: سنة القحط.

«فتتعرق أموالهم» هكذا في (الطبعة المصرية)[٥] والصواب ما في ابن أبي الحديد[٦] وابن ميثم[٧] (فتتقرف أموالهم).

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩: ١٠٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥: ٣٧٢.

(٣) المستجاد للتنوخي: ١٩٣ ـ ١٩٤.

(٤) النهاية لابن الأثير ١: ١٨.

(٥) النسخة المصرية: ٧١٥ شرح محمّد عبده.

(٦) في شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٠٧ بلفظ «فتتفرق».

(٧) نسخة ابن ميثم المنقحة مطابقة للنسخة المصرية ٥: ٣٧٢.

«فذلك تقحمها» أي: تقحّم السنة.

«فيهم» أي: في الاعراب.

«وقيل فيه» أي: في قول قحمة الاعراب.

«وجه آخر وهو أنّها تقحمهم» أي: تدخلهم.

«بلاد الريف» أي: الخصب.

«أي تحوجهم إلى دخول الحضر عند محول البدو» أي: قحط البادية.

قلت: ويشهد لكونه هو الوجه قولهم: «أقحمت السنة نابغة بني جعدة» أي: أخرجته من البادية وأدخلته الحضر.

## ٦٦
## الحكمة (٢٩٨)

وقال عليه السلام:

مَنْ بَالَغَ فِي ٱلْخُصُومَةِ أَثِمَ، وَمَنْ قَصَّر فِيهَا ظَلَمَ ولا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ مَنْ خَاصَمَ.

أقول: قال ابن أبي الحديد هذا مثل قوله عليه السلام في موضع آخر: «الغالب بالشرّ مغلوب»[١] وكان يقال: ما تسابّ اثنان إلّا غلب ألامهما[٢].

قلت: وأين ما ذكره ممّا قاله عليه السلام وإنّما كلامه هنا مثل قوله قبل: «إنّ للخصومة قحماً»، وكأنّ هذا تفصيل لإجمال ذاك، والمراد بالخصومات التي ترفع إلى القضاة لا التسابّ الخارجي ويصير الرجل في خصومات القضاة موهوناً اضافة إلى ما ذكره، ولذا كان بعض الشرفاء يتركون حقّهم مع كون ادعائهم حقّاً ويخسرون مع كون الادعاء باطلاً حتى يخلصوا من الخصومة.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩: ٢٠٤، وهو من الكلمات القصار.

(٢) المصدر نفسه.

# ٦٧
# الحكمة (٢٦٥)

وقال عليه السلام:

**إِنَّ كَلَامَ الحُكَمَاءِ إِذَا كان صَوَاباً كَانَ دَوَاءً وَإِذَا كَانَ خَطَأً كَانَ دَاءً.**

أي: إن صواب كلامهم دواءٌ لباقي الناس من أمراضهم الباطنية، كما أنّ خطأ كلامهم يولّد فيهم أمراضاً حادثة، فإنّ عامة الناس ينظرون إلى القائل وليسوا هم أهل التمييز.

ومثل قول الحكماء علم العلماء، فإنّه إذا كان مقروناً بالعمل يكون دواءً وإذا كان عارياً عنه كان داءً[1].

وفي (الكافي) قال عيسى عليه السلام للحواريين: بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبّر، وكذلك في السهل ينبت الزرع لا في الجبل[2]، وقالت الحواريون لعيسى عليه السلام: مَن نجالس؟ قال: من يذكّركم الله رؤيته ويزيدكم في علمكم منطقه، ويرغّبكم في الآخرة عمله[3].

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدّك عن طريق محبتي، فإنّ أولئك قطّاع طريق عبادي المريدين، إنّ أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم[4].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدّنيا باتّباع السلطان، فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم[5].

---

(١) ذكر ابن أبي الحديد في شرحه ١٩: ٢٠٤ ما يشابه ذلك.

(٢) الكافي للكليني ١: ٣٧ ح ٦.

(٣) الكافي للكليني ١: ٣٩ ح ٣ وهو عن أبي عبدالله عن الرسول صلى الله عليه وآله.

(٤) الكافي للكليني ١: ٤٦ ح ٤.

(٥) الكافي للكليني ١: ٤٦ ح ١.

وعن الصادق عليه السلام: إنّ العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلوب كما يزل المطر عن الصفا[١].

## ٦٨
## الحكمة (٢٩٦)

وقال عليه السلام لِرَجُلٍ يَسْعَى على عَدُوٍّ لَهُ بِما فيه إضرارٌ بِنَفسِه:
إِنَّمَا أَنْتَ كالطّاعِنِ نَفْسَهُ لِيَقْتُلَ رِدْفَهُ.

أقول: الظاهر أنّ الأصل في هذا الكلام ما رواه الطبري عن سيف باسناده: أنّ الناس كانوا في الوليد فرقتين: العامة معه والخاصة عليه، حتى كانت صفّين فولّى معاوية فجعلوا يقولون: عيب عثمان بالباطل، فقال لهم علي: إنكم وما تعيّرون به عثمان كالطّاعن نفسه ليقتل ردفه، وما ذنب عثمان في رجل قد ضربه بقوله وعزله عن عمله، وما ذنب عثمان فيما صنع عن أمرنا[٢].

والخبر كما ترى محرّف لا يفهم منه محصل، ثم جميع ما يرويه الطبري عن سيف أمور منكرة خلاف ما يرويه الخاصة والعامّة[٣]، ومنها هذا الخبر فإنّ ضرب عثمان الوليد بن عقبة أخاه الرضاعي لمّا شكا أهل الكوفة صلاته بهم سكران وصلاته بهم الصبح أربعاً وتغنّيه في الصّلاة إنّما كان بإجبار أمير المؤمنين عليه السلام له، وكيف يعقل أن يعيب أحد عثمان بضربه الحدَّ حتى ينكر عليه السلام ذلك، وإنّما عابوا عثمان بتوليته مثل الوليد وآبائه عن إجراء الحد عليه حتى أنّبه عليه السلام بتضييعه حد الله، وتصدّى عليه السلام لضربه رغماً لعثمان

---

(١) الكافي للكليني ١: ٤٤ ح ٣.

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٢: ٦١٢.

(٣) للسيد مرتضى العسكري بحث مطولة في هذا المضمار راجع كتابه «عبد الله بن سبأ».

بتفصيل ذكره المسعودي. ولعلّ العنوان كان كلامه عليه السلام في مقام آخر فأسلكه سيف في هذا كما هو دأبه، كما أنّ المصنّف إذا رأى كلمة بليغة منسوبة إليه عليه السلام ينقلها ولا يراعي السند.

وكيف كان؛ فمن شواهد العنوان ما في (جمل المفيد) أنّ ابن الزبير يوم الجمل تناول خطام جمل عائشة، فبرز إليه الأشتر فخلّى الخطام من يده وأقبل نحوه واصطرعا فسقطا إلى الأرض، فجعل ابن الزبير يقول ـ وقد أخذ الأشتر بعنقه ـ وينادي «أُقتلوني ومالكاً معي»، قال الأشتر فما سرّني إلّا قوله «مالك» ولو كان قال «الأشتر» لقتلوني، فوالله لقد تعجّبت من حمقه إذ ينادي بقتله وقتلي وما كان ينفعه المشؤوم إن قتلت وقتل هو معي، فأفرجت عنه وانهزم وبه ضربة مثخنة في جانب وجهه[1].

هذا، وفي (الأغاني) كان عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل من حمقى العرب، قيل له: إن لكلّ فرس جوادٍ اسماً، وإنّ فرسك هذا سابق جواد فسمّه، ففقأ أحدى عينيه وقال: سمّيته «الأعور».

(وفيه) كان أسد بن يزيد بن مزيد الشيباني شبيهاً بأبيه جدّاً بحيث لا يفصل بينهما إلّا المتأمل، وكان أكثر ما يباعد منه ضربة في وجه يزيد تأخذ من قصاص شعره ومنحرفة على جبهته، فكان أسد يتمنّى مثلها فَهَوتْ له ضربةٌ في حرب أبيه من قبل الرشيد للوليد بن طريف الخارجي فأصابت في ذلك الموضع، فيقال إنّه لو خطت على مثال ضربة أبيه ما عدا جاءت كأنّها هي[2].

---

(١) الجمل للمفيد: ١٨٧.

(٢) الأغاني للأصفهاني ١٢: ٩٥.

## ٦٩
## الحكمة (٣٠٥)

وقال عليه السلام:

**ما زَنَى غَيُورٌ قَطُّ.**

في الخبر: أخبر جبرئيل النبي صلى الله عليه وآله أنَّ جعفر بن أبي طالب كان له خصالٌ في الجاهلية شكرها الله تعالى له، ومنها عدم زناه لغيرته كعدم شربه لعزّته وعدم كذبه لشرفه[١].

هذا، وفي (الطبري) بنى الحجّاج واسطاً سنة (١٨٥)[٢] وكان سبب بنائه أنّه ضرب البعث على أهل الكوفة إلى خراسان، فعسكروا بحمام عمر وكان فتى من بني أسد حديث عهد بعرس بابنة عمٍّ له، فانصرف من العسكر إلى ابنة عمّه ليلاً فطرق الباب طارق ودقّه دقّاً شديداً، فإذا سكران من أهل الشام فقالت المرأة لزوجها: لقد لقينا من هذا الشامي شرّاً يفعل بنا كلّ ليلة ما ترى يريد المكروه وقد شكوته إلى مشيخة أصحابه فقال: إئذنوا له، ففعلوا؛ فأغلق الباب وأندر رأسه فلمّا اذن بالفجر خرج الرجل إلى العسكر وقال لامرأته إذا صليت الفجر بَعثتِ إلى الشاميّين أن أخرجوا صاحبكم فسيأتون بك الحجّاج فأصدقيه الخبر على وجهه، ففعلت ورفع القتيل إلى الحجّاج وأُدخلت المرأة عليه فأخبرته، فقال: صدقتني. ثم قال لولاة الشامي: أُدفنوا صاحبكم فإنه قتيل الله إلى النار لا قود له ولا عقل، ثم نادى مناديه: لا ينزلنّ أحد على أحد وأخرجوا، وبعث روّاداً يرتادون له منزلاً حتى نزل في موضع واسط[٣].

---

(١) أمالي الصدوق، المجلس ١٧: ٧٠، ونقله المؤلف في كتابه قاموس الرجال ٢: ٦٠٣.

(٢) وقع سهواً في العلّامة فالسنة التي بني فيها واسط هي (٨٣) للهجرة.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٣: ٦٤٩.

## ٧٠
## الحكمة (٣٠٦)

وقال عليه السلام:

**كَفَى بِالأَجَلِ حَارِساً.**

فالناس كما لا يملكون حياة لا يملكون موتاً:

أكان الجبان يرى أنّه ... يدافع عنه الفرارُ الأجل

فقد يدرك الحادثاتُ الجبانَ ... ويسلم منها الشجاع البطل[1]

وفي (الكافي) عن سعيد بن قيس الهمداني، نظرت يوماً في الحرب إلى رجل عليه ثوبان، فحركت فرسي فإذا هو أمير المؤمنين عليه السلام، فقلت: في مثل هذا الموضع؟ فقال: نعم يا سعيد بن قيس إنه ليس من عبد إلّا وله من الله حافظ وواقية معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل أو يقع في بئر، فإذا نزل القضاء خلّيا بينه وبين كلّ شيء[2].

وعن الصادق عليه السلام: كان قنبر يحبّ علياً عليه السلام حبّاً شديداً، فإذا خرج عليٌّ عليه السلام خرج على أثره بالسيف، فرآه ذات ليلة فقال: مالك يا قنبر؟ قال: جئت لأمشي خلفك. قال: ويحك أمن أهل السماء تحرسني أم من أهل الأرض؟ فقال: بل من أهل الأرض. قال: انّهم لا يستطيعون لي شيئاً إلّا بإذن الله من السماء. إرجع، فرجع[3].

---

(١) نسب المبرد البيتين في الكامل ٣: ١١٧٣ (طبع مصر) لمعاوية بن أبي سفيان.

(٢) الكافي للكليني ٢: ٥٩ ح ٨.

(٣) الكافي للكليني ٢: ٥٩ ح ١٠، نقله المجلسي في بحار الأنوار ٧٠: ١٥٨ رواية ١٥.

## ٧١
## الحكمة (٣٢٦)

وقال عليه السلام:

**العُمْرُ الَّذِي أَعْذَرَ اللهُ فِيهِ إِلَى ابنِ آدَمَ سِتُّونَ سَنَةً.**

في (الطبري) لمّا قتل الحسين عليه السلام ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة؛ رأت الشيعة أنّها قد أخطأت خطأً كبيراً بدعائهم الحسين عليه السلام إلى النصرة وتركهم إجابته ومقتله إلى جانبهم لم ينصروه، ورأوا أنّه لا يغسل عارهم والإثم عنهم في مقتله إلّا بقتل من قتله أو القتل فيه ففزعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رؤوس الشيعة: سليمان بن صرد الخزاعي ـ وكانت له صحبة ـ وإلى المسيب بن نجبة الفزاري ـ وكان من خيار أصحاب علي عليه السلام ـ وإلى عبدالله بن سعيد بن نفيل الأزدي وإلى عبدالله بن والي التيمي والى رفاعة بن شداد البجلي، فاجتمعوا في منزل سليمان فبدأ المسيّب فقال: قد ابتلينا بطول العمر والتعرّض لأنواع الفتن فنرغب إلى ربّنا أن لا يجعلنا ممّن يقول له غداً ﴿أَوَلَم نُعمّركم ما يَتذكر فيه من تَذَكّر وَجاءَكُم النذير﴾[1] وان أمير المؤمنين عليه السلام قال: العمر الّذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستّون سنة...[2].

وفي (تاريخ بغداد): نظر العباس بن الفضل بن الربيع في المرآة فنظر إلى شيبة في لحيته فقال:

أهلاً بواحدة للشيب وافدة ... تنعى الشباب وتنهانا عن الغزل
جاءت لتنذرنا ترحال لذّتنا ... عن الشباب وشيباً غير مرتحل

(١) فاطر: ٣٧.

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٤: ٤٢٦.

قد يعذر المرء مادامت شبيبته وليس يعذر معذور كمكتهل[١]

وفي (شعراء ابن قتيبة) قال الأُقيشر:

إذا المرء أوفى الأربعين ولم يكن له دون ما يأتي حياء ولا ستر

فدعه ولا تنفس عليه الذي أتى وإنْ جرَّ ارسان الحياة له الدهر[٢]

هذا، وروى (الخصال) عن الصادقعليه السلام قال: إنّ العبد لفي فسحة من أمره ما بينه وبين أربعين سنة، فإذا بلغه أوحى الله تعالى إلى ملائكته إنّي قد عمَّرت عبدي عمراً وقد طال، فغلّظا وشدّدا وتحفّظا واكتبا عليه قليل عمله وكثيره وصغيره وكبيره[٣].

وقال الباقرعليه السلام: إذا أتت على العبد أربعون سنة قيل له: خذ حذرك فانّك غير معذور، وليس ابن أربعين أحق بالعذر من ابن عشرين سنة، فإنّ الذي يطلبهما واحد وليس عنهما براقد، فاعمل لمّا أمامك من الهول ودع عنك فضول القول[٤].

وفي (بديع ابن المعتزّ): كان رجل من أهل الأدب له أصحاب يشرب معهم وينادمهم، فدعوه فلم يجبهم فقالوا: ما منعك؟ قال: دخلت البارحة في الأربعين وأنا أستحي من سنّي[٥].

وروى أيضاً عن الصادقعليه السلام في قوله تعالى ﴿أوَلَم نُعمركم ما يَتذكر فيه من تَذكر﴾[٦] إنّه توبيخ لابن ثماني عشرة سنة[٧].

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٢: ١٣٤ في ترجمة العباس بن الطفيل.

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ١٣٤.

(٣) الخصال للصدوق ٢: ٥٤٥ ح ٢٤.

(٤) بحار الأنوار للمجلسي ٧٣: ٣٨٩ رواية ٧.

(٥) البديع لابن المعتز: ١٥.

(٦) فاطر: ٣٧.

(٧) بحار الأنوار للمجلسي ٨: ٢٥٧.

هذا وفي (كتاب سيبويه) عن الخليل سمع أعرابياً يقول: إذا بلغ الرجل الستين فإيّاه وإيا الشّواب ـ بالجر[1].

## ٧٢
## الحكمة (٣٢٩)

وقال عليه السلام:

الإستِغْنَاءُ عَنِ العُذْرِ أَعَزُّ مِنَ الصِّدْقِ بِهِ.

أقول: «أعزّ» هنا من عزَّ الشيء إذا قلّ ولا يكاد يوجد فهو عزيز، وحينئذ فالمراد أن الصدق في العذر وان كان عزيزاً قليل الوجود فقالوا: «المعاذير يشوبها الكَذِبُ» إلّا أنّ جعل عمله بحيث لا يحتاج إلى عذر أعزّ وأقلُّ وجوداً من العذر الصادق، ولو تيسّر للإنسان جعل عمله كذلك كان ممدوحاً ومع العذر الصادق غير مذموم.

وقال ابن أبي الحديد: المعنى؛ لا تفعل شيئاً تعتذر منه أعزُّ لك من أن تفعل ثم تعتذر وإن كنت صادقاً. وهو كما ترى، فإنّه عليه السلام قال: الإستغناء أعزّ في نفسه لا أعزّ لك[2].

## ٧٣
## الحكمة (٣٣١)

وقال عليه السلام:

إنّ الله سبحانه جَعَلَ الطَّاعَةَ غَنِيمَةَ الأَكْيَاسِ عِنْدَ تَفْرِيطِ العَجَزَةِ.

قال تعالى: ﴿والّذين يؤتُون ما آتوا وقُلوبهم وَجِلةٌ أنّهم إلى ربِّهم

---

(١) أبي بشير كتاب سيبويه ١: ٢٧٩.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٤١.

راجعُون* أُولئكَ يُسارعونَ في ٱلخَيراتِ وَهُم لها سابِقُون﴾[١] ﴿...فاستبقوا الخيرات إلى ٱلله مرجِعُكم جميعاً فيُنبِّئكم بما كُنتم فيه تختلفونَ﴾[٢] ﴿سابقوا إلى مَغفِرةٍ مِن ربّكُم وجنّةٍ عرضها كعرض السَماءِ والأرضِ﴾[٣] ﴿وأقبَل بعضُهم على بعضٍ يتساءَلُون* قالوا إنّا كُنّا قبل في أَهلنا مُشفقينَ * فَمنَّ ٱلله علينا وَوَقانا عذابَ ٱلسَّموم* إنّا كُنّا من قبلُ ندعوهُ إنّه هو ٱلبرُّ ٱلرّحيم﴾[٤] ﴿أَن تَقُولَ نَفسٌ يا حَسرتى على ما فَرَّطتُ في جَنبِ ٱلله وإن كُنتُ لَمِنَ ٱلساخِرينَ﴾[٥].

## ٧٤
## الحكمة (٣٣٧)

وقال عليه السلام:

الدَّاعِي بِلَا عَمَلٍ كالرَّامِي بِلَا وَتَرٍ.

أقول: هو من حديث الاربعمائة، والوتر بالتحريك واحد أوتار القوس.

في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلوب كما يزل المطر عن الصفا[٦].

وعنه عليه السلام: العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلّا ارتحل عنه[٧].

---

(١) المؤمنون: ٦٠ ـ ٦١.

(٢) المائدة: ٤٨.

(٣) الحديد: ٢١.

(٤) الطور: ٢٥ ـ ٢٨.

(٥) الزمر: ٥٦.

(٦) الكافي للكليني ١: ٤٤ ح ٣.

(٧) بحار الأنوار للمجلسي ٢: ٣٣.

## ٧٥
## الحكمة (٣٤٥)

وقال عليه السلام:

مِنَ العِصْمَةِ تَعَذُّرُ المَعَاصِي.

أقول: قال ابن أبي الحديد هذه الكلمة على صيغ مختلفة «من العصمة أن لا تقدر» «من العصمة ألّا تجد»[1].

وليس المراد بالعصمة العصمة التي يذكرها المتكلّمون.

قلت: الظاهر أنّ المراد أنّ عدم تيسُّر أسباب المعصية للإنسان قسم من عصمة الله تعالى له.

## ٧٦
## الحكمة (٣٤٩)

وقال عليه السلام:

مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ اشتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ، وَمَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللّهِ لَمْ يَحزَنْ عَلَى مَا فَاتَهُ، وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ البَغْيِ قُتِلَ، وَمَنْ كَابَدَ الأُمُور عَطِبَ، ومَنِ اقتَحَمَ اللُّجَجَ غَرِقَ، وَمَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ اتُّهِمَ، وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ خَطَاؤُهُ، وَمَنْ كَثُرَ خَطَاؤُهُ قلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ ماتَ قَلْبُهُ، وَمَنْ مَاتَ قَلبُهُ دَخَلَ النَّارَ، وَمَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ النّاسِ فَأَنْكَرَهَا ثُمّ رَضِيَها لِنَفْسِهِ فَذلِكَ الأَحْمَقُ بِعَيْنِهِ، وَالقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ المَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بالْيَسِيرِ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُه إلّا فِي مَا يعنيه.

«من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره» ومن اشتغل بعيب غيره

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٦٠.

لابدّ أنّه نسي عُيوب نفسه.

**«ومن رضي برزق الله لم يحزن على ما فاته»** لأنّه يعلم أنّ ما فاته لم يكن رزقه فلم هو يحزن.

**«ومن سل سيف البغي قتل به»** قتل أبو مسلم أبا سلمة غيلة وقتل ستمائة ألف صبراً، فقتل غيلة وصبراً فقال له المنصور وقت قتله:

زعمت أن الدَّيْنَ لا ينقضي — فاستوفِ بالكيل أبا مجرم
إشرب بكأسٍ كنت تَسقي بها — أمرّ في الحلق من العلقم[1]

وفي (المروج): سخط المتوكل على محمد بن عبد الملك الزيّات بعد خلافته بأشهر وقبض أمواله وجميع ما كان له ـ وقد كان ابن الزيّات في أيام وزارته للمعتصم والواثق اتّخذ للمصادرين والمغضوب عليهم تنوراً من الحديد رؤوس مساميره إلى داخل، قائمة مثل رؤوس المسال ـ أي الابر العظام ـ فكان يعذّبهم فيه، فأمر المتوكل بإدخاله في ذلك التنُّور، فكتب إلى المتوكل:

هي السبيل فمن يوم إلى يوم — كأنّه ما تُريك العينُ في النوم
لا تجزعَنَّ رويداً إنّها دُوَل — دنياً تَنَقَّلُ من قومٍ إلى قوم

ووصلت الرقعة إليه في غد، فأمر بإخراجه فوجده ميتاً ـ وكان حبسه في التنور أربعين يوماً[2].

وفي (تفسير القمي): بعث بختنصّر إلى دانيال ـ وكان ألقاه في بئر بابل وألقى معه لبوة، فكانت اللبوة تأكل طين البئر ويشرب دانيال لبنها، وكان أُرِيَ في منامه كأنّ رأسه من حديد ورجلاه من نحاس وصدره من ذهب، فدعا

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٣٠٤.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٤: ٨٨.

المنجّمين فقال لهم: ما رأيت؟ قالوا ما ندري لكن قص علينا ما رأيت. فقال: وأنا أُجري عليكم الأرزاق منذ كذا ولا تدرون ما رأيت في المنام، فأمر بهم فقتلوا، فقال له بعض من كان عنده: ان كان عند أحد شيء فعند صاحب الجبّ، فان اللّبوة لم تتعرّض له تأكل الطين وترضعه، فبعث إليه فقال: ما رأيت في النوم؟ قال: رأيت كأن رأسك من حديد ورجلك من نحاس وصدرك من ذهب، قال: هكذا رأيت فماذاك؟ قال: ذهب ملكك وأنت مقتول إلى ثلاثة أيام يقتلك رجل من ولد فارس. فقال: إنّ عليَّ سبع مدائن على باب كل مدينة حرس، ووضعت بطة من نحاس على باب كلّ مدينة لا يدخل غريب إلّا صاحت عليه حتى يؤخذ. فقال: إنَّ الأمر كما قلت لك. فبث الخيل وقال لا تلقون أحداً من الخلق إلّا قتلتموه كائناً من كان. وقال لدانيال: لا تفارقني هذه الثلاثة فإن مضت وأنا سالم قتلتك، فلمّا كان الثالث ممسياً أخذه الغمُّ، فخرج فتلقّاه غلام كان يخدم ابناً له من أهل فارس وهو لا يعلم أنّه من أهل فارس، فدفع إليه سيفه وقال: لا تلق احداً من الخلق إلّا قتلته وإن لقيتني فاقتلني، فأخذ الغلام سيفه فضربه به فقتله[1].

وفي (المروج) قال البحتري: إجتمعنا ذات يوم مع الندماء في مجلس المتوكل، فتذاكرنا أمر السيوف فقال بعض من حضر: بلغني أنّه وقع عند رجل من أهل البصرة سيف من الهند ليس له نظير، فأمر المتوكل بالكتاب إلى عامل البصرة بشرائه بما بلغ، فورد الجواب أنّ السيف اشتراه رجل من اليمن، فأمر المتوكل بالبعث إلى اليمن يطلب السيف وابتياعه فنفذت الكتب بذلك. قال البحتري: فبينا نحن عند المتوكل إذ دخل عليه عبيدالله والسيف معه وعرّفه أنّه ابتيع من صاحبه باليمن بعشرة آلاف درهم، فسرّه بوجوده

(١) تفسير القمي ١: ٨٩ ـ ٩٠.

وانتضاه فاستحسنه وتكلّم كلّ واحد منّا بما يجب وجعله تحت ثني فراشه، فلمّا كان من الغداة قال للفتح: أُطلب لي غلاماً تثق بنجدته وشجاعته أدفع إليه هذا السيف ليكون واقفاً به على رأسي لا يفارقني كلّ يوم مادمت جالساً، فلم يستتم الكلام حتى أقبل باغر التركي فقال له الفتح: هذا باغر التركي وصف لي بالشجاعة والبسالة وهو يصلح لمّا أردت. فدعا به المتوكل ودفع إليه السيف وأمره بما أراد وتقدم ان يزاد في مرتبته وأن يضعف له الرزق.

قال البحتري: فوالله ما انتضى ذلك السيف ولا خرج من غمده من الوقت الذي دفع إليه إلّا في الليلة التي ضربه بذلك السيف - إلى أن قال - فسمعت صيحة المتوكل وقد ضربه باغر بالسيف الذي كان قد دفعه إليه على جانبه الأيمن فقده إلى خاصرته، ثم ثنّاه على جانبه الأيسر ففعل مثل ذلك[1].

وفي (المناقب): قال الحسين عليه السلام يوم الطف: اللّهم سلّط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبَّرة لايدع منهم أحداً إلّا قتله قتلة بقتلة وضربة بضربة ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم[2].

وفي (الطبري) - في وفاة المنتصر وهو ابن خمس وعشرين سنة - قال بعضهم: كان المنتصر وجد حرارة فدعا بعض من كان يتطبَّب له وأمره بفصده ففصده بمبضع مسموم فكان فيه منيته، والطبيب الذي فصده انصرف إلى منزله - وقد وجد حرارة - فدعا تلميذاً له فأمره بفصده ووضع مباضعه بين يديه ليتخير أجودها وفيها المبضع المسموم الذي فصد به المنتصر وقد نسيه، فلم يجد التلميذ فيها أجود من المبضع المسموم ففصد به أُستاذه وهو لا يعلم أمره فلمّا فصده به نظر إليه صاحبه فعلم أنّه هالك

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٤: ١١٩ بتصرف في النقل.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ٤٥: ١٠ رواية ٣٧.

فأوصى من ساعته وهلك من يومه[١].

وفي (الطبري): كان نجاح بن سلمة على ديوان توقيع المتوكّل وتتبع عماله، فكان العمال يتّقونه وربّما نادمه المتوكّل، وكان الحسن بن مخلد على ديوان الضياع وموسى بن عبد الملك على ديوان الخراج ـ وكانا منقطعين إلى وزير المتوكل عبيدالله بن يحيى بن خاقان ـ فكتب نجاح إلى المتوكل: ان الحسن وموسى خانا وانه يستخرج منهما أربعين ألف ألف درهم، فشاربه المتوكل تلك العشية وقال: بكّر الي حتى أدفعها إليك، فغدا وقد رتب اصحابه وقال يا فلان خذ أنت الحسن وخذ يا فلان أنت موسى، فغدا إلى المتوكل فلقي عبيدالله الوزير وقد أمر أن يحجب عن المتوكل، فقال له: يا أبا الفضل! إنصرف حتى ننظر في هذا الأمر وأنا أشير عليك بأمر لك فيه صلاح. قال: وما هو؟ قال: اصلح بينك وبينهما وتكتب رقعة تذكر فيها أنّك كنت شارباً وأنّك تكلّمت بأشياء تحتاج إلى معاودة النظر فيها وأنا أصلح الأمر عند المتوكل، فلم يزل يخدعه حتى كتب رقعة بما أمره به، فأدخلها عبيدالله على المتوكل وقال له: قد رجع نجاح عمّا قال البارحة وهذه رقعة موسى والحسن يتقبّلان بنجاح بما كتبا فتأخذ ما ضمنا عنه ثم تعطف عليهما فتأخذ منهما قريباً ممّا ضمن نجاح لك عنهما.

فسرّ المتوكل وطمع في ما قال له عبيدالله، فقال إدفعه إليهما فانصرفا به وامرا بأخذ قلنسوته عن رأسه ـ وكانت خزاً ـ فوجد البرد ووجّها إلى ابنيه أبيالفرج فأُخذ وأبيمحمد فهرب وأُخذ كاتبه إسحاق القطربلي واخذ ابن البواب المنقطع إليه فأقر نجاح وابنه لهما بنحو من مائة وأربعين ألف دينار سوى قيمة قصورهما وفرشهما ومستغلاتهما بسامراء وبغداد، وسوى

(١) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٧: ٤١٤.

ضياع لهما كثيرة، فقبض ذلك كلّه وضرب مراراً بالمقارع نحواً من مائتي مقرعة وغمز وخنق، وقيل عصر خصيتاه حتى مات وضرب ابنه وكاتبه والمنقطع إليه نحواً من خمسين خمسين فأقرّ بعضهم بخمسين ألف دينار وبعضهم بأقل، وأخذ جميع ما في دار نجاح ودار ابنه، وقبضت دورهما وضياعهما حيث كانت وأخرجت عيالهما وأخذ بسببه قوم فحبسوا[١].

هذا، وفي (نوادر حد الكافي) عن الصادق عليه السلام في خبر أخذ محرم ثعلباً فجعل يقرب النار في وجهه وجعل الثعلب يصيح ويحدث من أسته وجعل أصحابه ينهونه عمّا يصنع ثم أرسله بعد ذلك، فبينما الرجل نائم إذ جاءته حية فدخلت في فيه فلم تدعه حتى جعل يحدث كما أحدث الثعلب ثم خلّت عنه[٢].

**«ومن كابد الأمور»** أي: قاسى شدائدها.

**«عطب»** ـ بالكسر ـ أي: هلك.

**«ومن اقتحم اللجج غرق»** قال الجوهري: قحم في الأمر؛ رمى بنفسه فيه من غير رويّة، واقتحم النهر؛ دخله[٣].

**«ومن دخل مداخل السوء اتُّهم»** وفي الخبر: إتّقوا مواضع التُّهم[٤]. وفي (١٥٩) «من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومنّ إلّا من أساء به الظن»[٥].

**«ومن كثر كلامه كثر خطاؤه»** قهراً.

**«ومن كثر خطاؤه قلَّ حياؤه»** اضطراراً.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٧: ٢٨٤.

(٢) الكافي للكليني ٤: ٣٩٧ ح ٦ كذلك وسائل الشيعة ٥: ٨٤ من حديث زيد الشحام.

(٣) الصحاح للجوهري ٥: ٢٠٠٦ مادة (قحم).

(٤) نظيره في البحار ٧٥: ٩٠ عن أمير المؤمنين عليه السلام.

(٥) بلفظ «وقف نفسه» بحار الأنوار للمجلسي ٧٠: ٦٠.

**«ومن قلَّ حياؤه قلَّ ورعه»** أيضاً قهراً.

**«ومن قل ورعه مات قلبه»** قال تعالى: ﴿وما أنتَ بِمُسمعٍ من في القُبُورِ﴾[1].

**«ومن مات قلبه دخل النار»** كلامه عليه السلام من قوله «ومن كثر كلامه» إلى هنا جزء خطبة الوسيلة المروية في تحف العقول[2]، كما انه قياس مركب منتج أنَّ من كثر كلامه دخل النار.

**«ومن نظر في عيوب الناس فأنكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الأحمق بعينه»** وأغلب الناس كذلك، فعاب عبد الملك بن مروان يزيد بن معاوية بهدم الكعبة وفعل هو مثل فعله وأكثر، ووصف المنصور عبد الملك بكونه جباراً لغدره بالناس وقتله لهم وسمّى نفسه خليفة مع أنّه فعل مثل فعله[3].

**«والقناعه مال لا ينفد»** ذكره المصنف مستقلاً في(٥٧) وفي (٤٧٥) لكنّه إنّما في (ابن أبي الحديد)[4] واما (ابن ميثم)[5] فليس فيه، وصرّح بأن فقرات العنوان أربع عشرة.

**«ومن أكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير»** فإنّ الحرص على الدنيا إنّما لطول الأمل ونسيان الموت.

**«ومن علم ان كلامه من عمله»** لأنّه تعالى يقول: ﴿ما يَلفظُ من قولٍ إلّا

---

(١) فاطر: ٢٢.

(٢) تحف العقول للحراني: ٦١.

(٣) ذكر ابن الأثير في الكامل ٤: ٣٥٠، وكان عبد الملك ينكر ذلك أيّام يزيد من معاوية ثم أمر به فكان الناس يقولون خذل في دينه.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩: ٢٦٤ رقم (٣٥٥) النصان متصلان.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥: ٤١٢ ذكرهما مستقلين، خلافاً لمّا ذكره العلّامة التستري.

لديه رقيبٌ عتيد﴾[١].

«قلَّ كلامه إلّا فيما يعنيه» في الخبر: مرَّ أمير المؤمنين عليه السلام برجل يتكلّم بفضول الكلام، فوقف عليه وقال له: يا هذا! إنّك تملي على حافظيك كتاباً إلى ربّك فتكلّم بما يعنيك[٢].

وروي أيضاً: أنَّ آدم لمّا كثر ولده وولد ولده كانوا يتحدّثون عنده وهو ساكت، فقالوا: يا أبه! مالك لا تتكلّم؟ فقال: يا بَنِيَّ! إنّ الله تعالى لمّا أخرجني من جواره عهد إليّ: أقِلَّ كلامك ترجع الى جواري[٣].

وفي (تاريخ بغداد): سفيان الثوري عن ام صالح عن صفية بنت شيبة عن ام حبيبة عن النبي صلى الله عليه وآله قال: كلّ كلام ابن آدم عليه إلّا أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر أو الصلح بين الناس. فقيل: ما أعجب هذا الحديث! إمرأة عن امرأة عن النبي صلى الله عليه وآله . فقال: ما تعجب وهو في كتاب الله تعالى، قال عزّ اسمه ﴿لا خيرَ في كثيرٍ من نجواهُم إلّا من أمر بصَدَقةٍ أو معرُوفٍ أو إصلاحٍ بين ٱلنّاس﴾[٤] ﴿والعصر* إنّ ٱلإنسانَ لَفي خسر* إلّا الّذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ وتواصوا بالحقّ وتواصوا بالصَّبر﴾[٥].

وفي (البيان) قال رجل: صحبت الربيع بن خيثم سنتين فما كلّمني إلّا كلمتين، قال لي مرة «أُمك حَيَّةٌ» وأُخرى «كم في بني تميم من مسجد»[٦].

---

(١) ق: ١٨.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ٥: ٣٢٧ رواية ٢١ وقد ذكر النصّ: يا هذا انك تملي على كاتبيك كتاباً إلى ربك فتكلّم بما يعنيك ودع مالا يعنيك.

(٣) بحار الأنوار ١١: ١٨ رواية ٣١.

(٤) النساء: ١١٤.

(٥) تاريخ بغداد ١٢: ٣٢١، وذكره البخاري في التاريخ الكبير ١: ٢٦٢ والمغني للعراقي ١: ٧٠، والآيات ١ ـ ٣ من سورة العصر.

(٦) البيان والتبيين للجاحظ ٢: ١٤٦.

هذا، وكأنّه حصل خلط في الفقرات، والظاهر أن فقرة: «ومن نظر في عيوب الناس» كانت بعد الأولى وفقرة: «ومن أكثر من ذكر الموت» بعد «ومن رضي» وفقرة «ومن علم» بعد «دخل النار» كما لا يخفى.

## ٧٧
## الحكمة (٣٥٠)

وقال عليه السلام:

**لِلظَّالِمِ مِنَ الرِّجَالِ ثلاثُ عَلَامَاتٍ يَظْلِمُ مَنْ فَوْقَهُ بِالمَعْصِيَةِ وَمَنْ دُونَهُ بِالغَلَبَةِ، وَيُظَاهِرُ القَوْمَ الظَّلَمَةَ.**

أقول: وعن أبي جعفر عليه السلام: الظلم ثلاثة: ظلم لا يغفر وهو الشرك، وظلم يغفر وهو ظلم الرجل نفسه في ما بينه وبين الله تعالى، وظلم لايدعه وهو المداينة بين العباد[1].

«ويظاهر القوم الظلمه» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام من أعان ظالماً بظلم سلّط الله عليه من يظلمه[2].

وعنه عليه السلام: العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم. ورواه الخصال عن أمير المؤمنين عليه السلام[3].

---

(١) أخرجه الكليني في حديث كعب بن طريف بلفظ مشابه الكافي ٢: ٣٣١ ح١ ويبدو ان زيادة وتقيصة حصلت عند نقل الحديث والله أعلم والحديث هو: الظلم ثلاثة، ظلم يغفره الله وظلم لا يغفره الله، وظلم لا يدعه الله، فأما الظلم الّذي لا يغفره فالشرك وأما الظلم الّذي يغفره فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله، وأما الظلم الذي لا يدعه فالمداينه بين العباد.

(٢) الحديث كما ورد في الكافي ٢: ٢٣٢ عن عبد الأعلى مولى ال سام عن أبي عبدالله عليه السلام: من ظلم سلط الله عليه من يظلمه أو على عقب عقبه.

(٣) الكافي للكليني ٢: ٣٣٣ ح ١٦ وأيضاً بحار الأنوار للمجلسي ٩٢: ١٧٢ ورواه الصدوق في الخصال ١: ١٠٧ ح ٧٢ مع تبديل (والمعين يه) بـ(والمعين عليه).

# ٧٨
## الحكمة (٣٥٢)

وقال عليه السلام لبعض أصحابه:

**لا تَجْعَلَنَّ أَكْثَرَ شُغُلِكَ بِأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ، فَإِنْ يَكُنْ أَهْلُكَ وَوَلَدُكَ أَوْلِيَاءَ اللهِ فَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَولياءَهُ، وَإِن يَكُونُوا أَعْدَاءَ اللهِ فَمَا هَمُّكَ وَشُغْلُكَ بِأَعْدَاءِ اللهِ.**

﴿ومن يتَّق ٱلله يَجعَل له مخرَجاً * ويَرزقْهُ من حَيث لا يَحتسب﴾[١] ﴿ألا إنَّ أولياء ٱلله لا خوفٌ عليهم ولا هُم يَحزَنون* ٱلَّذِينَ آمنوا وكانوا يتّقون * لهم البشرى في ٱلحياة ٱلدُّنيا وفي ٱلآخرة لا تبديل لكلمات ٱلله ذلكَ هو الفوز ٱلعظيم﴾[٢].

«وإن يكونوا أعداء الله فما همّك وشغلك بأعداء الله» ﴿ويومَ يحشر أعداءُ ٱلله إلى ٱلنار فهُم يوزَعُون* حتى إذا ما جاءوها شَهد عليهم سَمعهُم وأبصارُهم وجلودهم بما كانوا يَعملون﴾[٣] الآيات ﴿ذلك جَزاءُ أعداء ٱلله ٱلنارُ لهُم فيها دارُ ٱلخُلدِ جَزاءً بما كانُوا بآياتنا يجْحدون﴾[٤].

وروى (الروضة) أنَّ مولىً لأمير المؤمنين عليه السلام سأله مالاً فقال عليه السلام يخرج عطائي فأقاسمكه، فقال: لا أكتفي وخرج إلى معاوية فوصله فكتب عليه السلام إليه: أمّا بعد، فإنّ ما في يدك من المال قد كان له أهل قبلك وهو صائر إلى أهل بعدك، وانما لك منه ما مهدت لنفسك، فآثر نفسك على صلاح ولدك، فإنّما أنت صانع لأحد الرجلين إمّا رجل عمل فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت، وإمّا رجل

---

(١) الطلاق: ٢ ـ ٣.

(٢) يونس: ٦٢ ـ ٦٤.

(٣) فصلت: ١٩ ـ ٢٠.

(٤) فصلت: ٢٨.

عمل فيه بمعصية الله فشقي بما جمعت له، وليس من هذين أحد بأهل أن تؤثره على نفسك، وارج لمن مضى رحمة الله ولمن بقي رزق الله[١].

وفي (البيان): باع عبدالله بن عتبة بن مسعود أرضاً بثمانين ألفاً، فقيل له: لو اتخذت من هذا المال لولدك ذخراً. فقال: إنّما أجعل هذا المال ذخراً لي عند الله تعالى وأجعل الله تعالى ذخراً لولدي[٢].

## ٧٩
## الحكمة (٣٥٣)

وقال عليه السلام:

أَكْبَرُ العَيْبِ أَنْ تَعِيبَ ما فِيكَ مِثْلُهُ.

أقول: هو نظير قوله عليه السلام المتقدم في (٧٦) «من نظر في عيوب الناس فأنكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الأحمق بعينه».

وفي (كامل المبرد) كان أبو الهندي قد غلب عليه الشراب على كرم منصبه وشرف اسرته حتى كاد يبطله وكان عجيب الجواب، جلس إليه رجل مرة يعرف ببرزين المناقير ـ وكان أبوه صلب في خرابة ـ والخرابة عندهم سرق الابل خاصة ـ فأقبل يعرض لأبي الهندي بالشراب، فلمّا أكثر عليه قال له أبو الهندي: أحدهم يرى القذاة في عين أخيه ولا يرى الجذع في أُست أبيه[٣].

وقال أبو البحتري العنبري:

يمنعني من عيب غيري الذي ... اعرفه عندي من العيب
عيبي لهم بالظن منّي لهم ... ولست من عيبي في ريب

---

(١) الروضة من الكافي للكليني: ٧٢ ح٢٨.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ٣: ١٤٦.

(٣) الكامل في الأدب للمبرد ٢: ٧٥٤ (الطبعة المصرية).

إن كان عيبي غاب عنهم فقد أحصى ذنوبي عالم الغيب

عيبي الأول في البيت الثاني مصدر والثاني في الثالث اسم مصدر كالعيب في كلامه عليه السلام.

## ٨٠
## الحكمة (٣٥٥)

وَبَنَى رَجُلٌ مِنْ عُمّالِهِ بناءً فَخْماً فَقَالَ عليه السلام:

أَطْلَعَتِ الوَرِقُ رُؤُوسَهَا إِنَّ البِنَاءَ يَصِفُ لَكَ الغِنَى.

هكذا في (الطبعة المصرية)[١] والصواب: (ليصف) كما في ابن أبي الحديد[٢] وابن ميثم[٣] والنسخة الخطية[٤]. «لك الغنى» كما أنّه يصف الباني.

في (الطبري) خط خالد بن برمك مدينة المنصور له وأشار بها عليه، فلمّا احتاج إلى الأنقاض قال له: ما ترى في نقض بناء مدينة إيوان كسرى بالمدائن وحمل نقضه إلى مدينتي هذه؟ قال: لا أرى ذلك. قال: ولِمَ؟ قال: لأنّه علم من أعلام الإسلام يستدل بها الناظر إليه على أنّه لم يكن ليزال مثل أصحابه عنه بأمر دنيا وانّما هو أمر دين، ومع هذا فان فيه مصلّى لعلي بن أبي طالب عليه السلام. قال: هيهات يا خالد! أبيت إلّا الميل إلى أصحابك العجم، وأمر أن ينقض القصر الأبيض، فنقضت ناحية منه وحمل نقضه فنظر في مقدار ما يلزمهم للنقض والحمل فوجدوا ذلك أكثر من ثمن الجديد لو عمل، فرفع ذلك إلى المنصور فدعا بخالد وقال له: ما ترى؟ قال: كنت أرى قبل ان لا تفعل، فأما إذ فعلت فإنّي أرى الآن أن تهدم حتى تلحق بقواعده لئلّا يقال: إنّك قد عجزت

(١) النسخة المصرية ورد النصّ «يصف له الغنى» انظر: ٧٣٩ رقم (٣٥٤).

(٢) في نسخة ابن أبي الحديد المحققة ١٩: ٢٧١ أيضاً «يصف لك الغنى».

(٣) في نسخة ابن ميثم المحققة ٥: ٤١٦ ورد بلفظ يصف لك الغنى.

(٤) سقط النصّ في النسخة الخطية (المرعشي).

عن هدمه. فأعرض المنصور عن ذلك وأمر أن لا يهدم.

قال موسى بن داود المهندس: حدّثني المأمون بهذا الحديث وقال لي: إذا بنيت بناءً فاجعله ما يعجز عن هدمه ليبقى طلله ورسمه[1].

هذا، وفي (الجهشياري) حكيَّ أنّ جعفر البرمكي لمّا عزم على الانتقال إلى قصره المعروف بقصر جعفر جمع المنجّمين لاختيار وقت، فاختاروا له وقتاً من الليل، فخرج إليه والطرق خالية والناس ساكنون، فلمّا سار إلى سوق يحيى رأى رجلاً قائماً وهو يقول:

يدبّر[2] بالنُّجوم وليس يدري ... وربُّ النـجم يـفعلُ مـا يُـريدُ

فاستوحش وقال: ما أردت؟ قال: شيء جاء على لساني، فمضى وقد تنغّص عليه[3].

وفي الخبر: من جمع مالاً من حرام سلّط الله عليه الماء والطين[4].

## ٨١
## الحكمة (٣٥٨)

وقال عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ لِيَرَكُمُ اللهُ مِنَ النِّعْمَةِ وَجِلِينَ كَمَا يَرَاكُمْ مِنَ النِّقْمَةِ فَرِقِينَ، إِنَّهُ مَنْ وُسِّعَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَ ذَلِكَ اسْتِدْراجاً فقد أَمِنَ مَـخُوفاً، وَمَنْ ضُيِّقَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَ ذَلِكَ اخْتِبَاراً فَقَدْ ضَيَّعَ مَأْمُولاً.

أقول: رواه (التحف) وزاد قبله: «أيّها الناس! إنّ لِلّه في كلّ نعمة حقّاً، فمن

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٦: ٢٦٤.

(٢) نسخة التحقيق: تدبّر

(٣) الجهشياري: ٢١٧.

(٤) الحديث قال أبي عبدالله عليه السلام: من كسب مالاً من غير حلّه سلّط الله عليه البناء والماء والطين. الكافي للكليني ٦: ٥٣١ رقم ١٢١.

أدّاه زاده ومن قصّر عنه خاطر بزوال النعمة، فَلْيَرَكُمُ اللهُ...[١]».

وحينئذ فليكونوا وجلين من تقصيرهم في شكر النعمة كما ينبغي فيستحقوا سلبها واخذهم بعقوبة كفرانها.

«انه من وسع عليه في ذات يده فلم ير ذلك استدراجاً فقد أمن مخوفاً» جعل (التحف) هذا الكلام ... خبراً مستقلاً، وهو الوجه لأن التوسعة أعمّ من النعمة، وإذا كانت استدراجاً فهي نقمة، قال تعالى ﴿فَلمّا نَسُوا ما ذُكّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَيْهم أَبوابَ كُلِّ شيءٍ حَتّى إذا فَرحوا بما أُوتُوا أخذناهُم بَغْتَةً فإذا هُم مُبْلِسُون﴾[٢] ﴿والّذينَ كَذّبُوا بآياتنا سَنَسْتَدرِجُهم مِن حيثُ لا يَعلَمون* وأُملي لَهُم إنّ كَيدي متين﴾[٣] ﴿فَذَرني ومن يُكَذّب بهذا الحَديث سنَستَدرجُهم من حَيثُ لا يَعلَمُون* وأُملي لَهُم إنَ كَيدي مَتينٌ﴾[٤].

«ومن ضُيِّق عليه فلم ير ذلك اختباراً فقد ضيّع مأمولاً» بدل (التحف) قوله «فلم ير ذلك اختباراً» بقوله «فلم يظن ان ذلك حسن نظر من الله» وهو المناسب لقوله «فقد ضيّع مأمولاً»، فإنّما المأمول حسن نظره تعالى لعبده لا اختباره له، ولعلّ اختباره سبب ضلاله.

وأما كون التضييق حسن نظر منه تعالى لعبده ففي ما ناجى موسى - كما روى (الكافي) - يا موسى! إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل: مرحباً بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغِنى مقبلاً فقل ذنب عُجِّلَتْ عقوبته[٥].

وعن الصادق عليه السلام: إن الله تعالى ليعتذر إلى عبده المؤمن المحوج في

---

(١) تحف العقول: ١٤٢.

(٢) الأنعام: ٤٤.

(٣) الأعراف: ١٨٢ - ١٨٣.

(٤) القلم: ٤٤ - ٤٥.

(٥) الكافي للكليني ٢: ٢٦٣ ح ١٢.

الدّنيا كما يعتذر الأخ إلى أخيه، فيقول: وعزتي وجلالي ما أحوجتك في الدّنيا من هوان كان بك عليّ فارفع هذا السجف فانظر إلى ما عوّضتك من الدنيا، فيرفع فيقول ما ضرّني ما منعتني مع ما عوّضتني[١].

وفي خبر آخر: فمن زود أحدكم في دار الدّنيا معروفاً فخذوا بيده وادخلوه الجنة، ولكلّ عبد منكم مثل ما أعطيت أهل الدّنيا منذ كانت إلى أن انقضت سبعون ضعفاً[٢].

وعنه عليه السلام: إنّ فقراء المؤمنين[٣] يتقلّبون في رياض الجنّة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً، ومثل ذلك كسفينتين مُرَّ بهما على عاشر فنظر في إحداهما فلم ير شيئاً فقال: أسربوها، ونظر في الأُخرى فإذا هي موقرة فقال: إحبسوها[٤].

وعنه عليه السلام: لولا إلحاح هذه الشيعة على الله في طلب الرزق لنقلهم من الحال التي هم فيها إلى ما هو أضيق[٥].

## ٨٢
## الحكمة (٣٦٥)

وقال عليه السلام:

**الفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ، وَالاعتِبَارُ مُنْذِرٌ نَاصِحٌ، وَكَفى أَدَباً لِنَفْسِكَ تَجَنُّبُكَ ما كَرِهْتَهُ لِغَيْرِكَ.**

أقول: كرّر المصنف الفقرة الأُخيرة مستقلة في (٤١٢) سهواً بلفظ

(١) الكافي للكليني ٢: ٢٦٤ ح ١٨.

(٢) الكافي للكليني ٢: ٢٦١ (٩)، بحار الأنوار ٧: ٢٠٠.

(٣) في بعض النسخ «المسلمين».

(٤) الكافي للكليني ٢: ٢٦٠ ح ١.

(٥) الكافي للكليني ٢: ٢٦٤ ح١٦.

«كفاك أدباً لنفسك اجتنابك ما تكرهه لغيرك».

«الفكر مرآة صافية» في (الكافي) سئل الصادق عليه السلام عمّا يروى أنّ تفكّر ساعة خير من قيام ليلة كيف يتفكّر؟ قال: يمرُّ بالخربة أو الدار فيقول: أين ساكنوك؟ أين بانوك؟ مالكِ لا تتكلّمين[1]؟

«والاعتبار منذر ناصح» ﴿أَلم تَر أن ٱلله يُزجي سَحاباً ثم يُؤلّفُ بَيْنَهُ ثُم يَجْعَلُه رُكاماً فتَرى ٱلودقَ يَخرُجُ مِن خلاله ويُنَزِّلُ من ٱلسّماء من جبال فيها من بردٍ فيُصيبُ به مَن يَشاءُ ويصْرفهُ عمّنَ يَشاء يَكادُ سَنا برقهِ يذهبُ بالأَبْصارِ * يُقَلِّبُ ٱلله ٱلليلَ وٱلنهارَ إن في ذلكَ لَعِبرةً لأُولي الأبصار﴾[2].

«وكفى أدباً لنفسك تجنُّبك ما كرهته من غيرك» ﴿وما أُريد أن أُخالفكم إلى ما أَنهاكُم عَنهُ﴾[3].

ومرَّ قوله عليه السلام «ومن نظر في عيوب الناس فأنكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الأحمق بعينه» وقوله عليه السلام «أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله».

وقيل كتب بعض الكتّاب إلى بعض الملوك:

تضرب الناس بالمهندة البيـ ـض على غدرهم وتنسى الوفاءَ[4]

## ٨٣
## الحكمة (٣٧١)

وقال عليه السلام:

لَا شَرَفَ أَعْلَى مِنَ ٱلْاسْلاَمِ، وَلَا عِزَّ أَعَزُّ مِنَ التَّقْوى، وَلَا مَعْقِلَ أَحْسَنُ مِنَ ٱلْوَرَعِ، وَلَا شَفِيعَ أَنجَحُ مِنَ التَّوبَةِ، وَلَا كَنْزَ أغْنَى مِنَ القَنَاعَةِ، وَلَا

(١) الكافي للكليني ٢: ٥٤ ح١ أخرجه عن علي بن إبراهيم.. عن السكوني.

(٢) النور: ٤٣ ـ ٤٤.

(٣) هود: ٨٨.

(٤)

مَالَ أَذْهَبُ لِلْفَاقَةِ مِنَ الرِّضَى بِالْقُوتِ، ومَنِ ٱقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ الكَفَافِ فَقَدِ ٱنْتَظَمَ الرَّاحَةَ وَتَبَوَّأَ خَفْضَ الدَّعَةِ، وَالرَّغْبَةُ مِفْتَاحُ النَّصَبِ وَمَطِيَّةُ التَّعَبِ، وَٱلْحِرْصُ وَٱلْكِبْرُ وَٱلْحَسَدُ دَوَاعٍ إِلَى التَّقَحُّمِ فِي الذُّنُوبِ، وَالشَّرُّ جَامِعُ مَسَاوِئِ العُيُوبِ.

أقول: هذا العنوان جزء خطبة الوسيلة رواها (روضة الكافي) «لا شرف أعلى من الإسلام» روى (الكافي) عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿صبغَةَ ٱلله وَمَن أحسنُ من ٱلله صبغَةً﴾[1]: إنّ الصبغة هي الإسلام[2].

وفي الخبر: الإسلام يعلو ولا يعلى عليه[3].

وعنه عليه السلام في مجوسية أسلمت قبل أن يدخل بها زوجها وأبى أن يسلم: لها عليه نصف الصداق ولم يزدها الإسلام إلّا عزّاً[4]، وقال تعالى ﴿ٱليوم أكملتُ لكُم دينَكُم وأتمَمتُ عليكم نعمتي ورَضيتُ لكُم الإسلام ديناً﴾[5] ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيرَ الإسلام ديناً فَلَن يُقبل منه﴾[6].

«ولا عز أعز من التقوى» ﴿يا أيُّها ٱلناس إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأُنثى وجَعلناكُم شُعُوباً وقبائِلَ لتعارَفوا إن أكرمكُم عندَ ٱلله أتقاكم﴾[7].

«ولا معقل أحسن من الورع» ﴿ومَن يتّق ٱلله يَجْعَل لَهُ مَخرَجاً * ويَرزُقْه من حيثُ لا يَحتَسِبُ﴾[8].

---

(١) البقرة: ١٣٨ .

(٢) روضة الكافي للكليني: ١٨ .

(٣) ٣٩: ٤٧ رواية ١ .

(٤) الكافي للكليني ٥: ٤٣٦ رواية ٦ .

(٥) المائدة: ٣.

(٦) آل عمران: ٨٥.

(٧) الحجرات: ١٣ .

(٨) الطلاق: ٢ ـ ٣.

**«ولا شفيع أنجح من التوبة»** ﴿وهو الذي يَقبلُ التوبةَ عن عبادهِ ويَعفو عن ٱلسيئات﴾[١] ﴿إِن الله يحبُّ التوّابينَ ويُحبُّ المُتَطهرين﴾[٢] وقال هود لقومه: ﴿ويا قوم ٱستغفروا ربَّكُم ثُمَ تُوبُوا إِليه يُرسِلِ ٱلسَّماءَ عليكم مدراراً ويزدكُم قُوّةً إلى قوتكم﴾[٣] ﴿وأَن ٱسْتَغفروا ربَّكُم ثم توبوا إِليه يُمتِّعكم متاعاً حسناً إِلى أجلٍ مُسمًّى ويؤتِ كُلّ ذي فضلٍ فَضلَهُ﴾[٤].

**«ولا كنز أغنى من القناعة»** في (الكافي) عنه عليه السلام من رضي من الدّنيا بما يجزيه كان أيسر ما فيها يكفيه، ومن لم يرض من الدّنيا بما يجزيه لم يكن فيها شيء يكفيه[٥].

**«ولا مال أذهب للفاقة من الرضى بالقوت»** في (الروضة) ـ بعد هذه الفقرات ـ «ولا لباس أجمل من العافية، ولا غائباً أقرب من الموت، أيّها الناس إنّه من مشى على وجه الأرض فإنّه يصير إلى بطنها، والليل والنهار مسرعان في هدم الأعمار، ولكلّ ذي رمق قوت وأنت قوت الموت، وان من عرف الأيام لم يغفل عن الاستعداد، ولن ينجو من الموت غني بماله ولا فقير لإقلاله»[٦].

**«ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة وتبوّأ خفض الدعة»** أي: السكون والاستراحة، من «ودع» بالضم.

قال النبي صلى الله عليه وآله: اللّهم ارزق محمّداً وآل محمّد الكفاف، وارزق من أحبَّ

---

(١) الشورى: ٢٥.

(٢) البقرة: ٢٢٢.

(٣) هود: ٥٢.

(٤) هود: ٣.

(٥) الكافي للكليني ٢: ١٤٠ ح١١.

(٦) روضة الكافي للكليني: ١٩.

محمداً وآل محمّد العفاف والكفاف، وارزق من أبغضهم المال والولد[١].

وعنه صلى الله عليه وآله قال تعالى: إنّ من أغبط أوليائي رجلاً خفيف الحال ذا حفظ من الصلاة أحسن عبادة ربّه بالغيب، وكان غامضاً في الناس جعل رزقه كفافاً فصبر عليه عجلت منيته فقلّ تراثه وقلّت بواكيه[٢].

**«والرغبة»** أي: الحرص.

**«مفتاح النصب»** جعل عليه السلام النصب كقفل مفتاحه الرغبة.

**«ومطية التعب»** المطية: المركب، جعل عليه السلام التعب كمقصد لا تصل إليه إلّا بمطيّة الرغبة.

**«والحرص والكبر والحسد دواع إلى التقحم»** أي: رمي النفس.

**«في الذنوب»** الحرص كان داعي آدم عليه السلام إلى الشجرة المنهية والكبر كان داعي إبليس إلى ترك السجود لآدم، والحسد كان داعي قابيل إلى قتل أخيه هابيل، والكبر أول ذنب أهل السماء، والحسد أول ذنب أهل الأرض.

**«والشر جامع مساوي»** هكذا في (الطبعة المصرية)[٣] والصواب: (لمساوي) كما في ابن أبي الحديد[٤] وابن ميثم[٥] والنسخة الخطية[٦].

**«العيوب»** الحرص والكبر والحسد وغيرها من البخل والجبن والعجب وغيرها، لكن كون الشر أعم أمر واضح، والظاهر وقوع تصحيف، وكون

---

(١) الكافي للكليني ٢: ١٤٠.

(٢) الكافي للكليني ٢: ١٤٠.

(٣)

(٤)

(٥)

(٦) النسخة المصرية ٧٤٤ رقمم (٣٧٠) مطابقة لنسخة شرح ابن ميثم المنقحة ٥: ٤٢٥ رقم ٣٥٢، وفي شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٠١ قمم (٣٧٧) «لمساوي».

الشر محرّف البخل، ففي (٣٧٨) وقال عليه السلام: «البخل جامع لمساوئ العيوب، وهو زمام يقاد به إلى كلّ سوء» وعليه ففي الثاني تكرار بعض الأول.

## ٨٤
## الحكمة (٣٧٦)

وقال عليه السلام:

إِنَّ الحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ، وإِنَّ البَاطِلَ خَفِيفٌ وَبِيءٌ.

أقول: قال عليه السلام: هذا الكلام لعثمان مع زيادة «وأنت رجل إن صدقت سخطت وان كذبت رضيت» كما رواه ابن أبي الحديد في موضع آخر ونقل مثله عن لقمان وورد: الحقُّ أوسع الأشياء في التواصف وأضيقها في التناصف[1].

وفي (الكافي) قيل للصادق عليه السلام: يزعمون أنّ النبي صلى الله عليه وآله رخّص في أن نقول: «جئناكم جئناكم جيئونا جيئونا نجئكم نجئكم» فقال: كذبوا إنّ الله تعالى يقول: ﴿وما خلقنا السماءَ والأرضَ وما بَيْنَهُما لَاعِبينَ* لو أردنا أنْ نتَّخِذَ لَهواً لاتخذناهُ من لدُنّا إن كُنّا فاعلين* بل نَقذِفُ بالحَقِّ عَلى الباطل فَيَدْمَغُهُ فإذا هُو زاهِق ولَكُم الوَيل مِمّا تَصِفُون﴾[2].

وسئل الباقر عليه السلام عن الغناء[3] فقال عليه السلام: إذا ميّز الله بين الحق والباطل فأين يكون الغناء؟ قال: مع الباطل. فقال: قد حكمت. وكذلك سئل عن النرد والشطرنج فأجاب بكونهما مع الباطل إذا ميّز بينه وبين الحق[4].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٨٨.

(٢) الأنبياء: ١٦ ـ ١٨.

(٣)

(٤) الكافي للكليني ٦: ٤٣٦ ح ٩.

## ٨٥
## الحكمة (٣٨١)

وقال عليه السلام:

**الكلامُ في وَثَاقِكَ مَا لم تَتَكَلَّمْ به، فإذَا تَكَلَّمتَ به صِرْتَ في وَثـاقِهِ، فَاخْزُنْ لِسَانَكَ كَمَا تَخْزُنُ ذَهَبَكَ وَوَرِقَكَ، فَرُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً وَجَلَبَتْ نِقْمَةً.**

و «صرت وثـاقه» في (الطبعة المصرية)[1] تصحيف، أي: هو في شدك ابتداءً وتصير في شدِّه انتهاءً.

«فاخزن لِسانك كما تخزُنُ ذَهَبَكَ وَوَرِقَكَ، فَرُبَّ كلمةٍ سَلَبَتْ نعمةٍ وجلبت نقمةً» فقرة «وجلبت نقمة» ليست في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) وإنّما هي في (الطبعة المصرية)[2].

وفي السير: نزل النعمان بن المنذر برابية، فقال له رجل من أصحابه: أبيت اللعن لو ذبح رجل على رأس هذه الرابية إلى أين كان يبلغ دمه. فقال النعمان: المذبوح والله أنت ولأنظرن أين يبلغ دمك فذبحه[3].

وفي (العيون): قال ابن إسحاق: النَّسناس خَلقٌ باليمن لأحدهم عينٌ ويدٌ ورِجلٌ يقفز بها وأهلُ اليمن يصطادونهم، فخرج قومٌ في صيدهم فرأوا ثلاثة منهم، فأدركوا واحداً منهم فعقروه وذبحوه وتوارى اثنان في الشَّجر، فقال الذي ذبح الأول انّه لسمين، فقال الثاني انّه أكل ضروا فأخذوه وذبحوه، فقال الذي ذبحه ما انفع الصمت فقال الثالث فها أنا الصمت فأخذوه وذبحوه[4].

---

(١) صححت في الطبعة الثانية المنقحة: ٧٤٨ رقم (٣٨١).

(٢) النسخة المصرية: ٧٤٨ وشرح ابن ميثم ٥: ٤٣٣ متطابقان. والحذف في شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٢٢.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٩٢.

(٤) العيون ٢: ١٧٦ وذكره الدميري.

وفي (الأغاني): صلب الحجّاج رجلاً من الشُّراة بالبصرة وراح عشيّاً لينظر إليه، فإذا برجل بازائه مُقبل بوجهه عليه، فدنا منه فسمعه يقول للمصلوب «طال ما ركبتَ فأعقب»[١]. فقال الحجّاج: من هذا؟ فقالوا: شظاظٌ اللص. قال: لا جَرَمَ والله ليُعقِبَنَّك، ثم وقف وأمر بالمصلوب فأُنزِل وصَلَبَ شِظاظاً مكانه[٢].

## ٨٦
## الحكمة (٣٨٤)

وقال عليه السلام:

الرُّكُونُ إلى الدُّنْيَا مَعَ مَا تُعَايِنُ جَهْلٌ، وَالتَّقْصِيرُ فِي حُسْنِ العَمَلِ إذَا وَثقتَ بالثَّوابِ عَلَيْهِ غَبْنٌ، والطّمأنِينَةُ إلَى كُلِّ أَحَدٍ قَبْلَ الاختِبَارِكَهُ عَجْزٌ.

في (الجهشياري) قيل لعتابة أمُّ جعفر بن يحيى بعد نكبتهم ـ وهي بالكوفة في يوم أضحى ـ ما أعجب ما رأيتِ؟ فقالت: لقد رأيتني في مثل هذا اليوم وعلى رأسي مائة وصيفة لبوس كلّ واحدة منهنّ وحليها خِلاف لبوس الأُخرى وحليها، وأنا يومي هذا اشتهي لحماً فما أقدر عليه[٣].

وفي (المروج): لمّا دخل عمرو بن ليث إلى بغداد من المصلّى العتيق رافعاً يديه يدعو وهو على جمل فالج ـ وهو ذو السنامين وكان أنفذه إلى المعتضد في هدايا تقدّمت له قبل أسره ـ قال ابن فهم:

ألم تَرَ هذا الدهر كيف صُرُوفه ... يَكُون عسيراً مَرَّةً ويسيرا

---

(١) معناه: اترك عقبك ومن يخلفك.

(٢) الأغاني ٢٢: ٣٠٠ نقله عن أبي ميثم.

(٣) الجهشياري، الوزراء والكتّاب: ٢٤١.

وحسبُكَ بالصقّار نُبلاً وعِزَّة يروح ويغدو في الجيوش أميرا
حباهم جمالاً وهو لم يدر أنّه علـى جمل منها يقاد أسيرا

وقال ابن بسام:

أيُّها المُغتَرُّ بالدنيا أما أبصرت عَمْرا
مقبلاً قد أركب الفا لح بعد الملك قهرا
وعليه برنسُ السَّـ ـخطة إذلالاً وقهرا
رافعاً كفّيه يدعو اللّـ ـه إسراراً وجهرا
أن ينجّيه من القتـ ـلِ وان يعمل صفرا[1]

وفي (المعجم): كان أبو الفتح بن العميد قد دبّر على الصاحب بن عبّاد حتّى أزاله عن كتابة مؤيّد الدولة وأبعده عن حضرته بالريّ إلى اصفهان، وانفرد هو بتدبير الأمور له كما كان يدبّرها لأبيه ركن الدولة، واستدعى يوماً ندماءه وعبأ لهم مجلساً عظيماً وأظهر من الزينة وآلات الذهب والفضة والصيني وماشاكله ما يفوت الحصر، وشرب واستفزّه الطرب وكان قد شرب يومه وليلته وعمل شعراً غني به:

دعوتُ المُنى ودعوتُ العُلا فَلمَّا أَجابا دعوتُ القَدَحْ

وشرب عليه إلى أن سكر وقال لغلمانه: غطوا المجلس ولا تسقطوا منه شيئاً لأصطبح في غد عليه، وقال لندمائه: باكروني، وقام إلى بيت منامه وانصرف عنه الندماء، فدعاه مؤيّد الدولة في السحر ـ فلم يشك أنّه لمهم ـ فقبض عليه وأنفذ إلى داره من استولى على جميع ما فيها وأعاد ابن عبّاد إلى وزارته وتطاول بابن العميد النكبة حتى مات فيها[2].

---

(١)

(٢) الحموي، معجم الأدباء ٦: ٢٥١.

ولبعضهم في الفضل بن مروان وزير المعتصم ـ وكان قبله الفضل بن يحيى البرمكي والفضل بن الربيع الحاجب وزيري الرشيد والفضل بن سهل وزير المأمون:

تجبرت[1] يا فضلُ بن مروان فاعتبر    فقبلك كان الفضل والفضل والفضل
ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم    أبادهم الموت المشتت والقتل
فإنّك قد أصبحت في النّاس ظالماً    ستودي كما أودى الثلاثة من قبل[2]

«والتقصير في حسن العمل إذا وثقت بالثواب عليه غبن» فقد قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلذين يُنفقونَ أَموالَهم في سَبيل ٱلله كَمَثَلِ حَبةٍ أَنبَتت سَبعَ سَنابِلَ في كُلّ سُنبلةٍ مائة حبّةٍ وٱلله يُضاعف لِمَن يَشاء﴾[3] وقال تعالى: ﴿تتجافى جُنوبهم عن ٱلمضاجِع يدعون رَبَّهم خوفاً وطمعاً وممّا رزقناهم يُنفقون* فلا تَعلَمُ نَفسٌ ما أُخفي لَهُم مِن قُرّةِ أَعيُنٍ جَزاءً بما كانوا يَعمَلونَ﴾[4] فإذا كان واثقاً بذلك وقصر كان مغبوناً ألبتَّة.

«والطمأنينة إلى كلّ أحد قبل الاختبار له عجز» فليس كلّ أحد صادقاً.

## ٨٧
## الحكمة (٣٨٦)

وقال عليه السلام:

مَنْ طَلَبَ شَيْئاً نَالَهُ أو بَعْضَهُ.

قيل: هو نظير قولهم: «من طلب شيئاً وجدَّ وَجَدَ»[5] وقولهم «من قرع

---

(١) عند ابن خلفكان بلفظ «تفرعنت».

(٢) ابن خلكان ٤: ٤٥.

(٣) البقرة: ٢٦١.

(٤) السجدة: ١٦ ـ ١٧.

(٥) المثل بلفظ من طَلَبَ شيئاً وجده ٢: ٣٥٧، مجمع الأمثال للميداني.

قرع باباً وَلَجَّ وَلَجَ» وقال تعالى ﴿وَالَّذين جاهدوا فينا لنَهديَّنهم سُبُلنا...﴾[١].

وفي (الأمثال): إن عامر بن الطرف لمّا كبر قال له قومه: إجعل لنا قائداً بعدك، فقال: من طلب شيئاً وجده وان لم يجده يوشك أن يوقع قريباً منه[٢].

## ٨٨
## الحكمة (٣٩٢)

وقال عليه السلام:

تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا، فَإِنَّ الْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ.

أقول: الفقرة الثانية تكرار من المصنف لعنوانه (١٤٨) «المرء مخبوء تحت لسانه».

وكيف كان فمرّ في الديباجة قول الشعبي إنّه عليه السلام تكلّم بتسع كلمات ارتجلهن ارتجالاً فقأن عيون البلاغة وأيتمن جواهر الحكمة وقطعن جميع الأنام عن اللحاق بواحدة منهن، ثلاث منهن في المناجاة وثلاث منهن في الحكمة ـ إلى أن قال ـ وأمّا اللاتي في الحكمة فقال: قيمة كلّ امرئٍ ما يحسنه، وما هلك امرؤٌ عرف قدره، والمرء مخبوٌّ تحت لسانه[٣].

هذا، وقد غيّروا كلامه عليه السلام «المرء مخبوٌّ تحت لسانه» فقالوا «المرء مخبو تحت طي لسانه لا طيلسانه».

«تكلموا تعرفوا» قال تعالى: ﴿فلمّا كَلَّمهُ قال إنَّكَ اليوم لدينا

---

(١) العنكبوت: ٦٩.

(٢) الأمثال، ذكره الميداني في ٢: ١٨٣.

(٣) الصدوق، الخصال: ٤٢٠ ح ١٤، وذكره المؤلف في صفحة ٥٧ من الجزء الأول.

مَكينٌ أَمين﴾[١].

وفي (تاريخ بغداد): دخل عبد العزيز بن يحيى المكي ـ وكانت خلقته شنعة ـ على المأمون وعنده المعتصم، فضحك منه فأقبل على المأمون وقال: لم ضحك هذا؟ لم يصطف الله يوسف لجماله وإنّما اصطفاه لدينه وبيانه، ولم يقل الملك لمّا رأى جماله إنّك اليوم لدينا مكين أمين بل لمّا كلّمه، بياني أحسن من وجه هذا. فأعجب المأمون قوله[٢].

وفي (العيون) عن ربيعة الرأي: الساكت بين النائم والأخرس. وذكروا أفضلية الكلام والصمت فقال أبو مسهّر: كلّا إنّ النجم ليس كالقمر، إنّك تصف الصمت بالكلام ولا تصف الكلام بالصمت. وقال يونس: ليس لعييٍّ مروّة، ولا لمنقوص البيان بهاء ولو بلغ يافوخه أعنان السماء[٣].

وفي (تاريخ بغداد): قال ابن عمّار: كنت إذا نظرت إلى يحيى بن سعيد القطان ظننت انّه رجل لا يحسن شيئاً فإذا تكلّم أنصت له الفقهاء[٤].

وفي (الطبري) ـ في قدوم الحجّاج الكوفة وصعوده المنبر ـ فطال سكوته فتناول محمد بن عمير حصى أراد أن يحصبه بها وقال: قاتله الله ما أعياه! والله إنّي لأحسب خبره كروائه، فلمّا تكلّم الحجّاج جعل الحصى ينتثر من يده ولا يعقل به[٥].

وفي (البلاذري): سعى عبدالله بن الأهتم ـ خليفة قتيبة على مرو ـ بقتيبة إلى الحجّاج، فأرسل الحجّاج كتابه إلى قتيبة فأحس بالشرّ، فهرب إلى الشام

---

(١) يوسف: ٥٤.

(٢) تاريخ بغداد، ١٠: ٤٥٠ في ترجمة عبد الزيز بن يحيى.

(٣) ابن قتيبة، عيون الأخبار ٢: ١٧٥.

(٤) تاريخ بغداد ١٤: ١٤٠ في ترجمة يحيى بن سعيد (رقم ٧٤٦١).

(٥)

ووضع قطنة على احدى عينيه ثم عصبها واكتنى بأبي قطنة، وكان يبيع الزيت حتى إذا هلك الوليد وقام سليمان ألقى عنه ذاك الدنس وقام بخطبة تهنئة لسليمان ووقوعاً في الحجّاج وقتيبة ـ وكانا خلعا سليمان ـ فتفرّق الناس وهم يقولون أبو قطنة الزيّات أبلغ الناس[١].

هذا، وعنه عليه السلام: اللسان معيارٌ أطاشه الجهل وأرجحه العقل[٢].

وروي أنّه عليه السلام سئل أيُّ شيءٍ أحسن؟ فقال: الكلام. فقال: أيُّ شيءٍ أقبح؟ فقال: الكلام. ثم قال: بالكلام ابيضّت الوجوه وبالكلام اسودَّت الوجوه[٣].

«المرء مخبوء تحت لسانه» وقال شاعر:

والنّار في أحجارها مخبوءة ليست ترى إن لم يثرها الازند

وفي (العيون) ذكر أعرابي رجلاً فقال: رأيت عورات الناس بين أرجلهم وعورة فلان بين فكّيه[٤].

وعاب آخر رجلاً فقال: ذاك من يتامى المجلس، أبلغ ما يكون في نفسه وأعيى ما يكون عند جلسائه[٥].

وفي (تاريخ بغداد): كان رجل يجلس إلى أبي يوسف فيطيل الصمت، فقال له: ألا تتكلّم؟ فقال: بلى متى يفطر الصائم. قال: إذا غابت الشمس. قال: فإن لم تغب إلى نصف الليل، فضحك أبو يوسف وقال: أصبت في صمتك وأخطأت أنا في استدعاء نطقك، ثم تمثّل:

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان: ٥٩٧ ـ ٧٩٨.

(٢) تحف العقول: ١٤٧.

(٣) تحف العقول: ١٥٤، وبحار الأنوار ٧٨: ٥٥.

(٤)

(٥)

عجبت لأزراء العييّ بنفسه ... وصمت الذي قد كان للقول أعلما
وفي الصمت ستر للعييّ وإنّما ... صحيفة لب المرء أن يتكلما[1]

وفي (كامل المبرد): إنّ الحجّاج بعث برأس ابن الأشعث بعد ظفره به مع عرّار بن عمرو بن شاس الأسدي -وكان أسود دميماً- إلى عبد الملك فلمّا ورد به عليه جعل عبد الملك لا يسأل عن شيء من أمر الوقيعة إلّا أنبأه به عرّار في أصح لفظ وأشبع قول وأجزأ اختصار -وكان عبد الملك اقتحمه عينه حيث رآه- فقال متمثلاً:

أرادت عراراً بالهوان ومن يرد ... لعمري عراراً بالهوان فقد ظَلَمْ
وإنّ عراراً إن يكُنْ غير واضح ... فإنّي أُحبُّ الجَوْنَ ذا المَنكب العَمَمْ

فقال له عرّار: أتعرفني أيها الخليفة؟ قال: لا. قال: فأنا والله عرّار فزاد في سروره وزاد في جائزته[2].

وفي (الخلفاء): لمّا بنى الحجّاج خضراء واسط قال لجلسائه: كيف ترون هذه القبة؟ قالوا: ما رأينا مثلها. قال: ولها عيب ماهو؟ قالوا: ما نرى. قال: سأبعث إلى من يخبرني، فبعث إلى الغضبان الشيباني -وكان في سجنه لأنّه كان قال لابن الأشعث تغدَّ بالحجّاج قبل أن يتعشاك- فأقبل به وهو يرسف في القيود فقال له: كيف قبتي هذه؟ قال: نعمت حسنة مستوية. قال: أخبرني بعيبها. قال: بنيتها في غير بلدك لا يسكنها ولدك. قال: صَدَقَ ردوه إلى السجن. فقال: قد أكلني الحديد وأوهن ساقي القيود فما أُطيق المشي. قال: احملوه، فلمّا حُمِلَ على الأيدي قال: ﴿سُبحانَ الذي سَخّرَ لنا هذا وما كُنا لهُ مُقرنين﴾[3] قال:

---

(١)

(٢) كامل المبرد ١: ١٦٠.

(٣) الزخرف: ١٣.

أنزلوه. فقال: ﴿ربِّ أنزلني مُنزلاً مُباركاً وأنتَ خَيرُ ٱلمُنزِلينَ﴾[1] قال: جَرّوه. فقال ـ وهو يجر ـ ﴿بسم ٱلله مجراها ومُرساها إنّ ربّي لغفورٌ رحيم﴾[2]. قال: اضربوا به الأرض. فقال: ﴿منها خلقناكم وفيها نُعيدُكم ومنها نُخرجكم تارةً أُخرى﴾[3]. فضحك الحجّاج حتى استلقى على قفاه ثم قال: ويحكم قد غلبني هذا الخبيث، أطلقوه إلى صفحي عنه. فقال الغضبان: ﴿فاصفح عنهُم وقُل سلام﴾[4] فنجا من شرّه بلسانه[5] ـ وكان قال له لأقطعن يديك ورجليك ولأضربن بلسانك عينيك[6].

وفي (البيان): خرج صعصعة[7] إلى مكة، فلقيه رجل فقال: يا عبد الله كيف تركت الأرض. قال: عريضة أريضة[8]. قال: إنّما عنيت السماء. قال: فوق البشر ومد البصر. قال: سبحان الله إنّما أردت السحاب. قال: تحت الخضراء وفوق الغبراء. قال: إنّما أعني المطر. قال: قد عفّي الأثر وملأ القتر[9] وبلّ الوبر ومُطرنا أحيا المطر. قال: إنسيٌّ أنت أم جني؟ قال: بل إنسي من أمّة رجل مهديّ[10].

وفي (شعراء ابن قتيبة): كان الحارث بن حلزة اليشكري ارتجل بين

---

(١) المؤمنون: ٢٩.

(٢) هود: ٤١.

(٣) طه: ٥٥.

(٤) الزخرف: ٨٩.

(٥)

(٦) ابن قتيبة، الامامة والسياسة: ٣٦ وهو المعروف بتاريخ الخلفاء.

(٧)

(٨)

(٩)

(١٠)

يدي عمرو بن هند في شيء كان بين بكر وتغلب بعد الصلح قصيدته «آذنتنا ببنيها اسماء» ـ وكان ينشده من وراء سبع ستور، فأمر برفع الستور عنه استحساناً لها[١].

ونظر النعمان بن المنذر إلى ضمرة بن ضمرة، فلمّا رأى دمامته قال: تسمع بالمعيدي لا أن تراه. فقال ضمرة: إنّ الرجال لا تكال بالقفزان، وإنّما المرء بأصغريه لسانه وقلبه[٢].

وفي (المعجم) قال خلف الأحمر: كنت أسمع ببشار بسرعة جوابه وجودة شعره، فأنشدوني شيئاً من شعره لم أحمده فقلت: لآتينّه ولأُطأطأنّ منه، فأتيته وهو جالس على باب بيته، فرأيته أعمى قبيح المنظر عظيم الجثّة، فقلت: لعن الله من يبالي بهذا، إذ جاء رجل فقال: إنّ فلاناً سبّك عند الأمير وجاء قوم فسلّموا عليه فلم يردد عليهم فجعلوا ينظرون إليه وقد ورمت أوداجه فلم يلبث أن أنشدنا بأعلى صوته:

نُبِّئْتُ نائِك أُمّه يغتابُني عندَ الأمير وهلْ عَلَيَّ أميرُ

فارتعدت فرائصي وعظم في عيني فقلت: الحمد لله الذي أبعدني من شرّك[٣].

وهمّ الفرزدق بهجاء عبد القيس فأرسل إليه زياد الأعجم:

فما ترك الهاجون لي إن هجوته مصحّاً أراه في أديم الفرزدق.

... فقال الفرزدق: مالي إلى هجاء هؤلاء سبيل ما عاش هذا العبد[٤].

وفي (العيون): قال عبد الملك بن عُمير: قدم علينا الأحنف الكوفة مع

(١) ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٥٣.

(٢) الأمثال، الميداني ١: ٨٦.

(٣)

(٤)

مصعب بن الزبير، فما رأيت خصلة تذم إلّا ورأيتها فيه، كان أصغر[١] الرأس متراكب الأسنان في خدّه ميل[٢] مائل الذّقن ناتئ الوجه، غائر العين خفيف العارِض أحنف الرِّجْل، ولكنّه إذا تكلّم جلّى عن نفسه[٣]. وقال الشاعر:

وما حسن الرجال لهم بحسن إذا لم يسعد الحسن البيان
كفى بالمرء عيباً أن تراه له وجه وليس له بيان

وفي (الطبقات) ـ في وفد عبد القيس ـ قال لهم النبيﷺ: أيّكم عبد الله الأشجُّ؟ فقال أحدهم: أنا ـ وكان رجلاً دميماً ـ فنظر إليه النبيﷺ فقال: لا يستسقى في مسوك الرجال، وإنّما يحتاج من الرجل إلى أصغريه لسانه وقلبه[٤]. وفي (العقد):

وما المرء إلّا الأصغران لسانه ومَعقولُه والجسم خلق مصوَّر
فإنْ تر منه ما يروق فربّما أمرّ مذاق العود والعود أخضر[٥]

وقال زهير:

وكائن ترى من معجب لك صامت زيادَتُه أو نقصُه في التّكلم
لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُه فلم يبق الا صورة اللحم والدمِ[٦]

هذا، وفي أخبار حكماء القفطي: كان في مصر يهوديٌّ يرتزق بصناعة مداواة الجراح في غاية الخمول، فاتفق أن عرض لرجل الحاكم عقر زمن عجز أطباؤه الخواص عنه، فأحضر له الرجل فطرح عليه دواء يابساً فنشفه وشفاه

---

(١) نسخة التحقيق صّعل: صفير.

(٢)

(٣) العيون، ابن قتيبة ٤: ٣٥.

(٤) الطبقات ١: ٣١٤.

(٥)

(٦) ابن عبد ربه، العقد الفريد ٤: ١٧٩.

في ثلاثة أيام، فأطلق له ألف دينار وخلع عليه ولقبه بالحقير النافع وجعله من أطبائه الخواصّ[1].

## ٨٩
## الحكمة (٣٩٤)

وقال عليه السلام:

رُبَّ قَوْلٍ أَنْفَذ مِنْ صَوْلٍ.

في (الأغاني): وفد أبو براء ملاعب الأسنة وإخوته طفيل ومعاوية وعبيدة بنو مالك بن جعفر بن كلاب ومعهم لبيد بن ربيعة بن مالك ـ وهو غلام ـ على النعمان بن المنذر، فوجدوا عنده الربيع بن زياد العبسي ـ وكان ينادم النعمان ـ فاذا خلا به يطعن في الجعفريين، فرأوا من الملك جفاء ـ وقد كان يكرمهم قبل ذلك ـ فخرجوا من عنده غضاباً ـ ولبيد في رحالهم يحفظ أمتعتهم ـ فألفاهم الليلة يتذاكرون أمر الربيع فسألهم فكتموه، فقال: والله لا أحفظ لكم متاعاً أو تخبروني ـ وكانت أم لبيد امرأة من عبس ـ فقالوا: خالك قد غلبنا على الملك. فقال لهم: هل تقدرون على أن تجمعوا بيني وبينه فأزجره عنكم بقول ممضٍّ ثم لا يلتفت النعمان إليه أبداً. إلى أن قال: ثم غدوا به معهم على النعمان فوجدوه يتغدّى ومعه الربيع وهما يأكلان ليس معه غيره، فلمّا فرغ أذن لهم فذكروا له حاجتهم، فاعترض الربيع في كلامهم، فقام لبيد وقال:

يارُبّ هَيْجا هي خيرٌ مِنْ دَعَه ... أكلّ يوم هامتي مُقرَّعة

يُخْبِرْكَ عن هذا خبيرٌ فاسمعه ... مَهْلاً أبيت اللَّعن لا تأكلْ معهُ

إنَّ استهُ من برص مُلَمَّعه ... وإنّه يُدخِلُ فيها إصبَعه

(١) أخبار الحكماء، القطفي: ١٢٢.

يدخلها حتى يُواري أشجعه كأنّما يطلبُ شيئاً ضيّعة[١]

فلمّا فرغ التفت النعمان إلى الربيع شزراً يرمقه قال: لا والله! لقد كذب عليّ، وانصرف إلى منزله وكتب إلى النعمان: إني قد تخوّفت أن يكون قد وقر في صدرك ما قاله لبيد، ولست برائم حتى تبعث من يجرّدني فيعلم من حضرك أنّي لست كما قال، فأرسل النعمان إليه: إنّك لست بانتفائك ممّا قال لبيد شيئاً ولا قادراً على ما زلّت به الألسن. وكتب إليه:

شَرِّدْ برَحْلِكَ عنّي حيثُ شئتَ ولا تُكْثِر عليَّ ودعْ عنك الأباطيلا

فقد ذُكرتَ به والركبُ حامِلُه وِرْداً يُعلِّلُ أهلَ الشام والنِّيلا

فما انتفاؤك منه بعدما جزعت هوجُ المطيِّ به إبراق شِمليلا[٢]

قد قيل ذلك إنْ حقاً وإنْ كذباً فما اعتذارك من شيء إذا قيلاً[٣]

وفي (العيون): اسر معاوية يوم صفّين رجلاً من أصحاب عليعليه السلام، فلمّا أُقيم بين يديه قال: الحمد لله الذي أمكن منك. قال: لا تقل ذلك، فإنّها مصيبة. قال: وأيّة نعمة أعظم من أن يكون الله أظفرني برجل قتل في ساعة واحدة جماعة من أصحابي اضربا عنقه. فقال: اللّهم اشهد ان معاوية لم يقتلني فيك ولا لأنّك ترضى قتلي ولكن قتلني في الغلبة على حطام الدّنيا، فإن فعل فافعل به ما هو أهله وإن لم يفعل فافعل به ما أنت أهله. فقال له معاوية: قاتلك الله لقد سببت فأوجعت في السبّ ودعوت فأبلغت في الدّعاء، خلّيا سبيله[٤].

وكان قول الفرزدق ـ وعلم قومه أكل الخبيص ـ وقول أبي العتاهية «وضع سيفك خلخالا» في هجو الفزاري وابن معن أنفذ من صول.

---

(١)

(٢) شمليل: بلد

(٣) الاصفهاني، الأغاني ١٧: ١٨٧، وقد مرّ ذكر هذه الحكاية في الصفحات السابقة.

(٤) العيون ١: ٩٩.

وقال الحطيئة «والقول ينفذ مالا ينفذ الابر»[١].

وفي (أنساب البلاذري): كان خالد بن يزيد يقاتل قرقيساً مع كلب وهم أخواله لأن أُم يزيد ميسون بنت بجدل من كلب، فألحّ عليهم بالقتال والرمي حتى كاد يظفر، فقال رجل من بني كلاب: لأُسمعنّه قولاً لا يعود بعده إلى ما يصنع، ولأكسرنه به، فلمّا غدا خالد للمحاربة أشرف الكلابي عليه وهو يقول:

ماذا ابتغاءُ خالدٍ وهمُّهُ    إذ سُلِبَ المُلكَ ونيكتْ أُمُّهُ

فأنكر واستحى ولم يعد إلى الحرب حتى انقضى.

وتقاذف عبد الرحمن بن حسّان ويحيى بن الحكم في امارة أخيه مروان، فضرب مروان أخاه عشرين وعبد الرحمن ثمانين، فقال عبد الرحمن: ضربني مروان ضرب حر وضرب أخاه حد نصف عبد، فكان هذا القول أشد على يحيى من سبّه وأنفذ من صوله[٢].

وفي (صفّين نصر): ذكروا أنّ عليّاًعليه السلام أظهر أنه مصبح غداً معاوية ومناجزه، ففزع أهل الشام لذلك وانكسروا ـ وكان معاوية بن الضحّاك صاحب راية بني سليم مع معاوية ـ وكان مبغضاً له، وكان يكتب بالأخبار إلى عبدالله بن الطفيل العامري ويبعث بها إلى عليعليه السلام، فبعث إلى عبدالله إنّي قائل شعراً إذ عرّبه أهل الشام، وكان معاوية لا يتهمه، فقال ليلاً ليسمع أصحابه:

ألا ليت هذا الليل أطبق سرمدا    علينا وانا لا نرى بعده غدا

ويا ليتنا ان جاءنا بصباحه    وجدنا إلى مجرى الكواكب مصعدا

حذار عليٍّ إنّه غير مخلف    مدى الدهر ما لبّى الملبّون موعدا

---

(١)

(٢) لا وجود له في أنساب البلاذري، ذكره ابن الأثير في الكامل ٤: ٣٣٧ ـ ٣٣٨.

فـاما فـراري فـي البـلاد فـليس لي مـقام ولو جـاوزت جـابلق مـصعدا
كأني به فـي النـاس كـاشف رأسـه عـلى ظـهر خـوّار الرحـالة أجـردا
يخوض غمار الموت فـي مـرجـحنة يـنادون فـي نـقع العـجاج مـحمدا
فـوارس بـدر والنـضير وخـيبر وأُحـدِ يُـرَوُّون الفـصيح المـهندا
ويـوم حـنين جـالدوا عـن نـبيّهم فـريقاً مـن الأحـزاب حـتى تـبدّدا
هـنالك لا تـلوي عـجوز عـلى ابـنها وإن أكثرت في القول نفسي لك الفدا
فقل لابن حرب ما الّـذي أنت صـانع أتثبت أم ندعوك فـي الحـرب قـعددا
وظـنّي بألّا يـصبر القـوم مـوقفاً يـقفه وان لم نـجر فـي الدهـر للـمدا
فـلا رأي إلّا تـركنا الشـام جـهرة وان أبـرق الفـجفاج فـيها وأرعـدا

فلمّا سمع أهل الشام شعره أتوا به معاوية، فهم بقتله ثم راقب فيه قومه وطرده عن الشام فلحق بمصر، وقال معاوية: لَقَوْلُ السلمي أشدّ عـلى أهـل الشام من لقاء علي، ما له قاتله الله لو أصـاب خـلف جـابلق مـصعداً نـفذه ـ وجابلق مدينة بالمشرق وجابلص بالمغرب ليس بعدهما شيء.

وقال هارون: لمّا سمع من وراء الستر محاجّة هشام بـن الحكـم مـع المذاهب في اثبات أمير المؤمنين عليه السلام إلى موسى بن جعفر عليه السلام ببراهين بيّنة: لكلام هذا أشدّ عليّ من مائة ألف سيف، والعجب كيف بقيت خلافتي مع وجود مثل هذا الرجل في الناس، وهمَّ بقتله لكن توارى هشـام وانـصدع قـلبه مـن الخوف فمات[1].

وقد نقل شرحه (الإكمال) في آخر بابه الرابع والثلاثين.

---

(١)

## ٩٠
## الحكمة (٣٩٥)

وقال عليه السلام:

كُلٌّ مُقْتَصَرٍ عَلَيْهِ كَافٍ.

وقال عليه السلام كما روى (الكافي): من رضي من الدنيا بما يجزيه كان أيسر ما فيها يكفيه، ومن لم يرض من الدنيا بما يجزيه لم يكن فيها شيء يكفيه[١].

وقال الباقر أو الصادق عليهما السلام: من قنع بما رزقه الله فهو أغنى الناس.

ونزل هارون في سفر في ظل ميل ـ وكان معه أبو العتاهية ـ فقال أبياتاً ومنها:

وما تَصنعُ بالدُّنيا ... وظِلُّ الميلِ يكفيكا[٢]

## ٩١
## الحكمة (٤٠٢)

وقال عليه السلام: لبعض مخاطبيه وقد تكلم بكلمة يستصغر عن قول مثلها: لقد طِرْتَ شَكِيراً وَهَدَرْتَ سَقْباً.

أقول: في (المعجم) صاحب ابن جنّي الفارسي أربعين سنة، وكان السبب في صحبته أن الفارسي اجتاز بالموصل فمرّ بالجامع وابن جني في حلقة يقرئ النحو وهو شاب، فسأله الفارسي عن مسألة في التصريف فقصّر فيها، فقال له الفارسي «زُبِّبْتَ[٣] وأنت حِصرِمُ» فسأل عنه فقيل له هذا الفارسي، فلزمه فلمّا مات الفارسي تصدّر ابن جني في مجلسه ببغداد[٤].

قول المصنف (والشكير هاهنا أوّل ما ينبت من ريش الطائر قبل أن

---

(١) الكافي للكليني ٢: ١٤٠ ح١١ رواه عن خان بن سدير رفعه.

(٢) ديوان أبي العتاهية: ١٩١، وفي الهامش نسبه المسعودي لهارون الرشيد.

(٣) أي صرت زبيباً.

(٤) الحموي، معجم الأدباء ٦: ٩١ في ترجمة عثمان بن جنّي.

يقوى ويستحصف) أي: يستحكم، إنّما قال المصنف «والشكير هاهنا» أي: في كلامه عليه السلام لأنّه يأتي الشكير بمعنى آخر كما في قول الشاعر:

ومن عضة ما ينبتن شكيرها

بمعنى ما ينبت حول الشجرة من أصلها، يقال شكرت الشجرة ـ بالكسر ـ كثر شكيرها، إلّا أنّ الظاهر أنّ الأصل واحد، وهو أوّل ما نبت ريش الطائر. وقولهم «شكرت الشجرة» استعارة وتشبيه بالطائر كقولهم «اشتكر الجنين» نبت عليه الزغب وكقول هلال بن مجاعة ـ لمّا قال له عمر بن عبد العزيز: هل بقي من شيوخ مجاعة أحد «نعم وشكير كثير» أي: واحداث كثير.

«والسقب الصغير من الإبل ولا يهدر» بالتخفيف والتشديد، أي: لا يردّد صوته في حنجرته. قال الوليد بن عقبة لمعاوية «تهدّر في دمشق فما تريم»[1].

وفي (المثل) «كالمَهدِّر في العُنَّة» يضرب للرجل يصيح ويجلب وليس وراء ذلك شيء كالبعير الذي يحبس في الحظيرة ويمنع من الضراب وهو يهدر «إلّا بعد أن يستفحل» أي: يصير فحلاً[2].

هذا وليس في نسخة (ابن ميثم) بيان المصنف[3].

ومن أمثالهم «قد استنْوَق الجَمَلُ» أي: صار الجمل ناقة. قيل الأصل فيه ان شاعراً أنشد ملكاً في وصف جمل ثم حوّله إلى ناقة، فقال طرفة ـ وكان حاضراً ـ قد استنوَق الجَمَلُ[4].

---

(١) ابن الأثير ٣: ٢٨٠.

(٢) الميداني، معجم الأمثال ٢: ١١٦.

(٣) راجع شرح ابن ميثم ٥: ٤٣٩ رقم ٣٧٨.

(٤) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ٥٦.

## ٩٢
## الحكمة (٤٠٣)

وقال عليه السلام:

**مَنْ أَوْمَأَ إِلى مُتَفَاوِتٍ خَذَلَتْهُ الحِيَلُ.**

أقول: قال (ابن أبي الحديد): قيل في تفسير الكلام: من استدلّ بالمتشابه من القرآن في التوحيد والعدل انكشفت حيلته، فإنّ علماء التوحيد قد أوضحوا تأويل ذلك[1]. وقيل: من بنى عقيدته على أمرين مختلفين حقٍّ وباطل كان مبطلاً. وقيل: مَنْ أومى بطمعه إلى فائت قد مضى لن تنفعه حيلته، أي لا يتبعن أحدكم امله ما قد فاته. وهذا ضعيف لأن المتفاوت في اللغة غير الفائت.

وقال ابن ميثم: المتفاوت كالأُمور المتضادّة، أو التي يتعذّر الجمع بينها في العرف والعادة، فلا يمكنه الجمع بين ما يرومه من تلك الامور[2].

قلت: والظاهر أنّ المراد عدم إمكان الجمع بين الحق والباطل. قال عامر بن الضرب العدواني لقومه: من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له، وكان الباطل أولى به، وإن الحق لم يزل ينفر من الباطل ولم يزل الباطل ينفر من الحق.

## ٩٣
## الحكمة (٤٠٨)

وقال عليه السلام:

**مَنْ صَارَعَ الحَقَّ صَرَعَهُ.**

أقول: هو نظير قول عليه السلام في ١/١٥/ وفي ٣/١٨٨/ «من ابدى صفحته

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٥.

(٢) شرح ابن ميثم: ترجم نهج البلاغة ٥: ٤٤.

للحق هلك»[1].

قال الاسكافي في (نقض عثمانيته): علم الناس كافة ان الدولة والسلطان لأرباب مقالة العثمانية وعرف كلّ أحد علو أقدار شيوخهم وعلمائهم وأُمرائهم وظهور كلمتهم وقهر سلطانهم وارتفاع التقية عنهم، وإعطاء الجائزة لمن روى في فضل أبي بكر وما كان من تأكيد بني امية في ذلك وما ولّده المحدّثون طلباً لمّا في أيديهم، فكانوا لا يألون جهداً في طول ما ملكوا ان يخملوا ذكر علي عليه السلام وولده ويطفئوا انوارهم ويكتموا فضائلهم ومناقبهم وسوابقهم ويحملوا الناس على سبّهم ولعنهم على المنابر، ولم يزل السيف يقطر من دمائهم مع قلّة عددهم وكثرة عدوّهم، فكانوا بين قتيل وأسير وشريد، وهارب ومستخف ذليل وخائف مترقب ويتقدّم إليهم ألّا يذكروا شيئاً من فضائلهم، وحتى بلغ من تقية المحدّث منهم إذا ذكر حديثاً عن علي عليه السلام كنّى عن ذكره برجل من قريش، ورأينا جميع المخالفين قد حاولوا نقض فضائله ووجهوا الحيل والتأويلات نحوها، من خارجي مارق وناصبي حنق ونابت مستبهم وناشي معاند ومنافق مكذب وعثماني حسود يطعن فيها، ومعتزلي قد نظر في الكلام وأبصر علم الاختلاف وعرف الشبهة ومواضع الطعن وضرب التأويل، قد التمس الحيل في إبطال مناقبه وتأوُّل مشهور فضائله، فمرّة يتأولها بما لا يحتملها ومرّة يقصد أن يضع من قدرها بقياس منتقض، ولا يزداد مع ذلك إلّا قوّة ورفعة.

وقد علمت أنّ معاوية ويزيد وبني مروان أيام ملكهم نحو ثمانين سنة لم يدعوا جهداً في حمل الناس على شتمه واخفاء فضائله، فقال ابن لعامر بن عبد الله بن الزبير لولده: يا بنيّ! لا تذكر علياً إلّا بخير، فإنّ بني أُمية لعنوه على

(١) راجع الكتاب.

منابرهم ثمانين سنة فلم يزده الله بذلك إلّا رفعة، ان الدّنيا لم تبن شيئاً قط إلّا رجعت على ما بنت فهدمته، وان الدين لم يبن شيئاً قط وهدمه.

إلى أن قال بعد ذكر أخذ الحجّاج الناس بترك قراءة ابن مسعود وأُبيّ ولزومهم قراءة عثمان ومهجورية قراءتهما وشيوع قراءته لذلك: ولقد كان الحجّاج ومن ولّاه كعبد الملك والوليد ومن قبلهما وبعدهما من فراعنة بني أُمية على إخفاء محاسن عليعليه السلام وفضائل ولده وشيعته أحرص منهم على إسقاط قراءة الرجلين، لأن قراءتهما لم تكن سبباً لزوال ملكهم وفي اشتهار فضل عليعليه السلام وولده بوارهم، فحرصوا في اخفاء فضائله وأبى الله أن يزيد أمره وأمر ولده إلّا استنارة وإشراقاً وحبّهم إلّا شغفاً، فلولا أنّ فضائله كانت كالقبلة المنصوبة في الشهرة وكالسنن المحفوظة في الكثرة لم يصل إلينا منها في دهرنا حرف واحد مع ما قلنا[1].

## ٩٤
## الحكمة (١١٨)

وقال عليه السلام:

إِضَاعَةُ الفُرْصَةِ غُصَّةٌ.

أقول: وقال عليه السلام في قريب من هذا المعنى «التدبير قبل العمل يؤمنك من الندم بعده» و «الفرصة تمرُّ مرَّ السحاب»[2].

قال تعالى: ﴿وأَنفقوا من مّا رزقناكم من قَبل أن يأتي أَحَدكُم ٱلمَوت فيقول ربِّ لولا أَخّرتني إِلى أجلٍ قَريب فأَصَّدّقَ وأَكُن من ٱلصالحين* ولَن

---

(١) نقل المؤلف هذا النص من شرح نهج البلاغة ١٣: ٢١٨ ـ ٢٢٣ بتصرف، إذ ليس للأسكافي كتاب متداول بهذا الأسم، فكل ما هو موجود هو ما جمعه محمد هارون المصري من هذا الكتاب ممّا رواه شرح ابن أبي الحديد في شرحه ثم طبعه في آخر كتاب العثمانية للجاحظ .

(٢) من الكلمات القصار رقم (٢١) .

يُؤَخِّر ٱلله نفساً إذا جاء أَجلُها وٱلله خبير بما تعمَلُون﴾[١] ﴿وٱتَّبعوا أحسن ما أنزل إليكم من رَبكُم من قَبل أن يأتيَكُم ٱلعَذاب بغتَةً وأنتم لا تَشعرون* أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرّطتُ في جنب ٱلله...﴾[٢].

وفي الخبر: اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك[٣].

وفي (أخبار حكماء القفطي): كان أحمد بن محمد بن مروان الطبيب السرخسي تلميذ يعقوب بن إسحاق الكندي أحد المتفنّنين في علوم الفلسفة، وكان الغالب عليه علمه لا عقله، وكان أولا معلماً للمعتضد ثم نادمه وكان يفضي إليه بأسراره، فأفضى إليه بسر يتعلّق بالقاسم بن عبيدالله وبدر غلام المعتضد، فأذاعه بحيلة من القاسم عليه مشهورة، فسلّمه المعتضد إليهما فاستصفيا ماله ثم أودعاه المطامير، فلمّا خرج المعتضد لفتح آمد أفلت من المطامير جماعة وأقام أحمد في موضعه وكان قعوده سبباً لمنيّته، فأمر المعتضد القاسم بإثبات جماعة ممّا ينبغي أن يقتلوا ليستريح من تعلق القلب بهم، فأثبتهم وأدخل أحمد في جملتهم فقتل ومضى بعد أن بلغ السماء رفعة[٤].

## ٩٥
## الحكمة (٤١١)

وقال عليه السلام:

لَا تَجْعَلَنَّ ذَرَبَ لِسَانِكَ ـ أي: حِدَّتَهُ ـ عَلَى مَنْ أَنْطَقَكَ، وَبَلَاغَةَ قَوْلِكَ

---

(١) المنافقون: ١٠ ـ ١١.

(٢) الزمر: ٥٥ ـ ٥٦.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ٤: ٣٠٦ وذكره الفيض في المحجة مسنداً عن ابن عباس ٨: ٢٥.

(٤) أخبار القفطي: ٥٥.

عَلَى مَنْ سَدَّدَكَ ـ أي: أصْلَحَكَ.

قال الشاعر:

فيا عجباً لمن ربيت طفلاً ألقمه بأطراف البنان
أعلمه الرماية كلّ يوم فلمّا اشتد ساعده رماني
أعلمه الفتوة فلمّا طر شاربه جفاني
وكم قد علمته نظم القوافي فلمّا قال شعراً قد هجاني[1]

## ٩٦
## الحكمة (٤١٦)

وقال عليه السلام لابنه الحسن:
يا بُنَيَّ لا تُخْلِّفَنَّ وَراءَكَ شَيْئاً فإِنَّكَ تُخلِّفُهُ لأحَدِ رَجُلَيْنِ، إمّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بطاعَةِ اللهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ، وإِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللهِ فَكُنْتَ عَوْناً لَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَلَيْسَ أَحَدُ هَذَينِ حَقِيقاً عَلَى أنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ.

في (المروج) كان المهدي محبّباً الى الخاص والعام، لأنّه افتتح أمره بالنظر في المظالم[2]، والكفّ عن القتل، وأمْنِ الخائف، وإنصاف المظلوم، وبسطَ يده في الاعطاء، فأذهب جميع ما خلّفه المنصور وهو ستمائة ألف ألف درهم وأربعة عشر ألف ألف دينار سوى ما جباه في أيامه[3].

وفي (الطبري): قال محمد بن سليمان الهاشمي: كان المنصور لا يعزل أحداً من عمّاله إلّا ألقاه في دار خالد البطين على شاطئ دجلة ملاصقاً لدار

(١)

(٢) في نسخة أخرى في رد المظالم.

(٣) المسعودي، مروج الذهب ٣: ٣٢٢.

صالح المسكين، فيستخرج منه مالاً، فما أخذ من شيء؛ أمر به فعزل وكتب عليه اسم من أخذ منه وعزل في بيت المال وسمّاه بيت مال المظالم، فكثر في ذلك البيت من المال والمتاع، ثم قال للمهدي: إنّي قد هيّأت لك شيئاً ترضي به الخلق ولا تغرم من مالك شيئاً، فإذا أنامت فادع هؤلاء الذين أخذت منهم هذه الأموال التي سميتها المظالم فاردد عليهم كلّ ما أخذ منهم فانّك تستحمد إليهم وإلى العامة، ففعل ذلك المهدي لمّا ولي[1].

قال المصنف (ويروى هذا الكلام على وجه آخر، وهو «أمّا بعد؛ فإنّ الذي في يدك من الدنيا قد كان له أهل قبلك وهو صائر إلى أهل بعدك).

في (الأنوار النعمانية): مرَّ عيسى عليه السلام ذات يوم مع جماعة من أصحابه بزرع قد أمكن من الفرك، فقالوا: يا نبي الله! إنّا جياع. فأُوحي إليه أنِ ائذن لهم في قوتهم، فأذن لهم فتفرقوا في الزرع يفركون ويأكلون، فبيناهم كذلك إذ جاء صاحب الزرع وهو يقول :زرعي وأرضي ورثتها من آبائي فبإذن من تأكلون؟ فدعا عيسى عليه السلام ربه فبعث تعالى جميع من ملك تلك الأرض من لدن آدم إلى ساعته كلّ ينادي زرعي وأرضي ورثته من آبائي ففزع الرجل منهم ـ وكان بلغه أمر عيسى عليه السلام ، فأتاه وقال: لم أعرفك؛ زرعي لك حلال، فقال: ويحك! هؤلاء كلّهم قد ورثوا هذه الأرض وعمروها وارتحلوا عنها وأنت مرتحل عنها ولاحقٌ بهم ليس لك أرض ولا مال[2].

(وانما أنت جامع لأحد رجلين رجل عمل فيما جمعته بطاعة الله فسعد بما شقيت به، ورجل عمل فيه بمعصية الله فشقيت بما جمعت له، وليس أحد هذين أهلاً أن تؤثره على نفسك ولا أن تحمل له على ظهرك، فارج لمن مضى

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٦: ٣٢٤.

(٢)

رحمة الله ولمن بقي رزق الله).

الأصل في هذه الرواية (الروضة)، روي أن مولًى لأمير المؤمنينعليه السلام سأله مالاً فقال: يخرج عطائي فأقاسمك. فقال: لا أكتفي، وخرج إلى معاوية فوصله، فكتبعليه السلام إليه: أما بعد ـ الخ. وزاد بين قوله «بعدك» وقوله «وانما» وانما لك ما مهدت لنفسك فآثر نفسك على اصلاح ولدك[١].

## ٩٧
## الحكمة (٤٢٩)

وقالعليه السلام:

إِنَّ أَعْظَمَ الحَسَراتِ يَوْمَ القِيامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مالاً فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ فَوَرِثَهُ رَجُلٌ فَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللّهِ سُبْحَانَهُ فَدَخَلَ بِهِ الجَنَّةَ وَدَخَلَ الأَوّلُ النّارَ.

هكذا في (الطبعة المصرية)[٢] والصواب: (فورَّثَه رجلاً) كما في ابن أبي الحديد[٣] وابن ميثم[٤] والخطية[٥].

«فأنفقه في طاعة الله سبحانه فدخل به الجنة ودخل الأول به النار».

قال ابن أبي الحديد: يقال لعمر بن عبد العزيز السعيد ابن الشقي، وذلك أنّ عبد العزيز ملك ضياعاً كثيرة بمصر والشام والعراق والمدينة من غير طاعة الله لسلطان أخيه عبد الملك وبولايته مصر وغيرها، ثم تركها لابنه عمر فكان ينفقها في طاعة الله إلى أن أفضت الخلافة إليه، فأخرج سجلات عبد الملك

---

(١) روضة الكافي للكليني ٧٢، أخرجه عن علي بن إبراهيم عن بعض أصحابه مر ذكره ص٢٨٧.

(٢) راجع افسيت النسخة المصرية: ٧٥٦.

(٣) راجع شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٧١.

(٤)

(٥)

بها لأبيه فمزّقها وأعادها إلى بيت المال[١].

قلت: تسميته سعيداً بذلك على أصول العامة، وأمّا على أصول الخاصة فكان أشقى من أبيه حيث إنّه تصدّى للخلافة بغير حقّ، وهو فوق أخذ الأملاك بغير حق، وكان مصداق قوله تعالى ﴿وحَمَلها الإنْسانُ إنَّهُ كانَ ظلوماً جَهُولا﴾[٢].

ثم ان كلامه عليه السلام في انفاق الوارث المال في الطاعة محمول على جهله بغاصبية مورثه، وإلّا فالواجب عليه ردّه إلى صاحبه، وقد رد عمر بن عبد العزيز فدك التي صارت إلى أبيه على أهلها، مع ان الأصل في غصبها صدِّيقهم وفاروقهم، وقد قال له أقرباؤه إنّك في عملك هذا تطعن على الشيخين فلم يكترث بهم.

## ٩٨
## الحكمة (٤٢٦)

وقال عليه السلام:

لَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَثِقَ بِخَصْلَتَيْن: العافِيَةِ والغِنَى، بَيْنَا تَرَاهُ مُعافىً إذْ سَقِمَ وبَيْنَا تَرَاهُ غَنِيّاً إذِ افتَقَرَ.

أقول: جزؤه الأول نظير قوله عليه السلام «ما المريض المبتلى بأحوج إلى الدعاء من الصحيح المعافى».

وفي (دلالات الرضا عليه السلام): عاد بعض أعمامه وعمّه الآخر يبكي عليه، فتبسّم عليه السلام وقال يبرأ المريض المحتضر المأيوس منه ويموت السالم الباكي

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ٧٤.

(٢) الأحزاب: ٧٢.

على أخيه، فصار كما قال عليه السلام[١]. ومن شعر الخليل:

وقبلَكَ داوى الطبيبُ المريض فعاش المريض ومات الطبيب

فكــن مســتعدّاً لدار البَــقاء فــإنّ الذي هــو آتٍ قــريب[٢]

وقال ابن أبي الحديد قال شاعر:

ورُبّ غــــنيٍّ عــــظيم الثــراء أمســــى مُــــقِلّاً عــديماً فــقيراً

وكم باتَ من مُترفٍ فـي القُـصور فعُوِّض في الصبح عنها القـبورا[٣]

## ٩٩
## الحكمة (٤٣٠)

وقال عليه السلام:

**إِنَّ أَخْسَرَ النَّاسِ صَفْقَةً وأَخْيَبَهُمْ سَعْياً رَجُلٌ أَخْلَقَ بَدَنَهُ فِي طَلَبِ مَالِهِ ولم تُساعِدْهُ المَقاديرُ عَلَى إرادَتِهِ، فَخَرَج مِنَ الدُّنْيَا بِـحَسْرَتِهِ وَقَـدِمَ عَلَى الآخِرةِ بِتَبِعَتِهِ.**

قال الجوهري: يقال صفقة رابحة وصفقة خاسرة، والصفق الضرب الذي يسمع له صوت، وصفقت له بالبيع والبيعة أي: ضربت يدي على يده[٤].

«وأخيبهم سعياً» أي: أيأسهم من سعيه وجده.

«رجل أخلق بدنه» أي: جعله بالياً.

**«في طلب آماله ولم تساعده المقادير على إرادته، فخرج من الدّنيا بحسرته وقدم على الآخرة بتبعته».**

في (كامل الجزري): مات بركيارق بن ملكشاه السلجوقي في سنة

(١) ذكره المجلسي بالمعنى في ٤٩: ٣٢ رواية ٧.

(٢) الحموي، معجم الأدباء ١١: ٧٦.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ٧١.

(٤) الجوهري، الصحاح ٤: ١٥٠٧ مادة [صفق].

(٤٩٨) عن خمس وعشرين سنة ومدّة وقوع اسم السلطنة عليه (١٢) سنة، قاسى من الحروب واختلاف الأمور عليه ما لم يقاسه أحد، وأشرف في عدّة نُوَب ـ بعد إسلام النعمة ـ على ذهاب المهجة، ولمّا أطاعه المخالفون أدركته المنية[1].

وفي (معجم بلدان الحموي): قادس جزيرة غربي الأندلس، وكان صاحبها من ملوك الروم قبل الإسلام، وكانت له بنت ذات جمال خطبها ملوك النواحي إلى أبيها فقال: لا أزوجها إلّا بمن يصنع في جزيرتي طلسماً يمنع البربر من الدخول إليها بغضاً منها لهم أو يسوق الماء إليها من البر بحيث يدور فيها الرحى، فخطبها ملكان فاختار أحدهما سوق الماء والآخر عمل الطلسم على أن من سبق منهما يكون هو صاحب البنت، فسبق صاحب الماء فلم يظهر الملك أبو البنت ذلك خوفاً من أن يبطل الآخر، فلمّا فرغ صاحب الطلسم ولم يبق إلّا صقله أجرى صاحب الرحاء الماء ودارت رحاه، فقيل لصاحب الطلسم انّك قد سُبِقْتَ، فألقى نفسه من أعلى الموضع الذي عليه الطلسم فمات وصارت الجارية لصاحب الماء.

قالوا: والطلسم من حديد مخلوط بصفر على صورة بربري له لحية وفي رأسه ذؤابة من شعر جعد قائمة في رأسه لجعودتها متأبط صورة كساء قد جمع فضلتيه على يده اليسرى قائم على رأس بناء عال مشرف طوله نيّف وستون ذراعاً وطول الصورة قدر ستة أذرع قد مدّ يده اليمنى بمفتاح قفل في يده قابضاً عليه مشيراً إلى البحر كأنّه يقول: لا عبور...[2].

وفي (جمل المفيد): قال الحسن البصري: خرج طلحة من رساتيق

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ١١: ٣٨٥ بتصرف في النقل.

(٢) الحموي، معجم البلدان ٤: ٢٩١.

أقطعه إيّاها عثمان إذ كان يقبضها ينخ به ألف راكب ثم يروحون فلم يعرف له ذلك حتى سعى في دمه، فلمّا كان يوم البصرة خرج للقتال وقد لبس درعاً استجن به من السهام إذ أتاه سهم فأصابه ﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾[١] ورأيته يقول حين أصابه السهم: ما رأيت كاليوم مصرع شيخ أضيع من مصرعي -وقد كان قبل ذلك جاهد مع النبي صلى الله عليه وآله ووقاه بيده فضيع أمر نفسه -ولقد رأيت قبره مأوى الشقاء يضع عنده الغريب ثم يقضي عنده حاجته.

وأتى الزبير حيّاً من أحياء العرب فقال أجيروني. قال الحسن: وكنت يا زبير قبل ذلك تجير ولا يجار عليك وما الذي أخافك ووالله ما أخافك إلّا ابنك فاتبعه ابن جرموز فقتله ووالله ما رأيت مثله أحداً قط قد ضاع، وهذا قبره بوادي السباع مخراة الثعالب، فخرجا من الدّنيا لم يدركا ما طلبا ولم يرجعا إلى ما تركا قال الحسن: فعز عليّ هذه الشقوة التي كتبت عليهما[٢].

(وفيه أيضاً): لمّا انجلت الحرب بالبصرة وقتل طلحة والزبير وحملت عائشة إلى قصر بني خلف ركب أمير المؤمنين عليه السلام وعمّار يمشي مع ركابه حتى خرج إلى القتلى يطوف عليهم، فمرّ بعبدالله بن خلف الخزاعي وعليه ثياب حسان مشهرة، فقال الناس: هذا والله رأس الناس. فقال عليه السلام: ليس برأس الناس ولكنه شريف منيع النفس. ثم مرّ بعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد فقال عليه السلام: هذا يعسوب القوم ورأسهم، ثم جعل يستعرض القتلى رجلاً رجلاً، فلمّا رأى أشراف قريش صرعى في جملة القتلى قال: جدعت أنفي، أمَا والله إن كان مصرعكم بغيضاً إليّ ولقد تقدمت إليكم وحذرتكم عض السيوف وكنتم احداثاً لا علم لكم بما ترون ولكن الحين ومصارع سوء

---

(١)

(٢) جمل المفيد: ٢٠٥ _ ٢٠٦.

نعوذ بالله من سوء المصرع.

ثم سار حتى وقف على كعب بن سوار القاضي وهو مجدّل بين القتلى وفي عنقه المصحف، فقال: نحّوا المصحف وضعوه في مواضع الطهارة. ثم قال: أجلِسوا لي كعباً، فأُجلس فقال عليه السلام: يا كعب! قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدت ما وعد ربك حقاً؟ ثم قال: أضجعوا كعباً، فتجاوزه فرأى طلحة صريعاً فقال: أجلسوه، فأُجلس، فقال: يا طلحة! قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدت ما وعد ربك حقاً؟ ثم قال أضجعوه، فوقف رجل من القرّاء أمامه وقال له عليه السلام: ما كلامك؟! هذه الهام قد صديت لا تسمع لك ولا ترد جواباً. فقال عليه السلام: إنّهما ليسمعان كلامي كما سمع أصحاب القليب كلام الرسول، ولو أذن لهما في الجواب لرأيت عجباً.

ومرّ بمعبد بن المقداد وهو في الصرعى، فقال عليه السلام: رحم الله أبا هذا، إنّما كان رأيه فينا أحسن من رأي هذا. فقال عمّار: الحمد لله الذي أوقعه وجعل خدّه الأسفل، والله لا نبالي بمن عَنِدَ عن الحق من والد وولد. فقال عليه السلام: رحمك الله يا عمّار وجزاك عن الحق خيراً.

ومرَّ بعبدالله بن ربيعة وهو في القتلى، فقال عليه السلام: هذا البائس ما كان أخرجه نصر عثمان، والله ما كان رأي عثمان فيه ولا في أبيه بحسن.

ومرَّ بمعبد بن زهير بن أُميّة فقال عليه السلام: لو كانت الفتنة برأس الثريا لتناولها هذا الغلام، والله ما كان فيها بذي مخبرة، ولقد أخبرني من أدركه انّه يلوذ خوفاً من السيف حتى قتل البائس ضياعاً.

ومرَّ بمسلم بن قرضة فقال: البر أخرج هذا ولقد سألني أن أكلم عثمان في شيء يدّعيه عليه بمكّة فلم أزل به حتى أعطاه وقال لي: لولا أنت ما أعطيته ان هذا ما علمت بئس العشيرة، ثم جاء لحينه ينصر عثمان.

ثم مرَّ بعبدالله بن عمير بن زهير قال: هذا أيضاً ممّن أوضع في قتالنا يطلب بزعمه دم عثمان. ومرَّ بعبد الله بن حكيم بن حزام فقال: هذا خالف أباه في الخروج عليّ، وإن أباه حيث لم ينصرنا بايع وجلس في بيته، ما ألوم أحداً إذا كفّ عنا وعن غيرنا ولكن الملوم الذي يقاتلنا.

ومرّ بعبدالله بن الأخنس فقال: أما هذا فقتل أبوه يوم قتل عثمان في الدار فخرج غضباً لمقتل أبيه وهو غلام لا علم له بعواقب الأمور. ومرّ بعبدالله بن الأخنس بن شريق فقال: أما هذا فاني أنظر إليه وقد أخذ القوم السيوف وانّه لهارب يعدو من السيف، فنهيت عنه فلم يسمع حتى قتل(١).

وأيضاً مصداق ما ذكره عليه السلام خلافة ابن المعتز، فإنّه ولي الأمر ليلة ثم قتل(٢).

## ١٠٠
## الحكمة (٤٣٥)

وقال عليه السلام:

ما كَانَ اللهُ لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الشُّكْرِ ويُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الزِّيادَةِ.

قال تعالى ﴿لِئَن شَكرتُمْ لأَزيدَنَّكُم...﴾(٣).

وقال الصادق عليه السلام: ما أنعم تعالى على عبد من نعمة فعرفها بقلبه وحمدهُ تعالى بلسانه فتم كلامه حتى يؤمر له بالمزيد(٤).

**«ولا ليفتح على عبد باب الدعاء ويغلق عنه باب الإجابة» قال تعالى**

---

(١)

(٢)

(٣) إبراهيم: ٧.

(٤) أورده الحراني بهذا اللفظ: من أنعم الله عليه نعمة فعرفها بقلبه وعلم ان المنعم عليه الله فقد أدّى شكرها وان لم يحرّك لسانه (تحف العقول ٢٧٥).

﴿ٱدعُوني أَستَجِب لَكُم﴾[١] ﴿وإذا سأَلك عبادي عَني فإنّي قَريبٌ أُجيبُ دعوةَ ٱلداعِ إذا دَعان فَليستَجيبوا لي وليُؤمِنوا بي لعلَّهم يَرشُدون﴾[٢].

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: انّ العبد ليدعو فيقول تعالى للملكين قد استجبت له ولكن احبسوه بحاجته فإنّي أُحبّ أن أسمع صوته، وإنّ العبد ليدعو فيقول تعالى: عجّلوا له حاجته فإني أبغض صوته[٣].

وعنه عليه السلام: خمس دعوات لا تحجبن عن الرّبّ تعالى: دعوة الإمام المقسط، والمظلوم، يقول تعالى: لأنتقمن لك ولو بعد حين، والولد الصالح لوالديه، والوالد الصالح لولده، والمؤمن لأخيه بظهر الغيب ويقول: ولك مثله[٤].

وعنه عليه السلام: أربعة لا يستجاب لهم دعوة: الرجل الجالس في بيته يقول: اللّهم ارزقني فيقال له: ألم آمرك بالطلب، ومن كانت له امرأة سوء فدعا عليها فيقال له: ألم أجعل أمرها إليك، ورجل كان له مال فأفسده فيقول: اللّهم ارزقني فيقال له ألم آمرك بالاقتصاد: ﴿وٱلّذين إذا أَنْفَقُوا لم يُسرِفوا وَلَمْ يقتُرُوا وكانَ بينَ ذلكَ قواماً﴾[٥] ورجل كان له مال فأدانه بغير بيّنة فيقال له: ألم آمرك بالشهادة[٦].

وعنه عليه السلام: كان في بني اسرائيل رجل فدعا الله تعالى أن يرزقه غلاماً ثلاث سنين، فلمّا رأى انّه لا يجيبه قال: ياربّ أبعيد أنا منك فلا تسمعني أم

(١) غافر: ٦٠.

(٢) البقرة: ١٨٦.

(٣) الكافي للكليني ٢: ٤٨٩ ح٣ عن علي بن حديد.

(٤) الكافي للكليني ٢: ٥٠٩ رقم ٢، بحار الأنوار ٩٣: ٣٥٨ رقم ١٦.

(٥) فرقان: ٦٧.

(٦) الكافي للكليني ٢: ٥١١ رقم (٢)، المجلسي، بحار الأنوار ٧١: ٣٤٤ رواية ١.

قريب أنت منّي فلا تجيبني، فأتى آت في منامه فقال: إنّك دعوته منذ ثلاث سنين بلسان بذيٍّ وقلبٍ عاتٍ غير تقيّ ونيّة غير صادقة فأقلِع عن بذائك وليثق بالله تعالى قلبك وليحسن نيتك، ففعل الرجل ذلك ثم دعا فولد له[1].

«ولا يفتح لعبد» هكذا في الطبعة المصرية[2]، والصواب: (على عبد) كما في ابن أبي الحديد[3] وابن ميثم[4] والخطية (باب التوبة ويغلق عنه باب المغفرة) قال تعالى ﴿استَغْفِروا ربَّكُم إنّه كان غفَّاراً* يُرسِلِ السماء عليكم مدرارا﴾[5] ﴿وهو الذي يَقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيّئات﴾[6].

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبه الله تعالى فستر عليه، يُنسي ملكيه ما كانا يكتبان عليه، ويوحي إلى جوارحه وإلى بقاعه أن اكتمي عليه ذنوبه، فيلقى الله تعالى حين يلقاه وليس شيءٌ يشهد عليه بذنب[7].

وعن الباقر عليه السلام: أوحى تعالى إلى داود عليه السلام أنِ ائت عبدي دانيال فقل له انّك عصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، فإن أنت عصيتني الرابعة لم أغفر لك. فأتاه داود عليه السلام وبلّغه ذلك فقال له دانيال: قد بلّغت يا نبيّ الله، فلمّا كان في السحر قام دانيال وناجى ربّه فقال: يا ربّ إنّ داود أخبرني عنك كذا وكذا وعزّتك وجلالك لئن لم تعصمني لأعصينَّك ثم

---

(١) الكافي للكليني ٢: ٣٢٥ ح٧.

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

(٦) الشورى: ٢٥.

(٧) الكافي للكليني ٢: ٤٣٦ ح ١٢.

لأعصينك ثم لأعصينك[1].

وأمّا قوله عليه السلام في الحكمة ١٣٥: «مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعاً لَمْ يُحْرَمْ أَرْبعاً: مَنْ أُعْطِيَ الدُّعاءَ لَمْ يُحْرَم الإجابَةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ القَبُولَ، ومَنْ أُعطِيَ الإستِغفارَ لَمْ يُحْرَمِ المغفِرةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيادَة» وتصديق ذلك في كتاب الله قال اللّه عزوجل في الدعاء ﴿ادعُوني أستَجب لَكُم﴾[2] وقال في الاستغفار: ﴿ومَن يَعمل سُوءً أو يَظلم نَفْسَهُ ثُمَّ يَستَغْفِر الله يَجِدِ الله غَفوراً رحيماً﴾[3] وقال في الشكر ﴿لَئِن شَكَرتُم لأزيدنّكُم﴾[4] وقال في التوبة: ﴿إنَّما التوبةُ عَلى الله لِلَّذِينَ يَعمَلون السُّوءَ بِجَهالةٍ ثمَّ يتُوبُونَ مِن قَريبٍ فأُولئكَ يَتُوبُ الله عليهم وكانَ الله عَليماً حَكيماً﴾[5] فلا يحتاج إلى شرح لأنّه في معنى سابقه، وإنّما زيد في هذا الاستغفار مع أنّه عليه السلام استدل لكل منها بما في كتاب الله تعالى.

وأمّا زيادة المصرية، مطبعة الاستقامة جملة «قال الرضي» قبل قوله «وتصديق ذلك» فأخذتها من نقل ابن أبي الحديد وهو أخذها من حاشية وهمية خلطت بالمتن[6].

ويدل على كونها وهماً أنّه لو كان كلام الرضي لقال: «وتصديق قوله عليه السلام» لا «وتصديق ذلك» وابن ميثم والخطية[7] لم ينقلا الجملة مع أنّ ابن

---

(١) الكافي للكليني ٢: ٤٣٦ ح ١١.

(٢) غافر: ٦٠.

(٣) النساء: ١١٠.

(٤) إبراهيم: ٧.

(٥) النساء: ١٧.

(٦) انظر ١٨: ٣٣١ من شرح بن أبي الحديد، كذلك راجع افسيت النسخة المصرية ٦٨٩.

(٧) نقل شرح ابن ميثم في النسخة المنقحة ٥: ٣١٧ رقم ١٢٥.

أبي الحديد أيضاً قال: وفي بعض الروايات ان الجملة من كلامه عليه السلام[١].

## ١٠١
## الحكمة (٤٤١)

وقال عليه السلام:

**الوِلَايَاتُ مَضَامِيرُ الرِّجَالِ.**

أقول: ذكرته (المصرية) بعد قوله عليه السلام: «ما أَنْقَضَ النّومِ لِعَزائِمِ اليَوْمِ»[٢] وذكره ابن أبي الحديد[٣] وابن ميثم[٤] والخطية قبله[٥] والصحيح ما في تلك. وكيف كان فهو نظير قوله عليه السلام «في تقلب الأحوال علم جواهر الرجال»، وقد مرَّ في أوائل الفصل.

وفي (معارف ابن قتيبة): كان أوّل ولاية وليها الحجّاج تبالة، فلمّا رآها احتقرها وانصرف، فقيل في المثل «أهون من تبالة على الحجّاج»[٦].

وفي (عقد ابن عبد ربه): كان الحجّاج أولا يعلّم الناس بالطائف، ثم لحق بَروْح بن زِنباع وزير عبد الملك، فكان في عديد شرطته إلى أن شكا عبد الملك ما رأى من انحلال العسكر وأنّ الناس لا يرحلون برحيله ولا ينزلون بنزوله، فقال له روح: إنّ في شرطتي رجلاً لو ولّيته أمر عسكرك لأرحلهم برحيله وأنزلهم بنزوله يقال له: الحجّاج بن يوسف. قال: فإنّا قد قلّدناه ذلك، فكان لا يقدر أحد أن يتخلّف عن الرحيل والنزول إلّا أعوان روح، فوقف عليهم يوماً

---

(١) راجع شرح شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٣١.

(٢) راجع افسيت النسخة المصرية: ٧٥٩.

(٣)

(٤) راجع شرح ابن ميثم ٥: ٤٥٤ رقم ٤١٤.

(٥) راجع شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٨٨ و ٨٩.

(٦) معارف ابن قتيبة: ٣٩٦.

وقد رحل الناس وهم تخلفوا على طعام يأكلون فقال لهم: ما منعكم أن ترحلوا برحيل الخليفة؟ فقالوا له: إنزل يا ابن اللخناء فكل معنا. فقال: هيهات ذهب ما هنالك. ثم أمر بهم فجلدوا بالسياط وطوّفهم في العسكر وأمر بفساطيط روح فأُحرقت، فدخل على عبد الملك باكياً فقال له: مالكَ؟ قال: الرجل الذي كان في عديد شرطتي ضرب عبيدي وأحرق فساطيطي. قال: عليّ به. فلمّا دخل عليه قال: ما حملك على ما فعلت؟ قال: ما أنا فعلته قال: ومن فعله؟ قال: أنت والله فعلته، انّما يدي يدك وسوطي سوطك وما على الخليفة أن يخلف على روح لفسطاط فسطاطين ولغلام غلامين ولا يكسرني فيما قدّمني له، فأخلف لروح ما ذهب له وتقدّم الحجّاج في منزلته وكان ذلك أول ما عرف من كفايته[1].

## ١٠٢
## الحكمة (٤٤٢)

وقال عليه السلام:

لَيسَ بَلَدٌ بِأحقَّ بِكَ مِنْ بَلَدٍ، خَيْرُ البِلادِ مَا حَمَلَكَ.

في (الأغاني): قال عبد الملك للحارث: أيُّ البلاد أحبّ إليك؟ قال: ما حسُنتْ فيه حالي وصين[2] وجهي، ثم قال:

لا كُوفة أمّي ولا بصرة أبي
ولستُ كمن يَثنيه عن وجهه الكسل[3]

وقال ابن أبي الحديد: وذهب كثير من الناس إلى غير هذا المذهب فجعلوا مسقط الرأس أحقَّ به، قال:

---

(١) عبد ابن عبد ربه ٥: ١٦.

(٢) نسخة التحقيق «وعُرض»، وقد دخل على هذا البيت الخرم: وهو سقوط حركة من أوله.

(٣) الأغاني، نسبه للميداني ٣: ٣٣٤.

أحَبُّ بــلادِ الله مــا بـين مـنبج إليّ وسَلمى أن يَصوب سحابُها
بـلادٌ بـها نِـيطتْ عـليَّ تـمائمي وأوّلُ أرضٍ مَسَّ جـلـد تـرابُـها

وكانت العرب إذا سافرت حملت معها من تربة أرضها مـا تسـتنشق ريحه وتطرحه في الماء إذا شربته، وكذلك كانت فلاسفة اليونان تَفعل[١].

قلت: ما ذكره أعمُّ، فإنّ الوطن من حيث هو أحق من غيره، وكلامهعليه السلام فيما إذا لم يحمله وطنه فاختياره حينئذٍ سفاهة، وقال البحتري:

اضيع في مـعشر وكـم بـلد يعد عود الكباء من حطبه[٢]

الكباء عود البخور ـ وقال أيضاً:

وإذا ما تـنكرت لي بـلاد أو خليل فإنّني بالخيار[٣]

أيضاً:

متى لم يزل في العرب ارتيادي حططت إلى ربـاع الأعـجمينا[٤]

## ١٠٣
## الحكمة (٤٤٥)

وقال عليه السلام:

إذا كانَ فِي رَجُلٍ خَلَّةٌ رائِقَةٌ فانتظِرُوا أَخَواتِهَا.

«الخلة» بالفتح خصلة.

«رائقة» هكذا في (الطبعة المصرية)[٥]، والصواب: (رائعة) كما في ابـن

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٩١.

(٢) ديوان البحتري ١: ١٩٩.

(٣) ديوان البحتري ٢: ٣٥.

(٤) ديوان البحتري ٢: ١٠٦.

(٥) نسخة التحقيق المصرية «إذ يُعَد»: ٧٦٠.

أبي الحديد[١] وابن ميثم[٢] والخطية[٣]، وان كانتا بمعنى واحد أي: معجبة، لصحّة تلك دون الطبعة المصرية وكون نسخة ابن ميثم بخط مصنّفه.

«فانتظروا اخواتها» وفي ابن أبي الحديد «فانتظروا منه اخواتها»[٤].

وكيف كان فإنّما حكم عليه السلام بانتظار أخواتها لأنّ تلك الخلّة لم تكن مصادفة وإنّما صدرت عن ملكة، وتلك الملكة لم تكن موجبة لشخص تلك الخلّة بل كلّ ما كان من قبيلها.

وفي (الكامل) مات علي بن بابويه بشيراز سنة (٣٣٨) من أسقام توالت عليه، فلمّا أحسّ بالموت ولم يكن له ولد أنفذ إلى أخيه ركن الدولة أن يبعث إليه ابنه عضد الدولة لاستخلافه، فوصل قبل موته بسنة، فخرج في جميع عسكره للقائه وأجلسه على السرير ووقف هو بين يديه وكان يوماً مشهوداً، وكان في قوّاده جماعة يخافهم ويعرفهم انّهم يرون أنفسهم أحق منه بالأمر، فلمّا جعل ولد أخيه في الملك خافهم عليه فأفناهم بالقبض، وكان منهم قائد كبير يقال له (شير نحين) فقبض عليه فشفع فيه أصحابه وقواده فقال لهم: اني أُحدثكم عنه بحديث فإن رأيتم أن أُطلقه فعلت، فحدّثهم أنّه كان في خراسان في خدمة نصر بن أحمد ونحن شرذمة قليلة من الديلم ومعنا هذا، فجلس يوماً نصر وفي خدمته من مماليكه ومماليك أبيه بضعة عشر ألفاً سوى سائر العسكر، فرأيت شيرنحين هذا قد جرّد سكيناً معه ولفّه في كسائه، فقلت: ما هذا؟ فقال: أريد أن أقتل هذا الصبي ـ يعني نصراً ـ ولا أُبالي بالقتل بعده فإنّي قد أنفت نفسي من القيام في خدمته، وكان عمر نصر بن أحمد يومئذ عشرين سنة،

---

(١) ابن أبي الحديد ٢: ٩٥.

(٢) نقل شرح ابن ميثم في النسخة المنقحة لفظ «رائعة» ٥: ٤٥٥.

(٣) الخطية: ٣٢٩ «رايعة».

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ٩٥.

فعلمت أنّه إذا فعل ذلك لم يقتل وحده بل نقتل كلنا، فأخذت بيده وقلت له بيني وبينك حديث، فمضيت به إلى ناحية وجمعت الديلم وحدّثتهم حديثه فأخذوا منه السكّين، فتريدون منّي بعد أن سمعتم حديثه في نصر أن أُمكّنه من الوقوف بين يدي هذا الصبي ـ يعني عضد الدولة ـ فأمسكوا عنه وبقي محبوساً حتى مات في محبسه[1].

## ١٠٤
## الحكمة (٤٤٩)

وقال عليه السلام:

مَن كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ شَهَوَاتُهُ.

هكذا في (الطبعة المصرية)[2] والصواب: (شهوته) كما في ابن أبي الحديد[3] وابن ميثم[4] والخطية[5]، قال ابن أبي الحديد[6]: والجيّد النادر في هذا قول الشاعر:

فإنّك إن أعطيت بطنك سُؤْلَه وفَرْجَك نالا منتهى الذَّمِّ أجمعا[7]

قلت: الظاهر أنَّ مراده عليه السلام الشهوة المباحة فهي أيضاً توجب هوان النفس، فمن كرمت عليه نفسه لابدّ أن تهون الشهوات المباحة عنده فيتركها، فمن عرفه الناس بكثرة الأكل والنكاح يكون موهوناً عندهم. وقال الشاعر:

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٨: ٤٨٢ ـ ٤٨٣.

(٢) شرح محمد عبده: ص٧٦.

(٣) شرح بن أبي الحديد ٢٠: ٩٩.

(٤) شرح ابن ميثم ٥: ٤٥٧ أيضاً «شهواته».

(٥) الخطية: ٣٢٩.

(٦) شرح نهج البلاغة ١٩: ٣٥٢.

(٧)

إذا كنت فـي دار الهـوان فـإنّما ينجّيك من دار الهوان اجتنابها

هذا، واعلم ان ابن أبي الحديد تفرّد بنقل عناوين في بابه الثالث لم تكن في الطبعة المصرية الأولى ونقلها الثانية عن ابن أبي الحديد بين قوسين.

منها الرقم (٣٣٦) «المسؤول حر حتى يعد»[١] و (٣٤٢) «الغنى الأكبر اليأس عمّا في أيدي الناس».

ومنها الأرقام (٣٧٩) إلى (٤١) «نعم الطيب المسك خفيف محمله عطر ريحه»[٢] «ضع فخرك واحطط كبرك واذكر قبرك»[٣] وهو جزء العنوان ١/١٤٩/ «إنَّ للولد على الوالد حقّاً وإنّ للوالد على الولد حقّاً، فحقُّ الوالد على الوَلد أن يُطيعه في كُلّ شيءٍ إلّا في معصية الله سبحانه، وَحَقُّ الولد على الوالد أنْ يُحسن اسْمَهُ وَيُحسن أدَبَهُ ويُعَلِّمَهُ القُرْآن»[٤].

«العَيْنُ حَقٌّ، والرُّقى حَقّ، والسّحْرُ حَقٌّ، والفأْلُ حَقٌّ، والطِّيرةُ لَيْسَتْ بِحَقّ، والعَدْوى لَيْسَتْ بِحَقّ، والطِّيبُ نُشْرَةٌ، والعَسَلُ نُشْرَةٌ، وَالرُّكُوبُ نُشْرَةٌ، والنَّظَرُ إلى الخضْرَة نُشْرَة»[٥].

ومنها الرقم (٤٧٤): «أولى الناس بالكرم من عرفت به الكرام» و(٤٥٣) «مازال الزبير رجلاً منّا أهل البيت حتّى نشأ ابنه المشوم عبدالله»[٦].

ومنها (٤٧٤) «ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجراً ممّن قَدَرَ

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٧٢.

(٢)

(٣)

(٤)

(٥) شرح النهج شرح ابن أبي الحديد١٨: ١٤٨.

(٦) شرح شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٤١.

فَعَفَّ، لكاد العفيف أن يكون ملكاً من الملائكة»[١].

وحيث إنّ ابن ميثم لم يصدقها ـ ونسخته بخط الرضي‌رحمه‌الله ـ لم نعنونها وقد شرحها ابن أبي الحديد الذي تفرّد بنقلها، وحيث إنّ نسخة ابن ميثم بخط مصنّفه وهي خالية فلابدّ إمّا أن يكون المصنف استنسخ كتابه ثانياً فزاد فيها وغيّر؛ كما هو شأن كلّ من استنسخ كتاب نفسه ثانية، فقال ابن أبي الحديد بعد العنوان (٤٤٣): «وقد جاءه نعي الأشتر» يقال: ان الرضيّ ختم الكتاب به وكتبت به نسخ ثم زاد عليه إلى ان وفّى الزيادات التي نذكرها فيما بعد[٢]، واما يكون مازاد ابن أبي الحديد حواشي من المحشين اختلطت بالمتن ومثله يقع كثيراً في الكتب.

ومنها ما في (الطبعة المصرية) في العنوانين الأخيرين في جعلها كلام المحشين كلام الرضي كما عرفت عند ذكرهما وهو الأظهر، وان قال ابن أبي الحديد: «إنّ النسخة التي بُني هذا الشرح على فضلها أتم نسخة وجدتها لنهج البلاغة، فإنّها مشتملة على زيادات تخلو عنها أكثر النسخ»[٣] فإنّ الرضي‌رحمه‌الله لا ينقل كل كلام رآه مروياً عنه‌عليه‌السلام بل ما كان في غاية الفصاحة، ويبعد أن ينقل الرضي مثل قوله: «نعم الطيب المسك خفيف محمله عطر ريحه» ومثل قوله: «العين حق...».

هذا، وصرّح ابن أبي الحديد بأنّه نقل ممّا ليس في النهج عنه‌عليه‌السلام ألف كلمة المشهورة وغير المشهورة، ونحن نقلنا بعض ماوجدنا ممّا يناسب العناوين عند شرحها[٤].

---

(١) شرح شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٤٠.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ٣٥٠.

(٣)

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ٣٥٠.

هذا، وفي آخر الطبعة المصرية بعد (٤٨٠) من عناوينه «وهذا حين انتهاء الغاية بنا إلى قطع المختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام حامدين له سبحانه على ما منّ به من توفيقنا لضمّ ما انتشر من أطرافه وتقريب ما بعد من أقطاره، وتقرّر العزم كما شرط أوّلاً على تفصيل أوراق من البياض في آخر كلّ باب من الأبواب ليكون لانتقاض الشارد واستلحاق الوارد وما عسى أن يظهر لنا بعد الغموض ويقع إلينا بعد الشذوذ، وما توفيقنا إلّا بالله عليه توكلنا وهو حسبنا ونعم الوكيل. وذلك في سنة أربعمائة من الهجرة، وصلّى الله على سيّدنا محمّد خاتم الرسل والهادي إلى خير السبل وآله الطاهرين وأصحابه نجوم اليقين»[1].

ولكن لم ينقله ابن أبي الحديد[2] وابن ميثم[3] هنا بل بعد الرقم (٤٦١) «ربّ مفتون بحسن القول فيه».

قال الأول: واعلم أنَّ الرضي رضي الله عنه قطع كتاب نهج البلاغة على هذا الفصل، وهكذا وجدت النسخة بخطه، وقال: «هذا حين انتهاء الغاية بنا...» مثله لكن فيه «المنتزع» بدل «المختار» و«مقررين العزم كما شرطنا» بدل «وتقرر العزم كما شرط» و«ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير» بدل «ونعم الوكيل وذلك...».

ثم قال ابن ميثم وجدنا نسخاً كثيرة فيها زيادات بعد هذا الكلام قيل إنّها وجدت في نسخة كتبت في حياة الرضي وقرئت عليه فأمضاها وأذن في إلحاقها...[4].

---

(١) افسيت الطبعة المصرية: ٧٦٧.

(٢) راجع شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ١٨٠ رقم (٤٦٨).

(٣)

(٤)

وقال الثاني «وقال الرضي: وهذا حين انتهاء الغاية بنا إلى قطع المختار -إلى قوله - ونعم الوكيل» بدون زيادة لكن فيه أيضاً «ومقررين كما شرطناه أولاً على تفصيل» وفيه «وما عساه» ومثله في ابن أبي الحديد.

ثم قال ابن ميثم: بلغ المصنف في اختيار كلامه عليه السلام إلى هنا ثم كتبت على عهده زيادة من محاسن الكلمات إمّا باختياره هو أو بعض من كان يحضره من أهل العلم، وتلك الزيادة تارة توجد خارجة عن المتن وتارة موضوعة فيه ملحقة بمنقطع اختياره، وروي انّها قرئت عليه وأمر بالحاقها بالمتن[1].

ثم ليس في واحد منهما ما في الطبعة المصرية من قوله «وذلك...»، لكن في نسخة خطية مؤرخة بسنة (١٠٧٥) «وذلك في رجب سنة أربعمائة من الهجرة وصلاته على رسوله محمّد وآله وسلامه» بدل ما في الطبعة المصرية بدون زيادة.

---

(١) راجع شرح ابن ميثم ٥: ٤٦١ رقم ٤٣٤.

# فهرس المطالب

## دليل القارئ

* ضمّ «بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة» (٦٠) فصلاً وزّعت على ١٤ مجلّداً حازت تلك الفصول على أسماء خاصّة بها، وأُدرِجَت وفقاً لهيكل ارتآه المؤلّف نفسه.

* اشتمل كلّ فصل على عدد من نصوص النّهج المُراد شرحها، كُتبت بالغامق، وانتظمت استناداً إلى ترابطها الموضوعي بعناوين مُنحت أرقاماً بارزة أعلاها تمثّل تسلسلها في الفصل، إضافة إلى رقم خاص بين قوسين يُشير إلى موقعها في النّهج.

* قد تحتوي بعض العناوين على أكثر من نصٍّ يُراد توضيحه فتشترك نصوص العنوان برقم واحد أعلاها، ويُميّز كلّ نصٍّ برقمه الخاص في نهج البلاغة.

* يُبتدأ الشّرح باقتطاع كلمات أو فقرات متتالية حسب أولويّتها في النصّ ـ غالباً ـ وتُحصر بين قوسين وتُميّز بالغامق في أوّل مورد أتت به لشرحها.

* غالباً ما يكون الشّرح لغويّاً أوّل الأمر، ثمّ يُنطلق منه إلى وقائع تأريخيّة وقصص أدبيّة معزّزة بأنواع الشّواهد شعراً ونثراً.

* لم تُحصر النصوص المنقولة ـ من غير نهج البلاغة ـ بين قوسين لكثرتها، واكتفي لتمييز أوّلها بذكر اسم الكتاب المأخوذة منه ـ ويقع أوّل السّطر في أحيان كثيرة ـ بين قوسين، ونهايتها بهامش يُشير إلى استخراجها ويبدأ النصّ الآخر برأس سطر جديد.

* عندما يتمّ شرح كلّ نص من العنوان يُنتقل إلى عنوان آخر يليه وفقاً لرقم تسلسله في الفصل، فتُشرح نصوصه ويُنتقل إلى عنوان بعده، وهكذا تُشرح الفصول متتابعة.

* إنّ العبارات التي تقع بين خطّين، هي عبارات اعتراضيّة توضيحيّة.

* أُضيف في نهاية كلّ مجلّد فهرستٌ للخطب والكُتُب والحِكَم الواردة في ذلك المجلّد.

* وختاماً نرجو من القراء الأعزاء أرسال ما لديهم من ملاحظات أو اقتراحات بناءة حول الكتاب. كما نعتذر عن السهو والخطأ إن وجد.

نتمنى للجميع التسديد والصواب، ومن الله الأجر والثواب

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

**الناشر**

